

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القصرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

أثرُ كتابِ الفصيحِ وشُروحه في التَّنْقِيَةِ والتَّوَسُّعِ

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه
تخصُّصُ لغة ونحو

إعداد الطالب

زايد بن مهلهل العتيق الشمري

إشراف

الأستاذ الدكتور / مصطفى عبد الحفيظ سالم — رحمه الله —

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

أما الباب الأول التنقية اللغوية فاحتوى على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مصطلح التنقية اللغوية ، أعلامها ، الدوافع التي أدت إليها ، معالما .

الفصل الثاني : دور كتاب الفصح ، وأثر شروحه المشرقية والمغربية في تدعيم حركة التنقية اللغوية .

الفصل الثالث : موازنة بين الشروح المشرقية والمغربية .

أما الباب الثاني : التوسع اللغوي فاشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مصطلح التوسع اللغوي .

الفصل الثاني : مظاهر التوسع اللغوي في شروح الفصح ، المشرقية والمغربية والموازنة بينهما .

الفصل الثالث : آثار حركة التوسع في الدرس اللغوي .

أما الخاتمة والنتائج فأوضحت فيها :

١ (أن منهج ثعلب المشدد في كتابه الفصح قد فرضه عليه الظروف التي ألف الكتاب لأجلها ، كما أن فصح

ثعلب تبوأ مكانة عظيمة من بين الشروح وذاع صيته .

٢ (أن علماء التنقية اللغوية اخطأوا لأنفسهم مناهج فكان لها أثر في توجيههم ما بين متشدد ومتوسع .

٣ (أن علماء اللغة لم يصفوا على مقياس الصواب اللغوي .

٤ (أبان البحث عن تخطئه كثير من علماء التنقية لكثير من اللغات .

٥ (أظهر البحث أن أيا زيد الأنصاري كان له أثر عظيم في حركة التوسع اللغوي هذا إلى جانب كثير من النتائج .

والله نسأل التوفيق والسداد .

المشرف
عليان محمد الحازمي

الباحث
زايد بن مهلهل العتيق الشمري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي شرف اللغة العربية وأهلها ، بأن أنزل بها خيرَ كُتبه ، فقال جلّ من قائل : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١) .
 وكفّل لها الحفظ والخلود بحفظ هذا الكتاب لها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢) . والصلاة والسلام على من أوتي الفصاحة والبيان ، وجعل الله تعالى معجزته أفصح الكلام ، الذي تحدّى به الخالق — جلّت قدرته — فصحاء العرب ، فلم يكن منهم إلا العجز والاستسلام أمام فصاحته الباهرة ، ومعجزته الظاهرة وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

ويعد :

فقد كانت العربية — وما زالت — موضع عناية العلماء والأدباء والدارسين ، على مرّ الأزمان ، كيف لا ! وهي لغة العقيدة والشّرع القويم ، والحديث النبوي الشريف ، وفيها أودع الشعراء أكرم المعاني ، وأجمل الأساليب في شتى أغراض الشّعْر وقوافيه ، وقد أدرك علماء الأُمَّة هذا الارتباط بين العربية وكتابتها الخالد ، فَشَمَّرُوا عن سواعد الجدّ في خدمتها ، وكان من أهم مظاهر العناية بها الحرص على سلامتها من الخطأ واللحن والدخيل ، وتنقيتها مما يجري من الألفاظ بعيداً عن سننها الصحيحة ، وقواعدها الأصيلة .

(١) سورة يوسف ، آية : (٢) .

(٢) سورة الحجر ، آية : (٩) .

فاللغة العربية ليست مجرد وسيلة للتخاطب والتفاهم فحسب ، بل هي رمز لوحدة أمة عريقة لها تاريخ يشهد بحضارتها ، وتراثها عبر القرون ، وهي لغة القرآن الكريم الذي وعد الله سبحانه وتعالى بصونه وحفظه ، ومن هنا تتأكد الأهمية العظمى للغة العربية الفصحى التي أصبحت ذات مكانة متميزة بين جميع لغات العالم ، ولم تأت هذه الأهمية ، ولا تلك المكانة من فراغ ، بل حازت كما من منطلقات عديدة ، ويكفيني منها دافعاً لاختيار موضوع بحثي هذا شرفها وقداستها المستمدان من كونها لغة القرآن الكريم ، دستور الأمة الإسلامية ونبراسها ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ حَمِّمْنَا نَمِينًا مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (٢) .

اتفق معظم المفسرين على تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (٤) : بأنه ذو بيان وفصاحة (٥) ، وأراد باللسان القرآن ، والعرب تقول للغة لسان ، أي أفصح ما يكون من العربية (٦) .

(١) سورة فصلت ، الآيات : (١-٣)

(٢) سورة الشورى ، آية : (٧) .

(٣) سورة النحل ، آية ، (١٠٣) .

(٤) سورة الشعراء ، آية ، (١٩٥) .

(٥) انظر : تفسير سورتي النحل ، والشعراء : أضواء البيان ٢/٤٥٤ ، ٤٥٥

(٦) انظر : تفسير سورة الشعراء ، تفسير القرطبي ١٠/١٧٩

كما أجمع علماء العربية على أن أعلى مستويات الفصاحة تتمثل في القرآن الكريم ، كلام رب العالمين - جَلَّ وَعَلَا - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن نصوصه تعد أوثق الشواهد التي يرجع إليها ؛ لأنه المنزَّه عن اللحن والخطأ .

ولقد كرَّم المولى - عزَّ وجلَّ - عبده ورسوله النبي العربي ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسيد الأولين والآخرين - صلى الله عليه وسلم - بالفصاحة والبيان ، فهو أفصح الخلق أجمعين ؛ حيث قال - صلى الله عليه وسلم - في معرض ذكره لنعم الله عليه : " وأوتيت جوامع الكلم ... " ^(١) ، وقوله - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - : « أنا أفصح العرب ، بيد أبي من قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر » ^(٢) .

ولمكانته - صلى الله عليه وسلم - وشرفه عند خالقه ومولاه ، فإن هذا الشرف امتد إلى القبيلة التي ينتمي إليها ، وهي قريش ، التي قال عنها ابن فارس في فقه اللغة ، في كلامه على باب : (القول في أفصح العرب) : " أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ، ومحامهم : أن قريشاً أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة ... " ^(٣) .

وهذا الإجماع من المفسرين واللغويين ، على علو لغة القرآن ، وفصاحتها على لسان رسولنا - صلى الله عليه وسلم - وشرف قبيلته بهذه المكانة يتأكد المدافع لدي في اختيار هذه الدراسة لفصيح ثعلب وشروحه في التثنية والتوسع .

(١) صحيح مسلم ، باب المساجد ومواضع الصلاة حديث رقم (٨١٤ ، ٨١٥) .

(٢) والحديث في تلخيص التحرير ، كتاب النفقات برقم (٦١٥٨) ٦/٤ ، وفي خلاصة البدر المنير برقم

(٢١٧٤) ٢/٢٥١ . انظر : الزهر ١/ ١٠٤ شرح وتعليق : محمد أحمد حاد المولى وآخرين .

(٣) ص : ٥٥

ومما دفعني لهذا الاختيار أيضاً أداء حقّ السلف نحو العربية لغة ، والارتباط
الديني بها كلغة شرفها القرآن الكريم بالقداسة ، ولعل أبا منصور الثعالبي كان
محقاً حينما قال في مقدمة كتابه : " من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً -
صلى الله عليه وسلم - ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ، ومن أحب
العرب أحب العربية ، ومن أحب العربية عُني بها وثابر عليها ، وصرف همهته إليها ،
ومن هداه الله للإسلام ، وشرح صدره للإيمان ، وأتاه حسن سريرة فيه ، اعتقد أن
محمداً - صلى الله عليه وسلم - خير الرسل ، والعرب خير الأمم ، والعربية خير
اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاح
التفقه في الدين " (١) .

وقد عُني اللغويون منذ أواخر القرن الأول الهجري بالاهتمام بفصيح العربية
وإبرازه ؛ لارتباطه بلغة القرآن الكريم ، فاجتهدوا في دراسته ، وتحديد معالمه ،
ووضع معاييره ؛ صيانةً للسان العربي عن الانحراف والاعوجاج في أمور الحياة
عامة ، والتطرق بأيّ الذمّر الحكيم خاصة ، فألفت كُتبٌ في التصويب اللغوي -
كإصلاح المنطق لابن السكيت ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والفصيح لثعلب ،
وغيرها - تناولها العلماء واللغويون المتقدمون والباحثون المحدثون بالدراسة
والتحقيق ، فبرزت من خلال تلك المذاهب اللغوية بمناهجها المختلفة ، مناهجٌ
بين التشدد والتساهل ، وبين الأخذ والرد ؛ مما دعانا لدراسة المنابع الأصيلة في
الفصيح من اللغة ، متمثلة في كتاب فصيح ثعلب ، وتتبّع أثره ، وأثر شروحه في
التنقية ، والتوسّع اللغوي .

وحين ظهر الزبغ عن سنن العربية ، وشاع على ألسنة أصحابها أنواعٌ من
اللحن والخطأ ، اتبعت في نفوس علماء اللغة منذ أواخر القرن الثاني الهجري

(١) مقدمة فقه اللغة وسر العربية ، للثعالبي ، تحقيق : فايز محمد ، وأميل يعقوب ، ص ٥ .

رغبة صادقة في المحافظة على فصاحة اللغة ونقاها ، فظهرت مؤلفات عديدة
عرفت بلحن العامة .

وهذا البحث محاولة متواضعة ، للكشف عن عدّة ظواهر لغوية أفرزتها تلك
المؤلفات — في فصيح اللّغة ، ولحن العامة — بمذاهبها اللّغوية المختلفة ، من خلال
تناولها لفصيح ثعلب ، وذلك لا يتأتّى إلا بتناول الفصيح وشروحه بشيء من
الدراسة التحليلية المتأنية ، فيها نستطيع الوقوف على أبرز ملامح المعيار الذي
اخترناه — الفصيح — ثم إبراز منهج صاحبه ، ومقارنته بمناهج أعلام التنقية ،
وإبراز مناهج الشّراح لأهم أبوابه ومواده ، ومن ثمّ يتسنى لنا عقد الموازنات
اللّغوية بين علماء التنقية — في شرح الفصيح — من جهة ، وبين علماء التّوسّع
من جهة أخرى ، وفي ذلك ربط للفروع بالأصل ، وإيضاح لأثر الفصيح في
معالم الشّروح التي تناولته تنقيةً وتوسّعاً .

وتكمن أهمية هذا البحث في الآتي :

— دراسته التفصيلية لفصيح اللغة لثعلب ، وبيان الأثر الذي أحدثه في منهج
أولئك الشّراح الذين تناولوه بالدراسة والتحليل ، ما بين متشدد في تنقية اللغة
ومتوسّع فيها ، يضاف إلى ذلك تعريفه بأعلام التنقية اللّغوية ، ودراسته للمنهج
الذي ارتضاه هؤلاء المنقون ، ومناقشة مذاهبهم في تنقية اللغة ، وأحسب أن هذه
ميزة تفرد بها الباحث في هذه الدراسة عن غيره من الدارسين السابقين الذين
قصرُوا دراساتهم السابقة — حسب ما اطلعت عليه — على شرح واحد من شروح
الفصيح ، ووقفوا عند حدوده .

— توصيفه لأبرز الملامح اللّغوية لكُتب الشّروح (المشرقية والمغربية) التي
تناولت فصيح ثعلب ، بمذاهبها ومناهجها المختلفة .

— تصنيفه لكُتب الشّروح والشّراح ، من حيث المكان : (مشارقة ، ومغاربة) ،
ومن حيث المعيار : (علماء التنقية ، وعلماء التّوسّع) .

— تبينه معالم التنقية اللغوية وأعلامها ومناهجهم ، ومعايير الفصاحة لديهم
وتراجم شراح الفصح الذين توافرت شروحهم ، وأعتمدتهم الباحث .
— عنايته الخاصة بالألفاظ والقوالب اللغوية ، وضبط اللغات — الواردة فيه —
بالحركات .

— جمعه لعدة مؤلفات شملت : فصيح اللغة ، والأقل فصاحة ، ولغة عامتها ،
ولحنها ، ودخيلها ، ومعرّبها .

— عنايته ببيان دور كتاب الفصح ، وأثر شروحه المشرقية والمغربية في دعم
حركة تنقية اللغة .

— عقد موازنات لغوية بين الشروح المشرقية والمغربية الممثلة لحركة التنقية اللغوية ،
وبيان نتائج تلك الموازنات .

— توضيحه لمعالم التوسع اللغوي في شروح الفصح في المشرقين ، وعقد موازنات
بينها ، والكشف عن نتائجها .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يتم تقسيمه على النحو التالي :

المقدمة ، وتضمنت :

أ / دوافع اختيار الموضوع .

ب / أهميته في الدراسات اللغوية .

التمهيد : وتناولت فيها :

أ / الفصاحة والفصح : عرّف فيها الفصح في اللغة والاصطلاح ، وعرّف
بشعب وكتابه الفصح ، وتحدّث عن مكانته العلمية وعن شيوخه وتلاميذه ،
وزعامته للمدرسة الكوفية ، وثناء العلماء عليه ، ثم ختمت ذلك بالحديث عن
أهمية الفصح ، وقيّمته العلمية بين الناس ، وتعلقهم به ، وثناء اللغويين عليه .

ب / شروحه المشرقية : وقد اعتمدت في ذلك على ما ذكرته كُتب التراجم ،
مكتفياً بذكر اسم الشرح وصاحبه ، وربّتها حسب تاريخ الوفاة ، مُبيّناً أمام كل

شرح المصدر الذي ذكره ، فذكرت تلك الشروح مجملة ، ثم ثببتُ بذكر الشروح التي وصلت إلينا واعتمدناها في بحثنا هذا .
ج / شروحه المغربية : وفيها سلكتُ الطريقةَ نفسها التي اتبعتها مع الشروح المشرقية .

الباب الأول : التنقية اللغوية : وبنيتُ على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : واشتمل على :

أ / مصطلح التنقية اللغوية : عرفتُها في اللغة والاصطلاح وبينتُ أن هذه المادة في مجموع تصاريফها تطلق على الجيد والرديء وتحدثتُ عن بواردها الأولية .
ب / أعلامها : تحدثتُ فيه عن مجموعة من هؤلاء الأعلام ، فعرفتُ بهم ، ودرستُ مذهبهم في تنقية اللغة ، وفصّلتُ القول في ذلك .
ج / الدوافع التي أدت إليها : ووضحتُ فيه أن اللحن يُعدُّ الباعثُ الأول الذي بسببه هبَّ المعنويون بتنقية اللغة مما يشربها ، وفصّلتُ القول في اللحن الذي هو بمعنى الخطأ بعد أن أوضحتُ معناه في اللغة والاصطلاح .
د / معالمها اللغوية : وقد صنفتها بناءً على معايير لغوية واضحة رسمها أئمة اللغة المنقون .

الفصل الثاني : وتحدثتُ فيه عن دور كتاب الفصيح وأثر شروحه المشرقية والمغربية في تدعيم حركة التنقية اللغوية .

الفصل الثالث : عقدتُ فيه موازنات بين الشروح المشرقية ، والشروح المغربية الممثلة لحركة التنقية اللغوية ، من خلال تلك المواد المختارة من بعض أبواب الفصيح ومواده المتميزة التي تُبرز ما نسعى إلى تحقيقه وبيان نتائج تلك الموازنة التي تُهدف من خلالها إلى معرفة أوجه الاتفاق أو الاختلاف بين هذه الشروح .

الباب الثاني : وبنيتُهُ على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التوسع اللغوي : وعرفته في اللغة والاصطلاح ، ثم تحدتُ عن بعض ملامح التوسع اللغوي ، ومظاهر اختلاف لغات العرب ، وبداية التأليف في اللغات ، وبينت منهج البصريين المتشدد في الأخذ عن بعض القبائل العربية ، يقابله تسامح وتوسع من جانب الكوفيين .

الفصل الثاني : مظاهر التوسع في شروح الفصيح : تحدتُ فيه عن بعض المصطلحات المتعلقة بظاهرة توسع العرب في لغاتها ، وجاء الكلام في ذلك على قسمين :

أ / الشروح المشرقية : وتكلمتُ فيها عن بعض الظواهر اللغوية المتعلقة بظاهرة التوسع اللغوي ، بالإضافة إلى التوسع عن طريق ذكر أكثر من لغتين أو تساويهما من حيث الفصاحة ، أو عن طريق وسم لغات العامة بالجوذة .

ب / الشروح المغربية : والتزمت الطريقة نفسها التي اتبعتها مع الشروح المشرقية ج / موازنات بينهما : عقدت موازنات بين هذه الشروح الممثلة لحركة التوسع اللغوي في المشرقين ؛ بهدف معرفة أوجه الاتفاق أو الاختلاف بين هذه الشروح من خلال تلك المواد المختارة من بعض أبواب الفصيح .

د/ نتائج الموازنة : وعرضتُ تلك النتائج التي توصلت إليها ، وبينتُ التفاوت بين الشروح المشرقية والغربية فيما يتعلق بتلك النتائج .

الفصل الثالث : آثار حركة التوسع في الدرس اللغوي : تحدتُ فيه عن جهود أئمة اللغة المتوسعين من أصحاب التصويب اللغوي ، وما أفرزته بعض المعاجم اللغوية من خصائص توسعية عامة أثرت مظاهر تلك الحركة التوسعية في الدرس اللغوي .

وفي نهاية هذا البحث جاءت الخاتمة التي تضمنت أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث .

وبعد : فإذا كان السعي للكمال أمر محمود فإن بلوغه أمر متعذر ، وهأنذا أقدم هذا الجهد المتواضع ، ولا أريد أن أبين ما كابدتُ فيه من مشقة وعناء في سبيل إخراجهِ وتقديمهِ بالصورة المرضية ، وأحسب أنني لم أدخر فيه جهداً ولا وقتاً ولا مالاً ، ولم أتردد في أي أمر يعود علي بالنفع فيه ، فإن أكُ وفقت فهذا فضل من الله علي ومئة منه — جلُّ وعلا — وإن تكُن الأخرى فحسبي أني بشر وعمل البشر يعتره النقص والتقصير ، ولكني أخلصتُ النيةً وبذلت ما أمكنني من جهد ، وما أبري نفسي من السهو والغلط .

وفي الختام فإنني أشكر الله أولاً وآخرأ المنعم والمنفضل — تقدست أسماؤه وتعالت صفاته — إذ أنعم علي بإتمام هذا الجهد المتواضع بفضله ومنتته ، وامثالاً لقول سيد الخلق صلى الله عليه وسلم : " ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله " وتأسياً بهذا المهدي النبوي الكريم فإنني أتقدم بالشكر للقائمين على هذا الصرح العلمي الشامخ في جامعة أمّ القرى وفي مقدمتهم معالي مديرها ووكلائها الكرام . والشكر والتقدير لكلية اللغة العربية ممثلة في سعادة عميدها أستاذنا الأستاذ الدكتور عبدالله القرني ، فله مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان .

والشكر موصول أيضاً لقسم الدراسات العليا بالكلية رئيساً وأعضاء وإداريين . والله المسؤول — جلت قدرته — أن يغفر لشيخِي الأستاذ الدكتور مصطفى عبدالحفيظ سالم ، الذي تفضل — يرحمه الله — بالإشراف على هذا العمل وقد عاجله هادئ اللذات ومُفرق الجماعات ، بعد أن شارفت على الانتهاء من هذا البحث ، سائلاً الله تعالى أن يغفر له الذنوب ، ويكفر عنه الخطايا ، ويجزل له المثوبة .

كما أحص بالشكر والثناء شيخِي وأستاذي الأستاذ الدكتور / عليان بن محمد الحازمي ، الذي هوّن علي مُصابي بفقد مشرفي ، آخذاً بيدي ، متفضلاً بإكمال

الإشراف على الجزء اليسير والمتبقي من هذا البحث ، فغمرتني بحسن الرعاية والاهتمام ، وفتح لي داره ومكتبته ، ولم ييخل علي بجهد ولا وقت ، فكان نعم الناصح ونعم الموجه ، علمني بخلقه وصبره وفضله وتواضعه الجم خلق العلماء قبل علمهم ، فجزاه الله عني خير الجزاء وبُورك له في علمه وعمره ونفع به .

كما أتقدم بوافر الشكر والثناء لعضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم النجار ، والأستاذ الدكتور / رياض حسن الخوام ، علي تفضلهما بمناقشة هذه الرسالة ، مقدراً لسعادتيهما — سلفاً — ما سيذلاه من جهد ووقت في قراءة هذا البحث وتقويمه ، فلهما مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان . كما لا يفوتني أن أشكر سعادة عميد كلية المعلمين بحائل فضيلة الدكتور مسلم الخيرالله الذي ذلل كثيراً من الصعاب التي اعترضت طريقي أثناء دراستي ، والله المسؤول أن يجعل ذلك في موازين حسناته يوم يلقاه .

والشكر يمتد لسعادة الأستاذة الدكتورة / ثريا لهي من المغرب الإسلامي والتي أمدتني ببعض المصادر حول الفصيح وشروحه ، فبارك الله فيها ونفع بعلمها وأثابها علي ما قدمت . كما لا يفوتني أن أشكر كل من قدم لي عوناً أو نصحاً أو توجيهاً من أساتذة وزملاء وأخص بالذكر أخي وصديقي الدكتور بندر الحمدان رئيس قسم اللغة العربية بكلية المعلمين بحائل ، كما أشكر أخي أبي عبدالرحمن عصام البريك والذي تفضل بطباعة هذا البحث وإخراجه إلى النور ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الباحث

زايد بن مهلهل العتيق الشمري

حائل ١٣/٣/١٤٢٧هـ

التمهيد :

— الفصاحة والفصيح

— شروح الفصيح المشرقية

— شروح الفصيح المغربية

أ - الفصاحةُ والفصيحُ

الفصيحُ في اللغة :

للفصيح في اللغة عدة معانٍ ، نذكر منها ما يلي :

- الدلالة على خلوص الشيء مما يشوبه ، وأصل ذلك في اللبن ، يُقال : فَصِحَ اللبنُ : إذا أُحْدِثَ عنه الرُّغْوَةُ . وَفَصِحَ الصَّيْحُ إذا أسفر.
 - ومنها فَصِحَ اللَّحَانُ إذا جَادَتْ لُغَتُهُ ، وَخَلُصَتْ مِنَ اللَّحْنِ .
 - وَفَصِحَ الْأَعْجَمِيُّ ، أي جَرَى لِسَانُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ .
 - ومنها الإغرابُ عَمَّا فِي النَفْسِ ، وَالْإفْصَاحُ عَنِ مَكُونَاتِ الْقَلْبِ .
 - ومنها أَفْصَحَتِ الشَّاةُ : إِذَا انْقَطَعَ لَبُؤُهَا ، وَخَلَصَ لَبْنُهَا .
- وقد فَصَّلَ اللُّغَوِيُّونَ الْقَوْلَ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي اللُّغَوِيَّةِ ، وَأَبَانَ عَنْهَا أَصْحَابُ الْمَعَاجِمِ فِي مَوْلِفَاتِهِمْ ، فَمَنْ أَرَادَ الْاسْتِرَادَةَ فَلْيَعُدْ إِلَيْهَا فِي مَظَاهِرِهَا^(١) .

الفصيحُ والفصاحةُ في الاصطلاح :

قبل أن نُعرِّفَ الفَصَاحَةَ فِي الْإِصْطِلَاحِ ، يَجْدُرُ بِنَا الْإِشَارَةَ إِلَى الْأَسْسِ وَالْمَعَايِيرِ الَّتِي وَضَعَهَا لَهَا عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ^(٢) ، فَمِنْهَا مَا يَلِي :

(١) انظر : الغريب المصنف لأبي عبيد ، تحقيق محمد المخار العبيدي ٥٨٨/٢ ، وإصلاح المنطق ٢٥٤ لابن السكيت ، تحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، وأدب الكاتب ٣٥٤ تحقيق محمد الغاني ، والعين ١٢١/٣ تحقيق مهدي المخزومي ، والجمهرة ٥٤١/١ تحقيق رمزي منير بعلبكي ، والصحاح ، ومقاييس اللغة تحقيق عبد السلام هارون ، والحكم ١٨١/٢ ، واللسان ، والتاج (فصح) .

(٢) انظر : الزهر للسيوطي ١٨٥/١ وما بعدها ، والإيضاح ، للقرظي ٢١ وما بعدها ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، والبُلغة في أصول اللغة ١٤٩ ، للفتوح ، تحقيق تدير محمد مكيني .

— أن تخلو الكلمة من تنافر الحروف ، أي لا يكون اللفظ عسيراً في النطق ،
ثقيلاً على اللسان ، كلفظة (المَعْتَمِعُ) ، ومنه ما هو دون ذلك كلفظ
(مُسْتَشْرَرَات) ، وكذلك لفظة (صَهْصَلَق) ، وغير ذلك مما ذكر في كُتب اللُّغة .

— ألا تكون الكلمة غريبة ، وحشية لا يُفهم معناها ، إلا بالعودة إلى البحث
عنها في كُتب اللُّغة المبسوطه ، ومن أمثلة ذلك ما روي عن عيسى بن عمر
النحوي :

" مَا لَكُمْ تَكَأَكَأْتُمْ عَلَيَّ تَكَأَكُوكُمْ عَلَيَّ ذِي حِنَّةٍ اِفْرَتَعُوا عَنِّي " .

— ألا تخالف القياس اللُّغوي ، فمخالفة القياس تتضح في قول الشاعر :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ ، فَالْقِيَاسُ : الْأَجَلُّ بِالْإِدْغَامِ

— وأن تكون الكلمة معتدلة متوسطة بين قلة الحروف وكثرتها ، والمتوسطة ثلاثة
أحرف وعلى هذا جاء أكثر كلام العرب .

— وأن تكون جارية على العرف العربي الصحيح ، غير شاذة ، ويدخل في هذا
القسم كل ما ينكره أهل اللغة ويرفضه علماء النحو^(١) .

ومِمَّا سَبَقَ نَخْلُصُ إِلَى أَنْ الْفَصَاحَةَ تَعْنِي : الْبَيَانَ ، وَأَنَّ الْكَلَامَ الْفَصِيحَ : هُوَ
الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ مِنْ حَيْثُ وَضُوحُ أَلْفَاظِهِ وَسَهُولَةُ فَهْمِهَا .

ولعلَّ في هذه الإشارة الموجزة إلى بعض أسس ومعايير الفصاحة ، ما يغني عن
الإطالة ، فما هي إلا مقدمة تُهدفُ من خلالها إلى التَّفَادُلِ إِلَى مَدَارِ بَحْثِنَا ، وهو
معنى الْفَصِيحِ فِي الْإِصْطِلَاحِ . حيث ذَكَرَ اللُّغَوِيُّونَ أَنَّ مَعْنَى الْفَصِيحِ فِي الْإِصْطِلَاحِ :

(١) انظر : فصيح ثعلب تحقيق عاطف مذكر ، ٦٣-٦٤

هو ما كثر استعماله على ألسنة العرب الفصحاء الموثوق بعريبتهم ، وكان استعمالهم له أكثر (١) .

والمفهوم من كلام ثعلب في فصيحته أن مدار الفصاحة في الكلمة على كثرة استعمال العرب لها ، كما قرر ذلك في أول فصيحته (٢) . ولا أدل على ذلك مما صرح به الفراء : من أن عمر — رضي الله عنه — قرأ ﴿ جَمَالَات ﴾ وهذا الوجه أحب إليه من ﴿ جَمَالَة ﴾ لأن جمالات أكثر من جمالة في كلام العرب (٣) . وانطلاقاً من هذا التعريف الاصطلاحي ألف أبو العباس ثعلب إمام الكوفيين في اللُّغة والنحو كتاب (الفصيح) وهو مدار حديثنا في المبحث التالي :

(١) معاني القرآن للفراء تحقيق محمد علي النجار وآخرين : ٣ / ٢٢٥ .

(٢) الفصيح ٢٦٠ .

(٣) معاني القرآن ٣ / ٢٢٥ .

ثَعْلَبٌ وَكِتَابُهُ الْقَصِيحُ :

هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني — بالولاء — النحوي ، المشهور بثعلب ، والذي أثبت سنة مولده بنفسه قائلاً : " ابتدأت النظر في العربية والشعر في ست عشرة ، ومولدي سنة مائتين ، في السنة الثانية من خلافة المأمون " (١) .

مَكَائِنُهُ الْعِلْمِيَّةُ :

اختلف ثعلبٌ إلى عددٍ من كبار العلماء في عصره ، فأخذ علوم الأوائل من أشعار ، وقراءات ، وأخبار ونوادِر ولُغَة ، فاختلف إلى دروس هؤلاء العلماء (٢) وهو في السادسة عشرة من عمره ، وفي ذلك يقول : " طلبت العربية واللغة في سنة ست عشرة ومئتين ، وابتدأت النظر في حدود الفراء وسي ثمان عشرة سنة ، وبلغت خمساً وعشرين سنة وما بقي عليّ مسألة للفراء إلا وأنا أحفظها ، وأحفظ موضعها من الكتاب ، ولم يبق شيء من كتب الفراء في هذا الوقت إلا وقد حفظته " (٣) .

وفي هذه السن المبكرة أصبح ثعلبٌ أستاذاً يختلفُ الناسُ إلى مجلسه للسمع عليه ، فكان أبرز علماء الكوفة في عصره ، وإليه انتهت رئاسة المدرسة الكوفية في بغداد ، وفي عصره قلتُ الفوارقُ بين المذهبين ، قال عنه المفضل بن سلمة ابن عاصم الضبي : " رأس أبو العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب النحوي ، واختلف

(١) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٠٢/٥-١٤٦ ، ووفيات الأعيان ١٠٢/١-١٠٤ تحقيق حسين عباس وإشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين : ٥١ تحقيق عبدالمجيد دياب ، والبغية ٣٩٦/١-٣٩٨ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) ستكون الفقرة التالية عن هؤلاء العلماء .

(٣) إنباه الرواة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١٣٩/١ .

الناسُ إليه في سنة خمسٍ وعشرين ومائتين " (١). ولم يقتصرْ ثعلبٌ على علمِ الكوفيين ، بل رَوَى كُتُبَ أبي زيد الأنصاري عن ابن نجدة ، وكُتُبَ أبي عبيدة عن ابن المغيرة الأثرم ، وكُتُبَ الأصمعي عن أبي نصر أحمد بن حاتم ، فاجتمع له بذلك علمُ البلدين (٢).

اشتهر ثعلبٌ بالثقة والحجة وقوة الحفظ ، وصديق اللهجة ، والمعرفة برواية الشعر القديم حتى كان مرجعاً لشيوخه على حداثة سنه ، فكان أبو عبد الله الأعرابي إذا شكَّ في شيء يسأله عنه لغزارة حفظه (٣) ، ويكفيه فخراً أن يشهد له خصمه المرء بقوله : " أعلم الكوفيين ثعلب " (٤). أخذ العلم عن علماء عصره ، ومنهم : أبو عبد الله بن زياد الأعرابي ، وأبو نصر أحمد بن حاتم ، أخذ عنه علوم الأصمعي ، وعلي ابن المغيرة الأثرم ، أخذ عنه علوم أبي عبيدة ، و محمد بن سلام الجمحي ، وسلمة بن عاصم ، والزبير ابن بكار (٥).

وتلمذ علي يديه عددٌ من العلماء ، أمثال : محمد بن العباس الزبيدي ، وعلي بن سليمان الأنخفش ، ونفطويه ، وأبو بكر بن الأنباري ، وأبو عمر الزاهد ، المشهور بغلام ثعلب وغيرهم . توفي أبو العباس ثعلب سنة ٢٩١ هـ ، ودفن ببغداد (٦).

وقد ألف أبو العباس ثعلب كتاب (الفصيح) ، وجعل منه مثلاً يحتذى لمذهب التنقية اللغوية ، وهادياً لمؤيديه الذين يؤثرون الفصيح ويُقدّمونه على غيره مما يوصف باللغات الثواني والثالثات ، فضلاً عن القليل والنادر ، والردى ،

(١) نفس المرجع : ١٤٢/١ .

(٢) انظر: الأعراب الرواة ، عبد الحميد الشلقاني ، ٨٦ .

(٣) انظر : وفيات الأعيان ١٠٢/١ - ١٠٤ .

(٤) إنباه الرواة ١٤٢/١ .

(٥) انظر معجم الأدباء ١٠٢/٥ - ١٤٦ ، وفيات الأعيان ١٠٢/١ والبيغة ٣٩٦/١ - ٣٩٧ .

(٦) نفس المصادر السابقة .

والمتروك ، وقد قدّم ثعلب لفصيحته قائلاً : " هذا كتاب اختيار الفصيح مما يجري في كلام الناس وكتبهم ، فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها ، فأخبرنا بصواب ذلك ، ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فأخبرنا أفصحهن ، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن إحداهما بأكثر من الأخرى فأخبرنا بهما " (١).

ولهذا الكتاب فائدة عظيمة ، ومنفعة جليّة عند أهل العلم ، وقد وصفه المستشرق الألماني (يوهان فك) بقوله : " وكتاب الفصيح الذي يحتوي في ترتيب واضح ، وأسلوب مختصر على طائفة كبيرة من قوالب اللغة التي كانت تهددها إذ ذاك قوالب أقل منها فصاحة ، أو قوالب أخرى من لغة العامّة ، وهو من أكثر الكتب الأساسية في مبدأ تنقية اللغة العربية تداولاً بين القراء ، وكان له تأثير باقي الأثر بعيد الخطر " (٢).

وظلت للفصيح أهمية عظيمة في تعليم العربية عدة قرون ، وقد لقي من الشهرة وذُيوع الصيت ما لم يلقه أيُّ كتابٍ آخر في التصويب اللغوي ، ولعل ذلك يعود لسببين : أولهما : صغر حجمه ، وثانيهما : سهولة حفظه . وتتحدّد قيمة الكتاب فيما حواه من مادة لغوية ، تكاد تكون شاملة لما كان شائعاً في عصر المؤلف ، وقد راعى فيه مؤلفه ألا يوسعه باللغات وغريب الكلام . وكان جمهور الناس الذين يؤدّبون أبناءهم ، ومن يعنون بأمرهم يحفظونهم كتاب (الفصيح) ؛ لما فيه من الألفاظ السهلة المستعملة ؛ ولأن العامّة تُخطئ في كثيرٍ منها .

وكان علي بن محمد الاسترأبادي ولوعاً بكتاب (الفصيح) إلى الحد الذي لُقِبَ من أجله بالفصحي (٣) . ويُقل عن أحدهم أنّه لقي أحد الفقهاء وتحدّث

(١) مقدمة الفصيح : ٢٦٠ .

(٢) العربية (يوهان فك) : ١٤٩ .

(٣) ترجمته في معجم الأدباء ٦٦/١٥-٧٤، وبغية الرعاة ١٩٧/٢ .

معه في الفقه ، فردَّ عليه الفقيهُ كلمةً مَلْحُونَةً ، فلما افترقا سأل أصحابه : بم يُدْرِكُ هذا ؟ فقالوا : بمعرفةِ كتابِ الفصيحِ ، فذُكِرَ أَنَّهُ حَفِظَهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ (١) .

ونلمس في مُقَدِّماتِ الشُّرُوحِ — الَّتِي أُلْفِتْ حَوْلَهُ — قِيَمَةَ الكِتَابِ العِلْمِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ ؛ فابنُ دُرُسْتَوِيَه يَشِيرُ فِي مَقْدَمَتِهِ إِلَى أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ مَنْ حَفِظَ أَلْفَاظَ الْفَصِيحِ فَقَدْ بَلَغَ الْعَايَةَ فِي الْبِرَاعَةِ وَجَاوَزَ النِّهَايَةَ فِي التَّأْدِبِ ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يُحْفَظْ فَهُوَ مُقْصِرٌ عَنِ كُلِّ غَرَضٍ (٢) وَيَقُولُ عَنْهُ ابْنُ هِشَامِ اللَّخْمِيِّ (٣) : " وَكِتَابُ الْفَصِيحِ — أَعَزُّكَ اللَّهُ — وَإِنْ صَغُرَ جِرْمُهُ ، وَقَلَّ حَجْمُهُ فَقَائِدَتُهُ كَبِيرَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَمَنْفَعَتُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ حَظِيرَةٌ جَسِيمَةٌ " . وَذَكَرَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حَمْزَةَ الْبَصْرِيُّ (٤) فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ : (التَّنْبِيهَاتُ عَلَى أَغْلَاطِ كِتَابِ فَصِيحِ ثَعْلَبِ) ، قَائِلًا : " لَمَّا رَأَيْتُ كِتَابَ اخْتِيَارِ فَصِيحِ الْكَلَامِ كَثِيرَ الْمَنْفَعَةِ وَرَأَيْتَهُ عَلَى قَلَّةِ عِدَدِ وَرَقِهِ أَنْفَعُ مِنْ أَضْعَافِ عِدَدِهِ وَأَنَّهُ جَمَعَ عَلَى قَلَّةِ لَفْظِهِ مَا لَمْ يَجْمَعْ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتُبِ الْكِبَارِ ، وَرَأَيْتُ أَنَّ أَجْعَلَ لَهُ جِزْءًا مِنْ عِنَابِي " . وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ التَّدْمِيرِيُّ (٥) : " بَدَأَ أَنْ بَحَارَ اللُّغَةَ قَدْ أَصْبَحَتْ عَمِيقَةَ الْقَعْرِ ، وَ لَكِنْ كِتَابُ الْفَصِيحِ عَلَى اخْتِصَارِ عِلْمِهِ ، وَاسْتِصْغَارِ حَجْمِهِ قَدْ أَمْسَى مَدْخَلًا إِلَى لُجْجِهَا ، وَمُرْكَبًا إِلَى مَعْظَمِهَا ... حَتَّى صَارَ مِفْتَاحًا لِبَابِ الْأَدَبِ ، وَمَبْدَأً لِحَفِظِ كَلَامِ الْعَرَبِ " .

ولأهمية الفصيح فقد ضمَّنه أصحاب المعاجم اللغوية مصنفاتهم ، فذكروا نقولاً كثيرة منه في ثنايا مؤلفاتهم ، فمن ذلك ما نقله ابن سيده في محكمه ،

(١) انظر : الفصيح : ٤٢ .

(٢) تصحيح ابن درستويه .

(٣) مقدمة الشرح .

(٤) ص ١٧٧ .

(٥) مقدمة شرح غريب الفصيح .

بالإضافة إلى ما تضمنه اللسان ، والتأج ، والأخير من المكثرين النقل عنه ، وعن شروحه .

وتبرز أهميته أيضاً على لسان بعضهم شعراً ، كقول أحدهم :

كِتَابُ الْفَصِيحِ كِتَابٌ مَلِيحٌ يُقَالُ لِقَارِئِهِ مَا أْبْلَغَهُ

عَلَيْكَ أَخِي بِهِ إِنَّهُ لِبَابِ الْغِيَابِ وَصَفْوُ اللَّغَةِ (١)

وتذكر المصادر أن أحمد بن كليب النحوي الأندلسي (٢) أرسل بنسخة من الفصيح هدية كتب أعلاها :

هَذَا كِتَابُ الْفَصِيحِ بِكُلِّ لَفْظٍ مَلِيحٍ

وَهَبْتُهُ لَكَ طَوْعاً كَمَا وَهَبْتُكَ رُحْمِي (٣)

ولأهمية محتوى الفصيح ؛ فقد أثار حملة تأليف واسعة ما بين شرح ونظم ونقد ، و استدراك لعلماء المشرق والمغرب الإسلامي ، والذي يعنينا هي تلك الشروح التي صنفتها نخبة من كبار علماء المسلمين في المشرقين ، و الذين عكفوا على تدريسه زمناً ، فكان لا بد من التعرض لشرح غريبه ، و تفسير معانيه ، وذكر أوجه استعمالها ، و التعرض للقواعد اللغوية ، و تحقيق نسبة الأشعار والأراجيز إلى قائلها ، وقد تباينت مناهج الشراح في تناول الفصيح ؛ فمنها المسهب المطيل ، ومنها المختصر الوجيز . وهذا ما سنتحدث عنه في المبحث التالي .

(١) انظر مقدمة شرح ابن هشام اللخمي للفصيح.

(٢) ترجمته في : معجم الأدباء ١١٦/٤ ، وإنباء الرواة : ٩٦/١ .

(٣) انظر : الفصيح : ٤٢ .

ب - شُرُوحُ الْفَصِيحِ الْمَشْرِقِيَّةِ

واعتمدتُ في ذلك على ما ذكرته كتبُ التراجم، مُكْتَفِيًا بذكر اسم الشَّرْحِ وصاحبه ، ورتبتها حسب تاريخ الوفاة ، مثبتاً أمام كل شرح المصدر الذي ذكره ، فذكرتُ هذه الشروح بحملة ، ثم تَبَيَّنَتْ بذكر الشروح التي وصلت إلينا واعتمداها في هذا المبحث ، على النحو التالي :

- شرح المُبَرِّد (ت ٢٨٥ هـ) (كشف الظنون ١٢٧٢/٢) وقد تفرد وحده بذكره .

- شرح أبي عمر الزاهد المُطَرِّز (ت ٣٤٥ هـ) (الفهرست : ٨٣ ، البيهقي : ١٦٦/١ ، إناه الرواة : ١٧٧/٣) . كما نقل عنه أبو جعفر اللبلي نقولاً كثيرة في تحفة المجد ^(١) .

- تصحيح الفصيح لابن دُرُسْتَوِيَه (ت ٣٧٠ هـ) (وسياقي ذكره) .

- شرح ابن خالويه (ت ٣٩٢ هـ) . (الفهرست : ٣٤٢ ، وقد نقل عن السيوطي في المزهري ^(٢)) .

- شرح ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) (كشف الظنون : ١٢٧٢/٢ ، الفهرست ٨٧ ، البيهقي : ١٣٢/٢)

- شرح أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) (ذكره صاحب الشرح نفسه في كتابه جمهرة الأمثال ٣٠٤/٢) .

- شرح أبي القاسم الزَّجَاجِي (ت ٤١٥ هـ) (معجم الأدباء ٦١/٢٠ ، كشف الظنون ٢٢٧٢/٢ ، البيهقي ٣٥٧/٢) .

(١) انظر الصفحات ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٠ ،

٨٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٦ .

(٢) انظر الصفحات ٢٠١/١ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ،

- شرح أبي منصور محمد بن علي بن الجبّان (ت ٤١٨هـ) (وسياقي ذكره) .
- شرح أبي علي المرزوقي (ت ٤٢١هـ) (وسياقي ذكره) .
- إسفار كتاب الفصيح لأبي سهل الهروي (ت ٤٣٣هـ) (سياقي ذكره) .
- التلويح لأبي سهل الهروي . (سياقي ذكره) .
- شرح أبي القاسم بن نايقا (ت ٤٨٥هـ) (وحققه عبد الوهاب محمد العدواني ، جامعة القاهرة سنة ١٣٩٣ ، ولم تتمكن من الحصول عليه) .
- شرح الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) (وسياقي ذكره) .
- شرح ابن الدهان اللغوي (ت ٥٦٩هـ) . ولعله الحسن بن علي والذي نقل عنه أبو جعفر اللبلي في تحفته ^(١) ، وكذلك نقل عنه البعلي في زوائد الأفعال ^(٢) .
- شرح أبي البقاء العكبري (ت ٦٠٦هـ) (إشارة التعيين /١٦٣ ، البغية ٣٨/٢ ، كشف الظنون ١٢٧٢/٢) .
- شرح أبي علي بن أحمد الاسترابادي (ت ٧١٧هـ) (معجم الأدباء ٥/٨ ، البغية ٢١٨/١ ، معجم المؤلفين ١٩٦/٣) .
- شرح أبي القاسم الأصفهاني ت (٤٣٢) (تاريخ الأدب العربي ٢١١/٢ ، تاريخ التراث العربي ٢٥٦/٨) .

فهذه الشروح ، هي التي تحصلت على تراجم أعلامها — فيما اطلعت عليه من مصادر — ولا أزعم أنني أحصيتُ جميع ما ذكرتهُ كتب التراجم من شروح ، ولكن هذا ما توصلتُ إليه . ولا أدعي بأنني أوردتها كاملة وافية كما جاءت في كتب التراجم ، كما أنني لا أزعمُ أن كتب التراجم قد ذكرتها كلها ؛ فرمما هناك شروح لم تُذكرْ ، بالإضافة إلى الشروح المجهولة . فأما الأخيرة ، فلم أقعُ إلا على

(١) انظر تحفة المجد الصريح الصفحات : ١٤ ، ٣٥ ، ٤١ ، ١٨٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٨٢ .

(٢) ص ١٣١ .

شَرِّحَ واحِدٍ منها ، ذَكَرَهُ عاطف مذكور، حين قال : "إنَّه كُتِبَ في القرن السابع الهجري ، ومنه نسخة بالمدينة المنورة برقم (٥٠٧) ^(١)

أما ما تيسر لنا من هذه الشروح واعتمداها في بحثنا هذا ، فبيأها في الآتي :

- تصحيح الفصيح لابن ذُرُستويه ^(٢) (ت ٣٤٧ هـ) .
- شرح أبي منصور محمد بن علي بن الجبَّان الأصفهاني ^(٣) (ت ٤١٨ هـ) .
- شرح أبي علي المرزوقي ^(٤) (ت ٤٢١ هـ) .
- إسفار كتاب الفصيح لأبي سهل الهروي ^(٥) (ت ٤٣٣ هـ) .
- التلويح لأبي سهل الهروي ^(٦) .
- شرح الزمخشري ^(٧) (ت ٥٣٨ هـ) .

(١) انظر الفصيح : ١٩٢

(٢) طبع جزؤه الأول ببغداد ، تحقيق : عبد الله الجبوري سنة ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م، مطبعة الإرشاد — بغداد ، وحققه كاملاً محمد بدوي المختون ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وزارة الأوقاف المصرية، ١٤١٩ هـ .

(٣) حققه : عبد الجبَّار حعفر القزَّاز درجة ماجستير ، جامعة بغداد طبع بالمكتبة العلمية في لاهور، باكستان، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

(٤) فرغ من تحقيقه الأستاذ الدكتور : سليمان العايد ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى .

(٥) حققه : أحمد بن سعيد قشاش، درجة الدكتوراة ، كلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤١٦ هـ .

(٦) اعتنى به : محمد عبد المنعم عفاجي ، فطبعه مع مجموعة من المؤلفات باسم (فصيح ثعلب والشروح التي عليه) ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .

(٧) حققه : إبراهيم بن عبد الله بن جمهور الغامدي ، درجة دكتوراة ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى .

ج - شُرُوحُ الْفَصِيحِ الْمَغْرِبِيِّ

- شرح مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) (ذكره أبو جعفر اللبلي في تحفته ونقل عنه نقولاً كثيرة)^(١) .
- شرح ابن السَّيِّدِ البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) (كشف الظنون ١٢٧٣/٢ ، البلغة في أئمة اللغة ٤٣٥ ، كما ذكره السيوطي في المزهري ونقل عنه نقولاً كثيرة)^(٢) .
- التصريح بشرح غريب الفصيح للتدميري (ت ٥٥٥ هـ) (سيأتي ذكره) .
- شرح ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧ هـ) (سيأتي ذكره) .
- شرح أبي بكر بن صاف اللخمي الاشيلي (ت ٥٨٥ هـ) (إشارة التعيين / ٣١٠ ، البغية ١٠٠/١ ، معجم المؤلفين ٢٨٥/٩) .
- شرح أبي حفص القضاعي (ت ٥٩٦ هـ) (البغية ٢٢٣/٢ ، كشف الظنون ١٢٧٣/٢ ، البلغة في أصول اللغة ٤٣٥) .
- شرح أبي بكر بن طلحة الاشيلي (ت ٦١٨ هـ) (ذكره أبو جعفر اللبلي في تحفته ونقل عنه في مواضع)^(٣) .
- التَّبَيِّنُ وَالتَّنْقِيحُ لما ورد من الغريب في كتاب الفصيح ، لإبراهيم بن علي الفهري الشريشي (ت ٦٥١ هـ) (ذكره السويطي في المزهري ٢٠١/١ ، الأعلام ٤٥/١ ، معجم المؤلفين ٦٣/١) .
- تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ، السُّفْرُ الْأَوَّلُ ، لأبي جعفر الفهري اللَّبْلِي (ت ٦٩١ هـ) (سيأتي ذكره) .

(١) انظر الصفحات ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١١٣ ، ١٣١ ،

١٥٣ ، ١٧٣ ، ١٩٩ ، ٢١٢ ، ٢٦٥ ، ٥٧٩ ، ٣٠٧ ، ٣٣٥ ، ٣٥٠ ، ٤٠٣ ، ٤٢٦ ،

(٢) انظر المزهري ٢٠١/١ ، ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٧٢ ، ٣٠٨ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٩٩ ، ٩٣/٢ ، ١٠٧ ،

١٩٥ ، ٢٠١ ،

(٣) انظر الصفحات ٢٧ ، ٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٦٦ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٩ ، ٤٢٩ .

— لباب تحفة المجد الصريح ، لأبي جعفر الفهري اللبلي . (سيأتي ذكره) .

أما ما تيسر لنا من هذه الشروح المغربية ، واعتمدها في بحثنا ، ما يلي :

— التصريح بشرح غريب الفصيح للتدميري ^(١) .

— شرح ابن هشام اللخمي ^(٢) .

— تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ^(٣) .

— لباب تحفة المجد الصريح ^(٤) . وهذا الأخير قد أغنت عنه تحفة المجد

الصريح ، فما

اللُّبَابُ إِلَّا شَرُحٌ وَجِيزٌ مَخْتَصِرٌ عَنِ التَّحْفَةِ .

(١) حققه : عبد الرحمن الحازمي ، درجة دكتوراة ، كلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية ، ١٤٢١ هـ .

(٢) حققه : عبيد جاسم ، درجة دكتوراة ، بغداد ، ١٩٨٨ م .

(٣) حقق السُّفْرَ الأول منه — والذي ينتهي عند الباب السادس — عبد الملك بن رِكَادَ النَّبِيِّ ، مكتبة الآداب

، القاهرة ، ١٤١٨ هـ .

(٤) انتهى من تحقيقه ووضع فهارسه شيخنا الأستاذ الدكتور : مصطفى سالم — رحمه الله —

البَابُ الأَوَّلُ

التَّنْقِيَةُ اللُّغَوِيَّةُ

الفصلُ الأولُ

مُصْطَلَحُ التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ

أ - التَّنْقِيَةُ اللُّغَوِيَّةُ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا

يَقُولُ الجَوْهَرِيُّ (١) : " تَقَاوَةُ الشَّيْءِ خِيَارُهُ ، وَكَذَلِكَ التَّقَايَةُ بِالضَّمِّ فِيهِمَا ، كَأَنَّهُ بُنِيَ عَلَى ضِدِّهِ وَهُوَ التَّقَايَةُ . يُقَالُ : تَقِيَ الشَّيْءَ بِالْكَسْرِ ، يَنْقَى تَقَاوَةً بِالْفَتْحِ ، فَهُوَ تَقِيٌّ ، أَيْ : نَظِيفٌ . وَالتَّنْقِيَةُ التَّنْظِيفُ ، وَالتَّقَاءُ : الِاخْتِيَارُ ، وَالتَّنْقِيُّ : التَّخْيِيرُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : تَقَاءَ كُلُّ شَيْءٍ رَدِيئُهُ ، إِلَّا التَّمْرُ فَإِنَّ تَقَاءَهُ خِيَارُهُ " . وَتَقَاوَةُ الشَّيْءِ : مَا يُنْتَقَى مِنْهُ (٢) . وَتَقِيَ الشَّيْءَ تَقَاوَةً وَتَقَاءً ، فَهُوَ تَقِيٌّ ، وَالجَمِيعُ : نِقَاءٌ . وَاتَّقَاهُ وَتَنَقَّاهُ وَأَتَقَاهُ : اخْتَارَهُ . وَتَقَوُّهُ الشَّيْءُ ، وَتَقَاوَتْهُ ، وَتَقَايَتْهُ ، وَتَقَاءَتْهُ : خِيَارُهُ (٣) . وَيُقَالُ : شَيْءٌ تَقِيٌّ . وَتَقَيَّتْ الثُّوبَ ، وَتَقَيَّتُهُ حَتَّى تَقِيَ نِقَاءً وَتَنَقَّيْتُ الْعِظْمَ : أَخْرَجْتُ نَقِيَّهُ ، وَمِنَ الْجِازِ : اتَّنَقَيْتُ أَجْوَدَهَا (٤) .

وَمِنَ اللُّغَوِيِّينَ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ : التَّقَاوَةِ ، بِالرَّوِ ، وَالتَّقَايَةِ ، بِالْيَاءِ ، فَجَعَلَ التَّقَاوَةَ لِلجَيِّدِ ، وَالتَّقَاةَ وَالتَّقَايَةَ لِلرَّدِيِّ (٥) وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، يُقَالُ : هِيَ التَّقَايَةُ وَالتَّقَاوَةُ : خِيَارُ كُلِّ شَيْءٍ (٦) . وَيُقَالُ : التَّقَاوَةُ ، بِالْفَتْحِ وَالتَّقَايَةُ ، وَالتَّقَايَةُ : الأَفْضَلُ . وَالتَّقِيُّ : الخَيْرُ الحُوَارِيُّ (٧) .

وَمِمَّا تَلَحَّظُ الآتِي :

— أَنَّ هَذِهِ المَادَّةَ فِي مَجْمُوعِ تَصَاريفِهَا تُنْطَلَقُ عَلَى الضَّرْبَيْنِ : الجَيِّدِ وَالرَّدِيِّ .

— هَذِهِ المَادَّةُ تَأْتِي بِالرَّوِ وَبِالْيَاءِ ، فَيُقَالُ : تَقَاوَةً وَتَقَايَةً .

(١) المصباح (نقا) .

(٢) الجمهرة ٩٧٩/٢ . (نقا) .

(٣) المحكم ، والقاموس المحيط ، والمصباح (نقا) .

(٤) أساس البلاغة (نقا) ، والمشوف المعلم ٧٨٥/٢ تحقيق ياسين محمد السواس .

(٥) اللسان ، والقاموس المحيط (نقا) .

(٦) المشوف المعلم ٧٨٥/٢ .

(٧) المصباح (نقي) .

— جاءت دلالة (نَقَاوَة) بالواو للتحديد من الأشياء ، أما التَّقَايَة بالياء فللرّدِي .

— جاءت هذه المادة في أغلبها بمعنى : الجَوْدَة والاختِيَار .

أما التَّنْقِيَة في الاصطلاح فيُقصدُ بها : تخليص اللُّغة من الخطأ والفساد ، وتقويم اللُّسان عن الانحراف والإعوجاج ، والذي بدأ منذ نهاية القرن الأول الهجري ، جاعلاً لغة البدو مثلاً أعلى ، التي كانت في مستوى من الخلوص والنقاء لا تدانیه لغة الزُّرَّاع والحضرين حيث كانت ألسنتُهُم لا تزال محتفظة بمظاهر الإعراب والتصريف القديمة ^(١) . وكانت العناية الأولى باللُّغة استجابة إلى ما توجهه المحافظة على القرآن الكريم ، وتفهم معانيه من حفظ مادته اللُّغوية وما ترمي إليه من صحيح المعنى . وكأثوا يُعَدُّون هذا العمل أمراً دينياً ويمثلون قولَ الهادي البشير — صلى الله عليه وسلم — عندما لحن شخصٌ بحضرتة : " أرشدوا أحاكم فقد ضل " ^(٢) .

وقد جاء الإسلام والعربيةُ مستكملةً لأدواتِ التَّعْبِيرِ ، ولها تراثٌ أدبيٌّ حافلٌ ، و العربُ أُمَّةٌ فصاحةٌ وبلاغةٌ ، ولا أدلُّ على ذلك من أسواقهم الأدبية في الجاهليَّة ، والتي قامت بالاصطفاء من لغات القبائل وكانت العربُ تنطقُ على سجيَّتها في الجاهلية و صدر إسلامها ، يقول الزُّبيدي : " ولم تزل العربُ تنطقُ على سجيَّتها في صدر إسلامها وما مضى من جاهليَّتها حتى أظهر الله الإسلامَ على سائرِ الأديانِ ، فدخَلَ الناسُ فيه أفواجاً ، وأقبلوا إليه أرسالاً ، واجتمعت الألسنُ المتفرقة ، واللُّغات المختلفة ففسأ الفساد في اللُّغة " ^(٣) .

(١) العربية ، ليوهان فك : ١٦٠ .

(٢) الخصائص ٨/٢ ، تحقيق محمد علي النجار . ولم أقف على سند الحديث .

(٣) طبقات النحويين واللغويين : للزُّبيدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

وباتساع رقعة الدولة الإسلامية إلى مناطق غير عربية ، انضم تحت لواء الإسلام شعوبٌ تعددت لغاتهم وأذواقهم ، واضطروا إلى إتقان العربية ، ولكن بعضهم لم تستقم ألسنتهم ففشا اللحن بين المتعربين كالعبيد والموالي الذين كانوا يخدمون في معظم البيوت العربية . فقد سمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — قارئاً يقرأ : " لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئِينَ " ؛ مما دفعه إلى أن يطلب من أبي الأسود أن يضع في اللغة ما يُصْلِحُ ألسنة العجم ، ومن هنا كان نشوء النحو العربي في القرن الأول الهجري ^(١) ولم يستعمل اللحن في معني الخطأ إلا عندما اختلط العرب بالأعاجم .

يقول (يوهان فك) : " ولا يزال ينقصنا بعد كل دليل يبين متى تم نقل لفظ اللحن إلى معني الخطأ في الكلام وأغلب الظن أنه استعمل لأول مرة بهذا المعني عندما تَنَبَّه العربُ بعد اختلاطهم بالأعاجم إلى الفرق ما بين التعبير الصحيح والتعبير الملحون " ^(٢) .

وقد نبه ابنُ فارس إلى ذلك قديماً بقوله " أما اللحنُ ، بسكون الحاء ، فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية ، يُقال : لَحَنَ لَحْنًا ، وهذا عندنا من الكلام المؤلَّد ؛ لأنَّ اللحنَ مُحَدَّثٌ ، لم يكن من العرب العاربة ، الذين تكلموا بطبائعهم السليمة " ^(٣) .

وفي ظل هذه النظرة ، بدأ الاهتمام باللغة العربية ، وتنقيتها وتخليصها مما يشوبها ، وإقامة القواعد لفصاحتها وإعرابها وتصاريفها . فَمِيزَةُ العرب — كما يقول الجاحظ — في لغتهم ، وقد بلغوا في ذلك الغاية ^(٤) . فَهَبَ الْغَيْرُ

(١) نشأة النحر ، الشيخ محمد الطنطاوي : ١٦، ١٧ .

(٢) العربية : ٢٤٥ .

(٣) المقاييس (لحن) .

(٤) البيان والتبيين ١/٣٨٤ ، ٢٨٣-٢٩ تحقيق عبد السلام هارون .

للمحافظة على لغتهم نقية خالصة من الشوائب ، و كانوا يُحِبُّون أن يكون الرَّجُلُ مُبِيناً إلى جانب عدم اللحن ، حتى إن معاوية بن أبي سفيان نُقِلَ عنه أنه لم يتكلم على مِثْرٍ جَمَاعَةً مُذْ سَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ ^(١) . وهناك مَنْ طَلَّقَ امرأته حين وجدها لثغاء ؛ مَخَافَةً أَنْ تَجِيئَهُ بَوْلِدٌ أَلْتَحَ ^(٢) . وربما مدح الشعراءُ مَمْدُوحِيهِمْ بالفصاحةِ والإعرابِ ، وذَمُّوا مَهْجُوحِيهِمْ باللحن والأخطاء اللغوية ^(٣) .

وقد كان لهذه التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ بَوَادِرُ أَوْلِيَّةٌ ، فرضتها السليقة العربية ، قبل ظهور هذا المصطلح بمفهومه الحالي ، وقبل تداعي دواعيه منذ نشأته ، نوحزها في الآتي :

١- إرسالُ الأطفالِ إلى مواطن القبائل الفصيحة ؛ كي تُصْبِحَ الفصاحةُ طَبِيعَةً لهم ، كما هو الحال في أفصح الخلق - صلى الله عليه و سلم - إذ أُرْسِلَ إلى البادية في طفولته ، كي يَسْتَقِي الفصاحة من مصادرها ، إلى جانب النشأة البدوية، و الهواء الطَّلِقُ. و قد عَلَّلَ - صلى الله عليه و سلم - هذه الفصاحة بقوله : " أنا أفصحُ العربِ ، يَبْدَأُ نَبِيٌّ مِنْ قَرِيْشٍ ، وَ أَنِّي نَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ " ^(٤) . و يتضح من خبير هذه الرِّضَاعَةِ أَنَّهُمَا لَمْ تَكُنْ خَاصَّةً بِالرَّسُولِ - صلى الله عليه و سلم - و إنما عامة في أبناء مكة المكرمة ، و قد واصل الخلفاء و الكُفَرَاءُ ما اعتادوا في الجاهلية من تنشئة أبنائهم في البادية ، حيثُ تَذَكَّرُ الرِّوَايَاتُ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ أَرْسَلَ ابْنَهُ سَلِيْمَانَ إِلَى الْبَادِيَةِ ،

(١) البيان والتبيين ٦٠/١ .

(٢) نفس المرجع ٥٧/١ .

(٣) للمعجم العربي ، نشأته وتطوره ، حسين نصار : ٢١ .

(٤) انظر المزهر ١٠٤/١ . والحديث سُخِّرَ فِي ص ٣ مِنْ هَذَا الْبَحْثِ .

ولم يفعل ذلك مع ابنه الوليد ، فشبَّ الأخير لِحَاناً ، فقال أبوه : " أضرَّ بنا حُبنا للوليد فلم نرسله للبادية " (١) .

٢- نَقَطُ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ (ت ٦٧ هـ) الإعرابي :

رَأَى الْمُسْلِمُونَ حِفَاظاً عَلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنَ اللَّحْنِ أَنْ يُصَانَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ بِالضَّبْطِ ، وَأَسْنَدَتْ تِلْكَ الْمَهْمَةَ الْجَلِيلَةَ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ ، فَوَضَعَ نَقَطَهُ الْإِعْرَابِيَّ ؛ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ عَلَامَاتٍ تُسَاعِدُ عَلَى اللَّفْظِ الصَّحِيحِ ، فَوَضَعَ نَقْطَةً فَوْقَ الْحَرْفِ الْمَفْتُوحِ ، وَأُخْرَى أَسْفَلَهُ إِذَا كَانَ مَكْسُوراً ، وَثَالِثَةً بَيْنَ أَجْزَائِهِ إِذَا كَانَ مَضْمُوماً ، وَنَقَطْتَيْنِ حِينَ يَلْحَقُ الْكَلَامَ غُنَّةً (٢) .

٣- نَقَطُ نَصْرِ بْنِ عَاصِمٍ (ت ٨٩ هـ) ، وَبِحْيِ بْنِ يَعْمَرَ (ت ١٢٩ هـ)
الإعجمي :

عِنْدَمَا صَادَفَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ صُعُوبَةً فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؛ وَهِيَ عَدَمُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحُرُوفِ الْمُتَشَابِهَةِ فِي الرَّسْمِ الْكِتَابِيِّ ، تَدَبَّ الْحِجَاجُ بْنُ يَوْسُفَ — عِنْدَمَا كَانَ وَالِيّاً عَلَى الْعِرَاقِ — نَصْرَ بْنَ عَاصِمٍ وَصَاحِبَهُ ، وَطَلَبَ مِنْهُمَا أَنْ يَعْمَلَا عَلَى حَلِّ هَذَا اللَّبْسِ ، فَوَضَعَا نَقْطاً جَدِيدَةً عَلَى حُرُوفِ الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ ، لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُتَشَابِهَةِ مِنْهَا . وَبِهَذَا النَّقْطِ — الْإِعْجَامِيِّ ، وَنَقَطِ أَبِي الْأَسْوَدِ الْإِعْرَابِيِّ — اسْتَطَاعَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُحْصِنُوا لُغَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ عَوَادِي اللَّحْنِ وَالخَطَأِ (٣) .

(١) انظر: العقد الفريد ٢ / ١٤٢ ، والعربية لـ (يوهان فلك) ٣٧ .

(٢) انظر: تاريخ النحر العربي ، لسعيد الأفغاني ، ٢٧ ، والدراسات اللغوية عند العرب ، حسين آل ياسين : ٥٤ .

(٣) انظر: تصحيح التصحيف و تحرير التحريف ، لصلاح الدين بن أبيك الصغددي، تحقيق السيد الشرفاوي ص : ٤١٣ . وانظر: الدراسات اللغوية عند العرب ص : ٥٥ .

٤ - توضيح الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) لنقط أبي الأسود الإعرابي ، وذلك بتفسيره إلى علامات أكثر دلالة على الإعراب ؛ حيث جعل للفتحة ألفاً مائلة فوق الحرف ، وللضم واواً صغيرة فوق الحرف ، وللكسرة ياءً تحت الحرف ، وللتشديد شيئاً صغيراً ، وللتخفيف حياءً صغيرة أيضاً^(١) .

٥ - حرصُ العرب على تنشئة أبنائهم على سلامة اللُّغة ، وفصاحة الألسُن ، ولا سيما أبناء الخلفاء منهم ، حيث كانوا يدفعونهم إلى أدبائهم وشُعرائهم ؛ ليعيشوا معهم ، وينشأوا على تفوقهم اللُّغوي ، كما هو حال الكسائي في تأديب أولاد الرشيد ، وابن السكيت في تأديب المتوكل ، وكما هو حال الكثير من العلماء البارزين .

٦ - الحرص على الإصهار إلى القبائل الفصيحة : وقد جرى على هذه السُّنة في التزويج الكثير من سُراة الناس وأمراء الدولة ؛ فاتخذوا لهم أزواجاً من نساء القبائل الفصيحات الألسُن ؛ لينشأ أبنائهم على الفصاحة ، كما فعل معاوية بن أبي سفيان في الزواج من ميسون الكلبية^(٢) .

٧ - اهتمام الخلفاء والأمراء بعلوم العربية ، وأهمُّها : الأدب واللُّغة ، وضوابط النحو ، وعقد المجالس والأسمار والمناظرات في ذلك^(٣) .

ويرى أصحاب مذهب التَّنقية أنَّ العربية الفصحى ، هي العربيَّة النَّقية من الشوائب التي لم تخالطها لُغةٌ أخرى ، فَرَأَوْا أنَّ أفصح اللُّغات هي لُغة البدو ، البعيدين عن الاختلاط ؛ وقد حَدَّدُوا البيئة التي يَصِحُّ أخذ اللُّغة عنها ، فحصروها في المناطق البدوية من شبه الجزيرة العربية ، مُعلِّلين ذلك بأنَّ الحواضر

(١) انظر : العربية (يوهان فك) : ٢٢ .

(٢) الدراسات اللغوية عند العرب ، آل ياسين ٤٣ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

وأطراف الجزيرة لا تمثل لغتها لغة العرب تمثيلاً صحيحاً ، لتعرضها لمؤثرات أجنبية ، ينقل السيوطي عن الفارابي أنه : لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سُكَّان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم ... (١) . وقد بَوَّبَ (ابن حني) باباً بعنوان : " في ترك الأخذ عن المدر كما أُخِذَ عن أهل الوبر " فيه تعليل وإيضاح لهذه المسألة (٢) .

لذا ظهرت جماعة من العلماء هدفها الاتصال باللُّغة في أنقى صورها ، فارتحلوا إلى البادية التي تعيش فيها القبائل العربية الفصيحة التي لم تتخلط بالأعاجم ، فأخذوا اللُّغة من أبنائها الأَقْحَاح ، الذين احتفظوا بسلامة ألسنتهم من اللحن والخطأ ، والعجمة ، وتمثل ذلك في تلاميذ أبي الأسود الدؤلي ، كيونس بن حبيب الضبي (ت ١٨٣ هـ) ، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ، وخلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ) ، والكسائي (ت ١٨٩ هـ) . والنضر بن شميل (ت ٢٠٤ هـ) ، وأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) ، والأصمعي (ت ٢١٥ هـ) ، والفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، وغيرهم من أئمة اللُّغة ، الذين كانوا يختلفون إلى البادية طلباً للفصاحة (٣) .

وكان هؤلاء الأئمة مدفوعين بغيرتهم الشديدة ، حرصاً على سلامة لغة القرآن ، فيتلقونها من مصادرها الموثوق بها ، ويختلفون إلى الأعراب يسمعون عنهم ، ويُمايزون بينهم بعميار الفصاحة ، ونقاء اللُّغة ومن هؤلاء الأعراب من علا قدره في الفصاحة ، من أمثال أبي الدُّقَيْش وأبي خَيْرَة ، وأبي المنتجع ، وأبي مَهْدِيَّة ، كما احتلَّ الأعرابي شَبِيل بن عَدْرَة الضَّبْعِي ، مكانة مرموقة لدى شيخ

(١) الاقتراح للسيوطي : ٢٢ .

(٢) الخصائص : ٥/٢ .

(٣) انظر : مقدمة تهذيب الصحاح ، عبد الغفور عطار : ٣١ .

الرواة أبي عمرو ابن العلاء ، ومن الأعراب أيضاً أبو الجماموس ثور بن يزيد ، وأبو حازم العكلي ، وأبو مالك عمرو ابن كركرة - الأعرابي صاحب النوادر - وأبي زياد الكلبي ، وعمرو بن عامر البهدي ، والذي أخذ عنه الأصمعي (١)

كما شارك في رواية اللغة أعرابيات ، أمثال : أم المهيم ، وشماء ، وغنية أم الحمارس ، وقرينة أم البهلول (٢) . وكان هؤلاء الأئمة المتقون كثيراً ما يخرجون إلى البوادي ، ويمضون الأعوام فيها ، يخالطون أولئك الأعراب ويؤاكلونهم ويشاربونهم ، ويسمعون منهم ويدونون . فهم يسمعون الرجل والمرأة والغلام ، ويصغون إليهم وينقلون عنهم . يقول الأصمعي : " سمعت صبية (بحمي ضريبة) يتراجزون فوقفت وصدوني عن حاجتي وأقبلت أكتب ما أسمع ، فأقبل شيخ ، فقال : أكتب كلام هؤلاء الأقرع الأذناع " (٣) .

فعمد هؤلاء اللغويون العياري إلى جمع اللغة ، و كانت مصادرهم متعددة ، فأولها القرآن الكريم ، ففيه مفردات واستعمالات كانت أصح مصدر لعلماء اللغة ، كما يُقرّر ذلك (الراغب الاصفهاني) ، بقوله : " أَلْفَاظُ الْقُرْآنِ هِيَ لُبُّ كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَزُبْدَتُهُ وَوِاسِطَتُهُ وَكَرَائِمُهُ ، وَعَلَيْهَا اعْتِمَادُ الْفُقَهَاءِ وَالْحُكَمَاءِ فِي أَحْكَامِهِمْ وَحُكْمِهِمْ ، وَإِلَيْهَا مَفْرَعُ حُدَاقِ الشُّعْرَاءِ وَابْلِغَاءِ فِي نَظْمِهِمْ وَنَثْرِهِمْ .. " (٤) .

فَاللُّغَةُ الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْقُرْآنُ أَفْصَحُ مِمَّا فِي غَيْرِهِ ، فَقَالُوا : (أَوْفَى بِالْعَهْدِ) أَفْصَحُ مِنْ (وَفَى بِالْعَهْدِ) لِأَنَّ الْأَوَّلَى لُغَةُ الْقُرْآنِ (٥) . ومن مصادرهم - أيضاً - ما وَرَدَ مِنَ الشُّعْرِ الَّذِي يُحْتَجُّ بِهِ مِنْ جَاهِلِيٍّ ، وَإِسْلَامِيٍّ ، وَقَدْ نُقِلَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَوْلُهُ : " الشُّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ ، فَإِذَا حَفِي عَلَيْنَا

(١) انظر : الأعراب الرواة : ٩٥-٩٦ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) انظر : ضحى الإسلام ، لأحمد أمين ، ١٩٦/٢ .

(٤) نقلاً عن ضحى الإسلام ١٩٦/٢ .

(٥) انظر : المزهري ١/ ٢١٣ ، وضحى الإسلام ١٩٨/٢ .

الحرف من القرآن الكريم الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر ، فالتمسنا معرفة ذلك منه " (١) . ومن مصادرهم كذلك : سماع الأعراب في البادية — كما مرّ بنا — وقد رتبوا ما ورد من اللغة ترتيب أهل الحديث ، فقالوا فَصِيحٌ وَأَفْصَحُ ، وَجَيِّدٌ وَأَجْوَدُ ، وَضَعِيفٌ وَمُنْكَرٌ ، وَمَتْرُوكٌ (٢) .

قال في الجمهرة : البُرُّ أَفْصَحُ من قولهم القَمَحُ وَ الحِنْطَةُ (٣) . وَأَنْصَبَهُ المَرَضُ أَعْلَى من نَصَبَهُ (٤) وَغَلَبَ غَلْبًا ، أَفْصَحَ من غَلْبًا (٥) . وَاللُّغُوبُ أَفْصَحُ من اللُّغَبِ (٦) . وَفِي الغَرِيبِ المُصَنَّفُ : قَرَرْتَ بِالْمَكَانِ ، أَجْوَدُ من قَرَرْتُ (٧) . وَفِي أَمَالِي القَالِي : الأَثْمَلَةُ وَ الأَثْمَلَةُ لَعْنَانِ : طَرَفُ الأَصْبَعِ ، وَأَثْمَلَةُ أَفْصَحُ (٨) . وَجَاءَ فِي الصَّحَاحِ : ضَرْبَةٌ لِأَزْبِ أَفْصَحَ من لِأَزْمِ (٩) . وَبُهَيْتَ أَفْصَحَ من بَهَيْتَ وَبُهَيْتَ (١٠) .

وَالضَّعِيفُ : مَا انْحَطَّ عَن دَرَجَةِ الفَصِيحِ ، وَالمُنْكَرُ : أضعف منه وَأَقَلَّ استعمالاً ، وَسُمِّيَ مُنْكَرًا لِإنْكَارِ بعضِ أئمةِ اللُّغَةِ لَهُ ، فَلَمْ يَعْرِفُوهُ ، وَالمَتْرُوكُ : مَا كَانَ قَدِيمًا مِنَ اللُّغَاتِ ، ثُمَّ تَرَكَ وَاسْتَعْمَلَ غَيْرُهُ ، وَأَمْثَلَةُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فِي كُتُبِ

(١) انظر : الإتيان في علوم القرآن ١ / ١٥٧ .

(٢) انظر : ضحى الإسلام ٢ / ١٩٨ .

(٣) الجمهرة ١ / ٦٧ . (برر) .

(٤) نفس المصدر ١ / ٣٥٠ (نصب) .

(٥) نفس المصدر ١ / ٣٦٩ (غلب) .

(٦) نفس المصدر ١ / ٣٧٠ . (لغب) .

(٧) ٥٨٥ / ٢ .

(٨) ٧٢ / ١ .

(٩) الصحاح (لزب) .

(١٠) نفس المصدر (بهت) .

اللُّغَةُ (١) . قال في الصَّحاح : يَلْعَبُ لُغَةً ضَعِيفَةً فِي لَعَبٍ يَلْعَبُ (٢) . وَالْإِعْرَاسُ لُغَةٌ قَلِيلَةٌ فِي التَّعْرِيسِ (٣) .

وفي شرح الفصيح لابن دُرُستويه : العَامَّةُ تقول : اعْنِ بِمَاجِيٍّ عَلَى لُغَةٍ مَنْ يَقولُ : عَنَيْتُ بِالْحَاجَةِ ، وَهِيَ لُغَةٌ ضَعِيفَةٌ (٤) . . وفي الجُمهرة : قال قومٌ : بَلَقَ الدَّابَّةُ ، وَهَذَا لَا يَعْرِفُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ (٥) . وجاء في الصَّحاح : جَرَعْتُ الْمَاءَ ، بِالْفَتْحِ ، لُغَةٌ أَنْكَرُهَا الْأَصْمَعِيُّ ، وَالْمَعْرُوفُ جَرَعْتُ الْمَاءَ ، بِالْكَسْرِ (٦) .
وكان هدف أولئك الأئمة من دأبهم في جمع اللُّغَةِ ؛ حَفِظَ لُغَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ صَافِيَةً نَقِيَّةً ، وَلِهَذَا نَرَاهُمْ قَدْ وَضَعُوا مَعَايِيرَ سَارُوا عَلَيْهَا ، يُمْكِنُ النَّظَرُ إِلَيْهَا مِنْ عِدَّةِ أَوْجِهٍ :

١ - مقاييس وضعت في مرحلة جمع اللُّغَةِ قَبْلَ وَضْعِ الْقَوَاعِدِ : وَتَتَمَثَّلُ فِي تَحْدِيدِ الْقَبَائِلِ الَّتِي تُرْوَى عَنْهَا اللُّغَةُ ، وَتَحْدِيدِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ يُحْتَجُّ بِشِعْرِهِمْ ، وَتَحْدِيدِ الرُّوَاةِ الَّذِينَ يَأْخُذُ عَنْهُمْ اللُّغَوِيُّونَ ، فَقَدْ نَقَلَ السَّيُوطِيُّ عَنْ أَبِي نَصْرِ الْفَارَابِيِّ قَوْلَهُ : " وَالَّذِي عَنْهُمْ نُقِلَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ ، وَبِهِمْ اقْتَدَى ، وَعَنْهُمْ أُخِذَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ مِنْ بَيْنِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، هُمْ : قَيْسٌ وَتَمِيمٌ ، وَأَسَدٌ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ عَنْهُمْ أَكْثَرُ مَا أُخِذَ وَمَعْظَمُهُ ، وَعَلَيْهِمْ أُتَكَلَّمُ فِي الْغَرِيبِ . وَفِي الْإِعْرَابِ وَالتَّصْرِيفِ ، ثُمَّ هُنْدِيلٌ ، وَبَعْضُ الطَّائِفِينَ ، وَبَعْضُ كِنَانَةَ ، وَلَمْ يُؤْخَذْ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ قَبَائِلِهِمْ ، وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْخَذْ عَنْ حَضْرِي قَطْ ، وَلَا عَنْ سُكَّانِ الْبِرَّكَارِيِّ مَنْ كَانَ

(١) انظر الزهر ١ / ٢١٤ .

(٢) الصحاح (لعب) .

(٣) نفس المصدر (عرس) .

(٤) ص : ٩٢ .

(٥) الجُمهرة ١ / ٣٧١ . (بلق) .

(٦) الصحاح (جرع) .

يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم " (١) . ويشير سيوييه في مواطن كثيرة من كتابه إلى الذين سَمِعَ عَنْهُمْ مِنْ يوثُقَ بعريبتهم ، فالخجازية عنده هي اللُّغة الأولى المقدِّمة (٢) . ويقول : " سمعنا العرب الموثوق بهم " (٣) . " وسمعنا فصحاء العرب " (٤) . " وأنشدنا من ثَثُقَ بعريبتة " (٥) . " وأنشدنا هكذا أعرابيٌّ من أفصحِ الناس " (٦) . وأجمع علماء العربية على الاحتجاج بقَوْلِ مَنْ يُوَثَّقُ بفصاحته وسلامة عَرَبِيَّتِهِ . أما إذا خالطَ البدويُّ أهلَ الحضرة امتنعوا عن الأخذِ عنه ؛ لأنَّه قد لَانَ جلدُهُ ؛ فهذا أبو عمرو بن العلاء ، حين قالَ لأبي خَيْرَةَ : كَيْفَ تَقُولُ : أَسْتَأْصِلَ اللّهُ عَرِقَاتِهِمْ أَوْ عَرِقَاتِهِمْ ؟ ففتح أبو خيرة التاء ، فقال له أبو عمرو : هَيْهَاتَ يَا آبَا خَيْرَةَ .. لَانَ جِلْدُكَ (٧) . والبدوي إذا اختلط بأهل الحضرة قَلَّ الأخذُ عنه ، كما يرى الأصمعي عندما رفض الأخذ ببيت لذي الرمة اشتمل على كلمة (زوجة) فَيَصْرُ الأَصمعي على أنها خطأ ، والصواب : زوج (٨)

أما الشُعراء الذين يُحْتَجُّ بِشِعْرِهِمْ فَهَمُ : الجاهليون والمخضرمون بلا خلاف ، وأما الإسلاميون المتقدمون فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامهم . وأما المولدون (المحدثون) وعلى رأسهم بشار بن برد فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامهم مُطْلَقاً ، وقيل : يُسْتَشْهَدُ بِكَلَامِ مَنْ يُوَثَّقُ بِهِ مِنْهُمْ ، واختاره الزمخشري (٩) .

(١) الزهر ١ / ٢١١ - ٢١٢ ، والافتراح : ٢٢ .

(٢) الكتاب ، تحقيق : عبد السلام هارون : ٤٦ / ٢ .

(٣) نفس المصدر ١ / ١٩٨ .

(٤) نفس المصدر ١ / ٤٧٧ .

(٥) نفس المصدر ٢ / ٥٩ .

(٦) نفس المصدر ، السابق ٢ / ٥٢ .

(٧) الخصائص ٢ / ١٣ .

(٨) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : ١٩٠ ، والورشح ، تحقيق : علي حسين شمس الدين : ١٨٠ .

(٩) انظر مقدمة البغدادي لخزاعة الأدب . قدم له وضع فهارسه محمد نبيل طريقي ، إشراف أمين بديع

يعقوب .

٢ - مقاييس وضعت بعد أن تم وضع القواعد : فعند المتشددين ، هو الأفتح ، وما عداه لحن ، وعند المتوسعين كُلُّ ما تكلمت به العرب وما قيس على كلامها فهو صواب . يقول ابن هشام اللخمي : " روى الفراء أن الكسائي قال : على ما سمعت من كلام العرب ليس أحداً يلحن إلا القليل . وقال الأخفش عبد الحميد ابن عبد المجيد : أتخى الناس من لم يلحن أحداً وقال الخليل : لغة العرب أكثر من أن يُلحَّن فيها مُتكلم " (١) .

٣ - مقاييس وضعت بعد قيام حركة تنقية اللُّغة : وقد اختلف فيها العلماء ، فالأصمعي وابن قتيبة ، والأزهري والزبيدي ، يأخذون بالأفصح ، ويدعُون ما سواه . فالأصمعيُّ مثلاً خطأً من قال : شَتَّان ما بينهما ، وذكر أن الصَّوابَ : شَتَّان ما هما (٢) . ويرفضُ الأصمعيُّ الأخذَ ببيتِ لذي الرُّمة — كما ألحنا سابقاً — على أن (زوجة) خطأً ، وصواها (زوج) ، وينعت ذا الرُّمة بأكله للمالح والبقل في حوانيت البقالين (٣) . ويرفضُ أيضاً الاحتجاج بشعر (الكميست ابن زيد) فهو في نظره ليس بحجة لأنه مؤلَّد (٤) .

والأصمعي أنكرَ أشياء كثيرة كلها صحيح ، فلا وجه لإدخالها في لحن العامة من أجل إنكار الأصمعي لها (٥) . وأما ابن قتيبة فإنه — وكما يُقررُ (يوهان فك) — قد احتضن مذهب الأصمعي المتطرف في تنقية اللُّغة ، دون أن يُعنى بمذاهب الثقات الآخرين من علماء اللُّغة (٦) . ومن الأمثلة على تشدده نذكر شيئاً مما جاء في كتابه (أدب الكاتب) ، إذ يقول : " ويُقال : زُهي فلان ، ولا يُقال :

(١) المدخل إلى تقويم اللسان : ٢٨ ، تحقيق : مأمون بن عي الدين الجكَّان .

(٢) انظر : مقدمة قديب الصحاح : ٣٢ .

(٣) انظر : طبقات النحويين واللفويين للزبيدي : ١٩٠ ، والموضح : ١٨٠ .

(٤) فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق : خليل العطية : ١٥٠ .

(٥) انظر : الافتضاب لابن السيد البطليوسي ، تحقيق : مصطفى السقا ، وحامد عبد المجيد : ٢٢٢/٢ .

(٦) العربية : ٩٩ .

زها" (١) . " وَتَنَحَّتِ النَّاقَةُ ، وَلَا يُقَالُ : تَنَحَّتْ " (٢) . ويُقال : " هذا ماءٌ مَلْحٌ ، وَلَا يُقَالُ : مَالِحٌ " (٣) . ومثل هذا التَّشَدُّدُ جاء في بعض ثنايا كتابه (٤) — وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى — . وعلى تقيض من هذا المنهج المتشدد ، نجدُ أبا زيد ، وابن الأعرابي ، وغيرهم يُجيزون أيُّ لغةٍ من لغات العرب ، فسارَ على فهمهم ابن السَّيِّد البطليوسي (٥) وابن هشام اللخمي (٦) ، وغيرهم ممن سيأتي ذكرهم في موضعه إن شاء الله تعالى .

وقد روى ابنُ خالويه في شرح الفصيح عن أبي حاتم أنَّ الأصمعي كان يقول : أفصح اللُّغات ، ويُلغى ما سواه ، وأبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحداً ، فيجيز كلَّ شيءٍ قيل (٧) .

أما ابن الأعرابي فقد روي عنه قوله في كلمةٍ رواها الأصمعي ، ورفض ما عداها : سَمِعْتُ مِنْ أَلْفِ أَعْرَابِي خِلافَ ما قاله الأصمعي (٨) .

مِقْيَاسُ الصَّوَابِ اللُّغَوِيِّ فِي لَحْنِ العَامَّةِ :

لكلِّ لغةٍ مستوى صوابي خاص بها ، يقوم على أساسه الحكم بالصحة أو الخطأ عليها ، وإذا كان تحديد هذا المستوى الصَّوابي ضرورياً في كلِّ لغةٍ ، فهو أكثر

(١) ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٢) ص : ٤٠٢ .

(٣) ص : ٤٠٤ .

(٤) انظر الصفحات : ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٥ .

(٥) ويمثِّل ذلك كتابه الاقتضاب .

(٦) ويمثِّل ذلك في كتابه : المدخل إلى تقويم اللسان .

(٧) انظر : الزهر / ١ / ٢٣٣ .

(٨) انظر : العربية (ليوهان فك) : ٩٨ ، ولحن العامة ، رمضان عيد التراب : ٦٦ .

ضرورة بالنسبة لما أُلْف ، وتُسجَع على متواله في (لحن العامة) . إلا أن علماء اللغة العربية لم يتفقوا حول مقياس الصَّواب اللُّغوي ؛ إذ برز منهم فريقان متناقضان ، يتعذر معهما ، تحديد مقياسِ صوابي واضح فيما يتعلق بلحنِ العامَّة . ففريقٌ متشدِّد — لا يقبل إلا الأَفصح ، ويَعُدُّ ما دُوَّنه خطأً — وعلى رأسه الأصمعي ومن سار على مذهبه . وفريقٌ متساهل يقبل كلَّ ما ورد عن العرب ، فكلُّه عنده حُجَّة ، وعلى رأسه أبو زيد ، ومن سار على مذهبه . ونتيجة لهذا ؛ فإنَّ أغلب ما يخطئه بعض اللُّغويين ، يصوبه البعض الآخر ؛ وما ذلك إلا لاختلاف مقياس الصَّواب اللُّغوي عند كل منهما .

وقد مرَّ بنا ما رواه ابن خالويه عن أبي حاتم من أن الأصمعي كان يقول : أفصح اللُّغات ويُلفى ما سواها ، وأبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحداً ، فيجيز كل شيء قَبيل ، قال : ومثال ذلك أن الأصمعي يقول : حَزَنِي الأَمْرُ يَحْزُنُنِي ، ولا يقول : أَحْزَنِي . قال أبو حاتم : وهما جائزان ؛ لأنَّ القُرَّاء قرأوا : ﴿ لا يَحْزَنُهُمُ القَرَعُ الأَكْبَرُ ﴾ و ﴿ لا يُحْزَنُهُمُ ﴾ (١) .

وهذا أبو حاتم يصرِّحُ بأنه سمع أبا زيد وكان يتسع في اللُّغات حتى ربما جاء بالشيء الضعيف فيجزي ذلك مجزى القوي ، وأنَّ الأصمعيَّ كان مُولعاً بالحيد المشهور ، ويضيق فيما سواه (٢) . ويصرِّحُ ابن السيِّد البطليوسي أنَّ الأصمعيَّ أنكر أشياء كثيرة كلَّها صحيح فلا وجه لإدخالها في لحن العامَّة من أجل إنكار الأصمعي لها (٣) .

(١) فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ للسجستاني : ٨٨ ، وانظر : الزهر ٣٣٢/١ ، والقراءة في البحر المحيط ٤٧١/٧

(٢) فعلت وأفعلت للسجستاني : ٨١ - ٨٢ .

(٣) الاقتضاب : ٢ / ٢٢٢ .

ويُنكر ابن قتيبة على بعضهم قولهم : هذا ماءٌ مَلْحٌ ، إذ إن الصواب عنده أن يقال : ماءٌ مَلْحٌ ، فينبه ابن السّيد البطليوسي بأن ما قاله الأول قد قال مثله يعقوب ، وأبو بكر بن دريد ، وغيرهما ، ورواه الرّواة عن الأصمعي ، وهو المشهور من كلام العرب ، ويصرّح بأن قول العامّة لا يُعد خطأ ، وإنما يجب أن يُقال : إنّها لغةٌ قليلة (١) .

وردّ الحريري كلمات ذكر الخفاجي أنّها خلاف الأوضح ، فيصرّح الأخير بأن ما أنكره الأول مسموعٌ على رداءته ، و كفى به سنداً لمن أستعمله (٢) .

ولعلّ خير ما يُمثل رأي المتوسعين ما صرّح به — إمام الرواة — أبو عمرو ابن العلاء عندما سأله أحدُهم قائلاً : أخبرني عمّا وضعت مما سميتّه عربية . أيدخل فيه كلامُ العرب كُلُّهُ ؟ فقال أبو عمرو : لا . فقال السائلُ : كيف تصنّع فيما خالفتك فيه العربُ وهم حُجّة ؟ قال : أعمل على الأكثر ، وأسمي ما خالفني لغات (٣) .

(١) الاقتضاب ٢ / ٢٢٣ .

(٢) شرح ذرّة الغواص للخفاجي: ص ٥١٤، تحقيق عبدالحفظ فرغلي القرني، مكتبة التراص الإسلامي بالقاهرة.

(٣) انظر : طبقات النحويين والمفويين : ٣٤ .

مقياسُ الصَّوابِ اللُّغويِّ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ :

المحدثون من اللُّغويين — العرب — لهم ملاحظات على الأساس الذي جرى عليه وَضَعُ القواعد ، وتحديد الزَّمان للاحتجاج ومكانه ، وتحديد مستوى الصَّواب والخطأ ؛ حيث يرى الدكتور إبراهيم أنيس أن اللُّغويين العرب لم يَقْصُرُوا تقييدهم لقواعد العربية على مصدر واحد ، هو لُغَتُها النموذجية الأدبية ؛ بل أقحموا معها اللهجات العربية بصفاتهما وخصائصها المتباينة ^(١) . ويوافق في هذا الرأي الدكتور تمام حسان ^(٢) .

ومن ناحية أخرى يرى الدكتور أنيس أن اللُّغويين العرب قَصَرُوا السَّليقة اللُّغوية على قوم معينين ، وقَصَرُوهَا على زمنٍ مُعَيَّنٍ ، وعلى بيئةٍ مُعَيَّنة ^(٣) . أما المستوى الصَّوابي فيقولُ فيه : وللحُكْمِ على ما يُسمى بالصَّواب والخطأ في اللُّغةِ يجدر بنا أن نقول : هل هذا الاستعمال مألوفٌ معهودٌ في اللُّغةِ ، أو هو يوافق قواعد النحاة واللُّغويين كما استنبطوها لنا ، بل الواجب حين نسمع قولاً أو نريد أن نحكم عليه ، أن نتساءل : هل استخراج هذا المتكلم مثل هذا القول من حافظته ، أو كونه هو بنفسه ، وعلى أي قول قاس هذا ^(٤) .

ويُعرِّفه الدكتور حسان بقوله : " المستوى الصَّوابي معيارٌ لُّغويٌّ يَرْضَى عن الصَّواب ، ويرفضُ الخطأ في الاستعمال ، وهو كالصَّوغ القياسي لا يمكن النظر إليه باعتباره فكرة يستعين الباحثُ بواسطتها في تعيين الصَّواب والخطأ اللُّغويين ؛ وإنما هو مقياس اجتماعي يفرضه المجتمع اللُّغوي على الأفراد ، ويرجع الأفراد إليه

(١) من أسرار اللغة : ٢٩ .

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٢٥ .

(٣) من أسرار اللغة : ٣١ .

(٤) نفس المرجع ، والصفحة

عند الاحتكام في الاستعمال ، والمستوى الصَّوَابِي لا يوجد في اللُّغَة فحسب ؛ وإنما يوجد في كُلِّ شُورُونِ الثَّقَافَةِ " (١) .

قلت : إنَّ المستوى الصَّوَابِي لم يكن مَوْضِعُ اتِّفَاقٍ تَامٍ عِنْدَ جَامِعِي اللُّغَةِ ، وَلَا عِنْدَ اللُّغَوِيِّينَ والنَّحْوِيِّينَ ، وَلَا عِنْدَ أَصْحَابِ كُتُبِ لُحْنِ الْعَامَّةِ ، ولهذا رأينا أَكْثَرَ خِلَافِهِمْ وتَفَاشُهُمْ يدور حول الأساس الذي لم يتفقوا عليه ، وهو مِقْيَاسُ الصَّوَابِ اللُّغَوِيِّ . فالذي أَرْضِيهِ — حسب اِطِّلاَعِي المتواضع — : أنَّ استعمال ما يَجُوزُ استعماله ، وإن كان خِلَافَ الأَفْصَحِ والأَكْثَرِ ليس بِخَطَأٍ ، إلا أن مستعمله قد خَالَفَ الأَفْصَحَ أو الأَكْثَرَ ، وَلَا يُخْطَأُ ما دام استعماله له وجه في العربية يُحِيزُهُ ، ولذا كان قول ابن جني فيصلاً في هذه القضية ؛ حيث يقول متحدثاً عن اللُّغَةِ الضَّعِيفَةِ والرَدِئَةِ : " وعلى هذا فيجب أن يَقِلَّ استعمالها ، وأن يُتَخَيَّرَ ما هو أقوى وأشيع منها ؛ إلا أنَّ إنساناً استعملها لم يكن مَخْطِئاً لكلام العرب ، لكنه كان مَخْطِئاً لأَجُودِ اللُّغَتَيْنِ " (٢) .

وبالعودة إلى أصحاب مذهب التَشَدُّدِ نراهم قد منعوا استعمال ألفاظ فصِيحَةٍ بِحُجَّةِ أَنَّهُمْ لم يَقْفُوا عَلَيْهَا ، فَظَنُّوْهَا مَلْحُونَةً فَأَنْكَرُوهَا ، وَالأَصْمَعِيُّ خَيْرٌ مَنْ يُمَثِّلُ ذَلِكَ . فكان مثل هؤلاء الأئمة المتشددِّين لا يَسْأَمُونَ مِنَ النِّقْدِ وَالتَّمْحِيسِ ، وَتَنْبِيهِ النَّاسِ إِلَى الخَطَأِ لِيَجْتَنِبُوهُ ، وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى الأَفْصَحِ كِي يَلْزِمُوهُ ، وَكَانَتْ ثَمَرَةُ هَذِهِ الجُهُودِ الخَيْرَةُ والإِسْهَامَاتُ النَّبِيْرَةُ أَنْ أَلْفَتْ كُتُبٌ فِي لُحْنِ الْعَامَّةِ تَهْدِفُ إِلَى التَّصْوِيبِ اللُّغَوِيِّ وَتَنْقِيَةِ اللُّسَانِ العَرَبِيِّ مِمَّا قَدْ يَشُوبُ نِقَافَهُ .

وقبل الشروع في ذكر تلك المؤلفات ، وبالعودة للمعاجم اللغوية ؛ لمعرفة المقصود بالعامية ، والخاصة ، والدهماء ، فإننا لم نجد بغيتنا في تلك المعاجم ، حيث

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٦٩ .

(٢) الخصائص ٢ / ١٢ .

لم تزد على القول : والعامه خلاف الخاصة ، والخاصة بخلاف العامة ، والدهماء : الجماعة من الناس ، ودهماء الناس : جماعتهم وكثرهم ^(١) .

ولكن الجاحظ يبين عن هذا الغموض بقوله : " وإذا سمعتموني أذكرُ العوامَ ، فإني لستُ أعني الفلاحين ، والحشوة والصناع ، والباعة ، ولست أعني الأكراد في الجبال ، وسكان الجزائر في البحار ... وأما العوامُ من أهلِ ملتنا ودعوتنا ولُغتنا وأدبنا وأخلاقنا ، فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ، ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا ، على أن الخاصة تتفاضل في الطبقات أيضاً " ^(٢) .

ويرى الزبيدي هذا بقوله : " فألفيتُ جُملاً مما أفسدته العامة عندنا فأحالوا لفظه ، أو وضعوه غير موضعه ، وتابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنه الشعراءُ أشعارهم ، واستعمله جلةُ الكتابِ وعليةُ الخدمة ، في رسائلهم ، وتلاقوا به في محافلهم ، فرأيت أن أُنَبِّه عليه ، وأبين وجه الصواب فيه ... " ^(٣) .

وبالعودة إلى أقوال الباحثين المحدثين نجدهم قد اختلفوا في المقصود بالعامه على قولين :

يرى الدكتور رمضان عبدالنواب أن لفظة العامة ليس المقصود بها الدهماء وخُشارة الناس ؛ إنما المقصود بها عند هؤلاء هم المثقفون الذين تسربت لغة التخاطب والحياة اليومية إلى لغتهم الفصحى في كتابتهم أو أحاديثهم في المجالات العلمية والمواقف الجدلية . ووافقهُ الدكتور عبد العزيز الأهواني عندما صرَّح : إنهم طبقة المثقفين الذين تسربت إليهم أخطأ من هؤلاء الدهماء ، أو من تصحيقات النُسخ ، ومن بين هؤلاء شعراء وكتاب ^(٤) .

(١) انظر : الصحاح ، واللسان (عمم ، خصص ، دهم)

(٢) البيان والتبين ١ / ١٣٧ .

(٣) لحن العوام ، تحقيق رمضان عبد النواب : ٣٦ .

(٤) انظر : لحن العامة ، عبد العزيز مطر : ٣٥ .

والرأي الثاني ما ذهب إليه الدكتور عبدالعزيز مطر بقوله : " والخاصة هم علماء اللغة والشعراء والكتاب والفقهاء والقراء والخطباء والمحدثون ، ومن في مستواهم . والعامه هم عدا هؤلاء من طوائف الشعب، وهم طبقات ، كما أن الخاصة طبقات^(١) " . وبهذا قال عبدالفتاح سليم^(٢) .

(١) لحن العامّة : ٤٠ .

(٢) اللحن في اللغة : ١٤٢/١ .

أشهر المؤلفات في لحن العامة :

حين ظهر الزبغ عن سنن العربية ، وشاع على ألسنة أصحابها أنواع من اللحن والخطأ ، أبعثت في نفوس علماء اللغة منذ أواخر القرن الثاني الهجري رغبة صادقة في المحافظة على فصاحة اللغة ونقاها ، وردّ الناطقين بها إلى الاستعمال الصائب ؛ فظهرت مؤلفات عديدة في كل من المشرق والمغرب الإسلاميين ، هدفها معالجة الخطأ ، والذي أُصطلح على تسميته باللحن ، فعرفت تلك المؤلفات بلحن العامة ، والتي كوَّنت ثروة لغوية ضخماً ، وقد درج مؤلفوها على جمع طائفة من الألفاظ التي يخطئ الناس فيها في زمانهم ، وفي القطر الذي يعيشون فيه ، ويدلّلون على خطئها ، ويبينون الصواب الذي يجب أن يحل محلها في الاستعمال ، ذلك هو الهدف العام الذي توخاه المؤلفون في هذا الباب ، ولكنهم تفاوتوا في الخطة والمنهج ، فكان لكل منهم منهج في جمع المواد وتصنيفها ، و مقياسه الذي يحكم به على الصواب والخطأ .

وقد ذكر عدد من الباحثين أسماء تلك المؤلفات وتناولها بالدراسة والبحث والتحليل ومنهم الدكتور رمضان عبدالنواب في كتابه (لحن العامة والتطور اللغوي) ، والدكتور عبدالعزيز مطر في كتابه (لحن العامة في ضوء الدراسات الحديثة) ، والدكتور عبدالفتاح سليم في كتابه (اللحن مظاهره ومقاييسه) ، والدكتور الشريف عبدالله بن علي الحسيني محقق كتاب (درة الخواص في أوهام الخواص) والدكتور عبدالرحمن بن عيسى الحازمي في كتابه (جهود اللغويين الأندلسيين في التصويب اللغوي إلى نهاية القرن السادس الهجري ، مع دراسة وتحقيق كتاب التصريح بشرح غريب الفصيح) .

وقد اخترتُ قائمة الدكتور رمضان عبد التواب^(١) والتي اشتملت على كتب
لحن العامة نوردتها كما جاءت :

- ١ - ما تلحن فيه العوام للكسائي (ت ١٨٩ هـ) . وهناك من ذكره تحت
عنوان : ما تلحن فيه العامة ، ولعله منسوب للكسائي .
- ٢ - ما يلحن فيه العامة ، لأبي الهيثم ، من علماء القرن الثالث الهجري (مفقود) .
- ٣ - البهاء فيما تلحن العامة ، للفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) (مفقود) .
- ٤ - ما تلحن فيه العامة لأبي عبيدة (ت ٢٠٨ هـ) (مفقود) .
- ٥ - ما يلحن فيه العامة للأصمعي (ت ٢١٦ هـ) (مفقود) .
- ٦ - ما خالفت العامة فيه لغات العرب ، لأبي عبيد (ت ٢٢٤ هـ) (مفقود) .
- ٧ - ما يلحن فيه العامة ، لأب نصر الباهلي (ت ٢٣١ هـ) (مفقود) .
- ٨ - إصلاح المنطق ، لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) .
- ٩ - ما يلحن فيه العامة للمازني (ت ٢٤٩ هـ) (مفقود) .
- ١٠ - ما تلحن فيه العامة ، لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) (مفقود) .
- ١١ - النحو ومن كان يلحن من النحويين ، لابن شبة (ت ٢٦٢ هـ)
(مفقود) .
- ١٢ - أدب الكاتب ، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) .
- ١٣ - ما يلحن فيه العامة لأبي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٠ هـ) (مفقود) .
- ١٤ - لحن العامة ، لأبي علي الدينوري (ت ٢٩١ هـ) (مفقود) .
- ١٥ - الفصيح ، لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ) .
- ١٦ - تقويم اللسان ، لابن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ) .
- ١٧ - فائت الفصيح ، لأبي عمر المطرّز (ت ٣٤٥) .

(١) لحن العامة والتطور اللغوي ، ١٠٥ وما بعدها . وكان الاختيار لسببين : ١- أنه أورد مجموعة من قوائم
لحن العامة : كقائمة (توريكه والمعلوف ، وريزتانو) ، انظر ص ٧٢ - ٩٤ . ثم مايز بينهما ٢-
احتواء قائمته على أكبر عدد من مؤلفات لحن العامة

- ١٨ - تمام فصيح الكلام ، لابن فارس اللغوي (ت ٣٩٥ هـ) .
 ١٩ - لحن العوام ، لأبي بكر الزبيد (ت ٣٧٩ هـ) .
 ٢٠ - تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، لابن مكّي الصقلي (ت ٥٠١ هـ) .
 ٢١ - ما تلحن فيه العامة ، للكفرطابي (ت ٥٣٣ هـ) .
 ٢٢ - اللحن الخفي لهارون بن أحمد الحلبي (ت ٥٣٧ هـ) .
 ٢٣ - التكملة فيما يلحن فيه العامة ، للجواليقي (ت ٥٣٩ هـ) .
 ٢٤ - المدخل إلى تقويم اللسان ، لابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧ هـ) .
 ٢٥ - تقويم اللسان لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) .
 ٢٦ - لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام ، لأبي علي التونسي (٧١٧ هـ) .
 ٢٧ - الفوائد العامة في لحن العامة ، لأبن جزّي الكلبي (ت ٧٤١ هـ) .

وقد اشتملت قائمة الدكتور رمضان ، على أسماء مؤلفاتٍ أُخرى ، رأيتُ أنّها لا تخصّ لحن العامّة مباشرة ؛ فلم أذكرها . وقد اخترتُ من بين هذه المؤلفات المذكورة آنفاً — كتباً مثلت أبرز المصادر التي اعتمدت عليها في مبحث أعلام التنقية اللغوية وهو مدار حديثنا في الفقرة التالية ، إلا أنني — وقبل الشروع في الحديث عن هؤلاء الأعلام — أشير إلى بعض عيوب كتب اللحن التي بين أيدينا ، ولعلّ من أبرزها :

أ- اقتصارها على ذكر ما أصاب المفردات المجردة من خلال تفسير مؤلفيها لجوانب محددة ، شملت فيما شملت : الصوت ، أو الصيغة ، أو الدلالة ، و إهمال الإشارة إلى ما أصاب الجُمْل والعبارات من خلل .

ب - اقتصارها على تسجيل الخطأ الدائر على الألسن ، ووضع ما يقابله من الفصيح ، ولم تتجاوز ذلك إلى الكشف عن العوامل التي تدفع إلى الخطأ ، أو الأسباب التي ينجم عنها اللحن .

وغمّة اختلاف تيّن اللّغويين في أسباب تلحين الألفاظ ، فمن أبرزها :

١ - عدم تحديد المستوى الصّوّابي . وقد مرّ بنا ما رواه ابن خالويه عن أبي حاتم من تشدّد الأصمعي في الفصاحة . وكذلك ما حكاه البطلبوسي من إنكار الأصمعي لألفاظ كثيرة كلها صحيح^(١) .

٢ - اختلافهم في تحديد دائرة القياس اللّغوي : فالبصريون اقتصروا على جواز القياس على المشهور الشائع ، والكوفيون أجازوا القياس على الشاهد أو الشاهدين^(٢) .

٣ - تشدّد بعض الأعلام من اللّغويين في الوقوف على المسموع ، وعدم الاعتراف إلا بالأفصح ، وما عداه فهو خطأ ، أو لحن ، ومن هؤلاء : الأصمعي ، وابن قتيبة ، وأبو حاتم ، والزبيدي ، وغيرهم . ومن أمثلة ذلك :

أنكر الأصمعي قولهم : أحزَنَ بالألف ، إذ إن الصواب عنده بأن يقال : حَزَنَني الأمرُ ، وبيَّه إلى أنّه لم يسمع غيره^(٣) . وأكثر اللّغويين على وجود لغتين : (حَزَنَ ، وأحزَنَ)^(٤) . وذكر ابن قتيبة أنّه يُقال : هذا ماء ملحٌ ، وأنكر قولهم : ماء ملح^(٥) وذكر ابن السيد البطلبوسي بأن ما قاله الأول قد قال مثله يعقوب ، وأبو بكر بن دريد ، وغيرهما ، ورواه الرّواة عن الأصمعي ، وهو المشهور من كلام العرب ، ولكن قول العامّة لا يُعد خطأ ، وإنما يجب أن يُقال : إنّها لغة قليلة^(٦) .

(١) انظر ص ٣٨ من هذا البحث .

(٢) انظر الاقتراح للسيوطي ٨٤

(٣) فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ للسجستاني : ٨٨ .

(٤) انظر : الكتاب ٤ / ٥٦ - ٥٧ ، وَفَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ للرّجاج ، تحقيق رمضان عبد التّواب ، وصحيح

التميمي : ٦٥ ، والصحاح (حزن)

(٥) أدب الكاتب : ٤٠٤ .

(٦) الاقتضاب : ٢٢٣/٢ .

ويحكي ابنُ السِّدِّ البطليوسي — أيضاً — بأنَّ أبا حاتم يذكُرُ أنَّ قولَ العامَّةِ :
مات الميت : خطأ ، والصَّوابُ عنده : مات الحيُّ ، وبينه ابنُ السِّيدِ بأنَّ ما أنكره
أبو حاتم غير منكرٍ مصرَّحاً بجواز أن يُسمَّى ميتاً ؛ لأنَّ أمره يُقولُ إلى الميتِ ^(١) .

وهذا أبو بكر الزبيدي يخطئُ قولَ العامَّةِ : (سَكَرَانَةٌ) فيردُّ عليه ابنُ هشام
اللخمي قائلاً : " فإذا قالها قومٌ من بني أسد فكيف تُلحَنُ بها العامَّةُ ، وإن كانت
لغة ضعيفة ، وهم قد نطقوا بها كما نطقت بعض قبائل العرب " ^(٢) . ويسرى
ابن هشام اللخمي أنَّ ما اختلف فيه أهلُ اللُّغة لا تُغلَطُ فيه العامَّةُ ^(٣) .

٤ — تساهل بعض اللُّغويين الذين يرون أنَّ من يتكلم بعض لغات العرب مصيبٌ
غير مخطئ ، وقد مرَّ بنا قول ابن السِّدِّ البطليوسي ، وقد سبقه ابن الأعرابي
عندما ذكر بأنه سمع من ألف أعرابيٍ يخلاف ما قاله الأصمعي ^(٤) ولعلَّ ابن حني
فَصَّلَ في ذلك عندما عقد فصلاً بعنوان : (باب اختلاف اللغات وكلها حجة
) ^(٥) . وذاك ابن هشام اللخمي في كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان) ، وتعقبه
لبعض اللُّغويين المتشددين ، قد أبان عن هذا الاتجاه .

٥ — الخلاف في المعيار الزمني للفصاحة : حكى أبو حاتم بأنه أنشد الأصمعي
بيتاً ، فقال الأخير : قد أنشدَ زمن سعيد بن جبیر ، ولكن اللحن سبقَ ذلك
الزمن ^(٦) .

(١) الاقتضاب : ١ / ١٠٥ .

(٢) المدخل إلى تقويم اللسان : ٣٥ .

(٣) انظر : المدخل إلى تقويم اللسان : ٥٩ .

(٤) انظر : ص ٣٩ من هذا البحث

(٥) الخصائص : ١٢/٢

(٦) فعلت وأفعلت للسجستاني : ٩٢

٦ - الخلاف في المعيار المكاني : قال البطليموسي : " حَكَى اللُّغَوِيُونَ أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يُبَدِّلُونَ الْحَرْفَ الْأَوَّلَ مِنَ الْحَرْفِ الْمَشْدُودِ نَوْنًا ، فَيَقُولُونَ : حَنْظٌ ، يَرِيدُونَ (حَنْظٌ) . وَإِنْجَاصٌ ، وَإِنْجَانَةٌ — أَي فِي : إِجْاصٌ وَإِجَانَةٌ — ، فَإِذَا جَمَعُوا رَجَعُوا إِلَى الْأَصْلِ ، وَهَذِهِ لُغَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَلَفَّتَ إِلَيْهَا ، فَإِنَّ اللَّغَةَ الْيَمَنِيَّةَ فِيهَا أَشْيَاءٌ مُتَكَرِّرَةٌ خَارِجَةٌ عَنِ الْمَقَائِيسِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا لِئَعْلَمَ أَنَّ لِقَوْلِ الْعَامَّةِ مَخْرَجًا عَلَى هَذِهِ اللَّغَةِ " (١) .

٧ - الطَّعْنُ فِي قَوْلِ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ : فَمِنْ ذَلِكَ عِنْدَمَا أُنشِدَ الْأَصْمَعِيُّ بَيْتًا لِلْكَمَيْتِ بْنِ زَيْدٍ ، يَذْكُرُ فِيهِ فَصَاحَةً (أَبْرَقَ وَأُرْعَدَ) ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ مُوَلَّدٌ (٢) . وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَرَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ الطَّرِمَّاحَ لَيْسَ بِبَيِّنٍ ، كَأَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لُغَتَهُ حُجَّةً (٣) . وَأَبُو الْعَدَّافِ الْكِنْدِيُّ : لَمْ يَعِدْهُ الْعُلَمَاءُ فَصِيحًا (٤) .

٨ - الخلاف في توجيه الشاهد : فقد نقل أبو حاتم (٥) عن الأصمعي : يقال : ثَوَى يَثْوِي ، فَهُوَ ثَاوٍ . وَلَا يُقَالُ : أَثْوَى يَثْوِي ، قَالَ أَبُو عبيدة : أَنشِدْنِي حَتْرُوشَ :

أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيَزْوَدَا

فلم يلتفت الأصمعي لقول أبي عبيدة ، وقال : هو استفهام ، وحرَّكَ الثاءَ . وقال أبو عبيدة : " يُقَالُ : رَثَّ الْحَبْلُ وَأَرَثَّ جَمِيعًا " ، وَأَنشِدْ لِدْرِيدِ بْنِ الصِّمَّةِ :

(١) الاقتضاب : ١٨١/٢

(٢) فعلت وأفعلت ١٥٠

(٣) فعلت وأفعلت للسجستاني : ١٣٧

(٤) نفسه ١٠٥

(٥) نفسه ١٥٣

أَرَثَ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمَّ مَعِيدٍ

قال الأصمعي : هذا أيضاً استفهام ليس بخير^(١) .

٩ - سعة إطلاع العالم ، وغزارة علمه ، وإحاطته بالللهجات والروايات^(٢) .

(١) فعلت وأفعلت للمجستانى ١٥٣ .

(٢) كابين السيد البطليوسى فى كتابه (الاقتضاب ، وابن هشام اللخمي فى كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان) ، والبلبلى فى (تحفة المجد) .

ب - أعلامُ التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ

أولاً - الأصمعيُّ (١) :

(عبد الملك بن قريب ، ت ٢١٥ هـ -) ، وقد رأيتُ أنْ أبدأ به وإن كان مسبوفاً بعلماء آخرين لكونه أكثر هؤلاء اللُّغويين تشدداً في تنقية اللُّغة ، واقتصاره على استعمال الفصحى العالي من اللُّغات ، ووقوفه عند السماع ، وعدم الاعتراف إلا بالفصحى ، فمقياس الصواب عنده الأصح ؛ وما عداه فلحن .

ولم يكتفِ هذا اللُّغوي الفذ بجمع الثروة اللُّغوية من أفواه البدو ، وترتيبها فحسب ، بل شرع - وكما يقول (يوهان فك) - في تعويد الاستعمال اللُّغوي الدقيق للكلمات بتعريفات غاية في الدقة ، ولا ريب أنه كان في ذلك كثيراً ما يخالف المعاني والاستعمالات التي ترد في كلام البدو (٢) . والأصمعيُّ - وكما تذكر الروايات - كان بحراً في اللُّغة ، لا يعرف مثله فيها وفي كثرة الرواية (٣) .

معالمُ التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ عند الأصمعيِّ :

وقد سلك في ذلك مسالك متنوعة ، أبان عنها أئمة اللغة الذين نقلوا عنه ، نوجزها في الآتي :

أولاً / قوله : لا يُقالُ ذلك ، وهو الغالب على منهجه ، ويتضح

ذلك فيما يلي :

صرَّحَ بأنه يُقالُ : مَحَّ الثُّوبُ : إذا أَخْلَقَ ، ولا يُقالُ : أَمَحَّ (٤) .

(١) ترجمته في : إنباه الرواة ٢ / ١٩٧ - ٢٠٥ ، وروفيات الأعيان ٣ / ١٧٠ - ١٧٦ ، والبغية ٢ / ١١٢ -

١١٣ ، وإشارة التحيين في تراجم النحاة واللغويين : ١٩٣ .

(٢) العربية (ليوهان فك) : ٩٨ .

(٣) الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون : ١١ - ١٢ .

(٤) فعلت وأفعلت لأبي حاتم : ٨٣ .

- وينبّه إلى أنه يُقالُ : سَمَلَ الثُّوبُ وَخَلَقَ ، ولا يُقالُ : أَسَمَلَ وَأَخَلَقَ ^(١) ،
بالألف .
- ويصرّحُ بأنه يُقالُ : طَلَعْتُ الْجَبَلَ ، ليس غير . ولا يُقالُ : أَطَلَعْتُهُ ^(٢) ،
بالألف .
- ويذكر أيضاً أنه يُقالُ : فَتَتُّ الرَّجُلَ ، ولا يُقالُ : أَفْتَتُهُ ^(٣) ، بالألف .
- وحكي أنه يُقالُ : أَجْبَرْتُهُ عَلَى الأَمْرِ ، ولا يُقالُ : جَبَرْتُهُ ^(٤) ، بالألف .
- وينبّه إلى أنه يُقالُ : هَدَيْتُ العُرُوسَ إِلَى زوجها ، ولا يُقالُ : أَهْدَيْتُهَا ^(٥) ،
بالألف .
- كما حكي أنه يُقالُ : قَتَرَ فلانٌ عَلَى أهله ، ولا يُقالُ : أَقْتَرَ ^(٦) ، بالألف .
- ويحكي أيضاً أنه يُقالُ : سَعَرَنِي شَرًّا ، ولا يُقالُ : أَسَعَرَنِي ^(٧) ، بالألف .
- وحكى : ويُقالُ : وَوَقَفْتُ بِالْمَكَانِ ، وَوَقَفْتُ الدَّابَّةَ ، وَوَقَفْتُ الوَقْفَ ، ولا
يُقالُ : أَوْوَقَفْتُ ^(٨) ، بالألف .

(١) ص ٨٤

(٢) ص ٨٩

(٣) ص ٩١

(٤) فعلت وأفعلت : ٩٦

(٥) ص ١٠١

(٦) ص ١١٣

(٧) ص ١٣١

(٨) ص ١٣٨

وجاء في كتاب (إصلاح المنطق ، لابن السكيت) بأنه يقال : وقد تَكَلَّتْ عنه أُنْكَلٌ . وأنكر الأصمعي أن يُقالُ : تَكَلَّتْ (١) .

ثانياً : قولهم : لا يَعْرِفُهَا الْأَصْمَعِيُّ ، ومن أمثلة ذلك نورد بعضاً مما جاء في كتابه (فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ) :

— يُقالُ : شَرَعَ يَشْرَعُ ، ولم يَعْرِفْ يَشْرَعُ (٢) .

— وَيُقالُ : أَحَدَّتْ الْمَرْأَةُ عَلَى زَوْجِهَا ، ولم يَعْرِفْ حَدَّتْ (٣) .

— وَيُقالُ : بَرَقَ الرَّجُلُ وَرَعَدَ فِي الْوَعِيدِ ، ولم يَعْرِفْ أُبْرِقَ وَأُرْعَدَ (٤) .

— وَيُقالُ : صَقَعَتِ السَّمَاءُ بِالْصَادِ وَالسَّيْنِ ، ولم يَعْرِفْ أَصْقَعَتْ (٥) .

— وَيُقالُ : سَتَرَتْهُ الرِّيحُ وَجَفَلَتْهُ ، وَسَحَقَتْهُ ، ولم يَعْرِفْ أَسْحَقَتْهُ (٦) .

ومثل هذه الأقوال جاءت مبثوثة في ثنايا الكتاب (٧) .

وجاء في الإصلاح لابن السكيت :

بأنَّ شَمَلَهُمُ الْأَمْرُ يَشْمَلُهُمْ لُغَةٌ ، وليس يَعْرِفُهَا الْأَصْمَعِيُّ (٨) .

(١) فعلت وأفعلت : ص ١٨٨ .

(٢) ص ١٤٩

(٣) ص ١٢٦

(٤) ص ١٣٩

(٥) ص ١٥٠

(٦) ص ١٥٢

(٧) ص انظر بالإضافة إلى ما ذكرنا الصفحات : ١٠٥ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٨) ص ٢١١

ونقل الزمخشري في شرحه للفصيح قول ثعلب : السَّرَجِينُ وَيُقَالُ لَهُ :
السَّرَقِينُ ، وَصَرَّحَ الْأَصْمَعِيُّ بِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ لِهَـمَا وَأَنَّهُ لَا يَقُولُ إِلَّا الرَّوْثَ (١) .

وحكى التدميري في شرحه عن الخليل : مَضْنِي الْجِرْحِ بِغَيْرِ أَلْفٍ ، وَتَبَّهَ إِلَى أَنَّ
الْأَصْمَعِيَّ اقْتَصَرَ عَلَى : أَمْضِنِي الْجِرْحَ بِالْأَلْفِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهَا (٢) .

ونقل اللَّبْلِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ : أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ (عَسَيْتُ) بِالْكَسْرِ (٣) .

ثالثاً / قولهم : وأبى الأصمعي ذلك ، ومن أمثلة ما يلي :

جاء في شرح الزمخشري للفصيح قوله :

" وَدَمَعَتْ عَيْنِي تَدْمَعٌ ، وَحَوَّزَ أَبُو زَيْدٍ وَأَبُو عَيْبَةَ (دَمَعَتْ) وَأَبَى الْأَصْمَعِيُّ
ذَلِكَ " (٤)

— يذكر أن العامة تقول : أَرَهَنْتُ الرَّهْنَ ، وَيَصْرِّحُ بِأَنَّهَا لُغَةٌ ، وَقَدْ أَبَاهَا
الْأَصْمَعِيُّ (٥) .

— وَيُنَبِّهُ إِلَى أَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُ : أَنْعَشْتُهُ ، وَيَصْرِّحُ بِأَنَّهَا لُغَةٌ تَمِيمَةٌ ، وَأَبَاهَا
الْأَصْمَعِيُّ (٦) .

— وَيَحْكِي أَنَّهُ يَقَالُ : خَيْطٌ ، بِالْفَتْحِ ، نَقْلًا عَنِ الْكَسَائِيِّ وَالْفَرَّاءِ وَأَبُو عَيْبَةَ ،
وَقَطْرُبٌ ، وَأَبَى الْأَصْمَعِيُّ إِلَّا الْكُسْرَ (٧) .

(١) ص ٤٩٩

(٢) ص ١١٩

(٣) ص تحفة المجد ٣٧

(٤) شرحه : ١٧

(٥) نفسه : ٩٢ ، وانظر الإصلاح : ٢٣١

(٦) نفسه : ٩٥ ، وانظر شرح التدميري : ٧٠ ، وتحفة المجد : ٢٦٨

(٧) نفسه : ٤٧٥

— ونقل عن أبي عبيدة : رَابَ وَأَرَابَ لغتان ، وصرَّح بأنَّ الأصمعيَّ أبي ذلك ^(١) .

— وحكى ابن القطاع في أفعاله أنَّه يُقالُ : سَفَرَ الصُّبْحُ ، وأسْفَرَ ، وأبي الأصمعيِّ إلا أسْفَرَ ^(٢) .

رابعاً / قولهم : وأنكرها الأصمعيُّ ، ومن أمثلة ذلك :

ما جاء في شرح الرمخشري للفصيح :

— نقل عن الفراء قوله : زَكِنْتُ وَأَزَكَنْتُ ، بمعنى واحد ، ويتَّبعه إلى أنَّ الأصمعيَّ أنكر الأخرى ^(٣) .

— كما نقل عن أبي عبيدة وأبي زيد أيضاً أنَّه يقال : نَشَرَ اللهُ الموتى ، فَنَشَرُوا ونبه إلى أنَّ الأصمعيَّ أنكر ذلك ^(٤) .

— وذكر الرمخشري أنَّ العامَّة تقول : أُتْرُجِحَةُ لِلأُتْرُجِحَةِ ، وأنكر الأصمعيَّ لغة العامَّة ^(٥) .

— وجاء في أفعال السرقسطي : بأنَّ أَوْقَفْتُ الدَّارَ والدَّابَّةَ لغة تميمية ، ونبه إلى أنَّ الأصمعيَّ أنكر ذلك ^(٦) .

خامساً / قوله : لم أسمع ... ، أو لم أسمع غيره ويتمثل ذلك في الآتي :

(١) شرحه : ٦٢٧

(٢) أفعاله ١١٩/٢ وانظر تحفة المجد ٤٣٤

(٣) شرح الرمخشري : ٥٢

(٤) نفسه : ٢٢٣

(٥) نفسه : ٥٥٥ ، (٣) ٢٣١/٤

(٦) ٢٣١/٤

— ذكر الأصمعيُّ أنه يقال : حَزَنِي الأَمْرُ ، ونَبَّه إلى أنه لم يسمع غيره ، وهو يَحْزِنُنِي^(١) .

— صرَّح الأصمعيُّ بأنه يقال : نَضَرَ اللهُ وَجْهَهُ ولم يسمع أحداً يقول : أَنْظَرَ اللهُ وَجْهَهُ ، بالألف^(٢) .

— ذكر أنه يقال : مَطَرَتِ السَّمَاءُ ، وأَرْضٌ مَمَطُورَةٌ ليس غيرُ هذا . وأمَطَرَهَا اللهُ . ونَبَّه إلى أنه لم يسمع إلا (أَمَطَرَتِ مَطَرَ السَّوَاءِ)^(٣) .

— ويحكى أنه سمع أبا عمرو يقول : عَقَمَ اللهُ رَحِمَهَا ، ونَبَّه إلى أنه لم يسمع أَعَقَمَ بالألف^(٤) .

قلت : وبعد هذه المعايير التي أوردناها المثلة لمذهب الأصمعي الذي نحسب أنه كان متشدداً في تنقية اللغة يحسن أن نعرض لبعض موقف أئمة اللغة من هذا التشدد فنقول :

— أنكر الأصمعيُّ قولهم : جَبَّرْتُهُ على الأمرِ ... ، قلت : جاء في التهذيب (جبر) بأن تميم تقول : جَبَّرْتُهُ على الأمرِ وأَجْبَرُهُ جَبْرًا وجَبُورًا ، بغير ألف .

— منع الأصمعيُّ قولهم : أَهْدَيْتُ العُرُوسَ إلى زوجها ، بالألف . قلت : حكى ابن القطّاع في أفعاله : بأن أَهْدَيْتُهَا لغة^(٥) ، ونسبها أبو جعفر اللبلي إلى قبيلة طي^(٦) .

(١) فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ ٨٨

(٢) ص ١٠٢

(٣) فعلت وأفعلت : ١٠٤

(٤) ص ١١٩

(٥) ٣٦٤/٣

(٦) انظر تحفة الهمد ٤٣١

— أنكر الأصمعي (تَكَلَّتْ) ، بكسر العين . قلت : حكى صاحب العين أن
(تَكَلَّ) لغة تميمة^(١) ، وواقفه آخرون^(٢) .

— رفض الأصمعي : (ذَوِي العودُ) قلت : قال أبو عبيدة : قال يونس : هي
لغة^(٣) .

— حكى الأصمعيُّ بأنه يُقالُ : غَوَى الرَّجُلُ يَغْوِي ، بفتح العين في الماضي
وكسرها في المستقبل ، وأنكر ما سواه . قلت : نقل أحدهم عن بعض الأئمة أنه
يقال : غَوِيَ الرَّجُلُ يَغْوِي ، على وزن : عَلِمَ يَعْلَمُ^(٤) .

— كما أنكر الأصمعي (جَرَعَتْ المَاءُ) بفتح الرَّاء . قلت : هي لغة حكاها أبو
عبيد^(٥) وابن قتيبة^(٦) وغيرهما من اللغويين^(٧) .

— لم يعرف الأصمعي (حَدَّتِ المَرَأَةُ) قلت : ذهب بعض اللغويين إلى وجود
لغتين ، وهما : (أَحَدَّتْ ، وَحَدَّتْ)^(٨) .

— لم يعرف الأصمعيُّ (شَمَلَهُمُ الأَمْرُ ..) بفتح الميم . قلت : هي لغة ، حكاها كل
من : ابن السكيت ، وابن قتيبة ، والسرقسطي ، والجوهرى ، وابن منظور ،
والفيومي^(٩) .

(١) العين ٣٧١/٥ (نكل) .

(٢) انظر : أفعال السرقسطي ٣٢١/١ تحقيق حسين محمد شرف .

(٣) انظر الإصلاح ١٩٠

(٤) تحفة المجد ٢٦

(٥) الغريب المصنف ٢١٢/١

(٦) أدب الكاتب ٣٠٧ ، ٣٢٥

(٧) انظر الصحاح ، والمحكم ١٩٠/١ ، واللسان ، والقاموس (جرع) .

(٨) انظر الإصلاح ٢٧٦ ، أدب الكاتب ٣٦١ ، فعلت وأفعلت للزجاج ٦٥ ، الجمهرة ٦٥/١ الصحاح (حدد)

(٩) انظر الإصلاح ٢١١ ، وأدب الكاتب ٤٢١ ، وأفعال السرقسطي ٣٤٥/٢ وانظر : الصحاح ، واللسان ،

والمصباح (شمل)

— أنكر الأصمعي : (أرْعَدَ وأَبْرَقَ ، بالألف) قُلْتُ : وقد أجاز الخليل وأبو زيد ،
وأبو عبيدة والفرّاء ذلك ^(١) .

وفي هذا يرى شيخنا الدكتور مصطفى سالم ^(٢) — رحمه الله — بأن اللّغويين
مختلفون حول صيغة (أفعل) ، من بَرَقَ ورَعَدَ ، فكان الأصمعي ينكر (أبْرَقَ
وأرْعَدَ) ، وحكى أبو عبيد قال : بَرَقَ لي الرّجل ورَعَدَ ، وأَبْرَقَ وأرْعَدَ ، وأنكر
الأصمعيّ الأخرتين ، ويُعلّل شيخنا نقض الأصمعي لهذا الاستعمال لأسباب منها :

- ١- أنه ملترّمٌ بجَدِّ الفصيح في اللّغة .
- ٢- أن الفصيح عنده يعادل القدم ، وكلاهما يناقض الحديث ، والمولّد ،
والمصنوع .
- ٣- أن مذهبه في كون القدم (بَرَقَ ورَعَدَ) ينقض ما ذهب إليه بعض المحدثين
من أن (أفعل) هي الصيغة الأقدم .
- ٤- أن هذا المأخذ لم يكن مخصوصاً بشعرٍ ذي الرّمة وحده .

والملاحظ أن المُحيز من اللّغويين لـ (أرْعَدَ وأَبْرَقَ) كانت حُجَّتُهُم فيما جاء
في نَيْتِ الكميت بن زيد ^(٣) ويرى الأصمعيُّ بأن الكميت ليس بحجّة ؛ لأسبابٍ
مرّت بنا — سابقاً — والأصمعيُّ هو شيخ الرواية ، ونَسْتَشْفُ من هذا أن موقف
اللّغويين من هذا الاستعمال يدل على أفصحيّة اللّغة التي ذهب إليها الأصمعي ،
بدليل تقديمهم لها .

قُلْتُ : وبعد هذه الأمثلة والتي أتضح من خلالها أبرز ملامح مذهب
الأصمعي في الفصاحة ؛ هل يلزم أن نصفه بالمتشدد ، أو المتطرف ، كما قال عنه

(١) انظر : الغريب المصنف ٥٨٢/٢ ، وشرح الزمخشري ٧٦ ، وشرح التدميري ٤٦ ، ونحفة المجد ٢٣٩ .

(٢) انظر : نقداً الأصمعي على شعر ذي الرّمة : ١٧ وما بعدها

(٣) انظر : الموشح : ٢٢٧ وما بعدها . تحقيق محمد حسين شمس الدين .

(يوهان فك)^(١) ؟ ؛ أقول : كُلُّ ما في الأمر أن الأصمعي كان لديه غيرة شديدة على صفاء العربية ، وكان حصناً حصيناً للغة المثالية الفصحى — لغة القرآن الكريم — لذا نراه منع استعمال كلمات فصيحة ؛ لعدم إطلاعه على مصادرها من كلام العرب المشهود بفصاحتهم . فالأصمعي — كما ذكر شيخنا^(٢) — مُلتزم بحدِّ الفصح في اللغة ، وأنَّ الفصح عنده يعادل القدم ، وثمة حقيقة أذكرها ؛ وهي أن كُلَّ عالم من علماء التنقية ، لا يمكن وصفه بالمتشدد ، وإنما يُنكر اللغة التي لم يقف عليها ، أما إذا سمعها ، أو وقف عليها ، أو بلَّغته من أحد النقات فإنه يذكرها لغة فصيحة ، بل قد يذكر لغتين أو ثلاثاً على درجة واحدة في الفصاحة وليس أدلُّ على ذلك من الأصمعي نفسه ، والذي وُصف بالمتشدد ، نجده يذكُر لنا أربع لغات في (الأضحية) ، كما نقلَ عنه ذلك ابن السكيت^(٣) . وابن قتيبة^(٤) . وجاء في شرح الفصح للزمخشري أنَّ الأصمعي ذكر : بَارَى ، وَبَرَى ، وَابْتَرَى^(٥) . فهذه ثلاث لغات يُبَيِّنها الأصمعي .

ولعلَّ ما نُقلَ عنه من تشدّد في مذهبه كونه صاحب رواية وسماع ، إذ لم يكن بصاحب قياس ولا نظر ، كما علَّل ذلك ابن دُرستويه^(٦) . وبكفية شرفاً وفضلاً ثناء العلماء عليه ، وعلى صنيعه في تنقية العربية ، فقد نُقلَ عن اسحاق الموصلي قوله : " لم أرَ كالأصمعي يدعي شيئاً من العلم فيكون أحدٌ أعلم به منه " (٧)

(١) العربية : ٩٩ .

(٢) الأستاذ الدكتور مصطفى سالم — رحمه الله — في كتابه : نفحات الأصمعي على شعر ذي الرُّمة ص : ١٨ .

(٣) الإصلاح : ١٧١ .

(٤) أدب الكاتب : ٥٧٤ .

(٥) ص : ٢٤٤ ، واللسان (برى) .

(٦) تصحيح الفصح : ٧٦ .

(٧) انظر : الأعراب الرواة : ٨٣ .

وقالوا : كان الأصمعي يتحدث في ثلث اللُّغة ، وهذا ليس بمستغرب عن
عَالِمٍ فَذٍّ يحفظ ستة عشر ألف أرجوزة ^(١) . ولعلَّ المرَّادُ أنصَفَهُ حين قال : "
وكان الأصمعيُّ بَحراً في اللُّغة ، لا يُعرف مثله فيها وفي كثرة الرِّواية " ^(٢) .

(١) أنظر : الأصمعيات : ١١

(٢) نفس المرجع السابق ١١-١٢

ثانياً - الكِسَائِيُّ :

هو (أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز الكِسَائِيُّ ، (ت ١٨٩ هـ) ، تُذَكَّرُ المصادر^(١) أنه قد حَدَّثَ للكِسَائِيِّ حَدِيثٌ غَيْرٌ مجري حياته ، وجعل منه لغوياً مشهوراً ، ونحوياً صاحب مدرسة ، إلى جانب شهرته قارئاً من القراء السبعة المعروفين . وهذه الحادثة هي تَعْبِيرُهُ باللحن ، كما ذكر (يوهان فك) : إذ قال : (قد عَيِّتُ) يريد : تَعَبْتُ ، وكان حقه أن يقول : قد أَعْيَيْتُ^(٢) فَأَنِفَ من هذه الكلمة ، فَلَزِمَ معاذاً الهراء حتى أنفد ما عنده ، ثم خرج إلى البصرة ، فلقي الخليل بن أحمد ، وجلس في حلقاته ، وسأل الخليل عن مصدر علمه ، فقال له : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج الكِسَائِيُّ إلى البادية ، وأخذَ يَسْأَلُ البدو ، ويكْتُبُ ما يسمعه منهم . وتذَكَّرُ المصادرُ أنه أنفَدَ خمس عشرة قِنِينَةً من الخبر في الكِتَابَةِ عن العرب ، سوى ما حَفِظَ^(٣) .

والكِسَائِيُّ أحدُ أرباب التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ ، إلا أنه لم يتشدد في درجة الأفصح كالأصمعي ، ومن معالم التنقية لديه نذكر بعضاً مما جاء في مصنف (ما تلحن فيه العامة)^(٤) :

أولاً / قوله : ولا يقال ، ومن أمثلة ذلك :

(١) انظر : معجم الأدباء ١٦٧/١٣ - ٢٠٢ ، ووفيات الأعيان ٢٩٥/٣ ، وبغية الوعاة ١٦٢/٢ ، وأشارة

التعيين في تراجم النحاة واللغويين : ٢١٧ .

(٢) العربية : ٩٥ .

(٣) انظر : معجم الأدباء ١٦٧/١٣ - ٢٠٢ ، ووفيات الأعيان ٢٩٥/٣ .

(٤) حققه رمضان عبدالنواب .

— ذكر أنه يقال : سَخِرَتْ من فلان ، بالميم ، ونَبَّه إلى أنه لا يُقال : سَخِرَتْ بفلان ، بالباء ^(١) . وأكثر اللُّغويين على ذلك ^(٢) ، ومنهم من خالف الكسائي ، فحكى اللغتين معاً ، دون تمييز لمستواهما الصَّواب ^(٣) .

— ونَبَّه إلى أنه لا يقال : غَثَّيْتُ نفسي ، بالياء ، إذا الصواب عنده أن يقال : غَثَّيْتُ بغير ياء ^(٤) ، وقد وافق الكسائي ما ذهب إليه جمع من أئمة اللُّغة ^(٥) .
قُلْتُ : إلا أن ابن سيده ذكر في محكمه أنه يُقال : غَثَّيْتُ على وزن رَضَّيْتُ ^(٦) .

— ويرى فصاحة قوله : مَشَّيْتُ حتى أَعْيَيْتُ ، بالألف . مصرحاً بأنه لا يقال : عَيَّيْتُ ^(٧) وقد وافقه الأئمة الثقات ^(٨) .

— وجاء في اللسان (صحا) ، وحكى الكسائي : وَأَصْحَتِ السَّمَاءُ فَهِيَ صَحْوٌ .
ونَبَّه إلى أنه لا يقال : مُصْحِيَةٌ .

ثانياً / قوله : لا غير ، ومن أمثله :

— حكى أبو عبيد عن الكسائي وأبي زيد أنهما قالا : دَمَعَتْ عَيْنُهُ بِالْفَتْحِ لا غير ^(٩) .

(١) ص : ١٠٨ .

(٢) انظر : الإصلاح ٢٨١ ، أدب الكاتب ٤١٩ ، تقويم اللسان ١٢٣ ، تصحيح التصحيف ٣٠٨ .

(٣) انظر : العين ١٩٦/٤ ، وأفعال السرقسطي ٥٤٦/٣ ، وأفعال ابن القطاع ١٤٦/٢ والصحاح ، والمحكم

٤٧/٥ ، والقاموس (سَخِر) .

(٤) ص : ١٢١ .

(٥) انظر : الإصلاح ١٨٩ ، أدب الكاتب ٣٩٨ ، تصحيح ابن دستوريه ١٣٩ ، تقويم اللسان ١٤٣ .

(٦) انظر المحكم ١٠/٦ : (غنى)

(٧) ص : ١٢٨ .

(٨) انظر : الإصلاح ٢٤١ ، وأدب الكاتب ٣٧١ ، وتقويم اللسان ٦٢ ، وتصحيح التصحيف ٣٨٨ .

(٩) انظر الغريب المصنف ٥٣/١

— ونقل أبو عبيد عن الكسائي — أيضاً — قوله : سَفَفْتُ الدَّوَاءَ بِالْكَسْرِ لَا غَيْرَ ^(١) .

ثالثاً / قوله : لغة رديئة ، ومن أمثلته :

— ما نقله عنه أبو عبيد بأن الصواب أن يقال : وَقَفْتُ الدَّابَّةَ وَالْأَرْضَ ، وَكَلُّ شَيْءٍ ، وَيَصْرُحُ بِأَنْ أَوْقَفْتُ ، بِالْأَلْفِ ، لُغَةً رَدِيئَةً ^(٢) .

رابعاً / قوله : خطأ ، ومن أمثلة ذلك :

— يذكر أن الفصحح أن يقال : قد رأيت فلاناً موضع زيد ، بغير واو ، وينكر على من قال : أوريت ، ويصرح بخطئه ^(٣) .

خامساً / قولهم : لم يعرفها الكسائي ، ومن أمثلته :

— وحكى ابن السكيت : ويُقال : عِشْوَةٌ ، وَعِشْوَةٌ ، بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ ، وَنَبَّهَ إِلَى أَنَّ الْكَسَائِيَّ لَمْ يَعْرِفِ الْفَتْحَ ^(٤) .

وبعد هذه الأمثلة — المتقدمة — قلت : إن صحت نسبة مُصَنَّفِ (ما تلحن فيه العامة) للكسائي ، فإنه يعد من أصحاب التنقية المتشددين ؛ إلا أن ثَمَّةَ غموض نلحظه حيال آراء الكسائي اللغوية ، والمذكورة في هذا المصنف المنسوب إليه ، ولعلَّ من أبرزها :

١- يُخَطِّئُ مُصَنَّفِ (ما تلحن فيه العامة) نَقِمَ ، بِكَسْرِ الْقَافِ ، بَيْنَمَا يَنْقَلُ أَحَدُ الثَّقَاتِ عَنِ الْكَسَائِيَّ أَنَّ الْكَسْرَ لُغَةٌ مَشْهُورَةٌ ^(٥) .

(١) نفس المرجع ٥٧٥/١

(٢) نفس المرجع ٥٧٩/١ .

(٣) ما تلحن فيه العامة ١٠٣

(٤) الإصلاح ١٧٤ .

(٥) انظر : الإصلاح ٢٠٧ .

٢- ما نقله صاحب المزهري عن أبي عبيد من أن الكِسَائِيَّ قال : نَمَى الشَّيْءُ يَنْمِي ،
بالياء لا غير . وصرَّحَ بأنه لم يسمع (يَنْمُو) إلا من أخوين من بني سليم ثم
سأل عنه بني سليم ، فلم يعرفوه بالواو^(١) . بينما جاء في رواية المصنّف في
(ما تلحن فيه العامة) : وَيُقَالُ : للمال ، والنبات (يَنْمُو)^(٢) .

١- نَعَلِمُ أَنَّ الجوهري هو أول من التزم الصحيح ، واقتصر عليه ؛ ولهذا سمى
كتابه (الصَّحَّاح) ، والذي يقولُ فيه (الزُّيْدِي) : " أولُ هذه المصنّفات
وأعلاها عند ذوي البراعة ، كتاب الصحاح للإمام الحجة أبي نصر
الجوهري . . . " ^(٣) . ويثبتُ الجوهري في معجمه أن الكِسَائِيَّ ارتضى (نَمَى)
بكسر القاف ، و(ودَدْتُ) بفتح الدال^(٤) . وهذا على النقيض مما جاء في
(ما تلحن فيه العامة) ، والمنسوب إليه^(٥) .

٤- أنه فسّرَ الرُّبَاعِي (أَقْبَسَ) بـ (أعطى النَّارَ) و (عَلِمَ) على الحقيقة والمجاز ،
أي بالمعنيين جميعاً^(٦) وهذا لا يتفق مع ما جاء في الكتاب^(٧)

١- لو ثبتَ هذا التشدّد اللُّغوي ، كما جاء في المصنّف لكان حريّاً بمؤلفه أن
يُنكرُ لغات العامّة ؛ إلا أن اللُّغويين قد أثبتوا روايات الكِسَائِيَّ لهذه اللغات .
فقد جاء في (فصيح ثعلب) قوله :

(١) المزهري ١/١٥٠ .

(٢) ص ١٢٨ .

(٣) أنظر مقدمة تاج العروس ص ٤٩ ، دراسة وتحقيق : علي شيري .

(٤) الصحاح (نَمَى ، ودَد) .

(٥) ص ١٠٦ .

(٦) الصحاح (قبس) .

(٧) ص ١٣٦ .

— " وَأَجَنَ الْمَاءُ يَأْجِنُ " ^(١) وذكر الزمخشري أن العامَّة تقول : أَجِنَ يَأْجِنُ .

وَصَرَّحَ بِأَنَّهَا لُغَةٌ حَكَاهَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، وَالْكَسَائِيُّ ^(٢) .

— أَيْضاً جَاءَ فِي الْفَصِيحِ : (وَهُوَ الْفَقْرُ) ^(٣) . وَنَبَّهَ الزَّمَخْشَرِيُّ إِلَى أَنَّ الْعَامَّةَ

تَقُولُ : الْفَقْرُ ، بِالضَّمِّ ، مَصْرُحاً بِأَنَّهَا لُغَةٌ حَكََاهَا الْكَسَائِيُّ ^(٤) .

— وَفِي قَوْلِهِمْ : (كَسَرَى) بِكَسْرِ الْكَافِ . يَنْبَهُهُ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُ :

كَسَرَى ، بِالْفَتْحِ ، وَيَصْرَحُ بِأَنَّهَا لُغَةٌ ، ذَكَرَهَا الْكَسَائِيُّ ، وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ^(٥) .

— وَجَاءَ فِي الْفَصِيحِ : (وَلَيْسَ عَلَيْهِ طِلَاوَةٌ) بِضَمِّ الطَّاءِ ، وَيَنْبَهُهُ الزَّمَخْشَرِيُّ إِلَى

أَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُ : طِلَاوَةٌ ، بِكَسْرِ الطَّاءِ . مَصْرُحاً بِأَنَّهَا لُغَةٌ حَكََاهَا الْفَرَّاءُ عَنِ

الْكَسَائِيِّ ^(٦) .

٦- يَذْكُرُ الْكَسَائِيُّ — أحياناً — لُغَتَيْنِ مَعاً ، مَقْدِّمًا الْفَصِيحَةَ الْعَالِيَةَ ، وَمِنْ

أَمْثَلِهِ ذَلِكَ : جَاءَ فِي (فَصِيحِ ثَعْلَبِ) : ، قَوْلُهُ :

— " فَرَكَتِ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا تَفْرَكُهُ . . . " ، وَيَذْكُرُ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنَّ الْكَسَائِيَّ

حَكَى : فَرَكَتِ ، بِفَتْحِ الرَّاءِ ، تَفْرَكُهُ... ^(٧) .

(١) الفصيح ٢٦٢ .

(٢) شرح الزمخشري ٣٤ .

(٣) الفصيح ٢٩١ .

(٤) شرح الزمخشري : ٢٨٤ .

(٥) الفصيح : ٢٩٣ ، وشرح الزمخشري : ٤٣٤ .

(٦) الفصيح : ٣٠٠ ، وشرح الزمخشري : ٥١٢ .

(٧) الفصيح : ٢٦٤ وشرح الزمخشري : ٦٢ .

— وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : (أَسَنَّ الْمَاءُ يَأْسِنُ) يَصْرَحُ
الزَّمَخْشَرِيُّ بِأَنَّ الْكِسَائِيَّ حَكَى : أَسَنَّ الْمَاءُ وَأَسِنَ ^(١) .

— وحكى صاحب الفصيح لغتين في : (جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، وَأَجَنَّهُ اللَّيْلُ) .
وينبئ الزَّمَخْشَرِيُّ إِلَى وجود لغة ثالثة : جَنَّهُ اللَّيْلُ ، رواها الْكِسَائِيُّ ، وأبو زيد ،
والفَرَّاءُ ^(٢) .

— وجاء في الفصيح أيضاً : (وَجَرَعْتُ الْمَاءَ أَجْرَعُهُ) ^(٣) وذكر الزَّمَخْشَرِيُّ أَنَّ
أبا عبيد وابن قتيبة قد حكيا عن الْكِسَائِيِّ أَنَّهُ يَقَالُ : جَرَعَ الْمَاءَ ، وَجَرَعَ
الْمَاءَ ، بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحَ ^(٤) .

٧- يَذْكُرُ الْكِسَائِيُّ ثَلَاثَ لُغَاتٍ مَعًا ، وَهُنَّ عَلَى دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفِصَاحَةِ
، جَاءَ فِي الْغَرِيبِ الْمَصْنُفِ لِأَبِي عَبِيدٍ نَقْلًا عَنِ الْكِسَائِيِّ أَنَّهُ يَقَالُ : الْمِشْطُ
وَالْمِشْطُ وَالْمِشْطُ ^(٥) أَيْضًا نَقَلَ عَنْهُ أَبُو عَبِيدٍ أَنَّهُ يَقَالُ : وَهُوَ الْمِيزَابُ
وَالْمِيزَابُ ، وَالْمِرْزَابُ ^(٦) .

٨- يَذْكُرُ أَرْبَعَ لُغَاتٍ ، وَذَلِكَ فِيمَا نَقَلَ عَنْهُ أَبُو عَبِيدٍ فِي الْغَرِيبِ الْمَصْنُفِ —
أَيْضًا — كَقَوْلِهِ : " هُوَ الصَّدَاقُ وَالصَّدَاقُ وَالصَّدَاقَةُ ، وَالصَّدَاقَةُ " ^(٧) .
وقوله : " وَهُوَ فِي شُعْلٍ وَشُعْلٍ وَشُعْلٍ وَشُعْلٍ " ^(٨) .

(٨) شرح الزَّمَخْشَرِيُّ : ١٥٢ .

(١) الفصيح : ٢٧٨ ، وشرح الزَّمَخْشَرِيُّ : ٢٣٦ .

(٢) الفصيح : ٢٦٤ .

(٣) الْغَرِيبِ الْمَصْنُفِ ٢/٦٠٨ ، وَأَدَبُ الْكَاتِبِ ٣٠٧ ، ٣٢٥ .

(٤) الْغَرِيبِ الْمَصْنُفِ ٢/٦٦٤ .

(٥) نَفْسِ الْمَرْجِعِ ٢/٦٦٥ .

(٦) نَفْسِ الْمَرْجِعِ وَالصَّفْحَةَ .

(٧) نَفْسِ الْمَرْجِعِ وَالصَّفْحَةَ .

قلت : ولنا أن نتساءل . . . أبعد تلك الملامح التي أبرزناها في مذهب
التنقية اللغوية للكسائي : هل يعكس المصنّف والموسوم بـ (ما تلحن فيه العامة)
— المنسوب للكسائي ، أو لنقل : هل يعكس هذا الكتاب — مذهب الكسائي
المتشدد في التنقية ؟ ولعلنا متفقون ، ومن خلال تلك الملامح السالفة أن
الكسائي سلك مسلكاً متوسطاً بعيداً عن الإفراط والتفريط ، وذلك من خلال
إثباته للغة العامة ، بالإضافة إلى توسعه في ذكر لغتين أو ثلاث أو أربع ، وهذا
بخلاف المنهج الذي ارتضاه مؤلف كتاب (ما تلحن فيه العامة) والذي سلك
فيه مذهب المتشدد . وهذا التناقض يُقوّي نسبة الشك أكثر في كون هذا
المصنّف للكسائي ، والذي نقل عنه قوله : " على ما سمعت من كلام العرب
ليس أحداً يلحن إلا القليل " (١)

وخلاصة القول : إننا مازلنا نتوق إلى ما ينفي هذا الشك الغالب بيقين
قاطع ، لا ترجيح بعده في نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه .

(١) انظر : لحن العامة ، عبد العزيز مطر ، ٤٧ .

ثالثاً — — ابنُ السَّكِّيتِ (١) :

هو (أبو يوسف يعقوب بن اسحق ، والمعروف بابن السَّكِّيتِ ولد سنة ١٨٦ هـ وتوفي سنة ٢٤٤هـ) ، تعلَّم النحو من البصريين والكوفيين ، أخذ عن أبي عمرو الشيباني ، والقراء ، وابن الأعرابي ، والأثرم ، وروى عن الأصمعي ، وأبي عبيدة ، وكان هدفةً من هذا الكتاب أن يُعالج داءً كان قد استشرى في لغة العرب ؛ — داء اللحن والخطأ في الكلام — ؛ فألفه — ابن السكيت — بهدف تنقية العربية مما يشوبها .

والذي يهمنا في هذا المقام هو مذهبه في التنقية ، إذ أنه من أصحاب التنقية الذين لا يروون إلا الفصح ، ولا يتعاملون إلا به ، ولعل خير ما يمثل مذهبه هذا كتابه : (إصلاح المنطق) ، وقد رأيت تقسيم اتجاهات مذهبه في التنقية ، إلى أقسام ثلاثة :

القسم الأول : اختار فيه لغة واحدة ووقف عندها مصرحاً بفصاحتها ، ومن أمثلة ذلك :

— يذكر أن : مَسِسْتُ الشَّيْءَ أَمْسُهُ مَسًّا ، هي اللغة الفصيحة (٢) .

— ومثلها قوله : نَصَحْتُ لَكَ وَشَكَرْتُ لَكَ ، وينبئ إلى أن هذه اللغة الفصيحة (٣) .

— وصرَّح بأن قولك : صار كذا وكذا ضربةً لازِبٍ ، بالباء هي اللغة الفصيحة أيضاً (٤) .

(١) ترجمته في : معجم الأدباء ٥٠/١٩ - ٥٢ ، ووفيات الأعيان ٣٩٥/٦ - ٤٠١ ، وبغية الرعاة ٣٤٩/٢ .

(٢) الإصلاح : ٢١١ .

(٣) ص : ٢٨١ .

(٤) ص : ٢٨٨ .

القسم الثاني : عمد فيه إلى الاختيار ، فوقف فيه عند اللُّغة العالية الفصيحة دون التصريح بفصاحتها ، ومن أمثلة ذلك :

— اقتصر على لغة الفصاحة والعلو في قوله : دَمَعَتْ عَيْنُهُ ، وقد عَطَسَ يَعْطِسُ^(١) .
قُلْتُ : وإن كان ابن السكيت بوصفه عالماً من علماء التَّنقية قد اقتصر على الأَفصح ، فمن اللُّغويين من ذكر فيها لُغة أخرى ، فدَمَعَتْ بالكسر لغة حكاها أبو عبيدة^(٢) ، ووافقه صاحب التحفة ، مُقَدِّماً عليها لُغة الفتح . وقال أيضاً :
وعَطَسَ بالكسر لُغة^(٣) .

— كما اقتصر على اللغة المقدمة في قوله : وقد سَعَلْتُ ، بالفتح لا غير ، وقد سَبَحْتُ ، وقد نُكَلْتُ عنه ، وحرَّصْتُ عليه أحرَّصُ ، وعَجَزْتُ أعجزُ^(٤) . قُلْتُ : وسَبَحْتُ لُغة ، حكاها المطرُّز عن ثعلب^(٥) . ونكَلُ بالكسر لُغة تميمية^(٦) ، وحرَّصُ بالكسر لُغة ذكرها غير واحد^(٧) ، وقال ابنُ جنِّي : " فيه لغتان : حرَّصَ يحرِّصُ ، وهي أعلاها ، وحرَّصَ يحرِّصُ "^(٨) . وعَجَزُ بالكسر لُغة ، حكاها المطرُّز عن ثعلب ، ونسبها أحد اللُّغويين لبعض قيس عيلان^(٩) .

— وأفرد اللغة الأولى في قوله : وحرَّعْتُ الماءَ ، وقَضِمَتِ الدَّابةُ شعرها تَقْضُمُهُ^(١٠)

(١) ص : ١٨٨ .

(٢) الصحاح (دمع)

(٣) انظر ٤٤ ، ٩٥

(٤) الاصلاح : ١٨٨

(٥) انظر : تحفة المجد ١٠٨

(٦) انظر : تحفة المجد ١٠٤

(٧) انظر : الجمهرة ١٣٤/٢ ، وأفعال ابن القطاع ٢٣٣/١

(٨) انظر المحتسب ٩/٢ تحقيق علي النحدي ناصف وآخرين ، والمحكم ١٠٤/٣ (حرص)

(٩) انظر : أفعال السرقسطي ٢٢٠/١ ، وتحفة المجد ٧١

(١٠) ص : ٢٠٨

قُلْتُ : وحكى أبو عبيد عن الكسائي وابن قتيبة أنه يُقَالُ : جَرَعَ الماء ، وجَرَعَ ،
بالكسر والفتح^(١) قال صاحب التحفة : " يُقَالُ : قَضَمْتُ وَقَضِمْتُ ، بالفتح
والكسر فيهما "^(٢) .

القسم الثالث : عمد فيه إلى التصويب ، ومن أمثلة ذلك :

ما جاء في باب : (ما يُهْمَزُ مما تركت العامة همزه) ، فيذكر :

— أن الصواب أن يقال : هُمُ أُرْزُدُ شَنْوَعَةً ، وأنكر قولهم : شَنْوَعَةٌ^(٣) .

— وصوب قولهم : هي كِلَابُ الحَوَّابِ ، وأنكر الجُورِبِ^(٤) .

— كما يرى أن الصواب أن يقال : قد أَبْطَأَتْ عَلَيْنَا ، بالهمز ، وثبّه إلى أنه لا
يقال : أَبْطِيت . كما صواب قولهم : قد تَنَاءَيْتُ ، وصرّح بأنه لا يُقال : تَنَاءَوَيْتُ^(٥) .

وقوله في باب (ما جاء من الأسماء بالفتح) ، مثل :

— حكى أنه يقال : مَا لَهُ دَارٌ وَلَا عَقَارٌ ، وأنكر قولهم : عِقَارٌ^(٦) ، بالكسر .

— وثبّه إلى أنه يقال : الجُورِبُ والمُعْتَسِلُ ، وأنكر على من قال : الجُورِبُ
والمُعْتَسِلُ^(٧) .

(١) الغريب للمصنف ١/٢١٢ .

(٢) ص : ١٤١ .

(٣) الإصحاح ١٤٦ .

(٤) نفس الصفحة .

(٥) ص ١٤٨ .

(٦) الإصحاح : ١٦١ .

(٧) نفسه ١٦٢ .

— وصرَّح بفصاحة : الرَّصَّاصُ و أَلْيَةُ الشَّاةِ ، ونَبَّه أَنَّهُ لَا يُقَالُ : الرَّصَّاصُ وَكَذَلِكَ
لِيَّةٌ وَلَا إِلِيَّةٌ فَإِنَّمَا خَطَأً (١) .

— وَحَكَى أَنَّهُ يُقَالُ : هِيَ الْيَمِينُ وَالْيَسَارُ ، وَأَنْكَرَ عَلَيَّ مِنْ قَالَ : الْيَسَارَ (٢)
بِكَسْرِ الْيَاءِ .

فَالْمَصْنُفُ فِي هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ السَّابِقَةِ يَصْرِّحُ بِصَوَابِ لُغَةِ الْفَتْحِ ، وَيُنْكَرُ لُغَةَ
الْكَسْرِ .

وَقَالَ فِي بَابِ (مَا هُوَ مَكْسُورٌ أَوَّلُهُ مِمَّا تَفْتَحُهُ الْعَامَّةُ أَوْ تَضْمُهُ) :
— " تَقُولُ : هِيَ الصَّنَارَةُ ، وَلَا تَقُلُ : صِنَارَةٌ " (٣) .

وَقَالَ فِي بَابِ (مَا يُشَدَّدُ) :
— " وَهِيَ الْإِجَانَةُ . وَلَا تَقُلُ إِجَانَةٌ " (٤) .

وَقَالَ فِي بَابِ (مَا يُخَفَّفُ) :
— " وَتَقُولُ : هَذَا دَمٌ . وَلَا تَقُلُ : دَمٌ ، وَتَقُولُ هُوَ النَّسِيَانُ . وَلَا تَقُلُ النَّسِيَانُ " (٥)

وَقَالَ فِي بَابِ (مَا يُتَكَلَّمُ فِيهِ بِالصَّادِ مِمَّا يُتَكَلَّمُ بِهِ الْعَامَّةُ بِالسَّيْنِ) :
— " وَتَقُولُ : قَدْ بَصَقَ الرَّجُلُ ، وَقَدْ بَزَقَ . وَلَا تَقُلُ بَسَقَ ، إِنَّمَا الْبِسُوقُ فِي
الطَّوْلِ " (٦)

وَقَالَ فِي بَابِ (مَا يُعْلَطُ فِيهِ يُتَكَلَّمُ فِيهِ بِالْيَاءِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالْوَاوِ) :

(١) الإصحاح : ١٦٣

(٢) نفس الصفحة .

(٣) نفسه : ١٧٣

(٤) نفسه : ١٧٦

(٥) نفسه : ١٨٣

(٦) نفسه : ١٨٤

— " وَتَقُولُ : قَدْ غَدَوْتُهُ غِذَاءً حَسَنًا . وَلَا تُقَالُ : غَذَيْتَهُ " (١) .

— " وَيُقَالُ : قَدْ عَتَوْتَ يَا فُلَانُ . وَلَا يُقَالُ قَدْ عَتَيْتَ " (٢) .

وقال في باب (يتكلم فيه بَفَعَلْتُ مما تغلط فيه العامة فيتكلمون بأفعلت)

— " وَتَقُولُ : نَعَشَهُ اللَّهُ يَنْعَشُهُ . وَلَا يُقَالُ : أَنْعَشَهُ اللَّهُ " (٣) . قُلْتُ : (و) أَنْعَشَهُ
لُعَّةٌ تَمِيمَةٌ (٤) .

— " وَيُقَالُ : قَدْ نَبَذْتُ نَيْدًا . وَلَا يُقَالُ : أَنْبَذْتُ نَيْدًا " (٥) . قُلْتُ : نَقَلَّ

الفرءُ عن الرؤاسي : أَنْبَذْتُ النَّيْدَ ، بِالْأَلْفِ (٦) .

(١) الإصحاح : ١٨٦ .

(٢) نفسه : ١٨٧ .

(٣) نفسه : ٢٢٥ .

(٤) انظر الجمهرة ٢٣٨/٣ ، والصحاح (نعش) .

(٥) الإصحاح ٢٢٥ ، وانظر : ٢٢٧ .

(٦) انظر تحفة المجد ٢٦٣ .

رابعاً - ابنُ قُتَيْبَةَ :

هو (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ت ٢٧٦ هـ) ، ولد بالكوفة ،
لقبَ بالدِّينوري لأنه كان قاضياً للدينور مدة . أخذ العلم عن اسحق بن
راهويه ، وأبي حاتم السجستاني ، وروى عنه ابن دُرُستويه وغيره^(١) .

وللتعرف على ملامح مذهبه في تنقية اللُّغة ، فُختار بعضاً مما جاء في كتابه :
(أدب الكاتب) والذي يُعدُّ في نظر (يوهان فك) أحد الكُتُبِ الأساسية الأولى
لمبدأ التَّنقية اللُّغوية ، ولا يزال يُدرس في العالَم العربي حتى اليوم بعناية واجتهاد ؛
لغزارة علمه .^(٢)

ويُعدُّ ابن قتيبة من المتشددين في تنقية اللُّغة ؛ فهو من الذين لا يتعاملون
إلا بالأفصح ، والوقوف عند حد المسموع عن العرب . ويرى (يوهان فك) :
أنَّ ابنَ قُتَيْبَةَ قد احتضن مذهب الأصمعي المتطرف في تنقية اللُّغة ، دون أن يعنى
بمذاهب الثقات الآخرين من علماء اللُّغة^(٣) . وهذا ابن السيِّد البطليوسي لا يُقرُّ
ابن قُتَيْبَةَ في تشدده ، وإنكاره قولهم : (ماءٌ مالِحٌ) ، فيعد عرضه لهذه المسألة
وبعض أقوال اللُّغويين فيها ينتهي إلى القول : " وإنما يجب أن يُقالَ إنما لُغَةٌ قليلة "^(٤)
وحتى نكون منصفين لهذا العالَم ؛ فإننا نَحْكُمُ على تشدده في مذهبه من عدمه ،
من خلال هذه الأمثلة المختارة من كتابه (أدب الكاتب) . وقد رأيتُ تصنيفاً
هذه الأمثلة إلى أقسام أربعة ، بيّناها في الآتي :

(١) ترجمته في : أنباه الرواة ٢ / ١٤٣ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٤٢ - ٤٤ ، وبغية الوعاة ٦٣/٢ وإشارة

التعين في تراجم النحاة واللُّغويين ١٧٢ .

(٢) العربية : ١٤٠ .

(٣) نفس المرجع : ٩٩ .

(٤) الاقتضاب : ٢٢٣/٢ .

— القسم الأول : وفيه يورد اللغتين معاً ، مساوياً بينهما فصاحة ، ومن أمثلة ذلك قوله :

— نَهَجَ الثوبُ ، وَأَنهَجَ ^(١) .

— نَسَلَ الوَبْرُ ، وَأَنَسَلَ ^(٢) .

— زَهَا البُسْرُ ، وَأَزَهَا ^(٣) .

— قَلَّتْهُ البيعةُ ، وَأَقَلَّتْهُ ^(٤) .

— سَمَلَ الثوبُ وَأَسَمَلَ ^(٥) .

— خَسَرْتُ الميزانَ ، وَأَخَسَرْتُهُ ^(٦) .

— نَعَشْتُ اللهَ ، وَأَنعَشْتُهُ ^(٧) . قلت : والأخيرة أنكرها ابن السكيت ، كما مرَّ بنا ^(٨) .

— غَبَشَ اللَّيْلُ ، وَأَغْبَشَ ^(٩) .

— جَدَبَ الوادي ، وَأَجَدَبَ ^(١٠) .

(١) أدب الكاتب ٤٣٤ ، وانظر شرح الرمحشري ٣٤٣ ، الصحاح ، اللسان (نَج) .

(٢) نفس المرجع والصفحة ، وانظر الإصلاح ٢٣٦ ، وشرح الرمحشري ٣٣٦ .

(٣) أدب الكاتب ٤٣٥ ، وانظر : الصحاح ، واللسان (زها) .

(٤) نفس المرجع والصفحة ، وانظر : اللسان (قلل) .

(٥) ص ٤٣٧ ، وانظر : الإصلاح ٢٧١ ، والمحكم واللسان (سمل) .

(٦) ص ٤٣٩ .

(٧) ص ٤٤٠ ، وانظر المحكم ، واللسان (نعش) .

(٨) انظر الإصلاح ٢٢٥ ، وانظر ص ٧٤ من هذا البحث .

(٩) ص ٤٤١ .

(١٠) أدب الكاتب ٤٤٣ ، وانظر الصحاح ، والمحكم ، واللسان (جدب) .

— **القسم الثاني** : وفيه يذكر لغتين معاً ، والأولى أقل فصاحة من الثانية ،
ويتبعها بالثانية ، ناعتاً إياها بالجودة ، ويتضح ذلك في قوله :

— " يقولون : نَقَمْتُ عليه ، وَنَقَمْتُ أجود " (١) .

— " ويقولون : ذَهَمَهُمُ الأمرُ ، وَذَهَمَهُمُ أجود " (٢) .

— " ويقولون : شَمَلَهُمُ الأمرُ ، وَشَمَلَهُمُ أجود " (٣) .

— " ويقولون : غَوَيْتُ ، وَغَوَيْتُ أغْوِي أجود " (٤) .

— " ويقولون : جَرَعْتُ الماءَ ، وَجَرَعْتُ أجود " (٥) .

— **القسم الثالث** : يَعْمَدُ فيه المؤلف إلى ذكر الفصيح أولاً ، ثم يذكر الخطأ
مَسْبُوقاً بعبارة (لا تَقُلْ ، أو لا يُقَالُ) ، ومن أمثلة ذلك قوله :

— " أَكَلْتُ فلاناً : إذا أَكَلتَ معه ، ولا تَقُلْ وَأَكَلْتَهُ " (٦) .

— " أَزَيْتُهُ : إذا حاذيته ، ولا تَقُلْ وَأَزَيْتُهُ " (٧) .

(١) ص ٤٢١ ، وانظر ما تلحن فيه العامة ١٠٠ ، والاصلاح ١٨٨ ، وأفعال ابن القطاع ٢٦١/٣ .
ومخالف الزمخشري في شرحه ص ٥ مولاة الإنمة ، وقال : الكسر أفصح .

(٢) نفس الصفحة ، وانظر الاصلاح ٢١١ ، وأفعال السرقسطي ٣٢٨/٣ ، وتحفة المجد الصريح ١٨٩ .

(٣) نفس الصفحة ، وانظر ٤٢٣ .

(٤) ص ٤٢١ ، وانظر : الإصلاح ١٨٩ وأفعال السرقسطي ٤٣/٢ والجمهرة ١٥٣/٣ والصحاح (غوى)

(٥) ص ٤٢٢ ، وانظر الغريب المصنف ٢١٢/١ والإصلاح ٢٠٨ ، وتقويم اللسان ٩١ ،

والصحاح ، والمحكم ٤٥/٦ ، واللسان (غوى) .

(٦) أدب الكاتب ٣٦٩ ، وانظر الإصلاح ٣٧٣ ، وتقييف اللسان ٧٤-٧٥ ، وتقويم اللسان ٦٢ وتصحيح

التصحيح ٥٣٧ .

(٧) نفس الصفحة ، وانظر الاصلاح ٣٧٣ ، وتقييف اللسان ٧٥ ، وتقويم اللسان ٦٢ ، وتصحيح

التصحيح ٥٣٨ .

— "أَعْقَدْتُ الرُّبَّ والعَسَلَ ، ولا يُقال : عَقَدْتُ" (١) . قُلْتُ : حكى ابن درستويه أن العامَّة تقول : "عَقَدْتُ العَسَلَ ، وليس ذلك بِخَطَأٍ" (٢) .

— "وقد أُعْفِيْتُ : إذا نَمْتُ ، ولا يُقال : غَفَوْتُ" (٣) قُلْتُ : حكى الزمخشريُّ في شرحه : أن العامَّة تقول : غَفَوْتُ غَفْوَةً ، وهي لُغَةٌ (٤) .

— ويقال : هذا ماءٌ مَلْحٌ ، ولا يُقال : مَالِحٌ (٥) .

قلت : وقد اعترض بن السيد البطليوسي على تشدد ابن قتيبة في قوله هذا ، وخلص إلى أن قول العامَّة لا يعد خطأً وإنما يجب أن يقال : إنها لغة قليلة (٦) .

— وتقول : وَثَّتْ يَدُهُ ولا يُقال : وَثَّتْ (٧) . قلت : ومن اللغويين من حكى (وَثَّتْ) بفتح الواو (٨) .

— ونقل ابن قتيبة عن الأصمعي من أنه يقال : (وهو النَّسَا) للعرق ولا يقال : عَرَّقَ النَّسَا (٩) .

قلت : وهذه هي إحدى المآخذ التي أخذها بعض اللغويين على أبي العباس ثعلب (١٠) .

(١) ص ٣٧٠ ، وانظر : ما تلحن فيه العامَّة ، والإصلاح ٢٢٧ ، وأفعال السرقسطي ٢١٩/١ ، والجمهرة

٦٦١/٢ ، والصحاح (عقد)

(٢) تصحيحه للفصح ١٣٩ .

(٣) ص ٣٧١ ، وانظر : الإصلاح ٢٢٩ ، وأفعلت للزجاج ١٤١ ، وأفعال السرقسطي ٢٤/٢ ، والجمهرة

٥٥٩-٢ (غفو) ، والصحاح (عفا) .

(٤) ص ٢٣٠

(٥) ص ٤٠٤

(٦) انظر الاقتضاب ٢٢٣/٢

(٧) أدب الكاتب ٤٠١

(٨) انظر تحفة الجيد ٣٠

(٩) أدب الكاتب ٤٠٩

(١٠) انظر المزهر ٤٠٢/١

— **القِسْمُ الرَّابِعُ** : يبدأ فيه بذكر الخطأ أولاً ، ثم يتبعه بالصواب ومن أمثلته قوله :

— " ويقولون : نَعَقَ العُرَابُ ، وذلك خطأ ، إنما يقال نَعَقَ^(١) ، بغين معجمة " .

— " ويقولون : " رَكَضَ الدَّابَّةُ والفرسُ ، وهو خطأ ، إنما الرَّاكِضُ الرَّجُلُ : إنما يُقالُ : رَكَضْتُ الفرسَ فَعَدَا " ^(٢) . قلت : وهذا الذي أنكره من أنه لا يقال : (رَكَضَ الدَّابَّةُ) حكاه غير واحد من أئمة اللغة ^(٣) .

— " ويقولون : " شَقَّ المَيْتُ بَصْرَهُ ، وهو خطأ ، إنما يُقالُ : قد شَقَّ بَصْرُ المَيْتِ " ^(٤)

— وتقول العامة : أنت سَفَلَةٌ ، وذاك خطأ ؛ لأن السَّفَلَةَ جماعةٌ والصواب أن تقول : أنت من السَّفَلَةِ ^(٥) .

(١) أدب الكاتب ٣٨٦ ، وانظر تثقيف اللسان ٧٠ ، وتقوم اللسان ١٧٨ ، وتصحيح التصحيف ٥١٩

(٢) ص ٤١٥ ، وانظر : الكتاب ٥٨/٤ ، وشرح الزمخشري ، وشرح التدمري ٩٠ ، ونقطة الحمد الصريح ٣٤٥

(٣) انظر : الكتاب ٥٨/٤ ، وأفعال السرقسطي ٢٧/٣ ، والتهذيب ٣٩/١٠ (ركض)

(٤) نفس الصفحة ، وانظر : الإصلاح ٢٨٦ ، والصحاح (شقق) .

(٥) أدب الكاتب ٤١٦ - ٤١٧

خامساً - أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب :

يُعدُّ ثعلبٌ من أربابِ التنقية المتشددين في اختيارِ الفصيح ، وقد عكسَ كتابه (الفصيح) مذهبه في تنقية اللُّغة مما يشوبها من اللحن والخطأ ، وجعل من فصيحِه مثلاً يُحتذى ، واتجاهاً يُتبع من قِبَل مؤيديه الذين يؤثرون الفصيح ، ويقدمونه على غيره من اللُّغات . ولسنا في هذا المقام ، بصدد الخوض في الحديث عن الفصيح ومولفه ، ومكانته اللُّغوية ^(١) . وإنما نهدف هاهنا إلى الوقوف على منهج ثعلب ومذهبه ، كأحد أعلام التَّنقية اللُّغوية ، وذلك من خلال مُصنِّفه (الفصيح) ، ولعل خير من يكشف لنا عن هذا المذهب هو ثعلب نفسه من خلال مقدمته والتي بدأها بقوله :

" هذا كتاب اختيار فصيح الكلام ، مما يجري في كلام الناس وكُتِبهم ، منه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها ، فأخبرنا بصواب ذلك ، ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفصحهن ، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن إحداهما بأكثر من الأخرى ، فأخبرنا بهما " ^(٢) .
ولبيان ذلك أقدم هذه النماذج المختارة من الفصيح ، على النحو التالي :

— باب (فَعَلْتُ ، بفتح العين) :

" نَمَى المَالُ وَغَيْرُهُ يَنْمِي " ^(٣) اقتصر ثعلبٌ على (نَمَى - يَنْمِي) وهي اختيار نقلة اللُّغة، كالفراء والكسائي ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد ^(٤) .

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك بشيء من التفصيل في مبحث (الفصاحة والفصيح) .

(٢) الفصيح : ٢٦٠ .

(٣) الفصيح : ٢٦٠ .

(٤) انظر : شرح الزمخشري : ١١ .

ومن اللُّغويين مَنْ ذَكَرَ لُغَتَيْنِ فِي الْمَاضِي : (نَمَى ، وَنَمَا)^(١) . ومنهم من ذَكَرَ لُغَتَيْنِ فِي الْمَضَارِعِ : (يَنْمِي — كَمَا حَكَاهَا ثَعْلَبٌ — وَيَنْمُو)^(٢) .

" ذَوَى الْعُودِ يَذْوِي " ^(٣) . وَاللُّغَوِيُّونَ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ عَلَى قِسْمَيْنِ : فَرِيقٌ يَذَكُرُ لُغَتَيْنِ : (ذَوَى ، يَذْوِي — وَذَأَى ، يَذْأَى) إِلَّا أَنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّ الْأَفْصَحَ هُوَ اخْتِيَارُ ثَعْلَبٍ ، فَذَوَى يَذْوِي هُوَ الْكَثِيرُ عَنْ يُونُسَ ^(٤) ، وَأَجُودُ اللَّغَاتِ : (ذَوَى) ، بَفَتْحِ الْعَيْنِ عِنْدَ الْقَالِي ^(٥) . وَالْفَصْحَى : (ذَوَى ، يَذْوِي) عِنْدَ ابْنِ سِيدِهِ ^(٦) . وَالْأَجُودُ : (ذَوَى يَذْوِي) عِنْدَ ابْنِ فَارِسٍ ^(٧) .

أَمَّا الْفَرِيقُ الثَّانِي فَيَذَكُرُ اللَّغَتَيْنِ دُونَ ذِكْرِ مَسْتَوَاهُمَا الصَّوَابِي ^(٨) " وَرَعَفْتُ أَرْعَفُ " ^(٩) وَقَفَّ ثَعْلَبٌ عِنْدَ هَذِهِ اللَّغَةِ ، وَقَدْ وَافَقَهُ بَعْضُ اللَّغَوِيِّينَ ^(١٠) . إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَهُمْ ، يَرُونَ لُغَتَيْنِ فِي الْمَاضِي : (رَعَفَ ، وَرَعَفَ) ^(١١) ، بَلْ هُنَاكَ مِنْ حِكْمَى ثَلَاثَ لُغَاتٍ فِي الْمَاضِي : (رَعَفَ ، وَرَعَفَ ، وَرَعِفَ) بَفَتْحِ

(١) انظر : أفعال ابن القطاع ٢٧٨/٣ ، وتحفة الجعد ١٩ .

(٢) انظر : الإصحاح ١٣٨-١٣٩ ، وشرح ابن درستويه ٤٠ ، وشرح التدميري ٧ ، وشرح ابن هشام ٤٨

(٣) الفصيح : ٢٦٠ .

(٤) انظر تحفة الجعد ٢٢ .

(٥) انظر : المقصور والمدود ٩٤ .

(٦) للمخصص ١٠/١٩٩ .

(٧) الجمل ٢/٣٦٢ .

(٨) انظر : الإصحاح ١٩٠ ، وأدب الكاتب ٤٧٥ ، وشرح ابن هشام ٤٨ ، وشرح التدميري ٨ .

(٩) الفصيح ٢٦١ .

(١٠) انظر : أدب الكاتب ٤٢٢ ، تصحيح الفصيح ٤٣ ، شرح ابن الجيان ١٠٠ .

(١١) ذكرت اللغتان في : الإصحاح ١٨٨ ، والغريب المصنف ٦٠٧/٢ ، أفعال ابن القطاع ٤٣/٢ ،

والصحيح ، والمحكم ٨٦/٢ (رعف) .

العين ، وضمها ، وكسرها ومن اللغويين من وَسَمَ لُغَةً الضم في الماضي بالفساد والخطأ^(١) . ومنهم من ضَعَّفَ " رَعِفَ " — بالكسر —^(٢) .

— باب (فُعِلَ ، بضم الفاء) :

" تقول : عُنَيْتُ بِحَاجَتِكَ ، بضم أوله . . " ^(٣) ، وهنا أفرد ثعلبُ لُغَةً واحدةً في الماضي ، ومن اللغويين من أضاف إليها لُغَةً ثانية ، وهي (عَنَيْتُ ، بفتح العين)^(٤) .

" وقد طُلِّ دَمُهُ ، فهو مَطْلُولٌ " ^(٥) ، اقتصر ثعلبٌ على اللُغَةِ العالِيَةِ الفصِيحَةِ ، وهي المَبْنِي للمجهول ، بينما وُجِدَ مِنَ اللُّغَوِيْنَ مَنْ أَضَافَ : طَلَّ للمعلوم وَأَطَّلَ للمجهول .^(٦)

" وقد وُضِعَ الرَّجُلُ فِي البَيْعِ يُوضِعُ " ^(٧) . وقف ثعلب عند اللُغَةِ العالِيَةِ ، ومن اللُّغَوِيْنَ من ذَكَرَ ثَلَاثَ لُغَاتٍ : (وَضِعَ ، وَضِعَ ، أَوْضِعَ)^(٨) .

(١) هكذا قال عنها ابن الجلبان في شرحه للفصيح ص ١٠٠ ، بينما عرّفها ابن درستويه في تصحيح الفصيح ص ٤٣ .

(٢) ضعفها المطرز نقلاً عن تحفة المجد الصريح ٤٨ .

(٣) الفصيح ٢٦٩ .

(٤) انظر : الاقتضاب ٢/٢١٩ ، وأفعال السرقسطي ١/٣١٥ ، و تحفة المجد الصريح ٣٠١ .

(٥) الفصيح ٢٦٩ .

(٦) حكى يعقوب في الألفاظ ٢٧٥ نقلاً عن أبي عبيدة (طَلَّ دمه) وحكى هذه اللغة التدميري في شرح غريب الفصيح: ٨١ ، وقال عن أبي عبيدة ، وحكى صاحب تحفة المجد ص ٣٠٨ عن بعضهم (أَطَّلَ)

(٧) الفصيح : ٢٧٠

(٨) قال ابن دريد في الجمهرة ٢/٩٠٥ " وقال قوم : وَضِعَ يُوضِعُ " ، وحكى ابن القطاع في أفعاله ٣/٢٨٧

(وَضِعَ وَأَوْضِعَ) وحكى الزجاج في (فعلت وأفعلت : ١٢٥ : (وَضِعَ وَأَوْضِعَ) . وانظر : المحكم ٢/٢١٢

(وضع) .

— باب (فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ ، باختلاف المعنى) :

" وَقَبِسْتَهُ نَاراً " ^(١) ، وإذا كان ثعلبٌ قد وقف عند اللُّغة الفصيحة وحدها ، فمن اللُّغويين مَنْ ذَكَرَ لُغة ثانية : (أَقْبَسْتَهُ نَاراً) بالألف ^(٢) .

وهكذا نجد ثعلباً في جُلِّ فصيحة يقف عند الأفصح من اللغات ، ويهمل ما عداها ؛ لأنه هكذا ألزم نفسه بهذا المنهج في مقدمة كتابه الفصيح . بينما يجده — أحياناً — في مواضع من ثنايا فصيحه يذكر لُغتين جنباً إلى جنب ؛ ولعلَّ السبب يكْمُنُ في أن هاتين اللُّغتين كُثِرَتَا واستعملتا ولم تكن إحداهما بأكثر من الأخرى ، وهذا مما أشار إليه — أيضاً — في مقدمة فصيحه ، ومن أمثلة ذلك قوله :

— باب (فَعَلْتُ بِكسر العين) ^(٣) : " وَبَرِئْتُ مِنَ الْمَرَضِ ، وَبَرَأْتُ أَيْضاً " .

— باب (فَعَلْتُ وَقَعَلْتُ باختلاف المعنى) ^(٤) : " سَخِنَ الْمَاءُ ، وَسَخِنَ " .

— باب (ما يقال بحرف الخفض) ^(٥) : " وَجَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، وَأَجَنَّهُ اللَّيْلُ " .

— باب (من المصادر) ^(٦) :

" وَحَدَّتِ الْمَرْأَةُ عَلَى زَوْجِهَا تَحِدٌ وَتَحِدٌ — يكسر الحاء وضمها حَدَادًا " .

(١) الفصيح : ٢٧٣ .

(٢) قال أبو عبيد في الغريب المصنف ٥٧٨/١ ، نقلاً عن الكسائي : (أقبسته ناراً وعلماً سواء . وهكذا حكاه ابن قتيبة في أدب الكاتب ٣٦٠ .

(٣) الفصيح : ٢٦٢ .

(٤) نفس المرجع : ٢٧١ .

(٥) نفس المرجع : ٢٧٨ .

(٦) الفصيح : ٢٨٠ .

— باب (المفتوح أوله من الأسماء) (١) :
" وهو العَرَبِيُّونُ ، والعَرَبِيَّانُ "

ونادراً ما يَدُكَّرُ ثلاث أو أربع لغات ؛ إذ لم أجد ذلك إلا في موضعين ،
أحدهما : في باب (فَعَلْتُ بغير ألف) ، فذكر من اللغات أربعاً ، ولم يصرح بعددهن ،
وجاء ذلك في قوله : " وَأَزْرُرُ عَلَيْكَ قَمِيصَكَ ، وَزُرَّةٌ ، وَزُرَّةٌ ، وَزُرَّةٌ " (٢) ، أما
تصريحه بعدد اللغات ، فقد جاء في موضع واحد من فصيحه ، إذ يقول :
" وَفَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِكَ ، وَمِنْ إِجْلِكَ ، وَمِنْ جَرَّكَ ، ثلاث لغات " (٣)

ومن خلال تَصْفُحِي لكتاب الفصح لم أجد نصاً في مادة (ما) عن ثعلب
يذكر فيه لغة الفصاحة صراحة إلا في موضع واحد ، وهو قوله : " الحرب خدعة ،
هذه أفصح اللغات " (٤) ، وأرى أن تصريجه بفصاحتها كونها لغة النبي صلى الله
عليه وسلم كما نسبها في فصيحه .

وقد أشار ثعلب إلى أخطاء بعض الناس في بعض الألفاظ ، ولعلهُ قصد بكلمة
(الناس) العامَّة منهم ، ومن ذلك قوله :

" وَإِنْ شئت طولت الألف ، فَفَعَلْتُ : آمين ، ولا تُشَدَّد الميم فإنه خطأ (٥)

" وتقول : تلك المرأة ، وتيك المرأة ، ولا يُقال : ذيك المرأة ، فإنه خطأ (٦)

" وتقول : أَشَلَيْتُ الكلب، وغيره .. وَقَوْلُ النَّاسِ : أَشَلَيْتُهُ عَلَى الصَّيْدِ خطأ " (٧)

(١) ص : ٢٨٩ .

(٢) ص : ١٦٥ .

(٣) ص : ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٤) ص : ٢٩٢ .

(٥) ص : ٣١٦ .

(٦) نفس الصفحة .

(٧) ص : ٣٢٠ .

وقد أشرنا — فيما سبق — إلى أن ثعلباً قد جمع في تنقيته للغة ، ما بين الاختيار والتصويب ، وقد مثلنا لمنهجه في الاختيار بتلك الأبواب السابقة ، وها نحن نورد بعض الأمثلة من كتابه الفصيح ، فيما يتعلق بالتصويب اللغوي ، الذي يوضح فيه نطق العامة ، والذي جاء في مواضع قليلة ، منها قوله في باب : (حروف منفردة) :

- " وَنَظَرْتُ يَمِينًا ، وَيَمَنَةً وَشَمْلَةً ، وَلَا تَقُلْ : شَمْلَةٌ " (١)
 " وَأَطْعَمْنَا عَجِزَ مَلَّةٍ ، وَلَا تَقُلْ : أَطْعَمْنَا مَلَّةً " (٢)
 " وَهِيَ الْفَاقُورَةُ وَالْقَازُورَةُ ، وَلَا تَقُلْ : قَاقُورَةٌ " (٣)
 " وَتَقُولُ : مَاءٌ مَلْحٌ ، وَلَا تَقُلْ : مَالِحٌ " (٤)
 " وَهُوَ الْخَائِطُ ، وَلَا تَقُلْ : الْخَيْطُ " (٥)

وإذا كان كتاب الفصيح قد أبان لنا عن منهج ثعلب المتشدد في تنقية اللغة ، فإننا نشير إلى أن ذلك التشدد لا يمثل منهجه — في الأغلب الأعم — ؛ لأننا وجدناه متوسعاً في بعض مؤلفاته ، ومنها كتابه : (المجالس) (٦) ، فنجده يذكر لغتين أو ثلاثاً أو أكثر ، كقوله :

" الْوَرِقُ ، وَالْوَرِيقُ ، وَالْوَرِيقُ : الدَّرَاهِمُ " (٧) .

(١) الفصيح ٣١٨ .

(٢) نفس الصفحة .

(٣) ص ٣١٨ .

(٤) ص ٣١٨ .

(٥) ص ٣٢٠ .

(٦) مجالس ثعلب ، تحقيق : عبد السلام هارون ، انظر الصفحات : ٢٠ / ٣٥ / ٣٧ / ٤٧ / ٥٩ / ٦٣

٠ ١١٩ / ١٠٥ / ١٠١ / ٨٤ / ٨٠ / ٧٣ / ٧١

(٧) مجالسه : ٦ .

وقوله : " ويُقال : لَزِمَ نَكَمَ الطَّرِيقِ ، وَكَثَّمَهُ ، وَمُرَّتَكَمَهُ ، أَي : معظمه " (١) .

وقوله : " ويُقال : الجبيلة والجبيل ، والجبيلة والجبيل ، والجبيلة " (٢) .

كما نجدُه يُصْرَحُ بِشَهْرَةِ بعض اللهجات ، والتي وسمها بعض اللغويين (٣) باللغات المذمومة وينسبها إلى إحدى قبائل العرب ، فمن ذلك ما نقله عن الأنخفش من الأخير قال : قام امرجُل ، يريد : الرَّجُل . ويصرحُ ثعلبُ بأنَّها لُغَةٌ للأزد مشهورة (٤) .

ولا أدلُّ على مذهبه في التَّوسُّعِ ممَّا نقله عنه أبو جعفر اللبلي في تحفة المجد الصريح ، من مثل قوله :

(عَثَرَ) بفتح الثاء ، كما حكاها ثعلب ، و (عَثَرَ) بضم الثاء ، حكاها المطرِّز في شرحه عن ثعلب (٥) .

وحكى اللبلي أيضاً أنه يُقال في الماضي : خَمَدَتِ النَّارُ ، بفتح الميم ، كما قال ثعلب ، وهو المشهور من كلام اللغويين ، ويضيف بأنَّ المطرِّز في شرحه ، وفي (ياقوته) حكى عن ثعلب عن ابن الأعرابي : خَمِدَتِ ، بكسر الميم (٦) .

(١) مجالس ثعلب : ٣٧

(٢) ص : ٥٩

(٣) انظر : الصاحبي في فقه اللغة (باب اللغات المذمومة : ٥٦) تحقيق عمر فاروق الطباع وفصول في فقه اللغة رمضان عبدالتراب ١٢٨

(٤) مجالس ثعلب : ٥٨ .

(٥) تحفة المجد الصريح : ٥١ .

(٦) نفس المرجع : ٦٩ .

وصرَّح اللبلي بذكر لغتين في الماضي : " . . . نَكَلْتُ ، بالفتح ، وَنَكَلْتُ
بالكسر ، وبيَّه إلى أن الكسر لغة تميمية ، حكاه ابن القطاع في أفعاله ،
ويعقوب في كتابه (فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ) ، وثابت في لحنه ، ويونس في نواتره ،
والمطرز في شرحه ، والحافظ في نواتره ، كلاهما عن ثعلب (١) .

وذكر اللبلي أن المَطْرَزَ حكى عن ثعلب : (عَجَزَ بالكسر ، ونقل أبو حاتم عن أبي
زيد : عَجَزَ بالكسر ، وقال إنها لغة لبعض قيس (٢) ، ونسبها السرقسطي لقيس
عيلان (٣) .

ومثل هذا التوسُّع — والمُرُوي عن ثعلب — جاء كثيراً في تضاعيف الكتاب (٤)
وإذا كان الفصحح قد أثار حركة تأليف لغوية وعلمية واسعة ، عكست اهتمام
اللغويين عبر العصور المختلفة بظاهرة التصويب اللغوي ، فإن من نتاج هذه
الحركة اللغوية ما حظي به الفصحح من دراسات لغوية ، في مقدمتها تلك
الشُّروح التي أُلِّفت حوله ، والتي لم تنحصر في بقعة بعينها من بلاد العرب ، بل
شارك فيها أهل اللغة وأئمتهم سواء كانوا من المشرق أو المغرب العربي . والذي
يعتينا في هذا المقام تلك الشُّروح التي أقتفت أثر ثعلب في تنقية اللغة ، والتي
سيأتي ذكرها في الفصل الثاني من هذا الباب إلا أن شيخنا — رحمه الله — رأى
أن أضمن هؤلاء الأعلام كتابين من كتب شراح الفصحح هما :

(١) تصحيح الفصحح ، لابن دُرُستويه .

(٢) شرح الفصحح لابن الجبَّان .

(١) نفس المرجع : ١٠٤ .

(٢) نفس المرجع : ٧١ .

(٣) أفعال السرقسطي : ٢٢٠/١ .

(٤) انظر : تحفة المجد الصريح : ١١٢ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٨٨ .

والتي سأقتصر فيها على ترجمة الشارح بالإضافة إلى بيان بعض الملامح الممثلة
لمذهبيهما في التنقية اللغوية . وأما بقية المسائل الأخرى فسيأتي تفصيلها في
الفصل الثاني من هذا البحث بعونه تعالى .

سادساً : ابن دُرُسْتَوِيَه (١)

هو (أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتَوِيَه بن المرزبان ، الفارسي الفسوي النحوي) ، ولد سنة ٢٥٨ هـ . اشتغل بالعلم ، وقد أسهم في علوم عصره ، كاللغة والنحو ، والتفسير والحديث ، والأدب والغريب والشعر والمعاني ، والتاريخ ، والرواية لمجالس ثعلب وفصيحه . توفى سنة ٣٤٧ هـ . (٢)

مَنْهَجُهُ فِي التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ :

إن الذي يعنينا هنا ، تناول تصحيح الفصح من حيث منهج صاحبه في التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ ، وذلك من خلال بيان معالم التَّنْقِيَةِ فيه .

ويمكننا إبراز هذه المعالم في الآتي :

أولاً — اتفاهه مع ثعلب حول اللُّغَةِ الفصِيحَةِ العَالِيَةِ ، والوقوف عندها .

ثانياً — ارتضاؤه لبعض لغات العامَّة .

ثالثاً — تخطئته لبعض لغات العامَّة .

أولاً — موافقته لثعلب في إيراد اللُّغَةِ الأَفْصَحِ ، والوقوف عندها :

نجد أن ابن دُرُسْتَوِيَه في الأمثلة التالية يوافق ثعلباً فيما ذهب إليه في فصيحته ، وتفضيله للُّغَةِ الأَفْصَحِ ، وإفرادها ، وتخطئة ما خالفها . وقد جاء ذلك وافراً في

ثانياً تصحيحه للفصح ، ومن أثلة ذلك :

ففي قول صاحب الفصح " ذَوِي العُودِ يذُوي " (٣) وقف الشارح عند اللغة العالية ، كما حكاه ثعلب .

(١) ليس هدي هنا توصيف الكتاب ، فموضع ذلك ، سنده في الفصل الثاني من هذا البحث — إن شاء الله

— وإنما أهدف إلى إيضاح منهج ابن درستويه في تنقيته للغة .

(٢) انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٤٤ ، وإشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ١٦٢ ، وبنية الوعاة ٣٦/٢

(٣) تصحيح الفصح ص ٤٠ .

وفي "عَطَسَ يَعْطِسُ" ^(١) اقتصر على ما جاء في الفصيح .
وفي "جَرَعْتُ الْمَاءَ أَجْرَعُهُ" ^(٢) أفرد اللغة الأشهر والأفصح ، تابعاً لصاحب
الفصيح .

وفي "سَلَّتْ يَدُهُ" ^(٣) لم يذكر سوى اللغة العالية ، والتي أثبتتها ثعلب .
وفي "فَلَجَ الرَّجُلُ عَلَى خِصْمِهِ يَقْلِحُ" ^(٤) هكذا أوردتها ثعلب واقتصر عليها
الشارح .

وفي "وَكَسَ الرَّجُلُ يُوكَسُ" ^(٥) أفردتها الشارح ولم يذكر غيرها .
وفي "نَفَسَتِ الْمَرْأَةُ غُلَامًا" ^(٦) وقف الشارح عند اللغة الأعلى والأفصح .
وفي "لَحَمَتِ الْعِظَمَ ، إِذَا عَرَّقْتَ مَا عَلَيْهِ" ^(٧) . هكذا أوردتها صاحب الفصيح
ووقف عليها الشارح .

وفي "رَوَّاتُ فِي الْأَمْرِ" ^(٨) . أفرد الشارح لغة العلو والفصاحة كما حكاها
ثعلب .

ثانياً — ارتضاؤه لبعض لغات العامة ، عند موافقتها للغة من لغات العرب : وقد
ضمَّ الكتابُ عدداً وافراً من الأمثلة التي تمثل هذا الاتجاه ، والتي يُبرز فيها ابنُ
دُرستويه المستوى الصوابي للغات العامة ^(٩) على نحو ما توضحه الأمثلة التالية :

(١) تصحيح الفصيح : ٤٩ .

(٢) نفسه : ٦١ .

(٣) نفسه : ٦٧ .

(٤) نفسه : ٧٤ .

(٥) نفسه : ١٠١ .

(٦) نفسه : ١١٠ .

(٧) نفسه : ١٤٦ .

(٨) نفسه : ١٨٦ .

(٩) انظر الصفحات : ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٤٠٩ ، ٤٥٣ ، ٤٩٠ ، ٥١٨ .

— يعلل الشارح اختيار ثعلب لـ نَمَى ، يَنْمِي ؛ لأنَّ العَامَّةَ تقولها بالواو ،
ويصرح بأنها لُغَةٌ لبعض العرب ، وليست بخطأ^(١) . وقد وافقَ ابنَ دُرُستويه في
فصاحة

(يَنْمُو) جمعٌ من أئمةِ اللُغَةِ ، كالخليل ، والكسائي ، وابن السكيت ، والسرقسطي
(٢) . وكذا أصحاب المعاجم^(٣) .

— ويذكر أنَّ في : نَقَمْتُ أَنْقَمُ ، لُغَتَيْنِ ، وينبئه إلى أنَّ أفصحهما فتح الماضي
وكسر المستقبل . . . والأخرى كسر الماضي ، وفتح المستقبل^(٤) أي : " نَقَمْتُ
أَنْقَمُ ، وقد قرئَ بها قوله تعالى (وما نَقَمُوا مِنْهُمْ) " ^(٥) .

— وينبئه إلى أنَّ في : رَهَنْتُ الرَّهْنَ لُغَتَيْنِ أيضاً ، إحداهما بغير ألف ، ويرى أنَّها
أشهر وأكثر استعمالاً . . . والأخرى : أَرَهَنْتُهُ بِألف ، وينبئه إلى أنَّ العَامَّةَ مولعة بها ،
ولا تعرف غيرها ، وقولهم أقيس^(٦) .

— ووافق ابن دُرُستويه فيما ذهب إليه كل من : ابن السكيت ، وابن قتيبة ،
والجوهرى ، وابن سيده^(٧) .

(١) ص : ٤٠ .

(٢) انظر : العين ٣٨٤/٨ (نَمَى) ، ما تلحن فيه العامة للكسائي ١٣٨ ، الإصلاح ١٣٨-١٣٩ ، أفعال
السرقسطي ٣٧١/٣ .

(٣) انظر : الجوهرة ٩٩٢/٢ ، الصحاح ، اللسان (نَمَى) .

(٤) تصحيح الفصيح ٤٨ ، وانظر : ٢٨٥ ، ٤٠٥ .

(٥) سورة التروج ، آية : ٨ ، وقرأ بكسرها : زيد بن علي ، وأبو حيوة ، انظر : البحر المحيط ٤٤٥/١٠ ،
مكتبة الباز .

(٦) تصحيح الفصيح : ٨١ .

(٧) انظر : الإصلاح ٢٣١ ، أدب الكاتب ٣٥٧ ، والصحاح ، والمحكم ٢١٥/٤ (رهن)

— وفي قولهم : أَحَبَسْتُ فَرَساً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يذكر الشارح أنه لا يمتنع أن يُقال : حَبَسْتُ فَرَسِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كما تقولُ العامَّةُ^(١) . قُلْتُ : وَهِيَ لُغَةٌ وَافِقٌ فِيهَا ابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ : السَّرْقَسْطِيُّ ، وَابْنُ الْقَطَّاعِ ، وَالزَّجَّاجُ^(٢) .

— وَيَصْرِّحُ بِأَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ : أَرْجَيْتُ الْأَمْرَ إِرْجَاءً ، بِالْيَاءِ ، وَيُنَبِّهُ إِلَى أَنَّهَا لُغَةٌ ، وَعَلَيْهَا الْعَامَّةُ^(٣) وَقَدْ وَافَقَهُ : ابْنُ السَّكَيْتِ ، وَالْجَوْهَرِيُّ ، وَالْفَيْوُمِيُّ^(٤) .

— وَفِي قَوْلِهِمْ : وَهُوَ الْفُلْفُلُ ، يَنْبَهُ الشَّارِحُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ لَحْنِ الْعَامَّةِ ، وَخَطْبُهُمْ فِي شَيْءٍ ؛ لِأَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَكْسِرُ (الْفَاءَ) مِنَ الْفُلْفُلِ عَلَى مَا تَقُولُهُ الْعَامَّةُ^(٥) وَقَدْ وَافَقَ ابْنَ دُرُسْتَوَيْهِ جَمْعٌ مِنَ اللَّغَوِيِّينَ ، مِنْهُمْ : ابْنُ مَكِيِّ الصَّقَلِيُّ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ ، وَالصَّفْدِيُّ^(٦) ، وَأَصْحَابُ الْمَعْجَمِ^(٧) .

ثَالِثاً : مَحْطَبَتُهُ لِبَعْضِ لُغَاتِ الْعَامَّةِ لِمُخَالَفَتِهَا لُغَةَ الْعَرَبِ :
يُخَطِّبُ ابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ لُغَاتِ الْعَامَّةِ ، مُسْتَعْمِلاً الْعِبَارَاتِ التَّالِيَةَ :

— لُغَةٌ رَدِيئَةٌ : وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ :

— يَنْبَهُ الشَّارِحُ إِلَى أَنَّ قَوْلَ الْعَامَّةِ : ذَوِي الْعُودِ يَذْوِي : إِنَّمَا ذَكَرَهُ لِأَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُ فِيهِ : ذَوِي يَذْوِي ، بِكَسْرِ الْمَاضِي ، وَفَتْحِ الْمُسْتَقْبَلِ ، لُغَةٌ رَدِيئَةٌ^(٨) . قُلْتُ :

(١) تصحيح الفصح ١٢٧ .

(٢) انظر : أفعال السرقسطي ٣٤٦/١ ، وأفعال ابن القطاع ٢١٠/١ ، وفعلت أفعلت للزجاج ٦٧ .

(٣) تصحيح الفصح ١٨٥ ، وانظر ٤٩٣ .

(٤) انظر : الإصلاح ١٤٦ ، والصحاح ، والمصباح (رجا)

(٥) تصحيح الفصح ٣٤٢ .

(٦) انظر : تنقيف اللسان ٢٢٨ ، وتقويم اللسان ١٤٤ ، وتصحيح التصحيف ٤٠٨ .

(٧) انظر : اللسان ، والقاموس (فلل)

(٨) تصحيح الفصح ٤٠ .

وقد خالف ابن السكيت ابن درستويه ، فقد نقل عن أبي عبيدة عن يونس قوله :
وَذَوِي لُغَةٍ ^(١) ، وقد حكى ذلك — أيضاً — ابن قتيبة ^(٢) .

— ويصرِّح بأن قول العامة : دَمِعَتْ ، بكسر الميم ، لُغَةٌ رديئة ^(٣) . قُلْتُ : ولكنَّ
الجوهري يُخالف ما قرَّره ابن درستويه بقوله : " ودَمِعَتْ : بالكسر ، دَمَعًا ، لغة
حكاهها أبو عبيدة ، ولم يُضَعِّفها الجوهري ^(٤) .

لَحْنٌ وَخَطَأٌ :

— يعلل الشارح اختيار ثعلب لـ : فَسَدَ يَفْسُدُ ، لأنَّ العامَّة تقول : فَسُدَ ، بضم
الماضي ، ويصرِّح بأنه لَحْنٌ وَخَطَأٌ ^(٥) . قُلْتُ : وقد خالف ابن درستويه جَمَعَ من
أئمة اللُّغة ، فحكوا (فَسُدَ) بالضم ، ومنهم : ابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابن
مكي الصقلي ، ابن دريد والجوهري ^(٦) .

ومثل هذه الأقوال والتي وسم بها ابن درستويه لغة العامَّة — تارة بالرداءة ،
وتارة باللحن والخطأ — جاءت وافرة في ثنايا الكتاب ^(٧) .

(١) أنظر : الإصلاح ١٩٠ .

(٢) أدب الكاتب ٤٧٥

(٣) تصحيح الفصح ٤٣ .

(٤) انظر : الصحاح (دمع) .

(٥) تصحيح الفصح ٤١-٤٢ .

(٦) انظر : الإصلاح ١٨٩ ، وأدب الكاتب ٤٢٢ ، وتنقيف اللسان ٢٣٥ والجمهرة ١٢٤٩/٣ ، والصحاح
(فسد) .

(٧) انظر الصفحات : ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٨١ ،

١٨٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٦٨ ،

٣٩٥ ، ٤٣٤ ، ٤٥٢ ، ٤٦٤ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٥٠٩ ، ٥٣٤ .

وإن كنت قد أوجزت في هذا الموضوع ملامح التنقية لدى ابن درستويه ؛
فسيأتي ذكرها مفصلة في الفصل الثاني من هذا الباب ، وذلك عند الكلام على
أثر شروح الفصح المشرقية في تدعيم حركة التنقية .

سابعاً — أبو بكر الزبيدي :

هو : أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدالله بن مَدْحَج الزبيدي ، الشامي الحمصسي ، ثم الأندلسي الإشبيلي ، كان أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقهاء والنوادر ، من أئمة اللغة العربية ، أخذ العربية عن أبي علي القالي ، وأبي عبدالله محمد بن يحيى الريحاني ، ذاع صيته في الأندلس فاختره الخليفة المستنصر بالله الحكم بن عبدالرحمن مؤدباً لابنه هشام في قرطبة ، ثم تولى القضاء ، توفي سنة ٣٧٩هـ^(١) .

وللزبيدي مصنفات عديدة منها : الواضح في علم العربية ، وأبنية الأسماء والأفعال ، ومختصر العين ، وطبقات النحويين واللغويين ، واستدراك الغلط الواقع في كتاب العين ، ولسان العامة ، ومختصر لحن العامة ، وقد جاء ذكر هذه المصنفات في المصادر التي ترجمت للمؤلف . والذي يعيننا — هنا — هو كتابه (لحن العامة) والذي حققه الأستاذان الدكتور : رمضان عبدالنواب ، وأسماء (لحن العوام) ، والدكتور عبدالعزيز مطر بعنوان (لحن العامة) ، وسأبين هنا بعض السمات التي تميز بها هذا المصنف :

— بدأ الزبيدي كتابه بمقدمة حمد الله تعالى فيها ، الذي أنطق كل أمة بلغتها ، وجعل العربية أفصح اللغات لساناً وأوضحها بياناً ... ثم ذكر أن العرب كانت في جاهليتها وصدر إسلامها تَبْرَعُ في نطقها بالسجية ، حتى فتحت المدائن ومصرت الأمصار ، فاختلط العربي بالنبطي ، والتقى الحجازي بالفارسي ، وبدأ اللحن في ألسنة العوام ، ثم ذكر أن أول من حاول إصلاح الفساد اللغوي هو أبو

(١) انظر ترجمته في : جذوة الاقتباس ٢٠ ، إشارة التعيين ٣٠٧ ، وإنباه الرواة ١٠٨/٣ ، والبيغة

١٨٤/١ ، ومقدمة محقق لحن العامة : عبدالعزيز مطر ٧٥ ، رمضان عبدالنواب ١١ .

الأسود الدؤلي ، ومن اقتفى أثره من اللغويين ، الذين صنفوا في النحو والغريب ، وإصلاح المنطق تحصيماً للغتهم ، وإصلاحاً للمفسد من كلامهم .

— ويذكر السيب الذي دعاه إلى تأليف كتابه ، وهو أنه تلقى دعوة لتأليفه من الخليفة الحكم المستنصر بالله فاستجاب لهذه الدعوة .

— ثم يذكر أنه لم يستوعب في كتابه كل ما أفسدته الدهماء والسقاط ، إذ لو استوعب ذلك لطال الكتاب ؛ وإنما يذكر مما أفسدته العامة ما يتوقع الغلط فيه من الخاصة .

— أما طريقته في عرض المواد في الكتاب ، فهو يبدأ بذكر الخطأ أولاً ، قائلاً : (ويقولون) ثم يتبعه بذكر الصواب بقوله ، قال محمد : والصواب كذا ، وأحياناً يقول قال أبو بكر ، ويحاول الزبيدي أن يبرهن على صحة ما يقوله ، وخطأ ما يدور على الألسنة فيأتي بشواهد من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة ، والأشعار ، معزماً ذلك كله بأقوال اللغويين القدماء ^(١) .

— اشتمل الكتاب على ذكر عدد من اللغويين والنحويين ^(٢) ، وقد التزم الزبيدي — كما هي عادة المؤلفين القدامى — ألا يذكر قولاً إلا وقد عزاه لصاحبه .

— وقد قسم المحقق الكتاب إلى أقسام ثلاثة ^(٣) : فالقسم الأول ذكر فيه ما أفسدته العامة وما وضعوه غير موضعه ، وهذا يتعلق بتطورات الأصوات والصيغ والقسم الثاني ذكر فيه ما وضعته العامة في غير موضعه ، وهذا يتعلق بتطورات

(١) انظر الصفحات : ١٧٠٦ ، ٤٠ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ١٠٨ ، ١٢٧ ، ٢٠٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ،

٢٩٦ ، ٣٢٣ ، ٢٥٦ ..

(٢) انظر الصفحات ١٥٧ ، ١٣٣ ، ٩٠ ، ٧٩ ، ٧٥ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٠ ، ٣٠٠ ، ٢٨٥ ، ٢٤٧ ، ٢٣٤ ، ٢٠٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣١

(٣) هذا هو التقسيم الذي ارتضاه رمضان عبدالتراب محقق الكتاب : ٣٦ .

الدلالة . أما القسم الثالث والأخير فقد فيذكر فيه ما يوقعه العامة على الشيء وقد يشركه في غيره ، وهو متعلق بتطورات الدلالة والتوسع فيها . ولكي يتضح لنا المقصود من هذه التقسيمات الثلاثة نورد بعضاً مما ذكره المؤلف عن كل قسم منها : **ففي القسم الأول** (ما أفسدته العامة وما وضعوه في غير موضعه) مما يتعلق بتطورات الأصوات والصيغ ، نورد ما يلي :

— ويقولون : (بَزِيم) للحديدة التي تكون في طرف حزام السَّرَج ... قال محمد : والصواب : (إِبْرِيم) على مثال : إِفْعِيل ، وفيه لغة أخرى يقال : (إِبْرَام) والجميع (أَبَايَم)^(١) .
— ويقولون : (قَلْسُوَّة) قال محمد : والصواب : (قَلْنَسُوَّة) وفيها لغات : وذكر فيها أربع لغات^(٢) .

وثمة أمثلة أخرى ذكرها المصنف على هذا النوع أكتفي بالإشارة إليها في مظاهرها^(٣) .
أما القسم الثاني وهو : (ما وضعته العامة في غير موضعه) ومن أمثلته قوله :

— ويقولون : (دِرْهَمٌ وَاِفٍ) ، إذا كان يزيد في وزنه . قال محمد : والوافي لا زيادة فيه ولا نقص ، وهو الذي وَفَى بَزِيَّتِهِ^(٤) .
— ويقولون للحزام : (قِلَادَةٌ) . قال محمد : والقِلَادَةُ : العِقْدُ الذي يوضع في العُنُقِ^(٥) .

وقد تضمن هذا القسم أمثلة أخرى^(٦) .

(١) انظر لحن العوام ٧٣ .

(٢) نفسه ٨١ .

(٣) انظر الصفحات ٨٥ ، ٨٩ ، ١٥٣ ، ٢٠١ .

(٤) نفسه ٢٢٢ .

(٥) نفسه ٢٢٤ .

(٦) انظر ٢٣٨ ، ٢٤٠ .

أما القسم الثالث : وهو (ما يوقعه العامة على الشيء وقد يشركه غيره)
ومن أمثلة هذا :

— قولهم (الوادي) للنهر خاصة . قال أبو بكر : والوادي كل بطن مطمئن من
الأرض^(١) .

— ويقولون : (خِمَارٌ) لما خَمَّرت به المرأة رأسها ، من شقاق الحرير خاصة
قال أبو بكر : والخِمَارُ : كل ما خمرت به الرأس من ثوب وما أشبهه^(٢) .
— ويقولون : (إسْكَافٌ) للخِرَّاز خاصة . قال أبو بكر : وكُلُّ صانع عند
العرب إسْكَافٌ^(٣) .

وتلك الأقسام الثلاثة السابقة قال بها الدكتور رمضان وارتضاها تقسيماً
لكستاب الزبيدي لحن العوام ، بينما يذهب الدكتور عبدالعزيز مطر — والذي
حقق هذا الكتاب تحت عنوان (لحن العامة) إلى تقسيم آخر : وهو تقسيم
الكتاب إلى قسمين كما يدل العنوان الذي ذكره المؤلف بعد مقدمته وهو : (
ذكر ما أفسدته العامة وما وضعوه في غير موضعه) .

فالقسم الأول — في رأي الدكتور مطر — هو : ما أفسدته العامة ، ويشمل
ما غيرت العامة في أصواته ، وما غيرت في صيغته .

أما القسم الثاني فهو : (ما وضعوه في غير موضعه) وهذا خاص بالخطأ
في دلالة الألفاظ ، ويشمل : العام الذي خُصِّصَ ، والخاص الذي عُمِّمَ ، وما
استعملوه في غير مجال استعماله^(٤) .

(١) لحن العوام : ٢٤٥ .

(٢) نفسه ٢٤٧ .

(٣) نفسه ٢٥٠ .

(٤) انظر لحن العامة لمطر ٩٢ .

ولما كانت هذه التقسيمات اجتهاداً من المحققين ؛ فإنني أخذت بما ارتضاه
رمضان عبدالنواب ؛ لأن في ذلك تفصيلاً أكثر وأشمل ، وقد فصلت القول في
ذلك في موضعه .

الزبيدي وموقفه من لحن العامة :

رأينا — ومن خلال هذا المصنّف — أن الزبيدي من المتشددين في تنقية
العربية فهو يأخذ بالأفصح ، ويرفض ما عداه ، وهذا ما جعل أحد المحدثين^(١)
يلحقه بمذهب الأصمعي ، وابن قتيبة ، وأبي العباس ثعلب ، ذلك المذهب المتشدد
في تنقية اللغة ، وهذا التشدد في مذهب الزبيدي يتضح في الآتي :

جاء في كتابه لحن العامة ما يلي :

— ذكر الزبيدي أن العامة يقولون : (دَفْتَر) ، بكسر أوله ... والصواب عنده أن
يقال : (دَفْتَر) بالفتح ، على مثال فَعَلَّلَ^(٢) .

فرد عليه ابن هشام اللخمي بأنه : قد جاءت عن العرب فيه لغات . حكى
بعضهم أنه يقال : دَفْتَر ودَفْتَر ، بفتح الدال وكسرها . وتَفْتَرُ بإبدال الدال تاءً^(٣) .

— وصرح المصنّف أيضاً بأن العامة تقول : وَتَدُّ فيفتحون التاء ، والصواب كما
يرى أن يقال : وَتَدُّ " (٤) .

— فإرد عليه ابن هشام بأن اللغويين قد حكوا في وَتَد ثلاث لغات : وَتَدُّ ،
بكسر التاء ، ووَتَدُّ بفتحها ، ووَودُّ بالإدغام " (٥) .

(١) انظر لحن العامة : ١٠٣ .

(٢) نفسه : ١٨٣ .

(٣) انظر تقويم اللسان ٢٠ .

(٤) لحن العامة ٣٣٢ .

(٥) تقويم اللسان ٢٠ .

— كما ذكر الزبيدي أنهم يقولون : ضِفْدَعٌ ... والصواب عنده : ضِفْدِعٌ ،
بالكسر على مثال : فِعْلِلٌ^(١) .

— فرد عليه ابن هشام مصرحاً بأنه : قد جاء عن العرب في ضفدع ثلاث
لغات : ضِفْدِعٌ ، بكسر الضاد والبدال ، ضِفْدَعٌ ، بكسر الضاد وفتح الدال كما
تنطق به العامة ، وِضْفُدَعٌ بضم الضاد وفتح الدال ، وهي أقلها^(٢) .

— كما ذكر المصنف أيضاً أنهم يقولون لواحد الأظفار : ظْفُرٌ ... والصواب
لديه أن يُقال : ظْفُرٌ ، وأظْفُورٌ " (٣) .
فيصرح ابن هشام أن ابن جني حكى في الظُّفْرَ أربع لغات : ظْفُرٌ ، وظْفُورٌ ،
وظْفِرٌ ، بكسر الظاء كما تنطق به العامة " (٤) .

— ويخطئ الزبيدي قول العامة (سَكْرَانَةٌ)^(٥) .

فبرد عليه ابن هشام بقوله : " فإذا قالها قوم من بني أسد ، فكيف تُلْحَنُ
فيه العامة ، وإن كانت لغة ضعيفة ، وهم قد نطقوا بها كما نطقت بعض
قبائل العرب " (٦) . وقد كشف لنا ما تقدم من آراء ضمنها الزبيدي مصنفه
المذكور مذهبه المتشدد في تنقية اللغة .

قلت : وقد أجاز ابن هشام اللخمي الكثير من استعمالات العامة ، والتي
رفضها الزبيدي ، وعقد لها باباً مستقلاً في كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان)

(١) لحن العوام ١٥٠ .

(٢) تقويم اللسان ٢٣ .

(٣) لحن العوام ١٤٧ .

(٤) تقويم اللسان ٢٩ .

(٥) لحن العوام ١٨٧ .

(٦) تقويم اللسان ٣٥ .

تحت عنوان : (الرد على الزبيدي في لحن العامة)^(١) ، وسيأتي هذا في موضعه
من هذا البحث إن شاء الله تعالى^(٢) .

(١) انظر تقويم اللسان ١١ - ٤٥

(٢) انظر ص ٥١٩ من هذا البحث .

ثامناً — الجَوْهَرِيُّ :

هو (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجَوْهَرِيُّ ، ت ٣٩٥هـ) ، أصله من بلاد التُّرك من فاراب ، إمامٌ في اللُّغة والأدبِ ، وخطُّه يُضربُ به المثل في الجودةِ ، وهو من فُرسان الكلام والأصول ، كان يُؤثر السَّفَرُ على الحضرِ ، ويطوفُ الآفاقَ (١) .

وخير ما يُمثِّل مذهبه في تنقية اللُّغة ، معجمه (الصِّحَّاح) ؛ ولشدة عنايته بالصِّحاح — أي ما صحَّ عن العرب الموثوق بفصاحتهم — فإنه شدَّ رحاله إلى العراق ، حيث كان — حينها — يموج بالعلماء والشيوخ ، فقرأ على أبي علي الفارسي (ت ٣٥٦هـ) ، وأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) ، وأحبَّ أن يستزيد من العلم فشدَّ رحاله إلى الحجاز ، وشافه العرب الفصحاء في ديارهم بالبادية ، وطفَّو أيضاً ببلاد ربيعة ومضر كما أثبت ذلك في مقدمة صِحَّاحه .

يقول السيوطي بعد أن سرد طائفة من كتب اللغة المشهورة : " وغالب هذه الكتب لم يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح ، بل جمعوا فيها ما صحَّ وغيره ، وينبهون على ما لم يثبت غالباً . وأول من التزم الصحيح وأقتصر عليه : الإمام أبو نصر إسماعيل الجوهري ؛ ولهذا سمِّي كتابه الصِّحَّاح " (٢) . ويذكر الزبيدي في مقدمه معجمه (تاج العروس) : أن أول هذه المصنفات وأعلاها عند ذوي البراعة "كتاب الصِّحَّاح" للإمام الحجة أبي نصر الجَوْهَرِيِّ

ومع أنَّ الصِّحَّاح أُلِّفَ في عصر عظمت فيه العناية باللُّغة ، فإن الجوهري كان من أبرز أولئك الأئمة ؛ وسبب ذلك أن صِحَّاحه كان آيةً في التأليف المعجمي ،

(١) ترجمته في : معجم الأدباء ١٥١/٦ - ١٦٥ ، وإنشاء الرواة ١٩٤/١ ، والبغية ٤٤٦/١ - ٤٤٨ .

(٢) المزهر ٩٧/١ .

سَبَقَ غَيْرَهُ فِي هَذَا السَّبِيلِ ؛ بِابْتِكَارِهِ مَتَّهَجًا حَازَ بِهِ حَقَّ السَّبْقِ إِلَيْهِ ، مِمَّا قَرَّبَ
اللُّغَةَ إِلَى الْبَاحِثِينَ ، وَيَسِّرَ لَهُمْ سَبِيلَ الْبَحْثِ فِيهَا . وَلَمْ يَكُنْ مَسْلَكُهُ الْمُنْهَجِي
الْجَدِيدَ — وَحْدَهُ — هُوَ مَا رَفَعَ قَدْرَ الصَّحَاحِ ، وَاتَّخَذَهُ مَرْجَعًا لِلُّغَةِ الْأُولَى ، بَلْ
يَزِيدُ مِنْ قَدْرِهِ وَعُلُوِّهِ أَنْ صَاحِبَهُ أَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ مَا لَمْ يَأْخُذْهُ غَيْرُهُ ، وَهُوَ التَّرَاثُمُ
يَأِيرَادُ مَا صَحَّ — عِنْدَهُ : رَوَايَةٌ وَدِرَايَةٌ وَسَمَاعًا وَمَشَافَهَةً — عَنْ أَصْحَابِ اللُّغَةِ
الْمَوْثُوقِ بِصِحَّةِ لُغَتِهِمْ ، وَسَلَامَةِ لِسَانِهِمْ ، وَفَصَاحَتِهِمْ . وَمِنْ مَعَالِمِهِ فِي تَنْقِيَةِ اللُّغَةِ
أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى مَسْتَوِيَاتِ اللُّغَاتِ دُونَ الصَّحِيحَةِ ، فَذَكَرَ مِنْهَا : الضَّعِيفَةَ وَالْمُنْكَرَةَ
وَالْمَتْرُوكَةَ وَالرَّدِيئَةَ ، وَالْمَذْمُومَةَ ، وَلَمْ يَغْفَلِ الْإِشَارَةَ إِلَى الْعَامِّيِّ مِنْهَا .

وَمِنْ سِمَاتِ الصَّحَاحِ : أَنَّهُ يَجْمَعُ الصَّحِيحَ مَعَ التَّرْتِيبِ الْحَكْمِ وَالتَّنْسِيقِ الْمُنْظَمِ ،
وَالِاخْتِيَارِ الْمَوْفِقِ .

وَقَدْ أَعْجَبَ الدَّارِسُونَ بِهَذَا الْمَعْجَمِ إِعْجَابًا كَبِيرًا ، فَانْتَشَرَ بَيْنَهُمْ وَاشْتَهَرَ ،
يَقْسُولُ عَسْنَةَ الشُّعَالِيِّ : " وَلَهُ كِتَابُ الصَّحَاحِ فِي اللُّغَةِ ، وَهُوَ أَحْسَنُ مِنَ
الْجُمُهِرَةِ ، وَأَوْقَعُ مِنْ تَهْذِيبِ اللُّغَةِ ، وَأَقْرَبُ مَتَنَاوَلًا مِنْ جَمَلِ اللُّغَةِ " (١) .

وَيَسْرَى الْقَفْطِيُّ أَنَّ كِتَابَ الصَّحَاحِ فِي اللُّغَةِ ، أَكْبَرُ وَأَقْرَبُ مَتَنَاوَلًا مِنْ جَمَلِ
اللُّغَةِ ، وَيَشِيرُ إِلَى أَنَّ كِتَابَ الصَّحَاحِ قَدْ سَارَ فِي الْآفَاقِ ، وَبَلَغَ الرَّفَاقَ (٢) .

وَجَاءَ فِي مَقْدَمَةِ لِسَانِ الْعَرَبِ قَوْلُ مُصَنِّفِهِ : " وَرَأَيْتُ أَبَا نَصْرِ اسْمَاعِيلَ بْنِ
حَمَادِ الْجَوْهَرِيِّ قَدْ أَحْسَنَ تَرْتِيبَ مَخْتَصَرِهِ ، وَشَهَّرَهُ بِسَهُولَةٍ وَصَفِهِ ، فَخَفَّ عَلَى
النَّاسِ أَمْرُهُ ، فَتَنَاقَلُوهُ ، وَقَرَّبَ عَلَيْهِمْ مَأْخُذَهُ فَتَدَاوَلُوهُ وَتَنَاقَلُوهُ " .

وَبِذِكْرِ أَحَدِ مَنْافَسِي الْجَوْهَرِيِّ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ : أَنَّ
النَّاسَ أَقْبَلُوا عَلَى صَحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ ، وَيَصْرُحُ بِأَنَّهُ جَدِيرٌ بِذَلِكَ .

(١) يَتِيمَةُ الدَّهْرِ ٤/٢٨٩

(٢) انبَاءُ الرُّوَاةِ ١/١٩٥

ويتنصر أحدهم للجوهري بأنه خطيب المنبر الصربي ، وإمام الخراب اللغوي ^(١) .
وجاء في البغية للسيوطي : " ... والصحاح في اللغة ، وهو الكتاب الذي
بأيدي الناس اليوم ، وعليهم اعتمادهم ، أحسن تصنيفه ، وجوّد تأليفه " ^(٢) .
وينقل أحد المحدثين عن أبي الحسن الشاربي بأنّ الناس قد مالوا إلى جمهرة ابن
دريد ومحكم ابن سيده ، وجامع ابن القزاز ، وصحاح الجوهري ^(٣) .
والصحاح — كغيره من معاجم القرن الرابع الهجري — يحاول جمع المواد الكثيرة
والصغ ، والتزام الصحة ، ويمكن إيجاز بعض الظواهر التي اتسم بها هذا المصنف
في الآتي :

أ — التزامه الصحيح واقتصاره عليه .

ب — جمعه للأقوال المختلفة في نسق واحد ، ولا يكثر من ذكر الآراء المختلفة ،
كما يفعل الأزهري في التهذيب .

ج — من مظاهر الاختصار لدى الجوهري إغفاله نسبة كل قول يدونه إلى
صاحبه في كثير من الأحيان ؛ لأن منهجه اقتضى منه ذلك ، ومن الأمور التي
دفعته للاختصار التزامه الصحيح من الألفاظ .

د — وإذا كان من مظاهر الصحة في المعاجم الأخرى ، كثرة النقد من مؤلفيها
اللغويين ، فإننا لا نجد عند الجوهري نقداً كثيراً ، بخلاف معاصريه ، وسبب ذلك

(١) مقدمة الصحاح عبدالغفور عطار ٤٤

(٢) ٤٤٧/١

(٣) المعجم العربي نشأته وتطوره — حسين نصار ، ٣٩٣ .

ما قاله السيوطي من أن الجوهري طرح الألفاظ غير الصحيحة ، ولم يدخلها في معجمه فلم يكن بحاجة إذن إلى نقدها (١) .

هـ — فيما يخص الأفعال يُنبّه على ماضيها ومضارعها ، ومصدرها ، وأحياناً يكتفي بالتنبيه على المضارع وحده ، أو المصدر وحده ، إذا كان أحدهما يعني عن الآخر .

و — أما فيما يخص الأسماء فيبين مصدرها وجمعها .

ز — في ترتيبه للأبواب يتوج هذا النظام بترتيب الحروف الذي سار عليه ، وهو الترتيب الألفبائي ، والذي يبسر لكل إنسان العثور على ما يبحث عنه من الألفاظ ببسر وسهولة .

ح — ومن الظواهر الهامة في الصحاح كثرة الأحكام والقواعد التحوية والصرفية ، التي يذكرها المؤلف ، كقوله مثلاً : " التَّنْدُوهُ للرجل بمنزلة التثدي للمرأة .. إذا ضَمُمْتَ أولها همزت ، فتكون (فُعْلَةٌ) ، وإذا فتحت لم تهمز فتكون (فَعْلُوَةٌ) مثل : قَرْنُوَةٌ ، وَعَرْقُوَةٌ " (٢) .

" وَجَأَجَأَتْ بِالْإِبِلِ : إذا دعوتها لتشرب ، فقلت : جيء جيء ، والاسم الجيء مثل : الجيع ، وأصله : جئيء ، فقلبت الهمزة الأولى ياءً " (٣) .

" وَخَطِيءٌ يَخْطَأُ خَطَأً ، وَخَطَأَةٌ عَلَى (فَعْلَةٌ) والاسم : الخَطِيبَةُ عَلَى (فَعِيلَةٌ) (٤)

ط — اعتنى بأسماء القبائل ، والأشخاص ، والأماكن ، وإن كانت عنايته بأعلام القبائل أكثر من عنايته بأسماء الأشخاص .

(١) المزهر ٩٧/١

(٢) الصحاح (ثدي)

(٣) الصحاح (جأجأ)

(٤) الصحاح (خطأ)

وإليك بعض الأمثلة التي جاءت في الصحاح ، والتي تُرهنُ على حرصِ الجوهري على انتقاءِ الصحيح من اللغات ، وقد رأيت تصنيف هذه المعالم في تنقية اللغة لدى الجوهري في الآتي :

أولاً : اقتصاره على اللغة العالية الفصيحة ، وإغفال ما عداها ،
ومن أمثلة ذلك قوله :

— غَوَى الرَّجُلُ يَغْوِي غَيًّا . (غوى)

— نَفَحَ الطَّيْبُ يَنْفَحُ . (نفح)

— نَفَرَتِ الدَّابَّةُ تَنْفِرُ . (نفر)

— حَمَدَتِ النَّارُ تَحْمِدُ . (تحمد)

— رَبَّضَتِ الْعَنَمُ تَرَبِّضُ . (ربض)

— زَكَنْتُ ، وَلَا يُقَالُ : أَزَكَنْتُ . (زكن)

— يُقَالُ : عَنَيْتُ بِحَاجَتِكَ أُعْنِي بِهَا . (عنا)

قلت : اتضح لنا من خلال المواد أعلاه أن الجوهري وقف عند حد الفصح ،

وإلا فإن من اللغويين من ذكر أكثر من لغة ، ويتضح بيان ذلك في الآتي :

— ففي مادة (غَوَى الرَّجُلُ يَغْوِي) يقال : غَوَى يَغْوِي ، بكسر الواو في الماضي ،
وفتحها في المستقبل ، على مثال : علم يعلم ^(١) ، وقد سكت عنها الجوهري .

(١) انظر : أدب الكاتب ٤٢١ ، وأفعال السرقسطي ٤٣/٢ ، وتحفة الهمد ٢٦ ، والحكم ٤٥/٦ (غوى) ،
واللسان (غوى)

— وفي (خَمَسَتْ السَّارُ) يقال : خَمَدَتْ ، بكسر الميم ^(١) ، ولم يذكرها الجوهري .

— وفي (زَكَيْتُ) أنكر الجوهري (أَزَكَيْتُ) بالألف ، وهي لغة حكاها غير واحد من أئمة اللغة ^(٢) ، وهناك من حكى (زَكَيْتُ) بفتح الكاف ، كلغة نالته فيه ^(٣) .

— وفي (عُنَيْتُ بِحَاجَتِكَ) يقال : عَنِيتُ ، بفتح العين ، وهي لغة فصيحة لم يذكرها الجوهري ^(٤) .

ثانيا : ذكره للغتين معا ، في حالة تساويهما فصاحة ،

ومن أمثلة ذلك قوله :

— شَحَبَ جِسْمُهُ يَشْحَبُ ، وَشَحَبَ لُغَةً فِيهِ حَكَاهَا الْفَرَاءُ . (شحِب)

— قَحَلَ الشَّيْءُ يَقْحَلُ ، وَقَحَلَ بِالْكَسْرِ لُغَةً . (قحل)

— دَهَمْتُهُمُ الْخَيْلُ ، قَالَ أَبُو عبيدة : وَدَهَمْتُهُمُ بِالْفَتْحِ لُغَةً . (دهم)

— شَمِمْتُ الشَّيْءَ أَشْمُهُ ، وَشَمِمْتُ بِالْفَتْحِ أَشْمُ لُغَةً . (شمم)

— شَمِلَهُمُ الْأَمْرُ يَشْمَلُهُمْ ، وَشَمَلَهُمْ بِالْفَتْحِ يَشْمَلُهُمْ لُغَةً . (شمل)

— مَذَى الرَّجُلُ ، وَأَمَذَى بِالْأَلْفِ مِثْلَهُ . (مذى)

(١) انظر تحفة المجد ٦٩

(٢) انظر : الغريب المصنف ٥٧٣/٢ ، وشرح ابن هشام للفصيح ٥٩ ، وانظر : الجمل والمخصص والمحكم)

(زكن)

(٣) انظر : أفعال ابن القطاع ٨٥/٢ ، وشرح ابن هشام ٥٩

(٤) انظر : الاقتضاب ٢١٩/٢ ، ٢٤١/٣ ، وأفعال السرقسطي ٣١٥/١ ، وأفعال ابن القطاع ٣٩٥/٢

— هَلَّتْ الدَّقِيقَ ، وَأَهْلَتْهُ لُغَةٌ فِي هَلَّتْ . (هيل)

— يُقَالُ : جَهَدَ دَابَّتَهُ ، وَأَجْهَدَهَا . (جهد)

— فَرَضْتُ الرَّجُلَ ، وَأَفَرَضْتُهُ : إِذَا أَعْطَيْتَهُ . (فرض)

— قَلَيْتُ السُّوَيْقَ وَاللَّحْمَ ، وَقَلَوْتُهُ لُغَةً . (قلا)

— وَبَرَّيْتُ مِنَ الْمَرَضِ بُرْءًا بِالضَّمِّ ، وَأَهْلَ الْحِجَازِ يَقُولُونَ :

بَرَّأْتُ مِنَ الْمَرَضِ بُرْءًا بِالْفَتْحِ . (برأ)

— قَالَ الْيَزِيدِيُّ : (حَزَنُهُ) لُغَةٌ قَرِيشَ ، وَأَحْزَنُهُ لُغَةٌ تَمِيمَ ،

وَقَدْ قَرِئَ بِهِنَّ . (حزن)

— قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ : اسْتَحْيَى بِيَاءَ وَاحِدَةً ،

لُغَةٌ تَمِيمَ وَبِيَاعِينَ لُغَةٌ أَهْلِ الْحِجَازِ . (حى)

ثالثاً : ذَكَرَهُ ثَلَاثَ لُغَاتٍ وَيَتِمُّتُّ ذَلِكَ فِي الْآتِي :

— حُشِنْتُ الصَّيْدَ ، وَكَذَلِكَ : أَحَشِنْتُهُ ، وَأَحْوَشِنْتُهُ . (حوش)

— بَهَتَ الرَّجُلُ بِالْكَسْرِ ، وَبَهَتَ بِالضَّمِّ مِثْلَهُ ،

وَأَفْصَحَ مِنْهُمَا : بُهَتَ . (بهت)

— الْإِصْبَعُ : يَذْكَرُ وَيُنْثَى فِيهِ لُغَاتٌ : إِصْبَعٌ ،

وَأُصْبِعٌ ، وَأُصْبِعٌ ، وَإِصْبِعٌ ، وَأُصْبِعٌ ، مِثَالٌ : أَضْرِبُ . (صبع)

— يُقَالُ : ضَحَّى بِشَاةٍ مِنَ الْأُضْحِيَّةِ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فِيهَا أَرْبَعُ لُغَاتٍ :

أُضْحِيَّةٌ ، وَأُضْحِيَّةٌ ، وَضَحِيَّةٌ ، وَأُضْحَاةٌ . (ضحأ)

رابعاً : تقديمه للغة العالية ، ووسم اللغة الثانية بسمات تخرجها
عن حيز الفصاحة ، ويتضح ذلك في قوله :

— لَعَبَ الرَّجُلُ يَلْعَبُ ، وَلَعِبَ بِالْكَسْرِ لُغَةٌ ضَعِيفَةٌ فِيهِ . (لعب)

— وَقَفْتُ النَّارَ لِلْمَسَاكِينِ وَقْفًا ، وَأَوْقَفْتُهَا بِالْأَلْفِ لُغَةٌ رَدِيئَةٌ . (وقف)

— وَقَدْ بَرَدَ الشَّيْءُ بِالضَّمِّ ، وَبَرَدَتْهُ ، وَلَا يُقَالُ أُبْرِدْتُهُ ،

إِلَّا فِي لُغَةٍ رَدِيئَةٍ . (برد)

— أَغْلَقْتُ الْبَابَ فَهُوَ مُعْلَقٌ ، وَغَلَقْتُ الْبَابَ غَلَقًا

لُغَةٌ رَدِيئَةٌ مَتْرُوكَةٌ . (غلق)

— سَخِرْتُ مِنْهُ أَسْخَرُ ، وَحَكَى أَبُو زَيْدٍ سَخِرْتُ بِهِ ،

وَهُوَ أَرْدَا اللَّغَتَيْنِ . (سخر)

— أَعَقَّتِ الْفَرَسُ ، فَهِيَ عَقُوقٌ ، وَلَا يُقَالُ : مُعِقٌّ

إِلَّا فِي لُغَةٍ رَدِيئَةٍ . (عقق)

— وَمَحَقَّهُ اللَّهُ ، وَأَمَحَقَّهُ لُغَةٌ فِيهِ رَدِيئَةٌ . (محق)

— وَفُلَانٌ شَرُّ النَّاسِ ، وَلَا يُقَالُ : أَشَرُّ النَّاسِ

إِلَّا فِي لُغَةٍ رَدِيئَةٍ . (شرر)

فتلك هي أهم معالم التنقية لدى صاحب الصحاح ، والذي التزم الصحيح في

معجمه .

تاسعاً — ابن الجبَّان (١)

هو (أبو منصور محمد بن علي بن عمر بن الجبَّان الأصبهاني) ، لا يُعرف تاريخ مولده ، علي وجه الدقة ، ولكنه من أصحاب أبي علي الفارسي المتوفى سنة ٣٩٨ ومن ندماء الصاحب بن عباد ، فربما كانت ولادته بين العقدين الرابع والخامس من القرن الرابع الهجري . ولم تسلم وفاته — أيضاً — من الاختلاف ، إلا أن معظم المصادر تشير إلى أنه كان حياً سنة ٤١٦ هـ .

والذي نَهْدِفُ إليه — من تناول شرحه لفصيح ثعلب — في هذا المقام ، إيضاح منهجه في تنقية اللغة بوصفه عالماً من أبرز أعلام التنقية ، وتبرز سمات هذا المنهج في الآتي :

أ - سار على المنهج الذي رسمه ثعلب في فصيحته ، في اختياره للأفصح ، وإغفال ما عداه ، ومن أمثلة ذلك :

— يرى فصاحة قولهم : فَسَدَ الشَّيْءُ ، وينكر علي من قال : انْفَسَدَ ولا فَسَدَ ، ويصرِّح بأنهما من لغات العامة (٢) .
قُلْتُ : والضمُّ لُغَةٌ حَكَاهَا جَمْعٌ مِنَ اللُّغَوِينِ (٣) .

— يقرر فصاحة : رَعَفْتُ أَرَعْفُ ، ويصرِّح بأن : رَعَفْتُ ، بضم العين ، ورَعَفْتُ علي ما لم يسم فاعله فاسدان (٤) . قُلْتُ : وهذا الذي أنكره من لغة

(١) ترجمته في معجم الأدباء ١٨ / ٢٦٠ - ٢٦٢ ، و٣ / ١٩٢ ، وإنباء الرواة ، وبغية الوصاة ١ / ١٨٥ - ١٨٦ .

(٢) شرحه : ٩٩ .

(٣) انظر : الإصلاح ١٨٩ ، وأدب الكاتب ٤٢٢ ، وتنقيف اللسان ٢٣٥ ، والصحاح (فسد) .

(٤) شرحه : ١٠٠ .

الضم (رَعَفَ) ، ووصفه بالفساد ، حكاه أئمة اللُّغة الثقات ، فمنهم : ابن السكِّيت ، وابن قتيبة ، وأبو عبيد ، وابن القطَّاع ، وابن مكي الصَّقلي ، والصفدي .^(١) وحكَّاه بعضُ أصحاب المعاجم ، قال في المحكم : " رَعَفَ يَرَعِفُ ، وَيَرَعِفُ ، رَعْفًا وَرُعَافًا ، وَرَعَفَ ، وَرَعِفَ " ^(٢)

— ويرى فصاحة قولهم : وَنَفَدَ الشَّيْءُ يَنْفَدُ ، ويتكرر على من قال : نَفَدَ الشَّيْءُ إِلَّا إِذَا فَنِيَ^(٣) قُلْتُ : ووافق ابن الجُبَّان فيما ذهب إليه أئمة اللُّغة^(٤) ، ولم أجد مخالفًا له ، إلا ما حكاه ابن القطَّاع : " نَفَدَ ، بفتح الفاء ، وَأَنْفَدَ بِالْأَلْفِ " ^(٥)

— اقتصر على لغة الفصاحة والعلو في قولهم : فَلَجَ الرَّجُلُ عَلَى عَصْمِهِ يَفْلِجُ^(٦) . قُلْتُ : وحكى بعض اللُّغويين لغة ثانية (أَفْلَجَ) ، حكاه ابن دريد ، والزَّجَّاج ، والسَّرْقِطِي ، ونقلها صاحب تحفة المجد عن بعض أئمة اللُّغة .^(٧)

— ويفرد لغة الفصيح أيضًا في قوله : هَلَّتْ عَلَيْهِ التُّرَابُ أَهْيَلُهُ^(٨) . قلت : وذكر جمع من اللُّغويين لغة ثانية ، لم يذكرها ابن الجُبَّان ، وهي (أَهَلَّتْ) بِالْأَلْفِ ، حكاه أبو عبيد ، والزَّجَّاج ، وابن القطَّاع^(٩) . ومن اللُّغويين من نسبها إلى

(١) انظر الإصلاح ١٨٨ ، وأدب الكاتب ٤٧٦ ، والغريب المصنف ٢ / ٦٠٧ ، وأفعال ابن القطَّاع ٢ /

٤٣ ، وتقييف اللسان ٢٦٢ ، وتصحيح التصحيف ٢٨٥ .

(٢) المحكم ٨٦/٢ ، والصحاح (رَعَفَ) .

(٣) شرحه : ١١٢ .

(٤) انظر : ما تلحن فيه العامة للكسائي ١٠٠ ، والإصلاح ٢٠٩ ، وأدب الكاتب ٣٩٨ .

(٥) انظر : أفعال ابن القطَّاع ٣ / ٢٣٧ .

(٦) شرحه ١١٤ .

(٧) انظر : الجمهرة ١ / ٤٨٧ (نَفَدَ) ، و فعلت وأفعلت للزَّجَّاج ١٠٥ ، وأفعال السَّرْقِطِي ٤ / ٦ ،

وتحفة المجد الصريح ٢٣٢ ، والقاموس (فليج) .

(٨) شرحه ١٢٠ .

(٩) انظر : الغريب المصنف ٢ / ٥٧٤ ، وفعلت وأفعلت للزَّجَّاج ١٢٨ ، وأفعال ابن القطَّاع ٣ / ٤٦٢ .

هذيل وأهلته لغة لهذيل ^(١) ومنهم من ذكر ثلاث لغات في الماضي : (هَلَّتْ ،
وأهَلَّتْ ، وهَيَّلتُ) . ^(٢)

— ويفرد لغة الفصيح في نَقَهَتْ الحديث أَنْقَهُهُ ^(٣) . قُلْتُ : حكى جمع من أئمة
اللُّغة لغة ثانية ، وهي (نَقَهَتْ) ، بفتح القاف ، ومنهم : أبو عبيد ،
وابن السكيت ، والسرقسطي ، وابن القطّاع . ^(٤) ووافقهم أصحاب المعاجم اللُّغوية . ^(٥)

ب - ومن مذهبه في التَّنْقِيَةِ التقليل من شأن لغة العَامَّة ، ومن أمثلة ذلك :

— ينكر قول العَامَّة : سَمَكٌ مَالِحٌ ، وينبئه إلى أن ذلك ليس بمختار عند
الفصحاء ^(٦) ، وإنما الاختيار أن يقال : مَمْلُوحٌ وَمَلِيحٌ . وقد وافقه جمع من
اللُّغويين كصاحب العين ، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابن الجوزي ،
وابن دُرُسْتُوِيَه ، والزَّخَشَرِي . ^(٧)

— يذكر أن : اليَسَارُ مُقابل اليمين ، وينبئه إلى أن الياء مفتوحة ، وبعضهم
يكسرها ، ويقرر أن ذلك ليس بمختار ^(٨) . وهكذا قال به جمع من أئمة اللُّغة ،
أمثال : ابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابن دُرُسْتُوِيَه ، وابن الجوزي ، والصفدي . ^(٩)

(١) انظر : شرح الفصيح للزخشري ١ / ١٠٥ .

(٢) انظر : تحفة الهدى الصريح ٢٩٠ .

(٣) شرحه : ١٢٩ .

(٤) انظر : الغريب للمصنف ٢ / ٥٨٦ ، والإصلاح ٢١٤ ، وأفعال السرقسطي ٣ / ٢٠٧ .

(٥) انظر : الصحاح ، والمحكم ٤ / ٩١ ، والمصباح ، والقاموس (نقه) .

(٦) شرحه : ٣٢٦ .

(٧) انظر : العين ٣ / ٢٤٣ (ملح) ، والإصلاح ٢٨٨ ، وأدب الكاتب ٤٠٤ ، وشرح ابن درسته ٤٩٣ ،

وشرح الزخشري ٢ / ٦٧٩ ، وتقويم اللسان ١٦٥ .

(٨) شرحه : ١٩٩ .

(٩) انظر : الإصلاح ١٦٣ ، وأدب الكاتب ٣٨٨ ، وشرح ابن درسته ٢٦٩ ، وتقويم اللسان ١٨٨ ،

وتصحيح التصحيح ٥٥٧ .

ج - تَخَطُّبَتَهُ لِبَعْضِ لُغَاتِ الْعَامَّةِ :

ومن معاييرهِ فِي التَّنْقِيَةِ تَخَطُّبَتَهُ لِبَعْضِ لُغَاتِ الْعَامَّةِ ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ بِأَسَالِيْبٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، وَيَتَضَحَّ ذَلِكَ فِي عِبَارَاتِهِ التَّالِيَةِ :

قَوْلُهُ : " لَا يُقَالُ " :

— نَبَّهَ إِلَى أَنَّهُ يُقَالُ : صَرَّفْتُ الصَّبِيَانَ أَصْرَفُهُمْ . وَلَا يُقَالُ : أَصْرَفْتُ^(١)

قُلْتُ : الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْجُبَّانِ وَافَقَ مَا حَكَاهُ جَمْعٌ مِنْ أُمَّةِ اللُّغَةِ كَالْكِسَائِيِّ ، وَابْنِ قَتِيْبَةٍ ، وَالزَّجَّاجِ ، وَابْنِ الْجَوْزِيِّ ، وَالصَّفْدِيِّ .^(٢)

قَوْلُهُ : " لَا تُقَالُ " :

— يَصْرُحُ بِأَنَّهُ لَا يُقَالُ : انْفَسَدَ ، وَلَا فَسَدَ ، بِضَمِّ السِّينِ ، وَيُنَبِّهُ إِلَى أَنَّهُمَا مِنْ

لُغَاتِ الْعَامَّةِ^(٣) . قُلْتُ : وَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ ابْنُ الْجُبَّانِ ، قَالَ بِهِ جَمْعٌ مِنْ أُمَّةِ

اللُّغَةِ وَمِنْهُمْ : ابْنُ السَّكَيْتِ ، وَابْنُ قَتِيْبَةٍ ، وَابْنُ الْقَطَّاعِ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ ، وَابْنُ

مَكِيِّ الصَّقَلِيِّ .^(٤)

قَوْلُهُ : " لَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيْحٍ " :

— يَصْرُحُ بِأَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُ : غَفَوْتُ ، وَيُنَبِّهُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِصَحِيْحٍ^(٥) .

(١) انظر : الإصحاح ١٦٣ ، وأدب الكاتب ٣٨٨ ، وشرح ابن درستويه ٢٦٩ ، وتقوم اللسان ١٨٨ ، وتصحيح التصحيح ٥٥٧ .

(٢) شرحه ١٤٤ .

(٣) انظر : ما تلحن فيه العامة للكسائي ١٠١ ، والإصحاح ٢٢٦ ، وأدب الكاتب ٣٧٤ ، وفعلت وأفعلت للزجاج ١٥٣ ، وتقوم اللسان ١٣٠ ، وتصحيح التصحيح ١١٢ .

(٤) شرحه : ٩٩ . وانظر : ١١٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥ .

(٥) انظر : الإصحاح ١٨٩ ، وأدب الكاتب ٤٢٢ ، وأفعال ابن القطاع ٢ / ٤٦٣ ، وتقوم اللسان ١٤٥ ، وتثقيف اللسان ٢٣٥ .

(٥) شرحه ١٥١ ، وانظر : ٢٠٢ ، ٢٦٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٧ .

قُلْتُ : وافق معظم اللُّغويين ما ذهب إليه ابن الجبَّان ، ولم أرَ مخالفاً له — حسب ما اطلعت عليه — إلا ما حكاه السرقسطي ، وابن القطَّاع من ذَكَرهما (غَفَوْتَ) كلُّعَةً ثانية .^(١)

— يذكر بأنَّ : التَّوَلُّولُ ، هو الذي تُسميه العامَّةُ : تَأَلُّولٌ ، ويصرِّح بأنَّ ذلك ليس بصحيح^(٢) .

قُلْتُ : قد وافق ابن الجبَّان ما ذهب إليه جمعٌ من اللُّغويين ، كابن قتيبة ، وابن مكي الصقلي ، والصفدي .^(٣)

قوله : " ذاك خطأ " :

يصرِّحُ بأنَّ العامَّةَ تقول : إِسنانٌ ، بالكسر ، وينبئه إلى أنه خطأ^(٤) . قُلْتُ : وقد وافق ابن دُرُسْتويه ، والزمخشري ما ذهب إليه ابن الجبَّان .^(٥) وعامَّةُ زماننا على فتح الهمزة في (أَسنان) ولا نكاد نسمع لغة الكسر فيها .

قوله : " ليس ذلك بشيء " :

— ينبئه إلى أنَّ العامَّةَ تقول : رائِطَةٌ ، ويرى أنَّ ذلك ليس بشيء^(٦) . ووافق ابن الجبَّان ما حكاه جمعٌ من أئمة اللُّغة ، كابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابن دُرُسْتويه ، والزمخشري .^(٧)

قوله : " ذلك غلط " :

(٦) انظر أفعال السرقسطي ١٠٨١ / ٢ ، وأفعال ابن القطَّاع ٤٤٦ / ٢ .

(١) شرحه : ٤٤٦ .

(٢) انظر : أدب الكاتب ٣٩٤ ، وتنقيف اللسان ١٥٨ ، وتصحيح التصحيف ١٩٨ .

(٣) شرحه ١٩٩ ، وانظر : ٢٦٩ ، ٣٢٥ .

(٤) انظر : تصحيح الفصيح ٢٦٩ ، وشرح الزمخشري ٣٧٦ .

(٥) شرحه ٣٣٢ .

(٦) انظر : الإصحاح ٢٩٧ ، وأدب الكاتب ٤٢٧ ، وتصحيح الفصيح ٥٦ ، وشرح الزمخشري ٦٨٩ —

— يذكر أن : الشَّبوطُ ، سَمَكٌ عند أهل العراق معروف ، وبنبّه إلى أنّهم يَضُمون الشين ، ويصرِّح بأن ذلك غلط ^(١) .

قلت : وقد وافق ذلك ما نقل عن أئمة اللُّغة ، من أمثلة : الكسائي ، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابن دُرستويه ، وابن الجوزي ، والسيوطي ^(٢) ، وأصحاب المعاجم اللُّغوية . ^(٣)

ومما سبق نخلص إلى إيجاز مذهب ابن الجبَّان في تنقية اللُّغة بالآتي :

— الاختيار : ويتمثل ذلك بذكره أفصح اللُّغات ، وإغفال ما عداها .

— التصويب : ويتمثل ذلك في إثباته لنطق العامَّة وتصويبه لها .

— التقليل من شأن لُغة العامَّة : ويتمثل ذلك في نعتها لها بما يُقلِّل من قدر فصاحتها .

وهناك معالم أخرى سار عليها الشارح في تنقيته للغة سيأتي تفصيلها في الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء الله تعالى .

(٧) شرحه ٢٠٩ ، وانظر : ٣٣٠ ، ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(١) انظر : ما تلحن فيه العامة للكسائي ١١٢ - ١١٣ ، والإصلاح ١٣٢ ، ٢١٨ ، وأدب الكاتب ٥٨٩ ، وتصحيح الفصح ٢٨٠ ، وتقويم اللسان ١١٨ ، والمزهر ٢ / ٥١ .

(٢) انظر : الجمهرة ٣ / ١٢٨٦ ، والصحاح (شبط) .

عاشراً — بن مكي الصَّقَلِي :

هو أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الحميري المازري الصَّقَلِي ، النحوي ، اللغوي ، الفقيه ، المُحدِّث ، الخطيب ، الشاعر ، يلقب بالإمام ، وباللغوي المحدث ، وبالقاضي الجليل ، ذكر أنه كان خطيباً ، يخطب الجمعة من إنشائه ، وكان شاعراً ويغلب على شعره الحكمة والموعظة توفي سنة ٥٠١ هـ^(١) .

— بدأ ابن مكي كتابه بمقدمة حمد الله — جل وعلا — الذي فضَّل العرب بهذا اللسان ، وبخاتم الأنبياء — صلى الله عليه وسلم — والذي فضَّل على سائر الأمم ، وجعل الله تعالى معجزته قائمة وآيته دائمة ، وشرَّفه ربه — تبارك وتعالى — بالفصاحة الباهرة ، ثم يصور المؤلفُ حال اللغة العربية في صقلية ، حيث نشأ فيها اللحن " ودخلت لغة العرب ، فلم تزل كل يوم تنهدم أركانها ، وتموت فرسانها ، حتى استبيح حريمها ، وهُجِّنَ صميمها ، وعفت آثارها... " ^(٢) .

— وأبان في تلك المقدمة أن كثيراً من الناس يخطئون وهم يحسبون أنهم مصيبون وكثير من العامة يصيبون وهم لا يشعرون ، فرمما سخط المخطئ من المصيب ، وعنده أنه قد ظفر بأوفر نصيب ^(٣) . ويوضح أن الناس تساووا في الخطأ واللحن إلا القليل .

— كما يكشف لنا ابن مكي أن اللحن قد وصل بين الخاصة إلى أخطر مراحلها ، إذ تبدو مظاهره في تصحيف الأحاديث النبوية ، وكذا تعمُّد الوقف في مواضع لا يجوز الوقوف عليها في القرآن الكريم ، وتغيير أشعار العرب وتصحيفها ، وتصنيف

(١) ترجمته في : إنباه الرواة ٢/٣٢٩ ، وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف ٤٢ ، بغية الوعاة ٣٦١ ،

وكشف الظنون ٢/٩٩٣ ، وفي مقدمة المحقق عبدالعزيز مطر ص ٦ .

(٢) انظر : مقدمة تنقيح اللسان ٤١ - ٤٢ .

(٣) المقدمة نفس الصفحات .

الكتب الملحونة ... وبلغ سوء الحال درجة لا يُميز الناس فيها بين الصحيح والملحون ، بل ربما أنكروا الصواب (١) .

— ويورد المؤلف بعض الأمور — والتي لاحظها بنفسه — والمتعلقة بأخطاء خاصة الناس ، وهي في نظره على أربعة أضرب :

أولها : ما وقف عليه بخط رجل من خاصة الناس وأفاضلهم ، وهو قوله : " أحبُّ أن تُشهد " بالشين ، يريد تجتهد (٢) .

ثانيها : ما رآه بعينه بخط رجل آخر أكبر من الأول ، وأعلى منزلة ، إذ كتب على ظهر كتاب قول مروان بن أبي حفصة :

زَوَامِلٌ لِلْأَسْفَادِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ

فكتب (للأصفاد) بالصاد (٣) .

وثالثها : أن رجلاً من أهل العلم ، كتب إلى ابن مكي رقعة فيها : " وقد عَزَمْتُ على الإتيان إليك " بزيادة ياء بعد الهمزة (٤) .

ورابعها : وهو الذي بسببه قام بتأليف كتابه ، وهو أن ابن مكي شهد رجلاً قبله تخصصٌ وفقه وحفظ للأخبار والأشعار ، وقد سمع كلاماً فيه ذكر (الشدق) ، فلما سمعه بالذال غير المعجمة ، أنكره ، وتعجب من أن يجوز ذلك ، وكان كالعامية يقول : (الشَّدق) بالذال ، ثم سأله ذلك الرجل ابن مكي أن يجمع له مما يصحف الناس في ألقاظهم ، وما يغلط فيه أهل الفقه ، فأجابته المؤلف إلى

(١) المقدمة ص ٤٢ .

(٢) ص ٤٢

(٣) تنقيف اللسان ص ٤٢

(٤) نفس الصفحة .

ذلك ، وكان ذلك سبباً لتأليف كتابه هذا ^(١) ، (تثقيف اللسان وتلقيح الجنان) .
والذي حققه الدكتور عبدالعزيز مطر ، فأراد المؤلف من هذه التسمية — وكما
يقول الدكتور مطر ^(٢) — أن يكون كتابه تثقيفاً للسان بما يضم من تصحيح
للأخطاء اللغوية التي شاعت بين العامة والخاصة في صقلية ، في القرن الخامس
الهجري ، وأن يكون تلقيحاً للجنان بما تضمنه من شرح لما يجري على الألسنة
من أمثال سائرة ، ومن تفسير طائفة من أبيات الشعر ظاهر لفظها مخالف لمعناها ،
وهذا المصنف يكشف عن منهج مؤلفه في تنقية اللغة العربية مما يشوبها ، وهو
مدار حديثنا في هذا المبحث .

(١) ص ٤٢ - ٤٣

(٢) ص ١٤

أولاً / منهجه في الكتاب :

نص ابن مكي في مقدمة كتابه على أنه جمع من غلط أهل بلده ما سمعه من أفواههم ، وجاء الكتاب في خمسين باباً أثبتتها في مقدمته ^(١) ، مما أغنى عن تكرارها ، بدأها بباب التصحيف ، لأنه — وكما يقول ^(٢) — كان السبب في تأليف الكتاب ، ومفتاح النظر في تصنيفه ، ثم أتبعه كلاماً يليق به أو يقاربه ، فبعد التصحيف يذكر التبديل ، ويلحظ على هذا التبويب ما يلي :

— من الباب الأول إلى الثالث عشر ، ومن السادس عشر إلى الثامن عشر ومن السادس والعشرين إلى الثلاثين ، جرى التقسيم فيها على أساس نوع الغلط الذي وقع من العامة أو الخاصة ، فهو تصحيف أو تبديل ، أو زيادة أو نقص ، أو تغيير حركة ، أو تحريك ساكن ، أو تسكين متحرك ، أو تشديد مخفف ، أو العكس ، أو همز ما ليس بمهموز ، أو تركه ، أو تأنيث مذكر ، أو العكس .

— أما البابان الرابع عشر والخامس عشر ، فقد جرى فيهما التقسيم على أساس الصيغة التي يقع فيها الخطأ ، كأسماء الفاعلين والمفعولين .

— والأبواب من التاسع عشر إلى الثالث والعشرين ، قُسمت على أساس الباب التحوي أو الصرفي الذي يقع فيه الخطأ ، كالتصغير والنسب أو الجموع .

— أما الباب الرابع والعشرين فيجمع أخطاء لا تقع تحت الباب ، فأطلق عليها (باب في أنواع شتى) .

— أما الأبواب العشرة من الحادي والثلاثين إلى الأربعين ، ف جرى التقسيم فيها على أساس من يقع منهم الغلط ، وهم العامة والخاصة ، والقراء ، وأهل الحديث ، والفقهاء ، وأهل الطب ، وأهل السماع (وقصد به الأغاني)

(١) تنقيف اللسان ص ٤٣ - ٤٥ .

(٢) نفسه ص ٤٧ .

— وجاءت بقية الأبواب في موضوعات غير اللحن ، وجرى التقسيم فيها حسب نوع الموضوع الذي عقد الباب من أجله .

وبعد هذا الإيجاز عن المنهج الذي سار عليه المؤلف في كتابه ، نختتم مبحثنا باختيار بعضاً من أبواب الكتاب ، والتي تكشف عن منهج المؤلف في حرصه على سلامة اللسان ، وتقويمه ، وتنقيته للغة القرآن ، فمن أمثلة ذلك :

أولاً / باب التصحيف : قال المؤلف مستهلاً كتابه :

— " ورُوي عنه — صلى الله عليه وسلم — : " التَّنْفُلُ في المسجد خطيئة ، وكفارتها أن يسواريه " ^(١) ويصرح بأن هذا مما يغلط فيه الناس فيجعلونه بالثناء ، فيقولون : تَقَلَّ يَنْفُلُ ، إذا بصق ، والصواب عنده أن يقال بالثناء (تَقَلَّ) ^(٢) .

— كما يذكر أن البعض يقولون لجانب القم : شَذَقَ ، ويقرر أن الصواب بأن يُقال ذلك بالدال غير معجمه (شَذَقَ) ^(٣) .

وقد اشتمل هذا الباب على أمثلة أخرى نشير إليها في مظاهرها ^(٤) .

ثانياً / بابا التبديل ، ومن أمثلته قوله :

— فَفَعَّتْ عين الرَّجُل ، وهو مقفوع العين . والصواب عنده أن يقال : فقأت عينه ^(٥) .

— ويقولون : بَرَّدَ قَارِصٌ . والصواب لديه أن يقال : قارس ^(٦) بالسين .

(١) صحيح البخاري ، بلفظ (البزاق) باب : كفارة البزاق في المسجد برقم (٤٠٥) وفي صحيح مسلم

باب : النهي عن البصاق في المسجد برقم (٥٥٢) وهو برواية (التنفل) .

(٢) تنقيف اللسان ٤٨ . وانظر تصحيح التصحيف ٢٠١ .

(٣) نفسه ٥٧ . وانظر تصحيح التصحيف ٣٢٢ .

(٤) انظر الصفحات : ٥١ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٠ .

(٥) نفسه ٧٤ . وانظر الاصلاح ١٤٩ ، وأدب الكاتب ٣٦٧ ، وأفعال السراقسطي ٥١/٤ ، والصحاح (فقأ)

(٦) نفسه ٨٩ . انظر ما تلحن فيه العامة ١٢٢ ، الاصلاح ١٨٤ ، أدب الكتاب ٣٨٦ ، والمدخل إلى تقويم اللسان

وثمة أمثلة أخرى ساقها المؤلف على هذا الباب ^(١) .

ثالثاً / باب ما أنتوه من المذكر ، ومن أمثلته قوله :

— " من ذلك القلب ، والرأس ، والبطن ، والجوف ، يقولون : رقت له قلبي ، وانتفخت بطني ، ونحو ذلك . والصواب تذكير الجميع " ^(٢) .

— " ومنهم من يؤث القمر ، فيقول : طلعت القمر ، وتأنيته لا يجوز ، وكذلك السيف ، ربما أنتوه . والصواب تذكيره " ^(٣) .

وجاء مثل هذه الأمثلة في ثنايا الكتاب ^(٤) .

رابعاً / باب ما وضعوه غير موضعه ، ومن أمثلته :

— ما صرح به من أنهم يقولون للكلاً الأخضر : حشيش ، وينبئ المؤلف إلى أن
نما الحشيش يطلق على اليابس فحسب ^(٥) .

— وكذلك قولهم للفرس الأبيض : أشهب . ينبئ المؤلف بأنه لا يقال ذلك ،
 وإنما يقال : أبيض ، وقرطاسي ^(٦) .

— كما ذكر أنهم يغلطون في قولهم : للبطاط : مُمرقة ، ويصرح بأن المُمرقة إنما
هي الوسادة ^(٧) .

(١) انظر الصفحات ٧٦ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٥ .

(٢) تنقيح اللسان : ١٧٤ .

(٣) نفسه : ١٧٤ .

(٤) نفسه : ١٧٦ .

(٥) نفسه : ١٩٧ .

(٦) نفسه : ٢٠٢ .

(٧) نفسه : ٢٠٧ .

خامساً / باب ما جاء فيه لغتان فتركوها واستعملوا الثالثة لا تجوز ومن أمثلة ذلك :

— ذكر أن هناك من يقول: رَشَوَةٌ ، بالفتح . والصواب عنده أن يقال : رُشَوَةٌ ، بضم الراء وكسرها لا غير (١) .

— أيضاً يصرح بأن البعض يقول : عليه طِلاوَةٌ . وينبه أن الصواب أن يقال : طُلاوَةٌ ، وطِلاوَةٌ ، بالضم والفتح ، والضم عنده أفصح (٢) .

وثمة أمثلة على هذا النوع نشر إليها ف مظاهرها (٣) .

سادساً / باب ما جاء فيه ثلاث لغات فتركوهن واستعملوا رابعة لا تجوز ، ومن أمثلة ذلك :

— يذكر أنهم يقولون : يَيْطَارٌ . وينبه إلى عدم جواز ذلك والصواب عنده : يَيْطَارٌ ، يَيْطَرٌ ، ومَيْيَطِرٌ (٤) .

— ويذكر المصنّف أنهم يقولون : رجل أسْبِطٌ . وينبه إلى أن الصواب أن يقال : سَبِطٌ ، وسَبِطٌ ، وسَبِطٌ (٥) .

— ويذكر المصنّف أن في : العَرَبُونَ ست لغات : عَرَبُونَ ، وَعَرَبُونَ ، وَعَرَبَانٌ ، وَأَرَبُونَ ، وَأَرَبُونَ ، وَأَرَبَانٌ . وينبه إلى أنهم يقولون : العَرَبُونَ ، بإسكان الراء ، ويصرح بعدم جواز ذلك (٦) .

(١) تنقيح اللسان : ٢١٨ .

(٢) نفسه : ٢١٩ .

(٣) انظر الصفحات : ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٤) نفسه : ٢٢٢ .

(٥) نفس الصفحة .

(٦) نفسه ٢٢٣ .

سابعاً / باب ما تنكره الخاصة على العامة ، وليس بمنكر ، ذكر من ذلك :

— قولهم للمائدة : مَيْدَةٌ ، ويصرِّح بأن هذا معروف مسموع ، حكاه أبو عمر الجرمي وابن الأنباري ، وغيرهما (١) .

— وكذلك قولهم في جمع صُورَة : صِوْر ، بكسر الصاد ، فيصرِّح المصنف بجواز ذلك ، وأنه يقال : صُورٌ ، وصِوْرٌ ، إلا أن الضم عنده أفصح (٢) .

وئمة أمثلة أخرى نشير إليها في مظاهرها (٣) .

ثامناً / باب ما جاء فيه لغتان ، استعمل العامة أفصحهما ، ومن أمثلة ذلك :

— ما ذكره من أن المتفصحين يضمون السين من (السَّم) والشين من (الشَّهد) ويقولون في المثل المستعمل : (وهل يؤكل الشُّهدُ إلا بسُم) . وينبه إلى أن الفتح منها أفصح كما تقول العامة (٤) .

— وفي قولهم : ما دلَّائِكَ عليّ ، بكسر الدال ، يصرح بأن الدلالة ، بفتحها — كما تقول العامة — أفصح (٥) .

— وأشار إلى أنهم يقولون : بغداد ، بالذال معجمه ، ويصرح بأن بغداد ، بدالين غير معجمتين — كما تقول العامة — أفصح " (٦) .

(١) تثقيف اللسان : ٢٢٧ .

(٢) نفسه : ٢٢٩ .

(٣) انظر الصفحات : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٤) نفسه ٢٤١ .

(٥) نفسه ٢٤١ .

(٦) نفسه ٢٤١ .

تاسعا / باب ما العامة فيه على الصواب والخاصة على الخطأ ، ومن أمثلة ذلك :

— ذكر أن المتفصحين يقولون : العَسَلُ ، واللَّبْنُ ، وظَفَرَ المسلمون ظَفْرًا عَظِيمًا ، بالإسكان . ويصرِّحُ بأن الصواب أن يقال : العَسَلُ واللَّبْنُ ، والظَّفَرَ ، بالفتح كما تقوله العامة ^(١) .

— ويذكر أن المتفصحين أيضاً يقولون : مِرْزَاب الكعبة . ويرى أن الصواب مِرْزَاب ، بالهمز ، ومِيزَاب ، بالياء كما تقول العامة " ^(٢) .

وقد ضم الباب — بالإضافة إلى ما ذكر — أمثلة أخرى على هذا النوع ^(٣) .

قلت : فإذا كان الزبيدي في كتابه (لحن العامة) متشدداً في حد الفصاحة ، ولا يأخذ إلا بالأفصح ، ويرفض ما عداه — كما مر بنا — ؛ فإن ابن مكّي الصقلي من خلال بعض الأبواب السابقة ، كباب : (ما جاء فيه لغتان استعمال العامة أفصحها) ، وباب : (ما جاء فيه لغتان فتركوها واستعملوا ثلاثة لا تجوز) ، وباب : (ما جاء فيه ثلاث لغات فتركوهن ، واستعملوا أربعة لا تجوز) ، وباب : (ما تنكره الخاصة على العامة ، وليس بمنكر) ، أقول : لديه نزعة توسعية في قبول ما نطقت به العامة ، إذا كان ذلك جارياً على لهجة عربية معروفة ، وتبرز هذه النزعة في قبوله وتصويبه لكثير من الألفاظ التي أنكرها غيره ، كقوله في الباب السابق (ما تنكره الخاصة على العامة ، وليس بمنكر) . وهو خير ما يمثل هذه النزعة التوسعية ، فبالإضافة إلى ما ورد في ذلك الباب نذكر ما يلي :

(١) تنقيف اللسان : ٢٤٢ .

(٢) نفس الصفحة .

(٣) انظر الصفحات ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

— يجيز قول العامة : (شعير ، وسعيد ، وبعيد)^(١) بكسر الأول منها جميعاً ،
واستدل في قوله هذا ، إلى أن هذه هي لغة تميم مع أنها ليست أفصح اللغتين في
هذا الموضع^(٢) .

— ويجيز — أيضاً — قول العامة : (دجاجة ، ودجاج ، بكسر الدال)^(٣) ، إلا
أنه يذكر أن الفتح أفصح . قلت : وكسر الدال في الدجاج حكاه ابن السكيت عن
الفرّاء^(٤) كما نقله السيوطي عن الفارابي ، وقد نصّ الأخير على أنها لغة رديئة^(٥) ،
وقد انكرها ابن قتيبة^(٦) ، واقتصر ثعلب في فصيحه على (دجاجة) بفتح
الدال ، وأغفل لغة الكسر^(٧) .

— كما أجاز ابن مكّي قول العامة (خطأ ، بدلاً من خطأ)^(٨) مستدلاً على
ذلك بقراءة الحسن : ((وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ))^(٩) .

ولعل ما تقدم من أمثلة قد أماط لنا اللثام عن مذهب التوسع عند ابن مكّي
الصقلي ، وإذا كنّا قد ذكرناه مع علماء التنقية ؛ فلكونه من أولئك الأئمة الذين
صنفوا المصنفات في صيانة اللسان العربي وتقويمه عن الانحراف والاعوجاج .

(١) تنقيف اللسان ٢٢٧ .

(٢) (اللسان : شعر ، سعد ، بعد)

(٣) تنقيف اللسان ٢٢٨ .

(٤) الاصلاح ١٠٥ .

(٥) المزهر ١/٢٢٤ .

(٦) أدب الكاتب ٣٠١

(٧) النصيح ٢٩٢ .

(٨) تنقيف اللسان ٢٢٨ .

(٩) سورة النساء : ٩٢ ، وهذه قراءة الحسن والأعشى ، انظر التاج (خطأ)

الحادي عشر - القاسم بن علي الحريري

هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري ، البصري ، صاحب المقامات ، من أهل بلد قريب من البصرة ، يسمى (المشان) ولد ونشأ به وسكن البصرة في محلة بني حرام ، وإليها نسب . قرأ الأدب على أبي القاسم الفضل بن محمد القصباني ، وكذلك أخذ عنه النحو وتفقه على ابن الصبّاغ ، وأبي إسحاق الشيرازي ، وقرأ الحساب والفرائض على أبي الحكم الحريري ، وأبي الفضل الهمداني ، كان إماماً في الفصاحة والبلاغة ورشاقة الألفاظ . وله مصنفات منها : المقامات ، والملحة وشرحها ، ودرة الغواص في أوهام الخواص ، ولابن بري عليها حواش ، وديوان ترسل ، وديوان شعر . مات بالبصرة سنة ٥١٥ ، وقيل ٥١٦ هـ (١) .

والذي يعنينا من هذا العالم كونه أحد علماء التنقية اللغوية المتشددين في هذا المجال ، وخير ما يمثل مذهبه هذا كتابه (درة الغواص في أوهام الخواص) ، والذي حققه الدكتور الشريف عبدالله بن علي البركاتي .

والملاحظ أن هذا العنوان يختلف عن العناوين التي ارتضاها أصحاب المصنفات والذين ألفوا في لحن العامة ؛ أما الحريري فإنه عالج في كتابه هذا الأخطاء أو الأوهام التي وقع فيها الخاصة ، كما هو واضح من العنوان نفسه ، بل يتضح الأمر أكثر في مقدمة المؤلف ، والتي بدأها بقوله : " فإنني رأيت كثيراً ممن تسنموا أسنمة الرثب وتوسموا بسمة الأدب ، قد ضاهوا العامة في بعض ما يُفَرِّطُ من كلامهم ،

(١) انظر ترجمته في : معجم البلدان ٢٦١/١٦ - ٢٩٣ ، وإشارة التعيين ٢٦٣ - ٢٦٥ ، والبغية ٢٥٧ -

٢٥٩ ، ومقدمة الشريف البركاتي محقق الكتاب ١٠ ،

وترعّفُ به مَرَاعفُ أقلامهم ، فدعاني الأتْفُ لباهة أخطارهم إلى أن أدراً عنهم الشُّبُهَة وأبين ما التبس عليهم واشتبه الخ " (١) .

أهمية هذا الكتاب :

اشتمل على مادة علمية غزيرة ، ومتنوعة ، ما بين نحو وصرف ولغة ، وقواعد إملائية ، تمم كل طالب علم ومعرفة ، كما ضم الكتاب — أيضاً — شوارد ونوادير ، وطرف ، وحكايات قلما اجتمعت في كتاب آخر ، يُزِين ذلك كله أسلوب مؤلفه والذي امتاز بالركة في الأسلوب ، والبلاغة في الأداء والدقة في التعبير ، والفصاحة في الكلمة ، والرشاقة في العبارة (٢) ، وقد أثرى الكتاب المكتبة العربية بالدراسات اللغوية والنقدية ، فاستحوذ على اهتمام العلماء على مدى تسعة قرون ، كما تأثر به مجموعة من العلماء والكتّاب والباحثين المحدثين ولا أدل على ذلك من تلك المصنفات ، والتي دارت في فلك الدرّة ؛ فمنها ما يمثل الجانب النقدي ، والبعض الآخر جاء الاستيفاء ما فات الحريري ، وبعضها استمد مادته من درة الغواص ، كابن الجوزي (٣) ، وصلاح الدين الصفدي (٤) ، ولأهميته فقد آثار حملة تأليف واسعة ما بين شرح ونظم ، ونقد وردود ، واختصار ، وقد أثبت محقق الكتاب ثلاثين مصنفاً ، كلها يدور في فلك درة الغواص (٥) .

(١) انظر مقدمة المؤلف ٤٥ .

(٢) مقدمة المحقق ٤ .

(٣) في كتاب تفرّج اللسان .

(٤) في كتاب تصحيح التصحيف .

(٥) الشريف عبدالله البركاني في مقدمته ١٧ - ١٩ .

المنهج الذي اتبعه المؤلف :

لن يكن للحري منهجاً واضحاً في ذكره للأخطاء التي وقع فيها الخاصة ، وإنما وجدناه يوردها كيفما اتفق ، وعلى وفق تواردها على خاطره .

وقد نبه إلى ذلك ابن منظور في كتابه : (تهذيب الخواص من درة الغواص) بقوله : " غير أنه وضعه بغير تبويب ، وسرده على غير ترتيب ، فضاع فيه المطالع واشتبهت عليه المطالع ، ثم يكشف لنا ابن منظور أنه عالج ذلك بتهذيبه درة الغواص بأن رتب عمله على حروف المعجم ؛ ليسهل الكشف منه عما استعجم " (١) .

وفي إيراده للمواد نحوه يقدم اللحن أو الخطأ ، أو الوهم — كما يسميه — أولاً ثم يتبعه بذكر الصواب . وقد تنوعت لديه معايير تلك الأوهام ، فنجدته يسميها بقوله : ومن أوهامهم ، أو ويوهمون فيه ، وأحياناً بقوله : فيحرفونه عن موضعه ، وتارة : يخطئون فيه ، أو لا يفرقون ، أو كقولهم : يغلطون فيه ، أو يلحنون ، أو وهو لحن فاحش وغلط شائن ، وتارة يصحفون . وإذا كانت قد تنوعت لديه معايير تلك الأوهام أو تلك الأخطاء ، فقد تنوعت لديه — أيضاً — مستويات الصواب اللغوي ، ومن أمثلة ذلك قوله : والأفصح ، والصواب ، والصحيح ، والاختيار ، وتصحيح الكلام ، ووجه الكلام ، والمسموع عن العرب ، وكلام العرب ، وقياس الكلام ، الخ .
وإليك بيان تفصيلي لهذا الإيجاز :

أولاً / قوله : ومن أوهامهم ، أو ويوهمون فيه ، ومن أمثلة ذلك :

(١) مقدمة المحقق ٢١

— ذكر أنهم يقولون : اجتمع فلان مع فلان ، وبينه إلى أنهم يوهمون فيه ،
ويصرح بأن الصواب أن يقال : اجتمع فلان وفلان (١) .

— ذكر أيضاً أنهم يوهمون في قولهم : جَرِحَ زيدٌ في ثديه ، ويُصرِّحُ المصنفُ بأن
الصواب أن يقال : جَرِحَ في ثُدُوْعَتِهِ (٢) .
وثمة أمثلة أخرى ذكرها المصنف في ثنايا الكتاب (٣) .

ثانياً / قوله : فيحرفونه عن موضعه ، ومن أمثلة ذلك :

— ذكر المصنف أن الخاصة يقولون : أَرِفَ وقتُ الصلاة ، إشارة إلى تصرمه ،
وبينه الحريري إلى أنهم يُحَرِّفون ذلك عن موضعه ، مصرِّحاً بأن العرب تقول :
أَرِفَ الشيءَ ، بمعنى دنا واقترب (٤) .

— كما ذكر أنهم يحرفون المعنى بقولهم للخبيث : ذَاعِرٌ ، بالذال المعجمة ، وبينه
إلى أن الصواب أن يقال : الذَّاعِرُ بالذال المهملة (٥) .

ثالثاً / قوله : فيخطئون فيه ، فمن أمثلته :

— أنهم يقولون في جمع أرضٍ : أراضٍ ، فبينه إلى خطئهم في ذلك ، والصواب
عنده أن يقال : أَرْضُون (٦) .

— ويذكر المصنف أيضاً أن الخاصة يخطئون بقولهم : لَقِيْتُهُ لَقَاةً ، مصرحاً بأن
العرب تقول : لَقِيْتُهُ لَقِيَّةً (٧) .

(١) درة الغواص ٦٧ .

(٢) نفسه ٢٢٠ .

(٣) انظر الصفحات ٤٥ ، ٤٦ ، ١٥٩ .

(٤) درة الغواص ٥٠ .

(٥) نفسه : ٧٣ ، وانظر ١٥٠ .

(٦) نفسه : ٩٠ .

(٧) نفسه : ١٨٧ ، وانظر ١٩٠ .

رابعاً / قوله من أفضح الأوهام ، ومن أمثلته :

— أنهم يقولون في جمع فَمٍ : أَفَمَامٌ ، وينبئ إلى أن هذا من أفضح الأوهام ،
مصرحاً بأن الصواب أن يقال : أَفَوَاةٌ (١) .

— ويذكر أن من أقبح أوهامهم أيضاً أنهم يكسرون الباء مع همزة الوصل في
قولهم : ابْنَتْ ، بكسر الباء مع همزة الوصل ، ويُنبئ إلى أن همزة الوصل لا تدخل على
متحرك ، فالصواب عنده أن يقال : ابْنَةٌ أو بِنْتُ (٢) .

خامساً / قوله : وهو لحنٌ فاحشٌ وغلطٌ شائنٌ ، ومن أمثلته :

— أنهم — وكما ذكر المصنّف — يضمون اللام الثانية في قولهم : اللتيا ، والتي ،
ويُنَبِّئ إلى أن ذلك لحن فاحشٌ وغلطٌ شائنٌ ؛ مصرحاً بأن الصواب فيها : اللتيا
بفتح اللام (٣) .

— كما أنهم يقولون : في جمع بيضاء ، وسوداء ، وخضراء : بيضاوات ،
سوداوات ، خضراوات ، ويصرّح بأن قولهم هذا لحن فاحشٌ ؛ بدليل أن العرب
لم تجمع (فَعَلَاء) التي هي مؤنث (أفعل) بالألف والتاء ، بل جمعتها على (فُعَلٍ)
نحو : خُضِرٍ ، وَسُودٍ ، وَصُفْرِ (٤) .

سادساً / قوله : وهو غلطٌ أو يغلطون فيه ، ومن أمثلته :

— ذكر أنهم يغلطون في جمع : (أَوْقِيَّة) على أَوْاقٍ ، إذ إن الصواب أن تجمع على
أَوْاقِيٍّ ، كما تجمع أمنية على أمانِيٍّ (٥) .

(١) درة الغواص : ١١٠ .

(٢) نفسه : ١٥٤ ، وانظر ١٩١ .

(٣) نفسه : ٥١ .

(٤) نفسه : ١٦٠ ، وانظر ٢١٦ .

(٥) نفسه : ٩٩ .

— ويتبه المصنف أيضاً إلى أن من غلطهم أنهم يقولون لهذا النوع من الخضروات المأكولة (تَلَجَمَ) وبعضهم يقول : (شَلَجَمَ) بالشين المعجمة ، وكلاهما غلط في نظر الحريري ، إذ إن الصواب عنده أن يقال : سَلَجَمَ ، بالسين (١) .

— ويذكر أن من أغلاطهم القبيحة وأخطائهم الصريحة قولهم : دخلت الشام ، منبهاً المصنّف إلى أن اسم البلدة الشام ، لفظه مذكر (٢) .

سابعاً / قوله : فَيُصَحِّفُونَ ، ومن أمثله :

— يذكر أنهم يقولون : تَفَلَّ في عينيه ، بناءً معجمة بثلاث ، فيصحفون فيه ، حاكياً أن المنقول عن العرب : تَفَلَّ في عينه بإعجام اثنين من فوق (٣) .

— كما أنهم يقولون لما يَجْمُدُ من فَرَطِ البرد : قَرِيصٌ ، بالصاد ، ويُصَرِّح الحريري بوجههم فيه كما وهم بعض المحدثين . إذ إن الصواب عنده أن يقال : قَرِيصٌ لاشتقاقه من القرس وهو البرد (٤) .

ثامناً / قوله : يَلْحَنُونَ ، ومن أمثله :

— يذكر المؤلف أنهم يقولون : رجلٌ دُنْيَائِي ، بهمزة قبل ياء النسب ، فيلحنون فيه ، منبهاً إلى أن الصواب : دُنْيَوِيٌّ (٥) .

— ويتبه الحريري أيضاً إلى أنهم يلحنون في قولهم : السَّبْعُ الطُّوْلُ ، بكسر الطاء ، ويُصَرِّح بأن الطول هو الجبل ، ووجه الكلام عنده أن يقال : السبع الطُّوْلُ ، بضم الطاء (٦) .

(١) درة القواص : ١٣٢ .

(٢) نفسه : ١٨٢ .

(٣) نفسه : ١٠٦ .

(٤) نفسه : ٢١٣ .

(٥) نفسه : ١١٢ .

(٦) نفسه : ١٦١ ، وانظر ١٧٦ .

تاسعاً / قوله : لا يفرقون ، ومن أمثله :

— يذكر أنهم لا يفرقون بين قولهم : زيدٌ يأتينا صباحَ مساءٍ ، على الإضافة ،
ويأتينا صباحَ مساءٍ ، على الترتيب (١) .

— وذكر أيضاً أنهم لا يفرقون بين معنى مَخُوفٌ ومُخِيفٌ ، معللاً المؤلف ذلك
بأنك إذا قلت : الشيء مَخُوفٌ ، كان إخبارك عما حصل الخوف منه ، كقولك
الأسد مَخُوفٌ ، وإذا قلت : مُخِيفٌ كان إخباراً عما يتولد الخوف منه ،
كقولك : مرضٌ مُخِيفٌ ، أي يتولد الخوف منه (٢) .

قلت : وبعد هذه المعايير والتي وسم بها الحريري خاصة عصره بمجانفة
الصواب في استعمالهم لتلك العبارات الواردة في المصنف ، وإنكاره عليهم ،
يتضح لنا المنهج المتشدد الذي سار عليه الحريري في مصنفه هذا ، وإن كنا نتفق
مع المؤلف في الكثير من القضايا اللغوية ، والتي أنكرها على خاصة عصره ، فإننا
نجد من اللغويين من أجاز ما ذهب إليه الخاصة في بعض تلك القضايا اللغوية ،
وموافقهم في ذلك ، ولكي يتضح المقصود فإننا نكتفي بإيراد ثلاث عبارات
وردت في الكتاب ، وأنكرها الحريري على أولئك الخاصة ، بينما أجازها
آخرون ، وبيأنها في الآتي :

١- أنكر على الخاصة استعمالهم لكلمة (سائر) بمعنى الجميع ، وقال :

هي بمعنى الباقي .

قلت وقال الجوهري : " وسائر الناس : جميعهم ، وسائر الشيء لغة في سائره " (٣) .

(١) نفسه : ١٢٤ .

(٢) درة الغرأص ٢٢٦ ، وانظر ٢٢٧ .

(٣) الصحاح (سر) .

ويورد ابن منظور الإفريقي اعتراضه على الحريري بقوله : " قلت : وفي كتب اللغة وسائر الناس جميعهم ... " (١) .

ونقل ابن بري عن ابن دريد في بعض أماليه قوله : " سائر الشيء يقع على معظمه وجُلّه ... " (٢) .

٢ - كما أنكّر الحريري على الخاصة أيضاً قولهم : فلان يستأهل الإكرام ، وقال ووجه الكلام أن يقال : فلان يستحق المكرمة ، وهو أهل ... " (٣) .
قلت : وقد نقل أبو منصور الأزهري عن العرب الفصحاء سلامة هذا الاستعمال وصحته (٤) .

وجاء في المحكم : " واستأهله : استوجهه ، وكرهها بعضهم " (٥) .

ويقال : استأهل بمعنى استحق (٦) . وقال الزمخشري : " وفلان أهل لكذا وقد استأهل لذلك ، وهو مستأهل له ، وسمعت أهل الحجاز يستعملونه استعمالاً واسعاً " (٧) .

وقال صاحب القاموس : " واستأهله : استوجه لغة جيدة ، وإنكار الجوهري باطل " (٨) .

٣ - أنكّر الحريري أيضاً جمع (ریح) على (أرياح) (٩) .

(١) درة الغواص ٢٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) درة الغواص ٣٦ .

(٤) التهذيب ٤١٨/٦ (أهل) .

(٥) المحكم ٢٥٦/٢ (أهل) .

(٦) المصباح المنير (أهل) .

(٧) أسس البلاغة (أهل) .

(٨) القاموس المحيط (أهل) .

(٩) درة الغواص ٣٤ .

قلت : ومن اللغويين من أجاز الجمع على هذه الصيغة ، قال في الصحاح :
والريحُ واحدة الرِّياح ، والأرِّياح ، وقد تجمع على أرِّواح " (١) .
وجاء في القاموس المحيط : " والرِّيحُ م، ج أرِّواح وأرِّياح ، ورياح ... " (٢) .

(١) الصحاح (روح) .

(٢) القاموس (روح) .

الثاني عشر — ابنُ الجوزي

هو عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبدالله بن حُمّادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي ، يُكنى بأبي الفرج ، ولُقّب جمال الدين ، ويلقب — أيضاً — الإمام العلامة الحافظ ، عالم العراق ، وواعظ الآفاق ، والحافظ المفسر ، والفقير الواعظ ، شيخ وقته ، وإمام عصره . والجوزي نسبة أحد أجداده إلى محلة بالبصرة تسمى (الجوز) وقيل موضع يُقال له (فُرْضة الجوز) ، توفي ببغداد سنة ٥٩٧هـ^(١) . اشتهر الجوزي بوفرة المؤلفات ، فقيل إنها أربعون ومئة ، أو خمسون ومئة ، ورُوي عنه أنه قال : إنها تزيد على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً^(٢) . والذي يعيننا منها هو كتابه (تقويم اللسان) ، والذي حققه الدكتور عبدالعزيز مطر .

أولاً / سبب تأليف الكتاب :

جاء في مقدمة المؤلف أن ثمة أسباباً ثلاثة دعته إلى هذا التأليف ، وإليك إيجازها :

١_ يرى ابن الجوزي أن كثيراً من المتتبعين إلى العلم يتكلمون بكلام العوام المرذول جرياً على العادة ، وهذه العبارة تدل على أن الجميع كانوا يتكلمون في لمحات خطابهم العادية لهجة واحدة ، لا فرق بين خاصتهم وعامتهم .

٢_ كما نُبّه إلى أن بيان الصواب اللغوي فيما يخطئون فيه متناثر في كتب أهل اللغة ، وجمعه يثقل على المتكاسل .

(١) ترجمته في وفيات الأعيان ٢/٣٢١ ، شذرات الذهب ٤/٣٢٩ ، البداية والنهاية ١٣/٢٨ وانظر ترجمته

في مقدمة محقق الكاتب ص ٣

(٢) انظر شذرات الذهب ٤/٣٣٠

٣_ ذكر أن الذين ألقوا فيما تلحن فيه العوام ، لم يحققوا الغرض المنشود من هذا التأليف ، فقام ابن الجوزي باختيار ما رأى صلاحه من مادة هذا الكتاب ، مما كان شائعاً في عصره ، مع رفضه للغلط الذي لا يخفى وجه الصواب فيه .

ثانياً / منهجه في الترتيب :

رتَّبَ ابن الجوزي كتابه على حروف الهجاء ، فجعل لكل حرف باباً ، ووضع الكلمات في الباب على أساس الحرف الأول من الكلمة الصحيحة ، ثم يتبعها بالكلمة الملحونة ، وهو في ترتيبه الهجائي يختلف عن أصحاب المعجمات ؛ إذ يعتبر الحروف الأصلية والمزيدة معاً ، دون النظر إلى الأصل الاشتقائي ، فكلمة (تُكْرِم) لا تطلب في (كرم) بل تطلب في (باب التاء) ، فالترتيب حسب الحرف الأول من الكلمة الصحيحة دون النظر إلى الأصل والمزيد ، كما أن الكلمات لم ترتب داخل الأبواب كالنظام المعجمي ، بل نجده يضع في كل باب جميع الكلمات المبدوءة بالحرف الذي عقد له الباب ، دون ترتيب ، ففي مادة (التاء) مثلاً يسير ترتيبها كالتالي : نَطُّ — نَجِيرٌ — نَمِينٌ — نَيْتَلٌ — وهكذا دون مراعاة للترتيب داخل الباب (١) .

وقد أوضح ابن الجوزي في مقدمته ، المنهج الذي اتبعه في الترتيب ؛ وذلك بتقسيمه الغلط أنواعاً لِيُبَيِّنَ أنه كان قد عزم على أن يجعل لكل منها باباً لولا أنه آثر الترتيب الهجائي ، وهذه الأنواع التي ذكرها في المقدمة ، هي ضم المكسور ، وكسر المضموم ، ومد المقصور ، وقصر الممدود ، وتشديد المخفف ، وتخفيف المشدد ، والزيادة في الكلمة ، والنقص منها ، ووضعها في غير موضعها (٢) .

(١) انظر : تقويم اللسان ٨٩

(٢) المقدمة ص ٥٦

ثالثاً / موضوع الكتاب :

ذكر ابن الجوزي في مقدمته أنه رأى كثيراً من المنتسبين إلى العلم يتكلمون بكلام العوام المرذول ، جرياً على العادة ^(١) . وفي هذا دلالة على أن الأخطاء اللغوية التي تشيع في لهجات الخطاب قد انتقلت إلى الخاصة ، الذين أصبحوا يشاركون العامة في هذه اللهجات المنحرفة عن سنن العربية ، فكتاب تقويم اللسان يعالج لحن العامة والخاصة معاً . وهو في استخدامه للفظ العامة أو العوام ، دون الخاصة والخواص ، إنما يقصد — غالباً — أن هذا الخطأ قد يقع من العامة أولاً ، ثم ينتقل إلى الخاصة ، وأن هؤلاء الخاصة الذين تقع منهم هذه الأخطاء جديرون بأن يسموا عامة لهذا السبب .

رابعاً / طريقته في عرض المادة :

يعد هذا الكتاب من الكتب المختصرة ، والتي أُلقت لتنقية اللسان وتقويمه ، والمؤلف يكتفي بإيراد الصواب أولاً ، مسبوقاً بقوله : تقول ، أو وتقول ، ثم يتبعه بقول العامة . أما المقياس الذي يحكم به ابن الجوزي بالصواب ، أو الخطأ فقد أبان عنه بمقدمته ^(٢) قائلاً : " وإن وجد لشيء مما نعت عنه وجهٌ فهذا بعيد أو كان لغة فهي مهجورة ، وقد قال الفراء : وكثير مما أمّاك عنه قد سمعته ، ولو تجوزت رخصت لك أن تقول : رأيت رجلان ^(٣) ، ولقلت : أردت عن تقول ذلك ^(٤) .

(١) المقدمة ٥٥

(٢) ص ٥٧ - ٥٨

(٣) يقصد لغة من يلزم المثني الألف في جميع الحالات .

(٤) أي عن ، وقصد بما عنعنة تميم .

ولكي يتضح هذا المقياس اللغوي نختار بعضاً مما جاء في الكتاب فمنه قوله :

أ — "وتقول : فلان أهْلٌ لكذا . والعامّة تقول مُسْتَاهِلٌ لكذا ، وهو غلط " (١) .

قلت : ووافق ابن الجوزي فيما ذهب إليه غير واحد (٢) من أئمة اللغة ، إلا أن

من اللغويين من أجاز قول العامّة (٣) ، فقد نقل الأزهري عن العرب الفصحاء

سلامة هذا الاستعمال وصحته (٤) . وقال الزمخشري : " وفلان أهل لكذا ، ...

وهو مستاهل له ، وسمعت أهل الحجاز يستعملونه استعمالاً واسعاً " (٥) .

ب — " وتقول : أَجْبَرْتُ فلاناً على كذا . والعامّة تقول : جَبْرْتُهُ " (٦) . قلت :

وذكر الفراء أنه سمع العرب تقول : جبرته على الأمر (٧) .

ج — " وتقول : يَخْصَمُ عينه ، بالصاد . والعامّة تقولها بالسين " (٨) . قلت :

والسين لغة حكاها غير واحد من أئمة اللغة ، قال في التهذيب ١٥٣/٧ (بخص) :

عن الأصمعي : " بخص عينه ونخزها ، وبخصها ، كله بمعنى فقأها " .

د — " وتقول : حدق القوم بالعسكر . والعامّة تقول أهدقوا " (٩) . قلت :

وقد أجاز ابن قتيبة قول العامّة (١٠) .

هـ — " وتقول : قد هبَّتْ الرياح . والعامّة تقول : الأرياح ، ولو قالوا : الأرواح

كان صحيحاً " (١١) . قلت : ومن اللغويين من أجاز قول العامّة ، قال الجوهري

(١) تقويم اللسان ٥٩ .

(٢) انظر درة الغواص ٥٢ ، الصحاح (أهل) .

(٣) انظر المحكم ٢٥٦/٢ والمصباح ، والقاموس (أهل) .

(٤) التهذيب ٤١٨/٦ (أهل) .

(٥) أساس البلاغة (أهل) .

(٦) نفسه ص ٧١ .

(٧) معاني القرآن ٨١/٣ ، وجاء في اللسان (جبر) أنها لغة لتميم .

(٨) نفسه ص ٨٢ .

(٩) نفسه ص ٩٤ .

(١٠) أدب الكاتب ٤٣٦ .

(١١) نفسه ص ١١١ .

: " والرَّيْحُ واحدة الرِّياح والأرِّياح ، وقد تجمع على أرْواح^(١) " وقال
 الفيروزبادي : " والرَّيْحُ م ، ج أرْواح وأرِّياح ، ورِّياح ... " ^(٢) .
 و — " وتقول : سعرهم شراً . والعامّة تقول أسعرهم " ^(٣) .
 قلت : وقد سبقه ابن السكيت فيما ذهب إليه ^(٤) ، إلا أن من اللغويين من
 أجاز قول العامّة ^(٥) .

وثمة أمثلة أخرى ضمنها المؤلف كتابه نشير إليها في مظاهرها ^(٦) .

(١) الصحاح (روح)

(٢) القاموس روح .

(٣) نفسه ص ١١٧ .

(٤) انظر الإصلاح ٢٢٥ .

(٥) انظر أدب الكاتب ٤٣٦ ، وفعلت وأفعلت للزجاج ٨٧ .

(٦) انظر الصفحات ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨٥ ، ١٠٣ .

ج - الدَوَافِعُ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ

تُجمَعُ المِصَادِرُ عَلَى أَنَّ العَرَبَ فِي جَاهِلِيَّتِهَا ، وَصَدْرَ إِسْلَامِهَا كَانَتْ تَتَكَلَّمُ العَرَبِيَّةَ النَّقِيَّةَ ، الخَالِصَةَ مِنْ شَوَائِبِ اللَّحْنِ وَالخَطَأِ ، وَلَمْ يُسْتَعْمَلِ اللَّحْنُ بِمَعْنَى الخَطَأِ إِلَّا عِنْدَمَا اخْتَلَطَ العَرَبُ بِالأَعَاجِمِ ، وَهَمُ أَهْلُ البِلَادِ المِفْتُوْحَةِ .

يَقُولُ (يوهان فك) - وَكَمَا مرَّ بِنَا - : " وَلَا يَزَالُ يَنْقُصُنَا بَعْدَ كُلِّ دَلِيلٍ يُبَيِّنُ مَتَى نُقَلَّ لَفْظَ اللِّحْنِ إِلَى مَعْنَى الخَطَأِ فِي الكَلَامِ ، وَأَغْلِبَ الظَّنُّ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بِهَذَا المَعْنَى عِنْدَمَا تَبَّهَ العَرَبُ بَعْدَ اخْتِلَاطِهِمُ بِالأَعَاجِمِ إِلَى الفِرْقِ بَيْنَ التَّعْبِيرِ الصَّحِيحِ وَالتَّعْبِيرِ المَلْحُونِ " (١) .

وَقَدْ تَبَعَ الدُّكْتُورُ / عَبْدِ العَزِيزِ مَطَرٌ دَلَالَةَ هَذِهِ الكَلِمَةِ ، فَوَجَدَ أَنَّ ابْنَ فَارِسٍ أَوَّلَ مَنْ ذَكَرَ مَعْنَى اللِّحْنِ ، ثُمَّ وَجَدَ أَنَّ لَلْفِظِ دَلَالَاتٍ مِنْهَا : العِنَاءُ وَتَرْجِيعُ الصَّوْتِ ، وَالتَّطْرِيبُ ، وَالتَّوْرِيَّةُ وَالرَّمْزُ ، وَالخَطَأُ فِي اللُّغَةِ ، وَاللِّهْجَةُ الخَاصَّةُ ، وَالفِطْنَةُ ، وَمَعْنَى القَوْلِ وَفِجْوَاهُ (٢) .

وَقَدْ أوردَ صَاحِبُ اللِّسَانِ (لِحْنٌ) أَمْثَلَةً عَلَى مَا سَبَقَ .

وَالَّذِي يَعْنِينَا هُنَا ، هُوَ اللِّحْنُ بِمَعْنَى الخَطَأِ فِي اللُّغَةِ ، وَلَهُ مَعْنَيَانِ :

- فِى اللُّغَةِ : يَعْنِي إِمَالَةَ الشَّيْءِ عَنِ جِهَةِ الاسْتِقَامَةِ (٣) .

- أَمَا فِي الاصْطِلَاحِ : فيَقْرَرُ ابْنُ فَارِسٍ : بِأَنَّ اللَّحْنَ ، بِسُكُونِ الخَاءِ ، هُوَ إِمَالَةٌ الكَلَامِ عَنِ جِهَتِهِ الصَّحِيحَةِ فِي العَرَبِيَّةِ ، يُقَالُ : لِحْنٌ لِحْنًا ، وَيُصْرِّحُ بِأَنَّهُ مِنْ

* انظر : ص : ٢٩ من هذا البحث .

(١) العربية ٢٥٤ .

(٢) انظر لحن العامة ١٩ - ٢٨

(٣) التاج ، واللسان (لحن)

الكلام المولد ؛ لأن اللحن يحدث ، لم يكن في العرب العاربة ، الذين تكلموا
بطبائعهم السليمة ^(١) .

كما أورد الزمخشري لفظ (مال) في تفسيره للحن ، قال في الأساس (لحن) :
((لحن في كلامه إذا مال عن الإعراب إلى الخطأ)) ، ووافقه صاحب اللسان أيضاً ^(٢) .

وَيَتَطَلَّبُ معنى اللَّحْنِ اللَّغَوِيُّ أَنْ يَكُونَ الصَّوَابُ مُتَقَدِّماً عَلَيْهِ ^(٣) . وباتساع
رقعة الدولة الإسلامية إلى مناطق غير عربية ، انضم تحت لواء العروبة والإسلام
شعوبٌ تعددت لغاتها ، وأذواقها وثقافتها ، اضطروا إلى إتقان العربية لأسباب
فرضتها طبيعة المجتمع الجديد . إلا أن بعضهم لم تستقم ألسنتهم ، ففسأ اللحن
بين المتعربين كالعبيد والموالي ، واستفحل خطر اللحن بين الأعاجم ، الأمر الذي
دفع أمير المؤمنين علي — رضى الله عنه — أن يطلب من أبي الأسود الدؤلي أن
يضع في اللغة ما يصلح ألسنة العجم . فاللحن إذاً ظهر مع بداية انتشار الإسلام ،
(حيث لم تزل العرب تنطق على سجيبتها في صدر إسلامها ، وما مضى من
جاهليتها ، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان ، فدخل الناس فيه أفواجا ،
وأقبلوا إليه أرسالا ، واجتمعت الألسنة المتفرقة ، واللغات المختلفة ، ففسأ الفساد
في اللغة) ^(٤) .

ولقد تسرب اللحن إلى العرب أنفسهم ، حتى إلى أشرافهم ، ولذا فقد
خصَّص الجاحظُ باباً مستقلاً في كتابه (البيان والتبيين) وهو (بابُ اللحنِ) ^(٥)
أورد فيه كثيراً من الصور التي تكشف عن انتشاره ، بل عقد الجاحظ — أيضاً

(١) المقاييس (لحن) .

(٢) اللسان (لحن) .

(٣) العربية : ٣٤٤ .

(٤) طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي ١-٢ .

(٥) ٢١٩-٢١٠/٢ .

— باباً أكثر خطورة من ذلك ، وهو باب : (من لحن البلغاء) ، يَعْرِضُ فِيهِ
اللَّحْنَ ، ويرى أحد المستشرقين أن العيبَ باللحن أخذ ينتشر منذ بدء العصر
العباسي بحق أو دون حق ، بوسمِ خصمٍ بأنه غير مثقف ، وللحط من شأنه في
أعين مُعاصريه ، كما فعل يونس بن حبيب ، الذي قال عن حماد الراوية : كان
يَلْحَنُ وَيَكْذِبُ وَيَكْسِرُ . وَيُعَلِّلُ هَذَا الْمَشْرِقُ بِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ نَشَأَ مُتَأَثراً
بِالْخِصُومَةِ وَاللَّدَادِ^(١) .

ويبدو أن اللحن ظهر عند العرب في الإعراب أولاً ، وأما أخطاء الموالي فقد
كان أكثرها في نطق الأصوات العربية والتي لا توجد في لغاتهم ، مثل حروف الخلق ،
وغيرها ، وسيأتي إيضاح لذلك في خاتمة هذا البحث .

وقد جمع الدكتور عبد العزيز مطر^(٢) خمساً وثلاثين مسألة مما ورد من اللحن
في أوائل نشأته — في (البيان والتبين للحافظ) ، (وعيون الأخبار لابن قتيبة) ، (
والعقد الفريد لابن عبد ربه) — وقام بتصنيفها ، فوجد الآتي :

— عشرون مسألة يظهر اللحن فيها في الإعراب ، رويت عن شخصيات عربية ،
كالججاج بن يوسف ، والوليد بن عبد الملك ، وبشر بن مروان ، وخالد
القسري .

— ثماني مسائل يظهر اللحن فيها في الأصوات والصيغ ، ومجال استعمال الكلمة ،
رويت عن الموالي ، كزياد النبطي ، ومولى زياد بن أبيه ، وعبد الله بن زياد .

— ستُّ مسائل يظهر اللحن فيها في بنية الكلمة .

— مسألة واحدة نشأ اللحن فيها عن التصحيف .

(١) العربية : (ليوهان فك) ٢٤٣ .

(٢) انظر : لحن العامة ٣٠ .

وإذا كان الدكتور عبدالعزيز مطر قد أشار إلى هذه الأنواع دون تفصيل ، فإنني أقضل القول فيما أراه مهماً منها ، فأقول : للحن أنواع منها :

(١) لحن يقع بسبب الخطأ في الإعراب : وقد رُوِيَ ذلك عن شخصيات عربية كالوليد بن عبد الملك ، والحجاج بن يوسف ، وبشر بن مروان ، وعبدالعزیز بن مروان ، وخالد القسري وغيرهم^(١) ، ومن أمثلة ذلك :
— رُوِيَ أن الوليد بن عبد الملك صلى بالناس ، وهو خليفة ، فقرأ في أم الكتاب :
﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٢) وقرأ — أيضاً — ﴿ يَا أَيَّتُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴾^(٣) (بضم التاء في : أنعمت ، ياليتها)^(٤) .

— كما روي عن الحجاج بن يوسف أنه قرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾^(٥) فرفع المجرمون ، مع وجود حرف الجر ، وقرأ — أيضاً — بفتح هزت أن بدلاً من كسرها^(٦) ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ﴾^(٧)
— ويُروى أن رجلاً قال لأعرابي : كيف أهلك ؟ بكسر اللام ، يريد : كيف أهلك ، فقال الأعرابي : صلِّباً^(٨) .

(١) انظر : لحن العامة ٣٠

(٢) سورة الفاتحة آية ٦ :

(٣) سورة الحاقة آية ٢٧ .

(٤) البيان والتبيين ٢/٢١٨ .

(٥) سورة السجدة آية ٢٢ .

(٦) انظر البيان والتبيين ٢/٢١٨ ، وعيون الأخبار ٢/١٧٦ .

(٧) سورة العاديات آية ١١

(٨) انظر : عيون الأخبار ٢/١٧٣ .

— وسمع أعرابي إماماً يقرأ قوله تعالى ﴿ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾^(١)
بفتح تاء تنكحوا ، فقال سبحان الله ! هذا قبل الإسلام قبيحٌ ، فكيف بعده !
فقيل له إنه لَحَنٌ ، فقال الأعرابي : قَبِحَهُ اللهُ ، لا تجعلوه بعدها إماماً فإنه يحل ما
حرم الله^(٢) .

(٢) لحن يقع بسبب الخطأ في نطق بعض الأصوات ، وهذا خاص بالموالي فهم
يجدون صعوبة في نطق بعض الأصوات العربية ، والتي لا وجود لها في لغاتهم الأم
ومن أمثلة ذلك :

— نطق العين همزة كما في قول زياد النبطي لغلامه : " مِنْ لَدُنْ دَاوُتْكَ إِلَّا أَنْ قَلْتُ
لَبِيٍّ مَا كُنْتُ نَصْنَأُ ؟ " يريد : دعوتك ، وتصنع ، فنطق العين همزة^(٣) .

— ونطق الحاء هاء في قول مولى زياد لزياد : " أَهْدُوا لَنَا هِمَارًا وَهَشًّا " يريد : حمار
وحش^(٤) .

(٣) لحن يقع بسبب التصحيف : وهذا النوع لا يختص بالموالي ، بل يقع من
أهل اللغة أكثر ، وأشنع ما كان في القرآن الكريم ، ومن أمثلة ذلك :

— ما روي عن عبدالله بن أحمد بن حنبل من أنه تقدم يوماً يصلي بهم فقرأ قوله
تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(٥) بضم الحاء ، وكسر اللام ، فقال له

(١) سورة البقرة آية ٢٢١

(٢) انظر البيان والتبيين ٢١٩/١ وعيون الأخبار ١٧٥/٢ .

(٣) انظر : البيان والتبيين ٢١٣/٢ .

(٤) نفس المرجع والصفحة ، وعيون الأخبار ١٧٥/٢ .

(٥) سورة العلق آية : ١

قائل : أبوك ضرب بالسياط على أن يقول كلام الله مخلوق ، وقد جعلت خالق الأشياء مخلوقاً^(١) .

— ويروي أن الوليد بن عبد الملك صلى بالناس ، فقرأ : ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةُ ﴾^(٢)

بالبصاد بدلاً من الضاد ، فسمعه عمر بن عبدالعزيز ، فقال ياليتها كانت بك^(٣) .

— وقرأ أحدهم قوله تعالى : ﴿ وَقُرْشٍ مَرْقُوعَةً ﴾^(٤) بالقاف بدلاً من الفاء^(٥) .

— وقرأ آخر : ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَبَّوْهُمَا بِثَالِثٍ ﴾^(٦) جاعلاً الزاء الثانية راء^(٧) .

— وحكي عن الجاحظ قوله : " ما جاء عن أحد من روائع الكلام ، ماجاءنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما عن النبي ، وهو عثمان النبي^(٨) .

قلت : وهذا التصحيف لا يقلل شناعة عن سابقه .

(٤) لحن يقع بسبب الخطأ في الصيغ : وهذا من أخطاء الموالي — أيضاً — كقول أم نوح بن جرير لولدها نوح : " يا نوح : جُرْدَانٌ دَخَلَ فِي عِجَانِ أُمَّكَ " ، تريد : أن الجرذ أكل عجينها^(٩) .

وكقول أعجمي لخماس للحجاج بن يوسف ، حينما سأله : أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان ؟ (فقال : شريكاتنا في هوازها ومدائنها وكما تجيء تكون)

(١) انظر التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصمهايي ، تحقيق : محمد أسعد ، ٤

(٢) سورة الحاقة آية ٢٧

(٣) انظر التنبيه على حدوث التصحيف ، ٤

(٤) سورة الواقعة آية ٣٤

(٥) التنبيه على حدوث التصحيف ، ٥

(٦) سورة يس آية ١٤

(٧) التنبيه على حدوث التصحيف ، ٥

(٨) نفس المرجع ٩١

(٩) البيان والتبيين ٢/٢١٣

يريد : شركاؤنا في الأهواز، والمدائن يبيعون إلينا بهذه الدواب ونحن نبيعها على وجوهها^(١) .

(٥) لحنٌ يقع بسبب الخطأ في الدلالة : ومن أمثلته :

— ما روي عن عبيد الله بن زياد — وكان به لُكْنَةٌ — من أنه قال ذات مرة :
" افتحوا سيوفكم " يريد : سلوها^(٢) . وقوله — أيضاً — مخاطباً أحدهم :
" اجلس على استِ الأرض " فأجابه المخاطب : ومتى كان للأرض استا؟!^(٣) .

وبعد : فإنني مهدت بهذه المقدمة عن اللحن لكي أُبين أن شيوع مثل هذا النوع من الخطأ أدى إلى فساد اللُّغة ؛ فقوى الباعثُ والذي بسببه أُضْطَرَّ المعنِّون باللُّغة إلى أن ينتقلوا إلى البادية لتلقي العربية نقيّةً من أفواه أبنائها ، والذين احتفظوا بسلامة ألسنتهم من اللحن ، أو العجمة ، فجمعوا اللُّغة النقيّة من أفواه البدو الموثوق بفصاحتهم ، وقد سبق الحديث عن ذلك في مصطلح التَّنقية اللُّغوية . إذاً فاللحن هو الباعث الأول لتنقية اللُّغة مما يشوبها ، ولهذا التَّنقية معالمُ لغوية وهذه المعالم هي محور حديثنا في المبحث اللاحق .

(١) عيون الأخبار ٢/١٧٥-١٧٦

(٢) البيان والتبيين ٢/٢١٠

(٣) نفس المصدر والصفحة .

د - المَعَالِمُ اللُّغَوِيَّةُ لِلتَّنْقِيَةِ

ويمكن تصنيف هذه المعالم اللُّغوية ، والمتمثلة في تنقية اللُّغة العربية في الأتي :
أولاً : الوقوف عند اللُّغة الفصحى كما يراها أئمة اللُّغة ، ونوضح ذلك بالأمثلة
التالية :

- قال ثعلبٌ في فصيحة " وَحَرَصْتُ عَلَيْهِ أَحْرَصُ " (١) .
فاللُّغة المقدَّمة العالية هي : (حَرَصَ - يَحْرِصُ) للأسباب التالية :
— وقوف أصحاب التَّنقية عندها ، ومنهم ثعلب (٢) .
— نعتها بعضهم باللُّغة العالية (٣) .
— تَخْطِطُ ما عداها ، كما نُقِلَ عن أبي حاتم (٤) .
— من اللُّغويين من وسم ما عداها بلغة العامَّة (٥) .
— ولفصاحتها وعُلُوِّها قُرئَ بِهَا قَوْلُ المولى سبحانه : ﴿ وَإِنْ تَحْرِصَ عَلَيَّ هَذَا هُمْ ﴾ (٦) .
— وقوف أكثر شُرَّاح الفصيح عندها ، وإفرادها (٧) .

(١) الفصح ٢٦١

(٢) انظر : ما تلحن فيه العامة للكسائي ٢٢ ، وإصلاح المنطق ١٨٨ ، وأدب الكاتب ٣٩٨ .

(٣) انظر : التهذيب ٢٣٩/٤ (حرص) .

(٤) انظر : تحفة الجمد الصريح ٧٤ .

(٥) تصحيح الفصح ٤٧ .

(٦) سورة النحل ، آية ٥١ ، والقراءة في المختص ٩/٢ .

(٧) شرح ابن الجبَّان ٢٠٢ ، وشرح المرزوقي ١٣ ، والإسفار ٢٠ ، والتلويح ٤ .

قال ثعلبٌ : " وَنَكَلَ عَنِ الشَّيْءِ يَنْكُلُ " (١) .

— يرى أئمة أصحاب التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ ، أَنَّ اللُّغَةَ الْعَالِيَةَ هِيَ اخْتِيَارُ ثَعْلَبِ (نَكَلَ - يَنْكُلُ) فَهَذَا مَذْهَبُ كُلِّ مَنْ : الْأَصْمَعِيُّ وَالْكَسَائِيُّ ، وَابْنُ السَّكَيْتِ ، وَابْنُ قَتِيْبَةَ ، وَغَدَدٌ مِنْ أَيْمَةِ اللُّغَةِ (٢) .

— وَعَنْ الْخَلِيلِ : نَكَلَ يَنْكُلُ ، لُغَةٌ حِجَازِيَّةٌ (٣) .

— نَقَلَ ابْنُ السَّكَيْتِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَوْلَهُ : أَنَّهُ لَا يُقَالُ : نَكَلْتُ (٤) .

— وَقَدْ اقْتَصَرَ عَلَيْهَا ابْنُ قَتِيْبَةَ ، وَأَنْكَرَ مَا عَدَاهَا (٥) .

— وَجَاءَ فِي تَثْقِيفِ اللِّسَانِ تَصْرِيحُ ابْنِ مَكِيِّ الصَّقَلِيِّ : بِأَنَّ هُنَاكَ مِنْ يَقُولُ : نَكَلَ ، وَالصَّوَابُ : نَكَلَ يَنْكُلُ (٦) .

— اقْتَصَرَ عَلَيْهَا بَعْضُ شُرَاحِ الْفَصِيحِ (٧) .

قال ثعلبٌ : وَبَرَزْتُ وَالِدِي ، أُبْرَةٌ (٨) .

اختيار ثعلب (بَرَزْتُ أُبْرٌ) هِيَ اللُّغَةُ الْعَالِيَةُ ، لِلْأَسْبَابِ التَّالِيَةِ :

— عَلَيْهَا إِجْمَاعُ أَيْمَةِ اللُّغَةِ ، أَمْثَالُ : الْكَسَائِيُّ ، وَابْنُ السَّكَيْتِ ، وَابْنُ قَتِيْبَةَ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ ، وَصَلِحُ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ ، وَالسَّرْقَسْطِيُّ (٩) .

(١) الفصيح ٢٦١ .

(٢) انظر : ما تلحن فيه العامة للكسائي ١٢٧ ، والإصلاح ١٨٨ ، وأدب الكاتب ٤٠٠ .

(٣) العين ٥ / ٣٧١ (نكل) .

(٤) الإصلاح ١٨٨ .

(٥) أدب الكاتب : ٤٠٠ .

(٦) ص ٢٦٥ .

(٧) انظر : شرح ابن الجيآن ١٠٤ ، وشرح المرزوقي ١٤ ، والإسفار ٢٤ .

(٨) الفصيح : ٢٦٥ .

(٩) انظر : ما تلحن فيه العامة ١٠٧ ، والإصلاح ٢٠٨ ، وأدب الكاتب ٣٩٧ ، وتقوم اللسان ٨١ ، وتصحيح التصحيف ١٥٦ .

— وعن الكسائي : وَبَرَّرْتُ وَالِدِي ^(١) .

— وعن ابن السكيت مثله ^(٢) .

— تَخْطِئَةُ لُغَةِ الْفَتْحِ (بَرَّرْتُ) ووصفها بلُغَةِ الْعَامَّةِ ؛ يَذْكُرُ الصَّفْدِيُّ : بِأَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُ : بَرَّرْتُ وَالِدِي ، وَبَرَّرْتُ فِي بَيْتِي ، وَيَصْرِّحُ بِأَنَّ الصَّوَابُ : بَرَّرْتُ ، بِكَسْرِ الرَّاءِ ^(٣) .

— مَا نَقَلَهُ اللَّبَلِيُّ عَنِ ابْنِ السَّيِّدِ : أَمَا بَرَّرْتُ وَالِدِي فَلَا أَعْرِفُ فِيهِ لُغَةً غَيْرَ الْكَسْرِ ^(٤) .

— حَكَاهَا (أَي لُغَةَ الْكَسْرِ) مَعْظَمُ شُرَّاحِ الْفَصِيحِ ، وَلَمْ يَذْكُرُوا غَيْرَهَا ^(٥) .

قال ثعلبٌ : " وَجَرَعْتُ الْمَاءَ أَجْرَعُهُ " ^(٦) .

— يَرَى عُلَمَاءُ التَّنْقِيَةِ فَصَاحَةَ لُغَةِ الْكَسْرِ (جَرَعَ) ؛ لِأَنَّهَا اخْتِيَارُ ثَعْلَبِ وَالَّذِي أَخَذَ بِهِ عَنْ بَعْضِ الْأَئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، كَالْأَصْمَعِيِّ ، وَابْنِ السَّكَيْتِ ، وَابْنِ قَتَيْبَةَ ، وَابْنَ الْجَوْزِيِّ ^(٧) .

— فَهَذَا ابْنُ السَّكَيْتِ يَذْكُرُ رَأْيَهُ مُسْتَشْهِدًا بِقَوْلِ الْأَصْمَعِيِّ : " جَرَعْتُ الْمَاءَ " ، وَيُنَبِّهُ الْأَوَّلَ إِلَى أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ قَالَ : " وَلَا يُقَالُ غَيْرُهُ " ^(٨) .

— خَطَأً بِنِ دُرُسْتَوِيهِ لُغَةَ الْفَتْحَةِ (جَرَعَ) نَاسِبًا لِإِيَّاهَا لِلْعَامَّةِ ^(٩) .

(١) ما تلحن فيه العامة ١٠٧ .

(٢) الإصحاح ٢٠٨ .

(٣) تصحيح التصحيف ١٥٦ .

(٤) تحفة المجد ٢١٤

(٥) انظر : شرح ابن الجبان ١١٣ ، والإسفار ٤٥ ، وشرح الزمخشري ٦٦ ، وتحفة المجد ٢١٤ .

(٦) الفصيح : ٢٦٣ .

(٧) انظر : الإصحاح ٢٠٨ ، وأدب الكاتب ٣٩٧ ، وتقويم اللسان .

(٨) الإصحاح ٢٠٨ .

(٩) تصحيح الفصيح ٦١ .

— ذكر الصفيدي أن العامة تقول : جَرَعْتُ الماءَ ، بالفتح ، والصَّواب عنده : بكسر
الراء " (١) "

قال ثعلبٌ : " ورَعِبْتُ الرَّجُلَ أرْعِبُهُ " (٢) .

يذهب الأئمة الثقات إلى أفراد اللُّغة الأولى ، لغة الفصاحة ، للأسباب التالية :

— اختارها ثعلبٌ لأنها الأوضح .

— اقتصر عليها ابن السكيت ، ولم يذكُر غيرها ، عندما قال " وَقَدْ رَعِبْتُهُ ، إذا
أفرعته " (٣) .

— أفردها ابن قتيبة (٤) .

— صرَّح الرَّمْحَشَرِيُّ بفصاحتها (٥) .

— خطأ ابن مكِّي الصَّقَلِيُّ لغة (أرْعَبَ) بالألف ، عندما صرَّح بأنهم يقولون :

أرْعَبِنِي كذا . وينبئ إلى أن الصَّواب : رَعَبِنِي فأنا مرْعُوبٌ (٦) .

— اقتصر عليها شُرَّاحُ الفصيح ، ولم يذكروا لغةً سواها (٧) .

قال ثعلبٌ : " ووقفتُ الدابةُ أقفها " (٨) .

يكاد إجماع اللغويين ينعقد بالاتفاق على اختيار اللُّغة التي ذكرها ثعلب ، وذلك
للأسباب التالية :

(١) تصحيح التصحيف ٢١٣ .

(٢) الفصيح ٢٦٥ .

(٣) الإصلاح ٢٢٥ .

(٤) أدب الكاتب ٣٧٣ ، وانظر : أفعال السرقسطي ٨٨/٣ .

(٥) شرحه ٧٤ .

(٦) تفتيف اللسان ١٥٢ .

(٧) تصحيح الفصيح ٧٥ ، وشرح ابن الجلبان ١١٤ ، وشرح المرزوقي ٢٩ ، والإسفار ٥٢ ، وشرح

الرمحشري ٧٤ ، وشرح التدميري ٤٥ ، وشرح ابن هشام ١٦٣ ، وحقفة الجحد ٢٣٦ .

(٨) الفصيح ٢٦٧ .

- أفردها ثعلبٌ ؛ لأنها الأفصح كما اشترط ذلك في مقدمة فصيحته^(١) .
- هي الأفصح عند الأصمعي ، وأنكر لغة (أوقفت بالألف)^(٢) .
- تقدم الكسائي لها ، ووسم ما عداها بالرداءة^(٣) .
- ما صرح به ابن السكيت من أن : وَقَفْتُ دَابِي ، وَوَقَفْتُ وَقْفًا لِلْسَاكِين ، وَوَقَفْتُه على ذنبه ، كَلُّهُ بغير ألف^(٤) .
- وعن الزجاج : وَقَفْتُ الدَّابَّةَ والضَّيْعَةَ ، بغير ألف^(٥) .
- وعن الصفدي : والعامَّة تقول : أوقفت دابتي ، فيسمها بلغة العامَّة ، ويصرِّح بأنَّ الصَّواب : وَقَفْتُ^(٦) ، ومثله ما نُقِلَ عن ابن الجوزي أيضاً^(٧) .
- إنكار الزمخشري لغة أوقفت بالألف مصرحاً بأنه : ليس في كلامهم أوقفت^(٨) .
- وقوف معظم شراح الفصيح عندها ، ولم يذكروا غيرها^(٩) .

قال ثعلبٌ : وَتَبَّدْتُ التَّيْبَةَ^(١٠) .

يُجد شبه الإجماع على فصاحة وعلو هذه اللغة ، وذلك لأمر منها :

— ذكر ثعلب إياها دون غيرها .

— نُزول الذكر الحكيم بها . قال تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ فَنَبِّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾^(١١) .

(١) نفس المرجع ٢٦٢ .

(٢) انظر : أفعال السر قسطنطي ٢٣١/٤ .

(٣) انظر : الغريب المصنف ٥٧٩/٢ .

(٤) الإصلاح ٢٦٦ ، وانظر : أدب الكاتب ٣٧٤ .

(٥) فعلت وأفعلت ١٥٨ .

(٦) تصحيح التصحيف ١٤٠ .

(٧) تقويم اللسان ١٨٢ .

(٨) الزمخشري ٨٣-٨٤ .

(٩) تصحيح الفصيح ٧٨ ، وشرح ابن الجيان ١١٧ ، وشرح المرزوقي ٣٢ ، والإسفار ٥٥ ، والتلويح ١١ ،

وشرح الزمخشري ٨٣-٨٤ .

(١٠) الفصيح ٢٦٧ .

(١١) سورة آل عمران ، آية : ١٨٧ .

- وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ فَبَيَّنَّا لَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾^(١) .
- جَاءَ بِهَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ : " فَبَيَّنَّا خَاتِمَهُ ، وَبَيَّنَّا النَّاسُ خَوَاتِيمَهُم " ^(٢) .
- وَحَكَى ابْنُ السَّكَيْتِ : قَدْ بَيَّنَّتْ النَّبِيَّةُ ، وَأَنْكَرَ : أُبَيَّنَّتْ نَبِيَّةً ^(٣) .
- وَقُوفٌ كَثِيرٌ مِنْ أُمَّةِ اللُّغَةِ عِنْدَهَا ، وَلَمْ يَذْكُرُوا غَيْرَهَا^(٤) .
- نَعَّتَهَا أَحَدُ اللُّغَوِيِّينَ بِالصَّوَابِ وَالْفَصَاحَةِ ، كَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ الصَّفَدِيُّ^(٥) .
- إِنْكَارُ الْفَرَاءِ لُغَةٌ (أُبَيَّنَّتْ) بِالْأَلْفِ ، وَتَصْرِيحُهُ بِعَدَمِ سَمَاعِهِ لَهَا مِنَ الْعَرَبِ ^(٦) .
- تَخَطَّطَ ابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ لِلُّغَةِ (أُبَيَّنَّتْ) بِالْأَلْفِ ، وَوَسَمَّهَا بِلُغَةِ الْعَامَّةِ .
- وَسَمَّاهَا بَعْضُهُمْ (أُبَيَّنَّتْ ، بِالْأَلْفِ) بِالضَّعْفِ وَالرَّدَاءِ^(٧) .
- اخْتِيَارَ شُرَّاحُ الْفَصِيحِ اللُّغَةِ الْعَالِيَةِ (بَيَّنَّتْ) وَأَفْرَدُوهَا فِي شُرُوحِهِمْ ^(٨) .

قال ثعلبٌ : " وَنَعَشْتُ الرَّجُلَ ، فَأَنَا أَنْعَشُهُ " ^(٩) .

— أَجْمَعَ أُمَّةُ اللُّغَةِ ، مِنْ أَمْثَالِ : الْأَصْمَعِيُّ ، وَابْنُ دَرِيدٍ ، وَابْنُ السَّكَيْتِ ، وَابْنُ قُتَيْبَةَ ، وَالْجَوْهَرِيُّ ، وَالْمُطَرِّزُ ، وَابْنُ مَكِيِّ ، وَالصَّفَدِيُّ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ ، عَلِيٌّ فَصَاحَةٌ وَعَلَوْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ثَعْلَبٌ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ ، وَسَائِرُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ إِنْكَارِهِمُ اللُّغَةَ الثَّانِيَةَ (أَنْعَشُ) بِالْأَلْفِ .

(١) سورة الصافات ، آية : ١٤٥ .

(٢) صحيح البخاري ، باب فص الحاتم برقم (٥٥٢٩) ورقم (٥٥٣٩) ورقم (٦٢٧٥) ورقم (٦٨٦٨) وصحيح مسلم باب تحريم خاتم الذهب على الرجال برقم (٢٠٩١) .

(٣) الإصحاح ٢٢٥ .

(٤) انظر : أدب الكاتب ٣٧٢ ، وفعلت وأفعلت للزجاج ١٥٨ ، وتقويم اللسان ١٧٨ .

(٥) تصحيح التصحيف ١٢٩ .

(٦) اللسان ٥١١/٣ ، والتاج ٥٨٠/٢ (نبذ)

(٧) انظر : ديوان الأدب ٢٩٤/٢ .

(٨) تصحيح الفصيح ٨١ ، وشرح ابن الجيان ١١٧ ، وشرح المرزوقي ٣٣ ، والإسفار ٥٨ ، وشرح الرغزشي ٩١ .

(٩) الفصيح ٢٦٧ .

- عن المطرِّز : نَعَشَهُ اللهُ ، بغير ألف هو كلام العرب الفصحاء ^(١) .
- وعن ابن مكِّي الصقلي : والصَّوَابُ : نَعَشَهُ اللهُ ^(٢) .
- أما إنكار أئمة اللغة لـ (أَنْعَشَ) بالألف والذي يفهم منه فصاحة (نَعَشَ) فقد جاء بأساليب متنوعة :
- فالأصمعي أنكر : أَنْعَشَهُ اللهُ ، ووافق ابن السكيت والجوهرى ^(٣) .
- يَقْطَعُ ابن دريد بعدم جريانها على ألسنة العرب الفصحاء مقررًا ذلك بقوله :
- " وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِ الْعَامَّةِ (أَنْعَشَهُ) فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ ^(٤) .
- تخطئة ابن دُرُسْتُويَه أياه ^(٥) .
- من اللُّغَوِيِّين مَنْ وَسَمَهَا بِلُغَةِ الْعَامَّةِ ^(٦) .
- إجماعُ شُرَّاحِ الفصيح على اختيار ثعلب ، والاقتصار عليها ^(٧) .
- قال ثعلبٌ : " عُنَيْتُ بِحَاجَتِكَ ، بضم أوله ، أُعْنِي بِهَا " ^(٨) .
- ما اختاره ثعلب يُمَثِّلُ لغة التنقية ، حيث فصاحتها وعلوها ، وذلك يرجع للأمور التالية :
- أفراد ثعلب لها ولم يذكُر غيرها ، فهكذا ألزم نفسه في منهجه ، الذي يرى فيه فصاحة اللُّغة الأولى وحدها .

(١) تحفة المجد ٢٦٩

(٢) تنقيف اللسان ١٥٢ — ١٥٣ .

(٣) انظر : الغريب المصنف ٥٧٥/٢ .

(٤) الجمهرة ٨٧١/٢ (نعش)

(٥) تصحيح الفصح ٨٣ .

(٦) انظر : تقويم اللسان ١٧٨ .

(٧) تصحيح الفصح ٨٣ ، وشرح ابن الجيان ١١٩ ، وشرح المزروقي ٣٤ ، والإسفار ٥٩ ، وشرح ابن هشام ٦٧ .

(٨) الفصح ٢٦٩ .

- حكى ابن قتيبة: عُنِيْتُ بالشيء . وأنكر : عَنَيْتُ بفتح العين^(١) .
 — يَنْبَهُ المرزوقي : إلى أَنَّهُ لا يستعمل إلا عُنِيْتُ^(٢) .
 — وحكى ابن مكى الصقلي بأنهم يقولون : عَنَيْتُ في حاجتي أَعْنَى . ويرى أَنَّ الصَّوَابُ : عُنَيْتُ ، بضم العين ، أَعْنَى^(٣) .
 — وحكى ابن الجوزي أيضاً بأن : (عَنَيْتُ بالأمر) لغة العامة . والصواب عنده : عُنَيْتُ^(٤) .
 — وإجماع شُرَّاح الفصح — باستثناء اللبلي — على إفراد لغة الضم لفصاحتها^(٥) .

وقال ثعلبٌ : " وقد وُثِّتْ يده ، فهي مَوْثُوَةٌ " ^(٦) .
 ذهب أصحاب التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ إلى اختيار (وثت) بضم الواو ، وكسر الثاء وأقروا بفصاحتها ؛ وذلك ، للأسباب التالية :
 — اختيار ثعلب لها دون غيرها .

- حكى ابن قتيبة : وُثِّتْ يده ، فهي مَوْثُوَةٌ . وأنكر : وِثَّتْ^(٧) .
 — صرَّح ابن الجوزي بأنه يقال : وقد وُثِّتْ يده بضم الواو ، وينبَهُ إلى أَنَّ العامة تفتحه^(٨) .

(١) أدب الكاتب ٤٠١ .

(٢) شرحه ٣٩ .

(٣) تنقيف اللسان ١٤٦ .

(٤) تقويم اللسان ١٣٦ .

(٥) تصحيح الفصح ٩٠ ، وشرح ابن الجبان ١٢٢ ، وشرح المرزوقي ٣٩ ، والأسفار ٦٧ ، والتلويح ١٤ ، وشرح الزمخشري ١٠٩ ، وشرح التدميري ٧٩ ، وشرح ابن هشام ٧٠ .

(٦) الفصح ٢٦٩ .

(٧) أدب الكاتب ٤٠١ .

(٨) تقويم اللسان ١٨٢ .

— وحكى الصفدي أن العامة تقولُ : وَتَتَّ يده ، بفتح الواو ، والصوابُ ضمها (١)
 — موافقة جُلِّ شُراح الفصيح للذهب ثعلب في اختيار الأفضح ، والوقوف عندها (٢) .
 قال ثعلبٌ : " وَقَرَّرْتُ فِي الْمَكَانِ أَقْرُ " (٣) .
 اللُّغة الفصيحة العالية هي : (قَرَّرْتُ) بفتح الراء الأولى ؛ وذلك للأسباب التالية :
 — أفراد ثعلب لها دون غيرها .

— ارتضاء ابن دُرستويه لها دون غيرها ، وتنظيره لها بقوله : ولذلك جاء — يعني
 الفعل — على (فَعَلْتُ) بفتح أوله وثانيه " (٤) .
 — ذِكْرُ المرزوقي إياها ، ولم يذكر غيرها (٥) .
 — ما نقله أبو عبيده عن الكسائي الإمام الثقة من أن قَرَّرْتُ أجود في المكان (٦) .
 — صرَّح ابن سيده بأن : قَرَّرْتُ ، بالفتح ، أعلى (٧) .

ثانياً : ومن معالم التثنية اللغوية أيضاً ذكر اللغتين جميعاً ، وهذا
 يعود لما قرَّره ثعلب في منهجه ضمن فصيحه ، عندما قال : " وَمِنَّهُ مَا فِيهِ لُغَتَانِ كَثْرَتَا
 واستعملتا ، ولم تكن إحداهما أكثر من الأخرى ، فأخبرنا بهما . . . " (٨) . وإليك
 بعض النماذج على هذا النوع :

قال ثعلبٌ : " وَبَرَأْتُ مِنَ الْمَرَضِ ، وَبَرَأْتُ أَيضاً " (٩) .

(١) تصحيح التصحيف ٥٤٠ .

(٢) شرح ابن الجبان ١٢٢ ، وشرح المرزوقي ٣٩ ، والإسفار ٦٩ ، والتلويح ١٤ ، وشرح ابن هشام ٧٠ .

(٣) الفصيح ٢٧١ .

(٤) تصحيح الفصيح ١١٤ .

(٥) شرحه ٤٩ .

(٦) الغريب المصنف ٥٨٥/٢ .

(٧) المحكم ٧٧/٦-٧٨ .

(٨) الفصيح ٢٦٠ .

(٩) نفس المرجع ٢٦٤ .

— أجمَعَ أئمة اللُّغة على فصاحة هاتين اللُّغتين فذكروهما جميعاً^(١) .
 — فَبَرَأْتُ : لُغة أهل الحجاز . أما : بَرِئْتُ ، بالكسر ، فلغة تميم وسائر العرب ،
 هذا ما حكاه غير واحد من العلماء ؛ صرَّح ابن دريد بأنَّ : بَرَأْتُ من المرض أْبْرَأُ
 بُرْءاً ، لُغة أهل الحجاز ، وسائر العرب يقولون : بَرِئْتُ من المرض أْبْرَأُ^(٢) .
 — ويذكر السيوطي أنَّ : بَرِئْتُ لُغة تميم ، وبَرَأْتُ لغة الحجاز^(٣) . ولم يخرج
 شُرَّاح الفصيح عمَّا ذهب إليه اللُّغويون من القول بفصاحة اللُّغتين معاً^(٤) .

وقال ثعلبٌ : " وقد دِيرَ بِي وأدِيرَ بِي ، لغتان " ^(٥) .

— وقد جاء رأي أصحاب التَّنقية في هذه المادة مُتَّفَقاً مع أصحاب التَّوسُّع في
 ذكر هاتين اللُّغتين ، والإقرار بفصاحتهما ، كما قرَّر ذلك ثعلب نقلاً عن الأئمة
 الثقات ، وغيره من اللُّغويين^(٦) .

— كما أجمع شُرَّاح الفصيح على فصاحة اللُّغتين جميعاً^(٧) .

وقال ثعلبٌ : " وسَخَنَ الْمَاءُ وَسَخْنٌ أَيْضاً يَسَخُنُ " ^(٨) .

— أجمَعَ اللُّغويون على فصاحة اللُّغتين جميعاً ، كما هو اختيارُ ثعلبٍ ، إلا أن
 هناك تقدم وتفضيل لـ (سَخَنَ) بفتح الخاء ، على (سَخُنَ) .

(١) انظر : الإصلاح ٢١٢ ، وأدب الكاتب ٣٣٣ ، وأفعال السرقسطي ٩٢/٤ .

(٢) الجمهرة ١٠٩٣/٢ .

(٣) المزهرة ٢٦٧/٢ .

(٤) انظر : تصحيح الفصيح ٦٥ ، شرح ابن الجبان ١١٠ ، وشرح المرزوقي ٢٤ ، والإسفار ٣٨ ، والتلويح

٨ ، وشرح الزمخشري ٥٣ ، وشرح ابن هشام ٦٠ .

(٥) الفصيح ٢٧٠ .

(٦) انظر : فعلت وأفعلت للزجاج ٧٤ ، وأفعال ابن القطاع ٣٦٨/١ ، وأفعال السرقسطي ٦٩٢/٣ .

(٧) انظر : تصحيح الفصيح ١٠٧ ، وشرح ابن الجبان ١٢٦ ، وشرح المرزوقي ٤٥ ، والإسفار ٧٧ ،

والتلويح ١٥ ، وشرح الزمخشري ١٢٣ ، وشرح التدميري ٨٧ ، وشرح ابن هشام ٧٢ ، ونخبة المجد ٣٣٨

(٨) الفصيح ٢٧٢ .

- يحكي ابن قتيبة أنهم يقولون : سَخَنَ الماءُ ، والأجود سَخَنَ الماءَ يَسْخُنُ^(١) .
- صرَّح ابن دُرُسْتُويه بأن فتح الخاء في (سَخَنَ) أفصح من ضمها^(٢) .
- حكى الزمخشري أن : سَخَنَ هي الأجود^(٣) .
- وعدا ما تقدّم ذكره من أقوال اللغويين والذين يُقدِّمون (سَخَنَ) على (سَخُنَ) ؛ فإن شَرَّاحَ الفصيح ذكروا اللغتين دون التمييز بين مستوَاهما الصَّوَابِي^(٤) .

قال ثعلبٌ : " وَجَنَّ عليه الليل ، وأَجَنَّهُ الليل " ^(٥) .

- ذَكَرَ ثعلبٌ هاتين اللغتين مُساوياً بينهما من حيث الفصاحة ، وقد نَقَلَ ذلك عن أئمة اللُّغة الثقات .
- قال صاحبُ العين : " أَجَنَّهُ اللَّيْلُ ، وَجَنَّ عليه اللَّيْلُ : إذا أَظْلَم " ^(٦) .
- وحكى عن الفراء أنه يقال : جَنَّ عليه اللَّيْلُ ، وَأَجَنَّ " ، وهو يرى أن (أَجَنَّ) بالألف أجود^(٧) .
- وحكى ابن السكيت : جَنَّ عليه اللَّيْلُ ، وقد أَجَنَّهُ اللَّيْلُ^(٨) ومثله عن ابن قتيبة ، والزجاج^(٩) .

(١) أدب الكاتب ٤٢٢ .

(٢) تصحيح الفصيح ١١٨ .

(٣) شرحه ١٤٧ .

(٤) شرح ابن الجبان ١٣٢ ، وشرح المرزوقي ٥٣ ، والإسفار ٨٩ ، والتلويح ١٨ ، وشرح ابن هشام ٧٧ .

(٥) الفصيح ٢٧٨ .

(٦) ٢١/٦ (جن) .

(٧) معاني القرآن ٣٤١/١ .

(٨) الإصلاح ٢٩٥ .

(٩) أدب الكاتب ٤٤٥ ، وفعلت وأفعلت للزجاج ١٥ .

— أجمع شَرَّاح الفصيح على ذِكْرِ اللَّغَتَيْنِ معاً دون التَّمْيِيزِ بين مستوَاهِمَا الصَّوَابِي (١) .

ثالثاً : وَمِنْ هَذِهِ الْمَعَالِمِ — أَيْضاً — التَّقْلِيلُ مِنْ شَأْنِ اللَّغَةِ الثَّانِيَةِ ،
وهذا مَا يُفْهَمُ مِنْهُ ضَمْنًا فَصَاحَةُ اللَّغَةِ الْأُولَى . وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ :

قال ثعلبٌ : " وَعَجَزْتُ عَنْ الشَّيْءِ أُعْجِزُ " (٢) .

اللُّغَةُ الْفَصِيحَةُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ هِيَ : (عَجَزَ) ، إِلَّا أَنَّهُ رُوي (عَجِرَ) بِكسْرِ الْجِيمِ
كَلِّغَةً ثَانِيَةً ، وَجَاءَ إِنْكَارُهَا بِأَسَالِيبٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنْهَا ؛

— جَاءَ فِي تَحْفَةِ الْمَجْدِ الصَّرِيحِ قَوْلُ ثَعْلَبٍ : سَأَلْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ : أَتَقُولُ عَجِرْتُ
بِالْكَسْرِ لِلْجِيمِ ، مِنَ الْعَجَزِ ؟ قَالَا : لَا ، وَإِنَّمَا أَقُولُ : عَجِرْتُ بِفَتْحِ الْجِيمِ مِنْ
الْعَجَزِ ، وَعَجِرْتُ مِنَ الْعَجِيزَةِ (٣) .

— اِعْتَبَارُهَا لُغَةً لِلْعَامَّةِ ، كَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ ابْنُ دُرُسْتُونِهِ ، وَغَيْرُهُ (٤) .

— تَحْطِئَتُهَا ، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ ابْنُ مَكِّي الصَّقَلِيُّ بِقَوْلِهِ : " يَقُولُونَ : عَجِرْتُ
وَالصَّوَابُ عَجِرْتُ " (٥) .

— وَصَفَهَا بِالشَّدُوذِ (٦) .

قال ثعلبٌ : " وَتَكَلُّ عَنْ الشَّيْءِ يَنْكُلُ " (٧) .

(١) انظر : تصحيح الفصيح ١٧٣ ، وشرح ابن الجبان ١٥٥ ، وشرح المرزوقي ٨٨ ، والإسفار ١٣٥ ،

والتلويح ٢٧ ، وشرح الزمخشري ٢٣٦ ، وشرح التدميري ١٢٢ .

(٢) الفصيح ٢٦١ .

(٣) ص ٧١

(٤) تصحيح الفصيح ٤٧ ، وانظر : شرح ابن الجبان ١٠١ .

(٥) تنقيف اللسان ١٤٧ .

(٦) انظر البحر المحيط ٢٣٥/٤ .

(٧) الفصيح ٢٦١ .

— يُمْتَل اختيار ثعلب اللُّغة الأعلى والأشهر ، إلا أنه وجد من اللُّغويين من يضيف لُغة ثانية ، وهي : (نَكَل) بكسر الكاف . وهذه اللُّغة قد أنكرها الأئمة الثقات ، وبعضهم لا يعرفها ، ومنهم من خطأها :

— فالكسائي يَقِفُ عند اللُّغة العالية الفصيحة ، ولم يذكر غيرها ، ويتضح هذا من قوله : " ويُقال : نَكَلْتُ عَنْهُ ، بفتح الكاف " (١) .

— أما ابن السكيت فَيَصْرِّحُ بإنكارها قائلاً : " . . . ، ولا يُقال : نَكَلْتُ " (٢) .
— كما أنكرها أيضاً ابن قتيبة (٣) .

— أما ابن مَكِّي الصقلي فإنه يُخْطِئُ (نَكَل) بكسر الكاف ، ويُصوب : (نَكَلَ) (العالية) (٤) .

— أغفل بعض شُرَّاح الفصيح (نَكَلَ) فلم يذكروها (٥) .

قال ثعلبٌ : " وَغَثَّتْ نَفْسِي ، فَهِيَ تَغْثِي " (٦) .

نَقَلَ ثعلبُ اللُّغة العالية (غَثَّتْ) عن أئمة اللُّغة الثقات . وَوَجِدَ مِنَ اللُّغويين مَنْ ذَكَرَ (غَثَّيْتُ) بالياء ، كلغة ثانية في هذه المادة ، إلا أن هذه اللُّغة أنكرها مُعْظَمُ الأئمة اللُّغويين ، وجاء إنكارهم إياها بأساليب ، منها :

— عن الكسائي : غَثَّتْ نَفْسِي . وأنكر قولهم : غَثَّيْتُ بالياء " (٧) .

— وَوَصَفَهَا ابن دُرُسْتُوْبِيهِ بِالخَطَأِ (٨) .

(١) ما تلحن فيه العامة ١٢٧ .

(٢) الإصلاح ١٨٨ .

(٣) أدب الكاتب ٤٠٠ .

(٤) تنقيف اللسان ٢٦٥ .

(٥) انظر : شرح ابن الجيان ١٠٤ ، وشرح المرزوقي ١٤ ، والإمفار ٢٤ ، والتلويح ٥ .

(٦) الفصيح ٢٦٢ .

(٧) ما تلحن فيه العامة ١٢١ .

(٨) تصحيح الفصيح ٥٣ .

— اعتبرها الأزهري من كلام المولدين^(١) .

— أغفلها معظم اللغويين ، فلم يذكروها^(٢) .

قال ثعلب^(٣) : " وسَفَفْتُ الدَّوَاءَ وَغَيْرَهُ ، أَسَفُّهُ " (٣) .

هكذا اقتصر صاحب الفصيح على اللغة الفصيحة المشهورة عن أئمة اللغة ، إلا أنه سُمِعَ عن بعضهم لغة ثانية ، وهي (سَفَفْتُ) بفتح الفاء الأولى . إلا أنها لغة منكرة ، وهناك من أضافها للعامَّة . ومن اللغويين مَنْ قَلَّلَ مِنْ شَأْمِهَا .

— نَقَلَ أَبُو عُيَيْدٍ عَنِ الْكَسَائِيِّ قَوْلَهُ : " وَسَفَفْتُ الدَّوَاءَ لَا غَيْرَ " (٤) .

— ذَكَرَ ابْنُ السَّكَيْتِ اللُّغَةَ الْعَالِيَةَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ (سَفَفْتُ) (٥) .

— وَحَكَى ابْنُ الْجُوزِيِّ : أَنَّ (سَفَفْتُ) بِالْفَتْحِ ، لُغَةٌ الْعَامَّةُ (٦) .

— يُقَرِّرُ الصَّفَدِيُّ قَوْلَ ابْنِ الْجُوزِيِّ بِنِسْبَتِهَا إِلَى الْعَامَّةِ بِقَوْلِهِ : " الْعَامَّةُ تَقُولُ :

سَفَفْتُ الدَّوَاءَ . وَالصُّوَابُ بِكَسْرِ الْفَاءِ الْأُولَى " (٧) .

— نَقَلَ اللَّيْلِيُّ عَنِ أَحَدِ اللُّغَوِيِّينَ : أَنَّهُ لَا يُقَالُ مِنَ الدَّوَاءِ إِلَّا سَفَفْتُ (٨) .

— وَقَفَّ جَمِيعُ شُرَاحِ الْفَصِيحِ عِنْدَ اخْتِيَارِ ثَعْلَبٍ ، وَلَمْ يَذْكُرُوا اللُّغَةَ الثَّانِيَةَ (٩) .

(١) التهذيب ١٧٦/٨ (غني)

(٢) انظر : الإصحاح ١٨٩ ، أدب الكاتب ٣٩٨ ، وتصحيح الفصيح ٥٣ ، تقويم اللسان ١٤٣ ، وأفعال السرقسطي ٤٢/٢ .

(٣) الفصيح ٢٦٣ .

(٤) الغريب المصنف ٥٧٥/٢ .

(٥) الإصحاح ٢٠٨ .

(٦) تقويم اللسان ١١٩ .

(٧) تصحيح التصحيف ٣١٤ .

(٨) تحفة المجد ١٦٥ .

(٩) انظر : شرح ابن درستويه ٦٣-٦٤ ، وشرح ابن الجبان ١٠٩ ، وشرح المرزوقي ٢٣ ، والإسفار ٣٥ ، والتلويع ٧ ، وشرح الرنخشيري ٥١ ، وشرح التدميري ٣٢ ، وشرح ابن هشام ٥٩ ، و تحفة المجد ١٦٥ .

قال ثعلبٌ : " مَصِصْتُ الشيءَ أَمِصُّهُ " (١) .

الترم ثعلب بمنهجه فوقف عند اللُّغة العالِية (مَصِصْتُ) بكسر الصاد الأولى ،
ومِنُ العربِ مَنْ يَرَى لغةَ ثانية ، وهي (مَصَصْتُ) بفتح الصاد الأولى ، إلا أن
بعض اللُّغويين قلل من شأنها ، وهذا التقليل جاء بأساليبٍ منها :

— تفصيح اللُّغة الأولى العالِية ، ويفهم من هذا ضمناً التقليل من شأن اللُّغة الثانية
فعن الأزهري : " وَمِنُ العربِ مَنْ يَقُولُ : مَصَصْتُ أَمِصُّ ، والفصيح الجليدُ :
مَصِصْتُ ، بالكسر أَمِصُّ " (٢) .

— إشادة جَمْعُ من اللُّغويين باللُّغة الأولى العالِية (٣) .

— مِنْ اللُّغويين من خَطَّأ اللُّغة الثانية (مَصَصْتُ ، كما فَعَلَ ابنُ دُرُسْتُوهِ)

— مِنْ اللُّغويين من نسبها إلى العامَّة وقلَّلَ مِنْ شأنها بقوله : " والعامَّة تقول :
مَصَصْتُ الرُّمَانَ ، بفتح الصاد ، والصواب كسرُها (٤) .

— إهمالُ بعضِ شُرَاحِ الفصيح لها ، ووقوفهم عند حدود اللُّغة الأفضح ، فحسب (٥)

قال ثعلبٌ : " وَقَلَبْتُ القَوْمَ ، وكذلك الثوب " (٦) .

أجمع أئمة اللُّغة على فصاحة وعلو (قَلَبَ) وإنْ وُجِدَ مِنْ حَكِي (أَقْلَبَ)
بالألف ، كلغة ثانية ، إلا أنَّها لغةٌ وُسِّمت بالضعف ، كما نَصَّ ابنُ سيده في
مُحكِّمه (٧) ومما يدل على ضعفها ما يلي :

(١) الفصيح ٢٦٣ .

(٢) التهذيب ١٢/١٣٠ (مصص) .

(٣) انظر : الإصلاح ٢٠٩ ، وأدب الكاتب ٣٩٧ ، وتقويم اللسان ١٦٣ ، وتصحيح التصحيح ٤٨٤ ،
وانظر : تصحيح الفصيح ٦٣ ، وشرح ابن الجبان ١٠٨ ، والإسفار ٣٥ .

(٤) انظر تصحيح التصحيح ٤٨٤ .

(٥) انظر : تصحيح الفصيح ٦٣ ، وشرح ابن الجبان ١٠٨ ، والإسفار ٣٥ .

(٦) الفصيح ٢٦٧ .

(٧) المحكم (قلب) .

— إجماع كبار اللغويين كابن السكيت ، وابن قتيبة ، والزجاج ، وابن مكي الصقلي ، والصفدي ، ومعظم شراح الفصح على إنكار (اقلبت) بالألف ، وتخطتها ، أو إغفالها .

— يقول ابن السكيت : " وقد قلبت الصبيان وصرفتهم بغير ألف " (١) .

— وقد أهملها ابن قتيبة . (٢) وأنكرها ابن مكي الصقلي : " ولا يُقال أقلت في شيء إلا في قولهم : أقلت الخبزة " (٣) . ووافق الصفدي فيما ذهب إليه (٤) .

— وعن ابن درستويه : " والعامّة تقول : أقلت القوم والثوب ، ونحو ذلك بالألف ، وهو خطأ " (٥) وبهذا قال الزمخشري أيضاً (٦) .

ونخلص مما سبق أن لهذه التنقية — تنقية اللغة العربية — معالم حاولنا إيضاها عن طريق الأمثلة التطبيقية ، التي استقينها من مواد الفصح وشروحه ، ويبقى لنا إيجاز أبرز ما توصلنا إليه من معاملها ، على النحو التالي :

١. وقوف أئمة اللغة الثقات عند اللغة الأفصح والأعلى ، ووسم ما عداها بالخطأ أو الضعف ، أو الشذوذ ، أو إهمالها كلياً .

١. ذكر اللغتين جميعاً ، في حالة كثرة استعمالهما ، حيث لم تكن إحداهما بأكثر من الأخرى .

٢. التقليل من شأن اللغة الثانية ، ووسمها بصفات تخرجها عن حيز الفصاحة والعلو .

(١) الإصلاح ٢٢٦ .

(٢) أدب الكاتب .

(٣) تنقيف اللسان ١٥٣ .

(٤) تصحيح التصحيف : ١٢١ - ١٢٢ .

(٥) تصحيح الفصح ٧٧ .

(٦) شرحه ٨٢ .

الفصل الثاني

دور الفصح وأثر شروحه
المشرقية والمغربية في التنقية اللغوية

في هذا الفصل سوف أتناولُ بالدراسة كتابَ (الفصيح) من الناحيةِ التوصيفية ، مُبيناً أثره في تدعيم حركة التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ ، بالإضافة إلى بعضِ الإيضاحاتِ حَوْلَ شُرُوحِهِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا ، وَذَلِكَ فِي مَحَاوِلَةٍ مُتَوَاضِعَةٍ لِإِبْرَازِ أَهَمِّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ فَصِيحُ ثَعْلَبٍ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَلاحِظَةِ وَالدَّقَّةِ ، وَبِالتَّالِيِ يَتَسَنَّى لَنَا مَنَاقِشَةُ شُرُوحِهِ الْمُخْتَلِفَةِ — بِمُوافِقَاتِهَا وَمَعَارِضَاتِهَا ، وَبِإِضَافَاتِهَا وَأُوجِهِ قِصُورِهَا — مِيقَارَةً بِفِصِيحِ ثَعْلَبٍ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَتَيسيراً لِسَبِيلِ المِوازَنَةِ بَيْنَها جَمِيعاً مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى ؛ خِدمَةً لِللُّغَةِ الفُصْحَى الَّتِي نَزَلَ بِهَا القُرْآنُ الكَرِيمُ بِلسانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ .

قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلسانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾^(٢) .

وقبل أن نشرعَ في الحديثِ عَنَ فَصِيحِ ثَعْلَبٍ ، نُشيرُ إلى شُرُوحِهِ الَّتِي سَوفَ نَتناولُها فِي هَذَا الفِصْلِ — أَيْضاً — ، حَتَّى يَكتمَلَ تَصورُنا لَهِ بِأَسْئُوبِ أَشْمَلٍ ، وَعَرضُهُ بِمَنهَاجِ واضِحِ ميسرٍ ، وَعَليه بِمِكانِنا تَقْسيمَ شُرُوحِ الفِصِيحِ المِثْلَةِ لِحِركَةِ التَّنْقِيَةِ ، إلى قِسمينِ رَئيسينِ ، وَذَلِكَ تَبَعاً لِمُنشَأِ الشُّرَاحِ أَنفِسهِمُ — مِشارِقَةٍ وَمِغارِبَةٍ — عَلى النَحْوِ التَّالِيِ :

الشُّرُوحُ المِشْرِقيَّةُ لِفِصِيحِ ثَعْلَبٍ :

١ — تَصْحيحُ الفِصِيحِ لِابْنِ دُرُسْتُويهِ .

(١) سورة الشعراء : الآيات (١٩٣ - ١٩٥)

(٢) سورة النحل : الآية (١٠٣)

- ٢- شَرَحُ الْفَصِيحِ لِأَبِي مَنْصُورِ الْجَبَّانِ .
 ٣- شَرَحُ الْفَصِيحِ لِلْمَرْزُوقِيِّ .
 ٤- التَّلْوِيحُ فِي شَرَحِ الْفَصِيحِ لِأَبِي سَهْلِ الْهَرَوِيِّ .

الشُّرُوحُ الْمَعْرَبِيَّةُ لِقَصِيحِ ثَعْلَبٍ :

- ١- شَرَحُ غَرِيبِ الْفَصِيحِ لِلتَّدْمِيرِيِّ .
 ٢- شَرَحُ الْفَصِيحِ لِأَبْنِ هِشَامِ اللَّخْمِيِّ .

وقد اقتصرنا على هذين الشَّرْحَيْنِ — الأَخِيرَيْنِ — ؛ لأنه لم يتوفَّرَ بين أيدينا سواهما كشروحٍ مَعْرَبَةٍ — حسب تقسيمنا السابق للشُّروحِ — فيما يخص تنقية اللُّغةِ . وسوف نبيِّن الأثر الذي تَرَكْتُهُ هذه الشُّرُوحُ جميعاً — مَشْرِقِيَّةً ومَعْرَبِيَّةً — في تدعيمِ حركة تنقية اللُّغةِ بشيءٍ من التفصيلِ في مواضعها — إن شاء الله — .

القَصِيحُ وَأَثَرُهُ فِي تَنْقِيَةِ اللُّغَةِ :

سَبَقَتْ الإشارةُ في مبحث (الْفَصَاحَةِ وَالْفَصِيحِ) إلى التعريفِ بِثَعْلَبٍ وَفَصِيحِهِ ، وإلى بيانِ قيمته اللُّغويةِ وما أحدثه من حملةِ تَأْلِيفٍ واسعةٍ ، ما بين شَرَحٍ وَنَظْمٍ وَنَقْدٍ ، ففي ذلك ما يَفِي بِالْعَرَضِ ، وَيُعْنِي عَنِ التَّكْرَارِ ، ولقد عمدنا إلى تحقيقِ هدفنا هذا من خلالِ البحثِ عن أبرزِ ما تضمنه القَصِيحُ من قضايا جوهرية تُفصِّحُ عن تفصيلاتٍ مُتَوَاهٍ ، وكان من أبرزِ هذه القضايا

المذهب الذي سار عليه في تنقيته للغة ، وقد سبق لنا إيضاحه في مبحث علماء
التنقية اللغوية^(١) ، بالإضافة إلى قضايا أخرى يبانها في الآتي :

- المنهج الذي انتهجه ثعلبٌ في فصيحته .
- المحتوى الذي تضمنه الفصيح .
- المصادر التي اعتمد عليها صاحب الفصيح .

أولاً — منهجُهُ :

قسّم ثعلبٌ كتابه — الفصيح — إلى ثلاثين باباً ، جاءت التسعة الأولى منها
كمباحث في الفعل ، تلتها اثنان في المصادر ، وخمسة عشر في الأسماء
والصفات ، ثم خصّص باباً للأمثال ، وآخر لما يُقال بلُغتين ، وبابٌ سُمّاه حروف
مفردة ، ثم جاء بابه الأخير يحمل عنوان : من الفرق . وفيما يلي بيان موجز لما
أجملناه عن أبواب الفصيح — الثلاثين — على النحو التالي :

— من الباب الأول إلى الباب التاسع (مباحثٌ في الفعل) :

- ١ — باب فَعَلْتُ بفتح العين .
- ٢ — باب فَعَلْتُ بكسر العين .
- ٣ — باب فَعَلْتُ بغير ألف .
- ٤ — باب فَعَلَ بضم الفاء .
- ٥ — باب فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ باختلاف المعنى .
- ٦ — باب فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ باختلاف المعنى .
- ٧ — باب أَفَعَلَ .
- ٨ — باب ما يُقال بحرف الخفض .

(١) انظر ص ٨٠ من هذا البحث

٩ — باب ما يُهْمَز من الفعل .

— الباب العاشر والحادي عشر (في المصادر) :

١٠ — باب المصادر .

١١ — باب ما جاء وصفاً من المصادر .

— من الباب الثاني عشر إلى الباب السادس والعشرين (في الأسماءِ

والصفاتِ) :

١٢ — باب المفتوح أوله من الأسماء .

١٣ — باب المكسور أوله .

١٤ — باب المكسور أوله والمفتوح باختلاف المعنى .

١٥ — باب المضموم أوله .

١٦ — باب المضموم أوله والمفتوح باختلاف المعنى .

١٧ — باب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى .

١٨ — باب ما يثقل ويخفف باختلاف المعنى .

١٩ — باب المشدد .

٢٠ — باب المخفف .

٢١ — باب المهموز .

٢٢ — باب ما يقال للمؤنث بغير هاء .

٢٣ — باب ما أُدخِلت فيه الهاء من وصف المذكر .

٢٤ — باب ما يقال للمذكر والمؤنث بالهاء .

٢٥ — باب ما الهاء فيه أصلية .

٢٦ — باب منه آخر .

— الباب السابع والعشرون : (خصصه للأمثال) .

- الباب الثامن والعشرون : (ما يُقَالُ بِلغتين) .
- الباب التاسع والعشرون : (حروف منفردة) .
- الباب الثلاثون : (من الفرق) .

ثانياً — مُحْتَوَاهُ :

أ — تناول ثعلب في كتابه قضية الفصح في اللغة ، وما يجب على المتعلم إدراكه واستعماله ، فتعرض لعدة قضايا تدور — في تضاعيف أبواب الكتاب — منها : قضايا صوتية^(١) ، وقضايا صرفية^(٢) ، وقضايا دلالية^(٣) .

ب — في الأبواب المتعلقة بالأفعالِ قَدْ يُورِدُ الفعل في صيغة الماضي والمضارع ، وقد يأتي باسم الفاعل أو بالمصدر منه ، إلا أنه لا يلتزم بذلك في كل الأفعال ، كقوله :

" وَهَلَكَ الرَّجُلُ وَغَيْرُهُ يَهْلِكُ " ، " وَعَطَسَ يَعْطِسُ " ، " وَنَطَعَ الْكَبْشُ يَنْطَعُ " ،
 " وَنَبَّحَ الْكَلْبُ يَنْبِيحُ " ، " وَنَحَتَ يَنْحِتُ " ، " وَجَفَّ الثُّوبُ وَكُلُّ شَيْءٍ رَطْبٌ
 يَجِفُّ " ،
 " وَنَكَلَ عَنِ الشَّيْءِ يَنْكِلُ " ، " وَكَلَّتْ مِنَ الْإِعْيَاءِ أَكَلٌ كَلَالًا وَكُلُولًا " ،
 " وَكَلَّ بَصْرِي كُلُولَةٌ وَكِلْسَةٌ " ، " وَسَبَّحْتُ أَسْبَحُ " ، " وَشَحَبَ لَوْنُهُ يَشْحَبُ " ،
 " وَسَهَمَ وَجْهَهُ يَسْهَمُ إِذَا تَغَيَّرَ " ، " وَوَلَّغَ الْكَلْبُ فِي الْإِنَاءِ يَلْغُ وَيُؤَلِّغُ " ^(٤) .

(١) باب : ما يهجر من الفعل ٢٧٨ ، وباب : المهموز من الأسماء ٣٠٦ .

(٢) كأوزان الأفعال وصيغ المشتقات وأسماء الأفعال وأبنية الأسماء والمذكر والمؤنث

(٣) تعرض للألفاظ المعربة ، وخصص باباً للفرق ٣٢١

(٤) باب : فعلت بفتح العين ٢٦١ .

ج — يغفل إيراد الفعل في صيغة الماضي والمضارع في كل الأبواب ، فمثلاً في الباب الثالث ^(١) نلاحظ أنه يُدرج مضارع بعض الأفعال ويُغفل بعضها الآخر كقوله :

" وَتَبَذْتُ التَّبِيذَ " ، " وَرَهَنْتُ الرَّهْنَ " ، " وَخَصَيْتُ الْفَحْلَ " ، " وَبَرَيْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْخِصَاءِ وَالْوَجَاءِ " ، " وَتَعَشْتُ الرَّجُلَ فَأَنَا أَنْعَشُهُ " ، " وَحَرَمْتُ الرَّجُلَ عَطَاءَهُ أَحْرَمَهُ " .

د — يَذْكُرُ الْفِعْلَ فِي الْمَاضِي وَالْمُضَارِعِ وَيَأْتِي مِنْهُ بِاسْمِ الْمَفْعُولِ فَقَطْ ^(٢) ، كقوله :

" عُنَيْتُ بِحَاجَتِكَ بضم أوله ، أَعْنَى بِهَا ، وَأَنَا بِهَا مَعْنِيٌّ " ، " وَقَدْ أَوْلَعْتُ بِالشَّيْءِ أَوْلَعُ بِهِ " ، " وَقَدْ بُهِتَ الرَّجُلُ يُبْهِتُ فَهُوَ مَبْهُوتٌ " .

ثم بَعْدَ هَذَا مُبَاشَرَةً تَجِدُهُ يُغْفَلُ صُورَةُ الْمُضَارِعِ فَيَأْتِي بِالْفِعْلِ وَاسْمِ الْمَفْعُولِ مِنْهُ فَقَطْ كقوله :

" وَقَدْ وَثَمَتْ يَدُهُ فَهِيَ مَوْثُوَّةٌ " ، " وَقَدْ شُعِلَتْ عَنْكَ فَأَنَا مَشْعُولٌ " ، " وَقَدْ شَهَرَ فِي النَّاسِ " ، " وَقَدْ ذُعِرَ فَهُوَ مَذْعُورٌ " ، " وَقَدْ طُلَّ دَمُهُ فَهُوَ مَطْلُولٌ : إِذَا لَمْ يَدْرِكْ بئَارَهُ " " وَأَهْدَرَ فَهُوَ مَهْدُورٌ " ، " وَقَدْ وَقَصَ الرَّجُلُ إِذَا سَقَطَ عَنْ دَابَّتِهِ فَانْدَقَتْ عُنُقُهُ فَهُوَ مَوْقُوصٌ " ، " وَقَدْ وُضِعَ الرَّجُلُ فِي الْبَيْعِ يُوَضَعُ " ^(٣) .

هـ — سَاقَى تَغْلَبُ فِي كِتَابِهِ الْكَلِمَاتُ الْفَصِيحَةُ الَّتِي كَانَ الْعَامَّةُ يَلْحَنُونَ فِيهَا ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ مَعَهَا كَيْفَ كَانَ عَامَّةُ النَّاسِ يَنْطِقُونَهَا إِلَّا فِيمَا نَدَرُ ، فَمِنْ ذَلِكَ

(١) باب فَعَلْتُ بِغَيْرِ أَلْفٍ .

(٢) باب فَعَلَ بِضَمِّ الْفَاءِ

(٣) الفصيح: ٢٦٩ - ٢٧٠ .

قوله : " وهو الخائر لهذا الذي تسميه العامة : الحَيْرُ ، وجمعه حَيْرَانٌ وَخَوْزَانٌ " (١)
وقوله : " وهي الإرزبةٌ للتي تقول لها العامة مِرْزَبَةٌ " (٢) .

مع العلم أنه أشار في خاتمة تأليفه إلى أنه ألف هذا الكتاب على نحو ما ألف
الناس ونسبوه إلى ما تلحن فيه العامة ٣ ، ومع ذلك فإنه يشير أحياناً إلى أخطاء
العامة باستعماله للفظ " لا تَقُلْ ... لأنَّ ؛ لأنه ... " ، أو " لا تَقُلْ ... ؛ فإنه
خطأ " ومن أمثلة ذلك :

— يصرِّح بأن الفصح أن يقال : أَتَانَا بِحِجْفَانٍ رُدْمٍ وَرَدْمٍ ، وبينه على أنه لا يقال :
رِدْمٍ ، فإنه خطأ (٤) .

— كما يقرر أن الفصاحة تتمثل في قوله : وَإِذَا قِيلَ أُذُنٌ فَتَعَدُّ ، فقل ما بي تَعَدُّ ،
وفي العشاء : ما بي تَعَشُّ ، وبينه إلى أنه لا يقال : ما بي غَدَاءٌ وَلَا عَشَاءٌ لأنه
الطعام بعينه (٥) .

— وفي موضع ثالث من الكتاب يصرِّح بأن الصواب أن يقال : لَقِيْتَهُ لَقِيَةً وَلِقَاءَةً
وَلَقِيَانًا وَلِقِيَانَةً ، وبينه أنه لا يقال : لِقَاءَةً فإنه خطأ (٦) .

— وفي قولهم : وَأَطْعَمْنَا خُبْزَ مَلَّةٍ وَخُبْزَةَ مَلِيلاً ، يصرِّح بأن هذا هو الكلام
الأفصح والأشهر ، وينكر على من قال : أَطْعَمْنَا مَلَّةً لِأَنَّ الْمَلَّةَ الرَّمَادُ وَالشَّرَابُ
الْحَارُ (٧) .

(١) ص : ٣٢ .

(٢) ص : ٢٩٥ .

(٣) ص : ٣٢٣ .

(٤) الفصح : ٣١٤

(٥) ص : ٣١٩

(٦) ص : ٣١٩

(٧) ص : ٣١٨

و — اهتم بالهمزة فخصص لها باين : الباب التاسع : " باب ما يهمز من الفعل " ، والباب الواحد والعشرون : " باب المهموز " وخصه بالأسماء المهموزة ؛ ذلك أن العامة — اختصاراً وتسهيلاً للنطق — تعمد في غالب الأحيان إلى إهمال الهمزة وإبدالها حرفاً ليناً : فالعامة تستثقل الهمزة لأنها أشد الحروف الشديدة ، فهي كما يقول " سيبويه " : " نبرة في الصدر تخرج باجتهاد " (١) . وذلك لأنها صوت ليس بالمهجور ولا بالمهموس وهي أكثر الأصوات الساكنة شدة (٢) .

واعتمد ثعلب في النماذج التي ساقها في هذا المجال على حصر بعض الأفعال المهموزة والتي تنطقها العامة لينة ، وبين الفرق بين الفعل ذي الحرف المهموز ونفس الفعل ذي الحرف اللين ، وأوضح اختلاف المعنى بين الفعلين ، ومن أمثلة ذلك (٣) :

رَقاً " الدم " : انقطع — رَقِيَ الصبي : جعل له رقية .
 دَاراً : دافع — دَارَى : لاين .
 بَاراً : فارق — بَارَى : عارض .
 عَباً : صنع — عَبَّى " الجيش " : من التعبئة .

نَكَأ " القرحة " : قَشَرَهَا قبل أن تيراً — نَكَّى : هزم وغلب " العدو " .

ز — في الأسماء المهموزة أورد ثلاثة نماذج (٤) :

* النموذج الأول : لا يجوز فيه إلا الهمز فقط ، ومن أمثلة ذلك :

(١) الكتاب ٥٤٨/٣ .

(٢) الفصيح : ٩٩ .

(٣) باب : ما يهمز من الفعل

(٤) باب : المهموز

شَافَهُ — نَأَمَهُ — تَوَأَمَ — رُوِّبَهُ — صَبَّأَنَ .

* النموذج الثاني : يجوز فيه الهمز واللين مع اختلاف المعنى ، ومن أمثلة ذلك :

جِيئَةُ : اسم مرة من جَاءَ — جِيئَةُ : الماء المستنقع .

السُّؤْرُ : ما بقي من الشراب في الإناء — السُّؤْرُ : ما يحيط بالمدينة .

* النموذج الثالث : ما يجوز فيه الهمز واللين والمعنى واحد ، ومن أمثلة ذلك :

الأَرْقَانُ وَالْيَرْقَانُ : داء يصيب الزرع والإنسان فيحدث فيه الاصفرار .

الأَرْتَدَجُ وَالْيَرْتَدَجُ : جلد أسود يصنع منه الخفاف .

ح — أوضح ثعلب الفروق بين أوزان الأفعال ؛ فخصص باباً لَفَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ

باختلاف المعنى^(١) ، وساق بعض النماذج شارحاً لمعنى كل فعل ، أمثلة :

— شَرَقَتِ الشَّمْسُ : إذا طلعت — أَشْرَقَتْ : إذا أضاءت .

— عَيَّيْتُ بِالْأَمْرِ : إذا لم أعرف وجهه — أَعَيَّيْتُ مِنَ الشَّيْءِ : تعبت

— هَدَيْتِ الْعُرُوسَ : زففتها إلى زوجها — أَهْدَيْتِ الرَّجُلَ : أعطيته هدية

— سَفَرَتِ الْمَرْأَةُ : أَلْقَتْ حَمَارَهَا — أُسْفَرَتْ : أضاءت .

— صَفَدْتُ الْأَسِيرَ : شددتُ وثاقه — أَصْفَدْتُ الرَّجُلَ : أعطيته مالاً .

— لَمَمْتُ : جَمَعْتُ — أَلَمَمْتُ : أتيتُ وزرتُ .

ط — خصص باباً لَفَعَلْتُ وَفَعَلْتُ باختلاف المعنى^(٢) ، على غرار الباب السابق ،

فمن أمثلة ذلك قوله :

— نَقَّهْتُ الْحَدِيثَ : فهمته — نَقَّهْتُ مِنَ الْمَرَضِ : شفيت .

— قَرَّرْتُ بِهِ عَيْنًا : سعدت — قَرَّرْتُ فِي الْمَكَانِ : مكثت .

(١) الفصح ٢٧٢

(٢) نفس المرجع ٢٧١ .

— قَرَّرْتُ به عيناً : سعدت — قَرَّرْتُ في المكان : مكثت .
— مَلَّتُ من الشيء : ضحرت وسئمت — مَلَّتُ الشيء : وضعت في الملة
" الرماد الحار "

ك — اهتم بالمشيات ، فخصص لها باين هما : باب المضموم أوله والمفتوح
باختلاف المعنى ، وباب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى ، وفيما يلي
إيضاح وتمثيل لكل منهما :

(١) باب المضموم أوله والمفتوح باختلاف المعنى^(١) ، ومن أمثلة ذلك :

— لِحْمَةُ النَّسَبِ — لِحْمَةُ الثَّوْبِ
— لِحْجَةُ الْمَاءِ : معظمه — لِحْجَةُ النَّاسِ : أصواتهم .
— الْحُمُولَةُ : الأحمال — الْحُمُولَةُ : الإبل .
— الْمَقَامَةُ : الإقامة — الْمَقَامَةُ : الجماعة من الناس .
— الْحَلَّةُ : المودة ، وما كان حلواً من المرعى — الْحَلَّةُ : الحنْصَلَةُ .
— الْجُمَّةُ : الشَّعْرُ الكثير المجتمع على الرأسِ ، والقوم يسألون في الدية ،
وَجَمَّةُ الْمَاءِ : اجتماعه .
— شَفْرٌ : جفن العين — شَفْرٌ : أحد .

(٢) باب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى^(٢) : فمن أمثلته :

— الْإِمَّةُ : النعمة — الْأُمَّةُ : القامة .
— الْحَطْبَةُ : مصدر — الْحَطْبَةُ : اسم المخطوب به .
— الرَّحْلَةُ : الارتحال — الرَّحْلَةُ : القوة على السفر .
— الصَّفْرُ : الخالي من الآنية وغيرها — الصَّفْرُ : النحاس .

(١) الفصح ٣٠١ .

(٢) الفصح ٣٠٢ .

ثالثاً - مَصَادِرُهُ :

تعددت المصادر اللُّغَوِيَّةُ في كتاب الفصيح ، وإذا كان المعجم اللُّغوي يشكل المادة الأولى والأساسية فيه ، فإن الآيات القرآنية والأحاديث ، والأمثال ، وأقوال الرواة ، والأشعار ، قد شكلت مصادرَ غزيرةً ، أخذ ثعلب ينهل من معينها ؛ إذ كان يعتمد إليها في الاستدلال على الفصيح من الألفاظ والاستعمالات .

وبيناها كالتالي :

— الآيات القرآنية : أربع آيات .

— الأحاديث : أربعة أحاديث .

— الأمثال : ثلاثة وثلاثون مثلاً .

— الأشعار : تسعة وثلاثون بيتاً .

أ - القرآن الكريم :

استشهد ثعلب بأربع آيات ، اثنتان منهما في معنى الفعل (أَحَسَّ ، وَحَسَّ)^(١) ، ففي معنى أحس يورد قوله تعالى : ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾^(٢) ، وفي معنى الفعل حسَّ قال تعالى : ﴿ إِذْ تَحْسَبُ لَهُمْ يَأْذِنُهُ ﴾^(٣) والأخرتان في معنى لفظ (أمة)^(٤) . واعتبر ثعلب لُغَةَ القرآن هي اللُّغَةُ التي يُعْتَدُ بها ، فقد صرَّح بوجودها في باب : " ما يُقَالُ

(١) الفصيح : ٢٧٦ .

(٢) سورة مريم آية ٩٨ .

(٣) الفصيح : ٣٠٢ .

(٤) ص : ٣١٧ .

بُغْتَيْنِ " بقوله : " وَأَمَلَيْتُ الْكِتَابَ أَمَلِيهِ إِمْلَاءً ، وَأَمَلْتُ أَمَلٌ إِمْلَالاً "
لُغَتَانِ جَيِّدَتَانِ جَاءَ بِهِمَا الْقُرْآنُ (١) .

ب - الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ :

اسْتَشْهَدَ بِالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ بَيَّانًا كَالتَّالِي :

— باب : ما يهزم من الفعل : " لَا تَسْبُوا الْإِبِلَ فَإِنَّ فِيهَا رُقُوءَ الدَّمِّ " (٢)
وقد أراد ثعلب الفعل (رَقَأ)

— باب : من المصادر : " وَاهَأُ لِلنَّوَّاحِ " (٣) .

— باب : المفتوح أوله من الأسماء : " الْحَرْبُ خَدَعَةٌ " (٤) .

— باب : ما جرى مثلاً أو كالمثل : " دَعَّ مَا يُرِيكَ إِلَى مَا لَا يُرِيكَ " (٥) .

ج - الْأَشْعَارُ :

يعد الشعر من أهم مصادر الاستشهاد عند العلماء ، ولم يكن الاستشهاد به
وفقاً على علماء العربية وحدهم ؛ بل شاركهم في الاهتمام به الفقهاء

(١) واللُّغَتَانِ ، هُمَا :

(أ) قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفرقان : ٥

(ب) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ رُبِّيَّةً

بِالْعَدْلِ ﴾ البقرة : ٢٨٢ .

(٢) الفصيح ٢٧٦ . ولم أجد الحديث في الكتب المعتمدة ، وهو في المجموع المعيث في غريب القرآن
والحديث للإمام الحافظ أبي موسى الأصفهاني ٧٨٦/١ ، وفي نهاية غريب الحديث والأثر للإمام أبي السعادات
ابن الجزري ٢٢٦/٢ .

(٣) نفسه ٢٨٧ . ولم أقف له على سند .

(٤) الفصيح : ٢٩٢ . والحديث في البخاري ، باب : الحرب خدعة برقم (٢٨٦٤ ، ٢٨٦٥ ، ٢٨٦٦)
وفي مسلم باب : حواجز الخداع في الحرب برقم (١٧٣٩ ، ١٧٤٠) .

(٥) نفسه ٣١٢ ، ولم يذكر ما يشير إلى أنه حديث نبوي ، وهو في سنن الترمذي برقم (٢٥١٨) .

والأصوليون والمحدثون والمفسرون ، ولا أدل على هذا من قول ابن عباس — رضي الله عنهما — : " إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر فإنه ديوان العرب " (١) .

احتوى الفصيح على عددٍ وافٍ من الأشعارِ والأراجيزِ . والملاحظُ على هذه الأشعارِ أنها لا تقتصرُ على القديمِ فحسب ؛ فالنماذج التي انتقاها ثعلب للاستشهاد بها هي لشُعراءِ جاهليين وإسلاميين وأمويين . وإن أُغفلَ ذكرُ أسماءِ الشعراءِ واكتفى في جُلِّ رواياته بقوله : [قال الشاعرُ) ، (ويُشَدُّ هذا البيت) ، (قال الرَّاجِزُ) ، (وأنشدَ)] إلا في مواضع معدودة ذكر فيها اسم الشاعرِ : مثل قوله : (قال الكُميتُ) (٢) ، و (قال زهير بن أبي سلمى) (٣) ، و (قال أبو النُّجُم) (٤) ، و (قال الأعشى) (٥) . كما ذكر رواية واحدة عن ابن الأعرابي بقوله : أنشدني ابنُ الأعرابي (٦) . فهذا يكون مجموع ما نُسبَ من أبياتٍ لقائلها قد بلغت أربعة من مجموع تسعة وثلاثين بيتاً هي حصيلة ما أورده — ثعلب — من أشعار في كتابه ، وهي نسبةٌ ضئيلةٌ جداً ؛ إذ لم تتجاوزَ العُشْرَ — تقريباً — وهو في معظم هذه الشواهد يدل على فصاحة تلك المواد التي تضمنها كتابه كاستشهاده بيت بل عزو على فصاحة (نَمَى يَنمي) (٧) ، وكذلك استشهد بيت على فصاحة (غَوَى يَغوى) (٨) ، وذكر — أيضاً بيتاً استشهد به

(١) انظر الاتقان ١/١٣٦ .

(٢) الفصيح : ٢٦٦ .

(٣) نفسه : ٢٧٢ .

(٤) نفسه : ٢٨٧ .

(٥) نفسه : ٣٠٢ .

(٦) نفسه : ٢٩٦ .

(٧) نفسه : ٢٦٠ .

(٨) نفس الصفحة .

على فصاحة (زَكِنَ يَزْكُنُ)^(١) ، وكذلك استشهاده على فصاحة قولهم :
(زَوَى وَجْهَهُ يَزْوِيهِ)^(٢) بيت للأعشى .

د - أقوال الرواة :

لم يصرح إمام الكوفيين ثعلب في فصيحه بأسماء علماء اللغة الذين نقل عنهم ،
إلا في القليل النادر وكان ذلك عائد إلى حجم تأليف الكتاب ، والذي راعى فيه
الاختصار ما أمكنه ذلك وإن صرح ببعض المواضع بأسماء بعض كبار رواة اللغة ،
من أمثال : يونس بن حبيب الضبي ، وأبي زيد وأبي عبيدة ، وابن الأعرابي
والأصمعي والفراء ، وغيرهم ، فإنه إنما فعل ذلك لأنه كان ينقل عن هؤلاء
الأئمة فيما يراه موضع خلاف بين هؤلاء العلماء ، ومن أبرز هذه المواضع ما يلي :

(١) ما يتعلق بالمعنى الدلالي : ومن أمثلة ذلك :

— يذكر أن جِرْعَ الوادي : جانبُه ، ويقال : ما أثنى منه ، وينقل عن
ابن الأعرابي بأنه مُعْظَمُهُ^(٣) .

(٢) للمهموز وغير المهموز : ففي كلامه على قولهم : عَبَّيْتُ الْجَيْشَ تَعْبِيَةً ،
يصرِّح بأنه حُكِيَ عن يونس والأصمعي وقال ابن الأعرابي وأبو زيد كلاهما
مهموز^(٤) .

(٣) فيما يخص اللغات : وبالرغم من أن ثعلباً كان مفتوناً بعلم الفراء إلا أن
أمانته العلمية لم تمنعه من أن يشير إلى ما حُولِفَ فيه إذا كان في قوله شيء

(١) الفصح : ٢٦٣ .

(٢) نفسه : ٢٦٨ .

(٣) نفسه : ٢٩٦ .

(٤) نفسه : ٢٧٩ .

من أوجه الخلاف ، فصرح في ذلك في باب : (المفتوح أوله من الأسماء)
عند ذكر كلمة (العَرَبُونَ) بقوله : " وهو العَرَبُونَ والعُرَبَانُ في قول الفراء
وقد يخالف فيه " (١) . قلت : وقوله قد يخالف فيه فإن غير الفراء يقول :
(عَرَبُونَ) (٢) .

(٤) في التبادل بين الفاء والتاء ، ومن ذلك ما حكاه عن الفراء : وكلامُ
العرب إذا عُرِضَ عليك الشيء أن تقول : تُوفِرُ ، وتُحَمِّدُ ولا تقل : تُوتِرُ (٣) .
فهو هنا يئبه إلى خطأ لغة العامة ، لأنها تقول : (تُوتِرُ) وهو تصحيف (٤) .

(٥) الإعراب والبناء : ومن أمثلة ذلك قوله : " وتقول : شَتَّانَ زيدٌ وعمرٌ ،
وشَتَّانَ ما هما ، والفراء يخفض نون شَتَّانَ " (٥) .

قلت حكى ابن السكيت : وشَتَّانَ مصروفة عن شَتَّتَ ، والفتحة التي في
النون هي التي كانت في التاء ، والفتحة تدلُّ على أنه مصروف عن الفعل
الماضي (٦) .

بينما يرى الزمخشري أن نون شَتَّانَ مفتوحة على نية المصدر ، وعند الفراء
مخفضة على التشبيه بنون التثنية ، ويرى غيره أن النون مفتوحة عن طريق
اتباع الفتح الفتح ؛ إذ كانت الألف من جنس الفتحة ، ولا يكون ما قبلها إلا

(١) الفصح : ٢٩١ .

(٢) انظر الاصلاح : ٣٠٧ ، وأدب الكاتب : ٤٠٨ ، وتقفيد اللسان : ٢٢٣ ، وتقوم اللسان : ٧٣ ، وشرح الزمخشري
٣٩٣ :

(٣) الفصح : ٣٢١ .

(٤) انظر الاصلاح : ٣٢٧ ، وتصحيح التصحيف : ٣٢١ .

(٥) الفصح : ٣١٢ .

(٦) الاصلاح : ٢٨٢ .

فتحة^(١) . وأما وجه قول الفراء في كسر النون ؛ فكأنه أراد تنقية (شَتَّ) وهو المتفرَّقُ ، ويجوز أن يكون كسرهما لأمرين : أحدهما إلتقاء الساكنين ، ولأنه تنقية ، كما قال ابن الجبان^(٢) .

ونخلص من هذا المبحث إلى بيان الآتي :

أ — تناول ثعلبٌ في كتابه قضية الفصيح في اللغة ، وما يجب على المتعلم إدراكه واستعماله ، وجعل منه مثلاً يحتذى لمذهب التنقية اللغوية .

ب — قسم ثعلب كتابه الفصيح إلى ثلاثين باباً بدأها بمباحث الأفعال واختتمها باب من الفرق .

ج — أبان كتاب الفصيح عن منهج ثعلب المتشدد في تنقية لغة القرآن الكريم ، إلا أن هذا التشدد لا يمثل منهجه — في الأغلب الأعم — لأننا وجدناه متوسعاً في بعض مؤلفاته ، وبما نقله عنه أئمة اللغة .

د — أثار الفصيح حركة تأليف لغوية واسعة ، عكست اهتمام اللغويين عبر العصور المختلفة بظاهرة التصويب اللغوي .

هـ — تعددت المصادر اللغوية في كتاب الفصيح ، فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والأمثال ، وأقوال الرواة ، قد شكلت مادة غزيرة أخذ المؤلف ينهل من معينها .

و — ظلت للفصيح أهمية عظيمة في تعليم العربية عدة قرون .

ز — أثنى اللغويون ، وشراح الفصيح ، والدارسون المحدثون على هذا المصنّف ؛ للمكانة العلمية التي يحتلها .

ح — ولأهميته فقد ضمنه أصحاب المعاجم اللغوية مصنفاتهم .

(١) انظر شرح الزمخشري ٢٦٤ ، وإسفار الفصيح ٣٧٦ .

(٢) شرحه للفصيح ٢٩٧ ، وانظر شرح الزمخشري ٢٦٤ .

تَصْحِيحُ الْفَصِيحِ ، لِابْنِ دُرُسْتُوَيْهِ

المتوفى (سنة ٣٤٧ هـ)

* مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ :

بَدَأَ ابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ ^(١) مُقَدِّمَةً تَصْحِيحَهُ لِلْفَصِيحِ بِالْبِسْمَلَةِ ، وَحَمَدَ اللَّهَ عَلَى تَصْحِيحِ " كِتَابِ الْفَصِيحِ " ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ مَسْأَلَةَ الْخِلَافِ فِي نِسْبَةِ الْفَصِيحِ إِلَى ثَعْلَبِ ، وَقَدْ أَهْمَلَ تَفْسِيرَ مُقَدِّمَتِهِ .

أولاً / السَّبَبُ فِي تَأْلِيْقِ الْكِتَابِ :

يَذْكُرُ الْمُؤَلِّفُ أَنَّ هُنَاكَ أَسْبَاباً دَعَتْهُ إِلَى إِخْرَاجِ هَذَا الشَّرْحِ لِفَصِيحِ ثَعْلَبِ ، مِنْهَا أَسْبَابٌ تَتَعَلَّقُ بِصَاحِبِ الْفَصِيحِ نَفْسِهِ ، وَأَسْبَابٌ أُخْرَى تَعُودُ لِشَرَّاحِ الْفَصِيحِ ، وَهَذَا بَيَانٌ لَهَا :

(١) فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصَاحِبِ الْفَصِيحِ :

- أ — يَذْكُرُ ابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ أَنَّ ثَعْلَباً لَمْ يَفْسِرْ مَا ذَكَرَ فِيهِ مِنَ الْغَرِيبِ .
- ب — وَلَمْ يُوَضِّحْ مَعَانِيَهُ وَإِعْرَابَهُ .
- ج — أَنَّهُ أَغْفَلَ أَشْيَاءَ مِنْ قِيَاسِ كُلِّ بَابٍ ، وَالْمَثَالُ الَّذِي يَجْمَعُ مَا تَلْحَنُ فِيهِ الْعَامَّةُ
- د — أَغْفَلَ تَفْسِيرَ التَّرْتِيبِ لِلْأَبْوَابِ .
- هـ — سَكَتَ عَنِ تَوْضِيحِ الْمَعَانِيِ وَالْإِعْرَابِ .

(٢) مَا يَتَعَلَّقُ بِشَرَّاحِ الْفَصِيحِ :

- أ — يَذْكُرُ ابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ أَنَّ الشَّرَّاحَ حَشَوَهُ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ .
- ب — ضَمُّوا إِلَى الْكَلِمَةِ مَا لَيْسَ مِنْهَا فِي الْإِشْتِقَاقِ أَوْ الْمَعْنَى .
- ج — اسْتَطَرَدُوا وَضَرَبُوا صَفْحاً عَنْ ذِكْرِ الْأَبْنِيَةِ وَالْأَمْثَلَةِ الَّتِي هِيَ قَوَاعِدُ الْأَبْوَابِ
- د — تَرَكَوا الْأَصُولَ وَأَهْمَلُوهَا .

(١) سبق التعريف بالشارح في ص ٨٩ من هذا البحث

فحداه ذلك إلى شرح الفصيح ليستكمل به هذا النقص ، فعمل على :

أ — شرح معاني أبنية الفصيح .

ب — أبان عن تصارييف أمثلة كتاب الفصيح ومقاييس نظائره .

ج — فسر الشارح ما يجب تفسيره من غريب الفصيح .

د — أوضح اختلاف اللغات ، وأبان عن الصواب والخطأ فيه .

هـ — نَبَّه عن مواضع السهو والإغفال من مؤلف الفصيح .

ثانياً / أَبْوَابُ الْكِتَابِ :

جاء شَرَحُ ابْنِ دُرُسْتُويه للفصيح في اثنين وثلاثين باباً ، أي بزيادة باين عن الفصيح ، حَيْثُ قَسَمَ المصادرَ إلى أربعة أبواب ، أما بقية الأبواب فجاءت تبعاً لأبواب الفصيح وتصنيف ألفاظه ، بعد أن صَحَّحَهَا فَعَوَّنَ بذلك لكلِّ باب ، مُقَدِّمًا عليه لفظة " تَصْحِيحٌ " .

ثالثاً / أَهْمِيَّتُهُ بَيْنَ شُرُوحِ الْفَصِيحِ :

تَكْمُنُ أَهْمِيَّتُهُ بما حواه من مادة علمية كانت تتويجاً لأعماله النحوية واللغوية بوجه خاص ، والقرآنية والأدبية بوجه عام ، فهو يعمد إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم أولاً ، ثم الشُّعْرَ ثانياً ، والحديث والأمثال ثالثاً ، وأحياناً على القراءات والروايات ، وأغلبها عن كبار اللغويين ، أحدهما أستاذه المُتَقَدِّمُ الخليل بن أحمد في كتابه " العين " ، وثانيهما أستاذه المباشر المُرَدُّ ، كما عرض الشارح لكثير من الكليات العامة ، ولمذاهب العرب في كلامها ، وللتعريب إلى جانب ما سبق ، وهو في هذا يحيل على مؤلفاته التي ألفها ، والتي تعد إلى إحدى الموسوعات العلمية^(١) .

(١) انظر مقدمة المحقق ٢٣ .

ولأهمية هذا الكتاب نُقِلَ عنه السيوطي في المزهري في أربعة وعشرين موضعاً^(١) .
 كما نُقِلَ عنه صاحب الخزانة في مواضع نصَّ عليها بقوله : " ... ومنها ما يرجع
 إلى كتب اللغة ، وهو الجمهرة ، والفصيح ثعلب ، وشروحه لابن دُرُسْتَوِيه
 وللهروي ، وللمرزوقي واللُّبَلِي ، ولابن هشام اللُّخْمِي ، ولغيرهم " (٢)
 كما اعتمد عليه الزبيدي في تاج العروس ، جاعلاً إياه من مصادره . ومن
 مكثري التقلُّ عنه اللُّبَلِي في كتابه "تحفة المجد الصريح" (٣) .

وفيه يَقُولُ أَحَدُ الْمُحَدِّثِينَ : " وَيُعَدُّ كِتَابُ "تصحيح الفصيح" لابن دُرُسْتَوِيه ،
 من أهم الكُتُبِ الَّتِي شَرَحَتْ كِتَابَ الفصيح ، فلم يقتصر الأمر على الشرح ،
 كما هو عادة الكثير من الكُتُبِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَإِنَّمَا يَتَمَيَّزُ هَذَا الشَّرْحُ بِمِيزَتَيْنِ :
 أُولَاهُمَا : نقد الفصيح ، والاستدراك عليه بِذِكْرِ مَا أَغْفَلَهُ ثَعْلَبُ . وَالْأُخْرَى :
 بيان طريقة نطق العامة لهذه اللفظة أو تلك ، وكان ذلك مما لم يَهْتَمُّ ثَعْلَبُ بالنصِّ
 عليه إلا نادراً . ولولا هذا الأمر الذي صنعه ابن دُرُسْتَوِيه ، ما عرفنا من كتاب
 الفصيح طريقة نطق العوام للكلمات الَّتِي ذَكَرَهَا " (٤) .

رابعاً / منهجُهُ :

ولابن دُرُسْتَوِيه منهجٌ تَمَيَّزَ بِهِ شَرْحُهُ عَنْ بَقِيَّةِ شُرَاحِ الفصيح ، يُمَثِّلُ فِي الْآتِي :
 أ — يعنون كُلَّ بَابٍ يَرِيدُ شَرْحَهُ بِلَفْظِهِ : " تصحيح الباب ... " .

(١) انظر المزهري : — على سبيل المثال لا الاستقصاء — الصفحات : ٣٩٦/١ ، ٢٦٥ ، ٢٢٥ ، ٢١٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠١ .

(٢) المقدمة : ١٤/١ .

(٣) انظر : — على سبيل المثال — : ٤٧٧ ، ٣١٥ ، ٢٩٨ ، ٢٨٩ ، ٢٥٥ ، ١٧٤ ، ١٦٨ ، ١٥٥ ، ١٤٦ ، ١٢٣ .

(٤) ذكره : رمضان عبد التراب في مقدمة اللحنة ، لتصحيح الفصيح .

ب — يستفتحُ البابَ بمقدِّمة يوضِّحُ فيها المراد منه ، ثم يذكرُ القاعدة التصريفية ، ثم يذكرُ قولَ العلماءِ في الظاهرة المراد شرحها ، وقد يوافقهم ، وقد يعارضهم ، فإن عارضهم يردُّ عليهم ، وهذا ما التزم به في جميع أبواب شرحه .

ج — يُلخِّصُ بعضَ ما اشتمل عليه البابُ من مفردات ، ثم يعرض لها بالنقد والمناقشة ، ثم يشرح المفردات الواردة في الباب بقوله : " فأما تفسير غريب هذا الباب " .

د — لا يلتزم بمنهج واضح في شرحه لبعض المفردات اللغوية ؛ فتارة يستطرد في بيان بعضها ، وتارة نجده موجزاً في بعضها الآخر . فمن أمثلة الأول : شرحه لقول ثعلب : " تَبَذَّتُ التَّيِّدَ " ، إذ استغرق تفسيره له صفحة بأكملها — تقريباً —^(١) ومن أمثلة الثاني : تفسيره لقول ثعلب : " حُشَّ عَلِيٌّ الصَّيْدَ " ، حيث لم يتجاوز تفسيره له السطرين^(٢) .

هـ — يعقلُ بعضَ المفردات التي ضمنها ثعلبُ أبواب فصيحته ، فلم يأتِ بها ، لأنه يرى أنها لا تحتاج إلى تصحيح ومن أمثلة ذلك : أورد ثعلبُ في باب : " فَعَلَتِ بِكسر العين " المواد التالية : " رَضِعَ المولودُ يَرْضَعُ ، وفَرِكَتِ المرأةُ زوجها ، وعَضِبْتُ ، ولَجِجْتُ ، ووَدِدْتُ ، وشَرِكْتُ الرَّجُلَ في الشيء " فأغفلها الشارح .

خامساً / المسائل اللغوية في تصحيح ابن درُستويه :

سارَ ابن درُستويه — كما سارَ غيره من شُراح الفصيح — على نهج العناية باللغات التي تضمنها الفصيح نفسه ، إلا أن الملاحظ على ابن درُستويه عنايته ببعض اللغات التي غفل عنها ثعلب فلم يذكرها ، فعَمَدَ إلى ذكر بعضها مُعلناً

(١) التصحيح : ٨١ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

فصاحتها ؛ إمّا مساوياً إياها باللُّغة الأخرى ، أو مجيزاً لها مع تقدّم لُغة الفصيح عليها ، أو ناقداً ثعلباً ؛ لإغفاله إياها ، ولكي يتضح المقصود للقارئ يمكن أن تُقسّم هذه المسائل اللُّغوية ، والتي اشتمل عليها تصحيح الفصيح إلى قسمين رئيسين ، هما :

أولاً — لَحْنُ الْعَامَّةِ :

وسَلَكَ فِيهِ الشَّارِحُ ثَلَاثَةَ مَسَائِلَ رَئِيسَةَ : أَحَدُهُمَا تَصْوِيهِ لُغَةِ الْعَامَّةِ عِنْدَ مُوَافَقَتِهَا لُغَةَ مِنَ لُغَاتِ الْعَرَبِ ، وَثَانِيَهُمَا تَحْطِئَتُهُ لَهَا إِذَا خَالَفَتْ لُغَاتِ الْعَرَبِ ، أَمَّا الْمَسْلُوكُ الثَّلَاثُ : فَفَضْلٌ فِيهِ الْحِيَادُ بِسُكُوتِهِ عَنِ بَعْضِ لُغَاتِهَا ، وَفِيهَا يَلِي الْأَمْثَلَةَ الَّتِي تُدْعَمُ زَعْمًا لِهَذِهِ الْمَسَائِلِ :

١ — تَصْوِيْبُ لُغَةِ الْعَامَّةِ :

وقد جاء هذا التصويب بأساليب متنوعة لا تخلو من عبارات التأكيد على صحة قول العامة ، منها قوله : وهي لغة للعرب ، أو قوله : وهي لغة مروية عن العرب ، وكقوله : وهي لغة معروفة صحيحة أو العامة على الصواب الخ . وإليك بيان لهذا الإيجاز :

أ — قوله : لغة للعرب ، ومن أمثلته :

— يَنْبَهُ بِأَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُ : أَمْدَى الرَّجُلُ ، بِالْأَلْفِ ، وَيَصْرِّحُ بِصَوَابِهَا ، وَأَنَّهَا لُغَةٌ لِلْعَرَبِ . (١)

ب — قوله : وهي لغة مروية عن العرب ، ومن أمثلته :

(١) تصحيح الفصيح ٧٥ ، وانظر الصفحات ٣٨٨ ، ٢٨٠ ، ١٨٢ ، ١٦٣ ، ٨٤ ، ٤٠ .

— يقدم لغة الفصح : حَلَلْتُ من إْحْرَامِي ، وينبّه إلى أن العامة تقول فيه :
أَحَلَلْتُ من إْحْرَامِي ، ويصرح بأنها لغة مروية عن العرب (١) .

ج — قوله : قد حكيت عن العرب ، ومن أمثلته :

— يذكر أن الأُرْزُ ، بضم الهمزة ، وينبه إلى أن بعضهم يبدل من الزاي الأولى
نوناً ، ويصرّح بأن كل ذلك لغات قد حكيت عن العرب (٢) .

د — قوله : وهي لغة معروفة صحيحة ، ومن أمثلته :

— وفي : حَرَصْتُ عليه أْحْرَصُ ؛ يذكر أن العامة تقول : حَرَصْتُ أْحْرَصُ ،
بكسر المضى وفتح المستقبل ، ويصرح بأنها لغة معروفة صحيحة (٣) .

هـ — والعامة على الصواب ، ومن أمثلته :

— عند تقديمه لقول صاحب الفصح : واجْعَلْهَا بَأَجًا واحداً ، ينبّه إلى أن ثعلباً
زعم أنه مهموز ، ويصرّح بأن العامة لا تمز ، ويقرر بأنها ليست بمخطئة فيه بل
هي على الصواب (٤) .

و — ينسب لغة العامة — أحياناً — إلى إحدى قبائل العرب ، ومن
أمثلته :

— يذكر أن العامة تقول : رَقَا الدَّمُ ، بألف لينة ، غير مهموز ، ويصرح بصواب
ذلك ، وبأنها لغة قريش ، ومن يخفف الهمز (٥) .

(١) تصحيح الفصح ٨٤ ، وانظر ص : ١٦٠ ، ٣٨٨ .

(٢) نفسه ٣٨٠ .

(٣) نفسه : ٤٧٠ .

(٤) نفسه : ٤٠١/٤٠٠ .

(٥) نفسه : ١٧٧ .

ز — أحيانا يستشهد بأقوال بعض الأئمة على صحة لغة العامة ،
ومن أمثله :

— عند تقديمه لقول ثعلب : الشَّيْءُ رِيحٌ . يبينه أن صاحب الفصح يذكر أنه
مكسور الأول والعامة تَفْتَحُهُ ، ويصرِّح الشارح بصواب لغة العامة ، وذلك بما نقله
عن الخليل (١) .

ح — وقد يصوب قول العامة على قول صاحب الفصح ، فمن
أمثلة ذلك :

— حكى أن العامة تقول : لمن اللَّعْبَةُ ، بالكسر ، كأفهم أرادوا النوع من اللعب ،
ويصرِّح بأن هذا الوجه أصوب مما اختاره ثعلب (٢) .

ط — وقد ينتصر للعامة على ثعلب :

— فهو يرى أن العامة على الصواب في تسكين (القاف) من اللَّقْطَةِ ؛ لأنه الذي
يلقط ، وينبئ إلى أن ما اختاره ثعلب وغيره خطأ (٣) .

٢ — تَخْطِئَةُ لُغَةِ الْعَامَّةِ :

وقد استعمل في تخطئته لُغَةِ الْعَامَّةِ عبارات متفاوتة : فمنها ما يُصرِّح فيها ،
بأنها لغة رديئة ، ومنها ما يجمع فيها بين الرداءة والشذوذ أو السوء ، ومنها
الخطأ أو ما يجمع بين اللحن والخطأ ، ومنها ما هو غلط . وتارة يحكم صراحة
بمخالفة العامة لقول العرب ، وتارة أخرى يَقُولُ : العربُ لا تَقُلُّ ذلك ، أو

(١) تصحيح الفصح ٢٨٤ ، وانظر ص ٢٩٢ .

(٢) نفسه : ٣٣٨ .

(٣) نفسه : ٣٥١ .

يصرِّح أحياناً بأنها من غلطِ العامَّة ، وإلى غير ذلك من عبارات التخطئة ، وفيما يلي نورد أبرزها ونثقل لكل منها على النحو التالي :

أ - قوله وهو خطأ :

وقد احتل هذا الوصفُ حيزاً عظيماً في وسمهِ للُّغات العامَّة — هذا فيما يرى الشَّارِحُ نفسه — إلا أنَّه وُجِدَ مِنَ اللُّغويين مَنْ استدرِك على ابنِ دُرُستويه في مواضع كثيرة من تخطئته للعامَّة ، كما فعَلَ اللبليُّ في " تحفة المجد الصريح " ، فعارض الكثير من أحكام ابنِ دُرُستويه في تخطئته للعامَّة ، وبَيَّن اللبليُّ نقلاً عن الأئمة الثقات صحَّة كثير من تلك اللُّغات التي حطَّأها ابنِ دُرُستويه ؛ لأنه من كبار المتوسعين ، وقد أفاضَ القول في ذلك ، وبرَّهَنَ على صحَّة ما ذهب إليه ، فأحسَّن العرضَ والمضمونَ والبرهانَ والدليلَ على صحته^(١) ، وعدم خطأ الكثير من لُغات العامَّة ، والتي نعتها ابنِ دُرُستويه في مواضع كثيرة ومتفرقة في ثنايا كتابه بقوله : (وهو خطأ)^(٢) ، وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح طريقتَه في تخطئة لغة العامَّة :

— عند كلامه على قول نعلب : عَثَرْتُ أُعْثَرُ ، يَبِّهُ إلى أَنَّ العامَّة تقول في هذا : عَثَرْتُ بضمِ الثاء في الماضي ، ويصرِّح بخطئها^(٣) .

(١) انظر : ص : ٤٣٢ - ٤٣٥ من هذا البحث .

(٢) تصحيح الفصح : انظر الصفحات : ٨٠٨ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٦٦ ، ٩٤ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٥ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٣٩٠ ، ٤٥٢ ، ٤٦٤ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٦ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤٣٤ ، ٤٤٤ .

(٣) تصحيح الفصح : ٤٤ .

— وعند كلامه على قول صاحب الفصيح : نَفَرَ يَنْفِرُ ، يذكر أن العامّة تقول : نَفَرُ بضم الفاء في الماضي ، وينبّه إلى أنه خطأ^(١) .

— يذكر أن ثعلباً ذكر : عَطَسَ يَعْطِسُ ؛ لأنّ العامّة تقول : عَطَسَ وَعَطِسَ ، بضم الطاء وكسرها ، ويصرّح بخطئهم^(٢) .

— وفي كلامه على : سَهَمَ وَجَهَهُ ، يذكر أن العامّة تقول : سَهَمَ بضم الهاء من الماضي ويقرر بأنه خطأ^(٣) .

— حكى أن ثعلباً إنما ذكر : زَكَتُ منه كذا وكذا ؛ لأنّ العامّة تقول : زَكَتُ بفتح الكاف في الماضي ، مصرّحاً بخطئها^(٤) .

ب — قوله : لغة رديئة :

فتارة يكتبون بوصف لغة العامّة بالرداءة ، وقد يُخَيَّرُ بين خطئها أو ردائتها ، وتارة أخرى يصفونها بالشذوذ أو السوء فضلاً عن ردائتها ، وبيان كل ذلك في الأمثلة التالية :

— يذكر أن ثعلباً إنما حكى : ذَوَى العودُ يَذْوِي ؛ لأنّ العامّة تقول فيه : ذَوِي يَذْوِي ، بكسر الماضي وفتح المستقبل ، ويسمونها بأنها لغة رديئة^(٥) .

ج — الجمع بين رداءة اللغة وخطئها :

(١) تصحيح الفصيح : ٤٤ .

(٢) نفسه : ٥٠ .

(٣) نفسه : ٥٢ .

(٤) نفسه : ٦٥ .

(٥) نفسه : ٤٠ .

— عند كلامه على قول ثعلب : غَوَى الرَّجُلُ يَغْوِي ، ومصدره الغَيُّ ، يَنْبَهُ إِلَى أَنَّ ثَعْلَبًا إِنَّمَا ذَكَرَهُ ؛ لِأَنَّ الْعَامَّةَ تُكْسِرُ الْمَاضِي مِنْهُ ، وَتُفْتَحُ الْمُسْتَقْبَلُ ، فَتَقُولُ : غَوِيَ يَغْوِي ، وَيَصْرَحُ بِخَطَأِ ذَلِكَ وَأَنَّهَا لُغَةٌ رَدِيئَةٌ (١) .

د — قوله لغة شاذة :

— يَنْبَهُ إِلَى أَنَّ ثَعْلَبًا إِنَّمَا ذَكَرَ : عَسَيْتُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُهُ بِكَسْرِ السَّيْنِ ، وَيَصْرَحُ بِأَنَّهَا لُغَةٌ شَاذَةٌ رَدِيئَةٌ (٢) .

هـ — قوله كلام سوء ولغة رديئة :

— يَذْكَرُ أَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ : الدَّمُّ بِالتَّشْدِيدِ عَلَى لَفْظِ الْعَامَّةِ ، وَيَصْرَحُ بِأَنَّ هَذَا كَلَامٌ سَوْءٌ وَلُغَةٌ رَدِيئَةٌ (٣) .

و — وهو لحنٌ وخطأٌ : ومن أمثلة ذلك :

— يَذْكَرُ أَنَّ ثَعْلَبًا حَكَى : فَسَدَ يَفْسُدُ ، مَعْلَلًا ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُ : فَسُدَ بِضَمِّ الْمَاضِي أَيْضًا ، وَيَصْرَحُ بِأَنَّهُ لَحْنٌ وَخَطَأٌ (٤) .

ز — وهو غلطٌ : ومن أمثلة ذلك :

— يَذْكَرُ أَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُ : كَمْ سَقَى أَرْضَكَ ، يَعْنِي بِكَسْرِ السَّيْنِ ، وَيَصْرَحُ بِأَنَّ ذَلِكَ غَلَطٌ (٥) .

(١) تصحيح الفصح : ٤١ .

(٢) نفسه : ٤٢ .

(٣) انظر ص : ٣٩٥ — ٣٩٦ ، وانظر : ٢٦٧ ، ٤٤٩ ، ٤٨١ ، ٥١١ .

(٤) نفسه : ٤١ — ٤٢ .

(٥) ص : ٢٩٠ ، ٥٠٨ .

ح — وهو خلاف قول العرب : ومن أمثلة ذلك :

— يذكر أن العامة تفتح الغين في قولهم : هي الغسلة ، وينبئ إلى أن ذلك خلاف قول العرب (١) .

ط — وهو من غلط العامة : ومن أمثلة ذلك :

— يصرح بأن قولهم : عرق النساء من غلط العامة (٢) .

ي — العرب لا تقل ذلك : ومن أمثلة ذلك :

— ينبئ إلى أن ثعلباً إنما ذكر : شممت الریح من الشمال وأجبت من الجنوب ، لأن العامة تقول كل هذا بألف ، فتقول : أشممت ، وأجبت ، ويصرح بأن العرب لا تقول ذلك (٣) .

٣ — السكوت عن بعض لغات العامة :

إذا كان ابن درستويه واضحاً في الموقفين السابقين من لغات العامة ، فيما يتعلق بالحكم على المستوى الصوابي لها ، فإننا نجد — أحياناً — يسكت عن ذكر المستوى الصوابي لهذه اللغات ، وإن حرص على التصريح بلفظ (العامة) ، فإنه لا يصبها ، ولا يخطئها ، وإنما يكتفي بإيرادها فقط — دون كشف عن مستواها الصوابي — وقد ورد ذلك في مواضع كثيرة موزعة بين ثنايا كتابه (٤) .

(١) تصحيح الفصيح : ٢٩٥ .

(٢) نفسه : ٢٦٤ .

(٣) نفسه : ٧٣ ، وانظر : ٨٧ ، ٢٨ ، ٣٩٦ .

(٤) تصحيح الفصيح : انظر الصفحات : ٢٧ ، ٢٦٦ ، ١٨١ ، ١٦٧ ،

٤٦١ ، ٤٥٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٣ ، ٤٠٧ ، ٤٠٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٠ ، ٣٦٨ ، ٣٦٦ ، ٣٤٣ ، ٣١١ ، ٣٠٣ ، ٢٩٣ ، ٢٨٣ ، ٢٧٢

٥٣٧ ، ٥٣٥ ، ٥٢١ ، ٥٢٠ ، ٤٩٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٢ ، ٤٧٠ ، ٤٦٦ .

نذكر منها على سبيل المثال ، قوله :

— يذكر أن العامَّة تُقُولُ : سَفَدَ يَسْفِدُ ، بفتح الماضي وكسر المستقبل ^(١) . قلت :
وقد حكاها ابن السكيت عن أبي عبيدة . وذكرها بعض شُراح الفصيح ^(٢) .

— وينبئ إلى العامَّة تُقُولُ : سَفَفْتُ الحُوصَ ، بغير ألف ^(٣) . قلت : وقد أجازها
الزجاج ، والتدميري ^(٤) .

— ويحكي أن العامَّة تُقُولُ : نَعِمَ اللهُ بِكَ عِيناً ، بغير ألف . قلت : وحكى هذه
اللغة غير واحد ^(٥) . حكى ثعلب في مجالسه : " نَعِمَ اللهُ بِكَ عِيناً " ^(٦) .

ثانياً — نَقْلُهُ عَنِ الحَلِيلِ بنِ أَحْمَدَ :

إذا كان ابنُ دُرُسْتُوَيْه قد استشهدَ — لإثبات صحة ما ذهب إليه في أثناء
مخالفته أو رفضه أحياناً لبعض قول ثعلب — بأقوال أئمة اللُّغة ، كأبي عمرو بن
العلاء ، وسيبويه ، والأصمعي ، والفرَّاء ، وأبي زيد الأنصاري ، وابن الأعرابي ،
وغيرهم ^(٧) ، إلا أن ما يلفتُ الانتباه كثرة استشهاده بأقوال الخليل بن أحمد ،
تارة بما ذكَّره أو زَعَمَه ، وتارة بما حكاها ، وتارة أخرى بما نَقَلَهُ عنه سيبويه .

(١) نفس الصفحة .

(٢) انظر الإصلاح ٢١٠ ، وشرح التدميري ٣٩ ، وشرح ابن هشام ٦٢ .

(٣) ص : ١٦٢ .

(٤) انظر فعلت وأفعلت ٨٧ وشرح التدميري ١١٧

(٥) انظر الكتاب ٦١/٤ ، وأفعال السراقسطي ١٢٤/٣ ، وأفعال ابن القطاع ٢٢٢/٣ ، والعين ١٦٢/٢ ،
، والتهديب ١٠/٣ ، والصحاح (نعم) .

(٦) ٣٧٠/٢

(٧) انظر : تصحيح الفصيح ، الصفحات : ٣١ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٧٦ ، ٦ ، ١ ، ١٥٨ ، ٢١ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ،

٣٢٩ ، ٣٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦٧ ، ٤٩٣ ، ٥٠٣ ، ٥١٧ ، ٥٤٠ .

— ففي كلامه على قول ثعلب : حَزَنْتِي الأَمْرُ يُحْزِنُنِي ، يذكر أن العامة تقول له بألف : أَحْزَنْتِي ، وينقل عن الخليل زعمه بأنهما لُغَتَانِ (١) .

— وعند كلامه على قول ثعلب : وَمِنْ العَاقِرِ عَقَّرَتْ بفتح العين ، وضم القاف ، ويصرِّح بأن الخليل قد ذَكَرَ عن العرب : عَقَّرَتْ المرأة بضم العين ، وكسر القاف وعَقَّرَتْ ، بفتح العين وكسر القاف (٢) .

— وفي كلامه على : فَرَسٌ حِصَانٌ ، بكسر الحاء ، ينبئه إلى أن ثعلباً جعله صفةً ، وينقل عن الخليل أن الحِصَانُ : الفرسُ الفحلُّ ، فلم يجعله صفةً (٣) .

— يذكر أن : الدُّجَاجَةُ ، مفتوحة الأول ، وينبئه إلى أن العامة تكسره ، ويحكي عن الخليل : أن الكسر فيه لغة للعرب (٤) .

— وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : تَقُولُ الشَّيْءَ رِخْوً ، ينبئه إلى أن العامة تفتحه ، ويُصوبُ الشارح لغة العامة بما نقله عن الخليل (٥) .

— ينقل عن الخليل أنه حكى أن قوماً يقولون : ما كان مُفَارِقاً للشَّيْءِ فهو حِمْلٌ بالكسر ، وما كان متصلاً أو باطناً فهو حَمْلٌ ، بالفتح ، كحَمْلِ الإناث في بطونها أولادها (٦) .

(١) تصحيح الفصيح : ٨٤ — ٨٥ .

(٢) نفسه : ١٠٥ — ١٠٦ .

(٣) نفسه : ١٩٣ .

(٤) نفسه : ٢٨٠ .

(٥) نفسه : ٢٨٤ .

(٦) نفسه : ٣٢٣ .

— يَبِّهْ إِلَى أَنْ الْخَلِيلَ ذَكَرَ أَنَّ الْمَرْفَقَ مَكْسُورٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَتَكَا وَالْيَدُ وَالْأَمْرُ^(١) ،
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾^(٢) .

سادساً / شواهد ابن درستويه :

ضمّن الشارح تصحيحه للفصيح عدداً من الشواهد ، والتي يُبرهن بها على فصاحة تلك المواد التي ساقها صاحب الفصيح ، والمتضمنة في أبواب كتابه ، والتي أبرزها الشارح ، وقد رأيت تصنيفها في الآتي :

أ — الاستشهاد بالقرآن الكريم :

تضمّن تصحيح الفصيح جمّاً غفيراً من الشواهد القرآنية^(٣) ، التي استشهد بها الشارح لبيان فصاحة ما ذهب إليه ، فمن أمثلة ذلك قوله :

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾^(٤) ، وهو في ذكره لهذه الآية الكريمة ، يُبرهن على فصاحة مادة (غوى) ، إلا أنه لم يكتف بهذه الآية ، وإنما يتبعها بآية أخرى تدعم ما ذهب إليه ، مُقدِّماً إياها بقوله : وقال : ﴿ فَكَانَ

مِنَ الْغَاوِينَ ﴾^(٥) .

(١) نفسه : ٣٢٩ .

(٢) سورة الكهف : الآية ١٦ .

(٣) انظر الصفحات : ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١١٥ ، ١٧٢ ، ١٩٢ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ،

٢٧٤ ، ٣٣٥ ، ٣٧٥ ، ٣٨٩ .

(٤) سورة طه ، آية : (١٢١) .

(٥) سورة الأعراف ، آية : (١٧٥) .

وفي الباب نفسه يستشهد على فصاحة (كَسَبَ)^(١) بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ﴾^(٢) .

وفي باب (فَعَلَ) بكسر العين يستشهد على فصاحة (عَضَضَ يَعَضُّ)^(٣) بقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾^(٤) .

وفي باب (فعل بغير ألف) يستشهد على فصاحة (تَبَدَّدَ يَتَبَدَّدُ)^(٥) بقوله تعالى : ﴿ فَتَبَدَّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾^(٦) .

وفي باب (فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ ، باختلاف المعنى) ستشهد الشارح على فصاحة (أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ)^(٧) بمعنى أضاءت وصفت ، بقوله تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾^(٨) .

وفي هذه الشواهد القرآنية ربما استدل على فصاحة المادة — في الصفحة الواحدة — من الفصيح بذكر ثلاث آيات من سور مختلفة ، وذلك ما لاحظناه في بعض الصفحات^(٩) . وقد يفرد استشهاده بالآيات ، وقد يجمع بينها وبين استشهاده بالحديث والأشعار والأمثال في بعض المواد^(١٠) .

(١) تصحيح الفصيح : ٥٤ .

(٢) سورة النساء ، آية (١١٢) .

(٣) تصحيح الفصيح ٦٢ .

(٤) سورة الفرقان ، آية (٢٧) .

(٥) تصحيح الفصيح ٨١ .

(٦) سورة آل عمران ، آية (١٨٧) .

(٧) تصحيح الفصيح ١٢٥ .

(٨) سورة الزمر ، آية (٦٩) .

(٩) انظر تصحيح الفصيح ٤٤ ، ٧٤ .

(١٠) نفسه ٤٥ ، ٨٦ .

ب - الاستشهاد بالقراءات :

كان استشهاد ابن دُرُسْتُوِيَه بالقراءات قليلاً ، إذ لم تتجاوز الثلاث قراءات^(١) — حسب تتبعي لها في تصحيحه — فمنها قوله : " وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾^(٢) بالتخفيف والتشديد " ^(٣) .

ج - الاستشهاد بالأحاديث :

استشهد الشَّارِحُ بعدد من هذه الأحاديث الشريفة على فصاحة بعض مواد الفصح ، وقد بدأها بقوله : وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ قَالَ : " لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ " ^(٤) ، وهو في إيرادها لهذا الحديث يُدَلِّلُ على فصاحة (غَدَرَ) . وفي مادة (وَكَغَ) يستشهد بقوله — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : " إِذَا وَكَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيُعْسِلْهُ سَبْعًا إِحْدَاهَا بِالثَّرَابِ " ^(٥) . ومثل هذه الاستشهادات بالحديث النبوي الشريف جاءت موزعة في ثنايا الكتاب^(٦) .

د - الاستشهاد بالأشعار :

إذا كان الشَّارِحُ قد أكثر من الشواهد القرآنية ، فإن الشواهد الشعرية تأتي بعدها — في المرتبة الثانية — من حيث الكم العددي ، ويمكن إيجازها في الآتي :

(١) تصحيح الفصح : ٤٨ ، ١٩٢ .

(٢) سورة الضحى آ، آية (٣) .

(٣) تصحيح الفصح : ٢٦٠ .

(٤) نفسه : ٤٨ .

(٥) نفسه : ٥٣ .

(٦) انظر الصفحات ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٠٠ .

بجد الشارح — أحياناً — يذكر عجزاً من البيت وأحياناً يورد بيتاً كاملاً ، وقد يذكر بيتين ، أو قطعة كاملة من الشعر ، وفي بعض المواضع يذكر شطراً من الرجز ، وأحياناً يذكر شطرين أو ثلاثة ، وقد يُصْرِّحُ باسم الشاعر ، وأحياناً يذكر اللقب دون الاسم ، وقد يُشَكِّكُ في نسبت البيت إلى قائله ، كقوله " قال النابغة أو غيره " .

وهو يهدف من خلال تلك الشواهد لبيان فصاحة تلك المواد التي جاءت في الفصيح نفسه ، وضمنها الشارح شرحه ، لذا فهو يفتح تصحيحه بيت من الرجز بلا نسبة لبيان فصاحة (نمي ينمي)^(١) .

— وفي باب (فَعَلَ بِكسر العين) يستشهد على فصاحة (زَكِنَ) كما جاء في الفصيح بيت من الشعر ناسباً إياه^(٢) .

— وفي باب (فَعَلَتْ وَأَفَعَلَتُْ باختلاف المعنى) يستشهد الشارح على فصاحة (سَفَرَتِ الْمَرْأَةُ) إذا أَلْقَتْ حَمَارَهَا بيت من الشعر ويعزوه إلى قائله^(٣) .

— وفي باب (المفتوح أوله من الأسماء) ذكر الشارح أن قول صاحب الفصيح (هو عَرِقُ النَّسَا) من غلط العامة ، والفصيح أن يقال : النَّسَا ، لأن النَّسَا اسم العرق الذي يمتد من الْوَرِكِ إِلَى السَّاقِ ، ولا يجوز إضافة الشيء إلى نفسه ، واستشهد على فصاحة ما ذهب إليه بيت لامرؤ القيس^(٤) .

(١) تصحيح الفصيح ٣٩ .

(٢) نفسه : ٦٤ .

(٣) نفسه : ١٢٩ .

(٤) نفسه : ٢٦٤ .

وقد لفت انتباهي — فيما يخص هذه الشواهد الشعرية — كثرة استشاده
بشعر الأعشى ، دون غيره من الشعراء^(١) .

سابعاً — المَعْرَبُ :

ذَكَرَ ابْنُ دُرُسْتُوَيْهِ بعضَ الألفاظِ المَعْرَبَةِ ، التي وردت في الفصح ، وهو في
ذكره إيّاها إما أن يذكر أصولها الأعجمية ، أو يسكت عنها ، وقد رأيتُ
إيجاز ذلك في الآتي :

أ — أَلْفَاظٌ فَارِسِيَّةٌ مُعْرَبَةٌ ، وَمِنْهَا : " الْعَرَبُونَ"^(٢) ، وَكِسْرَى ، وَالْجِصُّ ، وَالزَّبَقُ ،
وَصِنَارَةٌ ، وَالْإِسْوَارُ ... " (٣) .

ب — ذَكَرَ لَفْظًا هِنْدِيًّا مُعْرَبًا ، وَهُوَ : " الْإِهْلِيلِجُ "^(٤) .

ج — أَلْفَاظٌ أَعْجَمِيَّةٌ مُعْرَبَةٌ ، ذَكَرَ مِنْهَا : " الرَّصَاصُ ، وَطَرَسُوسُ ، وَقَرَبُوسُ ،
وَالسَّمُورُ ، وَالْخِوَانُ ، وَالْقَرِقِسُ " (٥) .

ثامناً / مَوْقِفُهُ مِنْ تَعَلُّبِ وَفَصِيحِهِ :

إذا كان شَرَّاحُ الفصح ، والذين أتوا بعد ابن دُرُسْتُوَيْهِ قد عارضوا تعلُّباً في
بعض المواضع من مواد فصيحته ، فإنهم قد وافقوه في مواضع أخرى ، كما أتوا
على صنيعه ، — وهذا ما سَنَبَّهْتُهُ في مواضعه ، إن شاء الله — إلا أن ابْنَ دُرُسْتُوَيْهِ
وإن وافق تعلُّباً في ذكره لأكثر مواد الفصح ، فإنه لم يوافق في ترتيبه لأكثر

(١) انظر الصفحات : ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ١٠٦ ، ٢٠٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٢) ذكر الجواليقي في المعرب : ٤٥٦ ، أنه يوناني الأصل .

(٣) تصحيح الفصح ، انظر : الصفحات : ٢٦٣ ، ٣٠٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ . وانظر المعرب :

١١٣ ، ٣٤٦ ، ٥٣٨ .

(٤) ص : ٣٠٣ ، وانظر المعرب ١٣٣ .

(٥) انظر : الصفحات : ٢٦٦ / ٢٧٥ / ٢٨١ / ٢٨٩ / ٢٩٣ .

أبواب الفصيح ، حيث عارضه في ذلك ، وتحامل عليه ، وانتقده في مواضع لا تعدو أن تكون محل خلاف بين المذهبين ، والمتبع لأبواب تصحيح الفصيح يدرك هذه القضية فلا يكاد يخلو بابٌ من أبواب تصحيحه إلا وقد انتقد فيه صاحب الفصيح ، إما بتغليظه بعنوان الباب ، أو بتخطئته في ترتيبه لتلك الأبواب ، أو وضعه لبعض المواد في غير موضعه ، ويتضح ذلك في الآتي :

أ / فيما يتعلق بعنوان الأبواب :

فعد تصحيحه للباب الرابع ، وهو المترجم عند صاحب الفصيح بباب (فَعَلَ) بضم الفاء ، يذكر أن ثعلباً لم يترجم هذا الباب إلا بفعلٍ بضم الفاء وحده ، وينبه إلى أنه قد يأتي معه بغير (فَعَلَ) . ويرى الشارح بأنه كان على ثعلب أن يترجمه بباب ما كان بمعنى فَعَلَ ليستوعب جميع الباب^(١) .

ب / فيما يتعلق بترتيب الأبواب :

يصرِّح ابن درستويه عند تصحيح للباب السابع وهو باب (أْفَعَلَ) بالألف عند صاحب الفصيح : بأنه لا معنى لذكر ثعلب لهذا الباب ، وإفراده إياه ؛ لأنه لم يجعله أْفَعَلَ الذي ليس فيه (فَعَلَ) ولا (أْفَعَلَ) الذي هو بمعنى فعل عند أهل اللغة ، ولا ألحقه بالباب الذي قبله ، فيكون أفعال منه بمعنى ، وفعل بمعنى آخر ، فكأنه إنما أراد تكثير الأبواب ... فهو باب مخلط بعضه من الباب الذي قبله (يقصد فَعَلت ، وفَعَلت باختلاف المعنى) وبعضه مما يكون فيه فَعَلَ وأْفَعَلَ عند أهل اللغة بمعنى واحد ، ومنه ما يستعمل منه أفعال ، ولا يستعمل منه فعل ، فإن

(١) انظر : تصحيح الفصيح ٩١ ، وانظر الصفحات ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢٨٤ ، ٤٥٤

كان جعله باب أفعل المخلط ، فقد كان يجب أن يجعل الذي قبله معه ، ويخلط أبواب الكتاب كلها به ، حتى يكثر تخليطه ، ولا يتكلف التفصيل والترتيب " (١)

ج/ فيما يتعلق بتفصيله لبعض الأمور التي أجملها ثعلب :

يقول ابن درستويه عند تصحيحه للباب العشرين وهو المترجم في الفصح :
باب (ما يتقل ويخفف باختلاف المعنى) : " اعلموا أنه إنما يعني بالمتقل — يقصد ثعلباً — المتحرك وبالمخفف الساكن هاهنا . وقد يقال للمشدد من الحروف الثقيل ، ولغير المشدد الخفيف ، في غير هذا " (٢) . ويقول في موضع آخر :
" اعلم أن هذا الباب تخففه العامة كله أو أكثره ، والنحويون واللغويون يشددونه ، ومنه ما يستوي فيه لغة العرب والعامة " (٣) .

د / فيما يتعلق بزيادته على أبواب الفصح :

إذا كان الشارح قد انتقد صاحب الفصح لأنه أفرد بابين للمصادر في فصيحه (٤) ، ويرى ابن درستويه في حق ثعلب أن يجعل المصادر كلها باباً واحداً أو يصنفها فيجعل كل ما كان من جنس أو على مثال باباً على حدته ولا يكثر الأبواب المخلطة كما زعم (٥) . إلا أن الشارح قسم الأبواب في تصحيحه إلى

(١) تصحيح الفصح ١٥٩ . وانظر الصفحات ٢١٩ ، ٣١٤ ، ٣٣٧ ، ٣٦٤ ، ٣٩٩ ، ٤٣٢ ، ٤٨١ ،

٥٢٢

(٢) تصحيح الفصح ٣٧٣ .

(٣) يعني باب المشدد ص ٣٧٩ من نفس الكتاب .

(٤) ١٥ : باب المصادر ، وباب ما جاء وصفاً من المصادر .

(٥) تصحيح الفصح : ١٨٧ .

أربعة أبواب^(١) ، وقد يكون اعتمد في تقسيمه لهذه الأبواب على نسخ أخرى للفصيح فقسم كل باب من المصادر التي وردت في الفصيح إلى باين .

هـ / فيما يتعلق بنقده لصاحب الفصيح ؛ لأنه قد ذكر بعض المواد في غير أبوابها :

— في كلامه على قول ثعلب : برأت من المرض بالفتح ، أبرأ ، ينه إلى أنه إنما جاء على الباب الأول (يقصد باب فعلت بفتح العين) . في ما كان فيه حرف من حروف الخلق ، وليس من هذا الباب وقد كان يجب أن يذكره هناك^(٢) .

ولكي نكون منصفين في حكمنا على تحامل الشارح على صاحب الفصيح ، فإننا نورد هذه الأمثلة ، والتي توضح زعمنا هذا ، ومنها :

(١) عند كلامه على قول ثعلب : سخرت منه ، وهزئت به ، يذكر أن من مذهبه (يعني ثعلباً) ، ومذاهب كثير من أهل اللغة أن حروف الجر تتعاقب ، فيقع كل منها مكان الآخر ، بمعنى واحد ، ويصرح بأن هذا إبطال لحقيقة اللغة ، وإفساد الحكم فيها ، وضد ما يوجب العقل والقياس ، ويقرر أن إنكار مؤلف هذا الكتاب ما عليه العامة ، واعتقاده واعتقاد أصحابه دليل على فساد مذهبهم^(٣)) يعني الكوفيين وإمامهم ثعلب .

قلت : فإن أكثر اللغويين خالفوا ما ذهب إليه الشارح ، وأيدوا قول ثعلب^(٤) .

(١) باب المصادر ، وفصل من باب المصادر الذي قبله ، وباب آخر من المصادر ، وباب ما جاء وصفاً من المصادر .

(٢) تصحيح الفصيح : ٥٧ ، وانظر الصفحات ٩٣ ، ١٢٥ ، ١٧٦ ، ٣٦٦ .

(٣) ص ١٦٨ .

(٤) انظر الإصلاح ٢٨١ وأدب الكاتب ٤١٩ وتقوم اللسان ١٢٣ ، تصحيح التصحيح ٣٠٨ ، والتصحيح (

سخر) .

٢) واسمه لشرحه باسم (تصحيح الفصح) ويفهم من هذا أن الفصح قد تخلله الخطأ والزلل ، فانفرد بالتنبيه وحده دون سائر الشراح الآخرين فصح ذلك مكرراً عبارة (تصحيح الباب ...) قبل ذكره لمسمى كل باب من أبواب الفصح ، وكأهما جميعاً لم تسلم من الخطأ .

٣) أحياناً ينتصر للعمامة على ثعلب : فهو يرى أن العمامة على الصواب في تسكين (القاف) من اللقطة ؛ لأنه الذي يلتقط . ويصرح بأن ما اختاره ثعلب وغيره خطأ^(١) .

٤) قوله : وقد غلط ثعلب :

— يزعم أن ثعلباً غلط في وضعه قولهم : هَرَقْتُ الماء في هذا الباب ، لأنه قد ترجمه بباب فَعَلْتُ بغير ألف ، وينبّه إلى أن : هَرَقْتُ من باب : أَفَعَلْتُ بالألف عند جميع النحويين^(٢) .

قلت : إلا أنه وجد من اللغويين من التمس الحجة لثعلب في ذلك ، فذكر ابن هشام في شرحه^(٣) إنما فعل ثعلب ذلك مراعاة للفظ ، ووافقه الليلي ، وزاد الأخير سبعين آخرين هما : لزوم الهاء للبدل ، وأن في هَرَقْتُ لغتان : هَرَقْتُ وأَهْرَقْتُ ، فذكر ثعلب هَرَقْتُ إشارة إلى أنها أفصح من أَهْرَقْتُ ، مع أن اللفظ ليس ثلاثياً^(٤) .

(١) تصحيح الفصح ٢٥١ .

(٢) ص ٦٩ .

(٣) ص ٦٤ - ٦٥ .

(٤) انظر تحفة المجد : ٢٤٣-٢٤٤ .

٥) قوله : وقد توهم ثعلب :

— يذكر أن ثعلباً قد توهم بأنّ (هاء) هَرَقْتُ و هاء (هَرَّق) في الأمر من نفس الكلمة ، فأدخل هرقفت في باب : فعلت ، بغير ألف^(١) . قلت : وقد تقدم قول ابن هشام اللخمي وأبو جعفر اللبلي والتماسهما العذر لثعلب حول هذه المسألة .

٦) قوله هذا وهم وخطأ :

— ففي كلامه على قول صاحب الفصيح : وأدَلَّجْتُ وأدَلَّجْتُ أهما بمعنى : السير في أول الليل وآخره . يرى الشارح إنما هذا قول يقوله أهل اللغة الذين لا يعرفون القياس ، ولا علل الأبنية ... ثم يختم هذا الكلام بالتنبيه على أن ما ذكره ثعلب وهم وغلط^(٢) .

قلت : وقد نقل اللبلي في تحفته كلاماً عن بعض اللغويين يخالف ما ذهب إليه ابن درستويه . ويوافق ما حكاه ثعلب^(٣) .

٧) قوله وهذا قبيح من مثله جداً :

— ففي عبارته الأخيرة يَقْصِدُ أَنْ قَوْلَهُمْ : " شَكَرْتُ لَهُ صَنِيعَهُ " ، إنما يتعدى بغير حرف جر ، إلا أن الزمخشري في شَرْحِهِ ، يَرَى أَنَّ اسْتِعْمَالَ حَرْفِ الْجَرِّ أَخْصَصُ ، وَيَسْنِدُ قَوْلَهُ مَا ذَكَرَهُ جَمْعٌ مِنَ اللَّغَوِيِّينَ^(٤) .

٨) نجدده يَعْتَرِضُ عَلَى قَوْلِ صَاحِبِ الْفَصِيحِ : " وَرَجُلٌ نَشِيَانٌ فِي الْخَيْرِ " ، فيرى أنه خلاف زعم ثعلب ، وينبه إلى أنه لا يجب اختياره في الفصيح^(٥) ؛ حيث يَرَى أَنَّ أَصْلَهُ بِالْيَاءِ ، وليس بالواو ، كما زعم ثعلب ، ولكننا نجد أن ابن

(١) تصحيح الفصيح ٧٠

(٢) ص ١٢٣ - ١٢٤

(٣) انظر تحفة المجد ٤٦٤ - ٤٦٧ .

(٤) انظر الإصلاح ٢٨١ ، وأدب الكاتب ٤٢٤ ، والجمهرة ٧٣٢/٢ ، والصحاح (شكر)

(٥) تصحيح الفصيح ٢٢٨ .

السُّكَيْتِ قَدْ نَقَلَ فِي الإِصْلَاحِ عَنِ الكَسَائِي قَوْلَهُ : " وَنَشْوَانٌ هُوَ الكَلَامُ
المُسْتَعْمَلُ ، يَعْنِي أَنَّهُ الأَصْلُ ، وَلَكِنْ نَطَقُوا بِالبَاءِ لِلْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّشْوَانِ مِنَ
السُّكْرِ " (١) .

٩) أحياناً نُجِدُهُ لَا يَكْفِي بِتَغْلِيظِ ثَعْلَبِ فَحَسَبِ ، بَلْ يُعَلِّطُ جَمْعاً مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ ،
وَأَمْتَمَهَا ، مُعْتَبِداً بِرَأْيِهِ وَحْدَهُ (٢) .

ونخلص من هذا المبحث إلى بيان الآتي :

أ — ذكر الشارح أن ثمة أسباباً دعت إلى تأليف هذا المصنف ، منها ما يتعلق
بصاحب الفصيح نفسه ، وأخرى تتعلق بشرّاح الفصيح .

ب — جاء شرحه في اثنين وثلاثين باباً ، أي بزيادة باين على الفصيح .

ج — احتل هذا الشرح أهمية خاصة بين شروح الفصيح ، وذلك نظراً لما حواه
من مادة لغوية واسعة ، ولأهميته فقد نقل عنه بعض اللغويين في مواضع كثيرة من
مؤلفاتهم .

د — جعله بعض أصحاب المعاجم اللغوية من مصادرهم .

هـ — تميز هذا الشرح بمنهج يختلف عن بقية شُراح الفصيح .

و — يصوب الشارح لغة العامة عند موافقتها للغة من لغات العرب ، وقد
يخطئونها في حالة مخالفتها للغة العرب .

ز — ضمن الشارح تصحيحه عدداً من الشواهد التي برهن فيها على فصاحة
تلك المواد التي ذكرها صاحب الفصيح نفسه .

ح — تعرض الشارح إلى ذكر بعض الألفاظ المعربة التي جاءت في الفصيح .

(١) الإصلاح ١٤٠ ، وانظر اللسان (نشا)

(٢) تصحيح الفصيح : ١١٢

ط — عارض ابن درستويه صاحب الفصيح وانتقده وتحامل عليه في مواضع كثيرة من الكتاب ، إما بتغليظه له بعنوان بعض الأبواب ، وإما بتخطئه له في ترتيبه لتلك الأبواب .

شرحُ الفصيح ، لابن الجبّان

المتوفى سنة (؟)

أولاً / أبواب الكتاب :

ونشر قبل الشروح في الحديث عن أبواب الكتاب أن هذا الكتاب المطبوع ليس فيه مقدمة للمؤلف وإنما بدأ الشارح مباشرة بشرحه لمقدمة الفصيح ، وكأنما جعل مقدمة ثعلب في فصيحه مقدمة لكتابه ، أو ربما هناك مقدمة لهذا الشرح في بعض النسخ الأخرى ، التي لم يطلع عليها محقق الكتاب ، وكما خلا الكتاب من المقدمة ، فإنه قد خلا أيضاً من الخاتمة ، حيث لم يعلق ابن الجبان بكلمة ختامية لكتابه ، فكان آخر عهده به ما انتهى إليه صاحب الفصيح من مادة لغوية .

أما ما يخص أبواب الكتاب فنجد أن الشارح قد التزم في شرحه بترتيب صاحب التأليف لأبواب الفصيح ومواده اللغوية دون تقدم أو تأخير ؛ فجاءت في ثلاثين باباً ، مطابقة لأبواب الفصيح .

ثانياً / منهجه في عرض المادة :

وقد تميز منهجه في شرح المادة اللغوية — غالباً بالآتي :

- أ / يأتي بالمادة اللغوية مباشرة ، أو بعد عبارات القول — بين فينة وأخرى — التي تفيد نقله عن ثعلب دون التصريح باسمه ، مثل : " وتقول " ، أو " ويقال " ، أو " وقوله " فيسوق بعدها مادة الفصيح ، ثم يعقبها بالشرح ومن أمثلة ذلك قوله :
- ويقال : " ذوى العودُ يذوى : قلت رطوبته ولم يبيس البتة " (١) .
- قوله : " وغصصتُ أغصُ : إذا نشيت اللقمة في حلقك " (٢) .

(١) شرحه ٩٧-٩٨ .

(٢) نفسه ١٠٨ .

— أحياناً يذكر نص الفصيح مباشرة من غير تقدم ثم يَعْقِبُ كل ذلك بالشرح كقوله :

" وَفَسَدَ الشَّيْءُ يَفْسُدُ " (١) ، و " أَعْجَمْتُ الْكِتَابَ " (٢) .

ب / يغلب على منهجه طابع الاستقصاء ، فهو يذكر كل ما جاء في كتاب الفصيح ولا يغفل شيئاً دون أن يتحدث عنه ، وهو في استقصائه هذا يذكر كل ما يعن له ، متقللاً في ذلك بين اللغة والنحو والأخبار .

ح / يذكر عبارات الفصيح ، ثم يذكر الاشتقاقات للمادة ، ثم يذكر المعنى ثم يذكر المرادف لتوضيح المعنى ، ويذكر لغات المادة ، ويرجح الأوضح ويقدمه ، ومن أمثلة ذلك قوله :

" ويقال : ذَوَى العودُ يَذْوِي ، ذُوِيًا وَذَوِيًا ، فهو ذَاوٍ ، ومعناه : قلت رطوبته ولم يبس البتة . وفي معناه : ذَبَلٌ ، وذَأَى بالهمز ، وذَوِي بالواو والكسر ، والأول أجود ، وتقول : ذَأَى يَذَأِي ذَأِيًا ، وذَأَوًا ، فهو ذَاءٌ وتقول ذَوِي يَذْوِي ذَوِيٌّ فهو ذَوٍ وذَاوٍ ، كما يقال شَجِي يَشْجِي فهو شَجٍ وشَاجٍ " (٣) . أما إذا لم يجد الاشتقاقات ولا التصريف فإنه يقف عند ذكر المعنى مصرحاً بأنه لا تصريف لشيء منها ولا جمع ولا تثنية (٤) .

د / سار على منهج كتاب الفصيح ، والتزم في شرحه في ترتيب أبوابه فجاءت في ثلاثين باباً تبعاً لأبواب الفصيح .

(١) شرحه : ٩٩ .

(٢) نفسه : ١٤٤ .

(٣) نفسه : ٩٧ - ٩٨ .

(٤) نفسه : ١٨٨ .

هـ / في بعض الأحيان يذكر لفظة أو عبارة من الفصيح ، وينتهي منها فيبدأ بشرح لفظة أخرى ، وقبل أن ينتهي من الثانية ما يلبث أن يعود إلى الأولى ، وكأنه تذكر شيئاً يخص تلك اللفظة ، كما في شرحه لعبارة (والمفروح والمفروح به)^(١) .

و/ ذكر الشارح — في مواضع كثيرة من الكتاب — قول العامة ومن أمثلة ذلك قوله :

— ذاك خطأ : يذكر أن العامة تقول : إسنان بالكسر ، وينبّه إلى أن ذلك خطأ^(٢) .

— ذلك غلط : حكى أن الشبوط سمك عند أهل العراق معروف ، وينبه إلى أنهم يضمون الشين ويصرّح بأن ذلك غلط^(٣) . وسيأتي الكلام عن هذا بالتفصيل في موضعه .

ز / يفسر اللفظة بلفظة واحدة ، وأحياناً يذكر أكثر من معنى للفظ الواحد ، فمن ذلك تفسيره للفعل (غَوَى) حيث ذكر له ثلاثة معان :

١ — إذا فَعَلَ فَعَلَ الجُهاال

٢ — إذا فَسَدَ عَيْشُهُ .

٣ — إذا خَابَ رِجَاؤُهُ .

ومثل هذا فعل في تفسيره لكلمة (فيد) القرية المعروفة ، حيث ذكر أن لها أربعة معان^(٤) .

(١) شرحه : ٣١٤ .

(٢) نفسه : ١٩٩ .

(٣) نفسه : ٢٠٩ .

(٤) نفسه : ٣٣٢ .

ح / وفي ضبطه للألفاظ يستعمل الطرق المعروفة كما جاءت في المعاجم العربية ،
وهما التنقيص بالحركات على الحروف ، والتنظير بالمشهور في الاستعمال ،
وسياقي بيان ذلك في موضعه .

ط / اتضح لنا ومن خلال آرائه اللغوية أن الشارح بصري المذهب بدليل قوله :
" الواحدة : بَاقِلَاءٌ ، وبَاقِلَاءَةٌ عند الكوفيين ، وذلك عندنا غلط " (١) .

ثالثاً / سمات شرحه اللغوي :

أ — يُعَلِّبُ على شرحه الطابع النحوي فهو يقفُ أما كل مسألة نحوية ويتحدث
عنها بإفاضة ، ونحن نختار من ذلك ما يخدم تنقية اللغة ، فمن أمثلة ذلك :

— ينقل عن الفراء في جمع أساسٍ : أساسٌ ، مثل : جَوَادٌ ، وَأَجْوَادٍ ، وَجَبَانٍ
وَأَجْبَانٍ ، ويُنَبِّه إلى أنه لم يثبت ذلك عنده في أساس (٢) .

— ينكر على ثعلب قوله : عِرْقُ النَّسَا ، إذ الصواب عنده أن يقال : النَّسَا ، وهو
عِرْقٌ في الساقِ وَالْفَخِذِ ، ويصرِّح بأن هذا هو المختار . كما أنكر قولهم : عرق
الأَكْحَلِ ، ونبه إلى أنه قد روي في بعض الآثار بالإضافة ، كما في هذا الكتاب
والاختيار ما تقدم (٣) .

— كما ينكر على ثعلب أيضاً قوله : " وَعَامَ الْأَوَّلِ " ، ويسم ذلك بالرداءة ،
معللاً بأن الشيء لا يضاف إلى وصفه (٤) .

(١) شرحه : ٢٦٣ ، ٢٦٤

(٢) نفسه : ٣٠٧

(٣) نفسه : ١٩٦

(٤) نفسه : ٣٢٠

ب — يَتَنَاوَلُ بَعْضَ الْأَلْفَاظِ تَنَاوُلًا لُغَوِيًّا ، فيذكرُ معانيها ويبيِّنُ أصولها واشتقاقها ، على اختلافها ، سواء كانت سماعية أو قياسية ، ويذكر أبواب الأفعال ، والمصادر وصيغ المبالغة ، ومن ذلك على سبيل المثال قوله :

" وَكَسَبَ الْمَالَ : إِذَا حَصَلَتْهُ عَنْ تَصَرُّفٍ مِنْهُ ، فَإِنْ وَرِثَهُ عَقُودًا صَفُوحًا لَمْ يَقُلْ كَسَبَهُ ، وَالْمَصْدَرُ الْكَسْبُ ، وَالْمَكْسَبُ كَالضَّرْبِ وَالْمَضْرَبُ ، وَكَسَبَ يَكْسِبُ ، كَسْبًا فَهُوَ كَاسِبٌ ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْكَثِيرِ الْكَسْبُ : كَسُوبٌ ، وَفَعُولٌ مِنْ أُنْبِيَةِ الْمِبَالِغَةِ " (١) .

ج / لا يقف الشَّارِحُ عند حدود الفصيح ، وإنما يذكر جميع ما ورد في اللفظة من لغات ، وهو قد يُعْغَلُ نِسْبَةُ اللُّغَةِ إِلَى الْقَبِيلَةِ الْخَاصَّةِ بِهَا ، وَإِنْ كَانَ يُصْرِّحُ دَائِمًا بِاللُّغَةِ الْأَفْصَحِ أَوْ الْأَجُودِ ، كَقَوْلِهِ :

" نَمَى الْمَالُ يَنْمِي نَمِيًّا وَنَمَاءً ، فَهُوَ نَامٌ ، أَي زَائِدٌ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ : مَضَى يَمْضِي مَضِيًّا وَمَضَاءً ، فَهُوَ مَاضٍ ، وَفِي بَعْضِ اللُّغَاتِ : (نَمًا يَنْمُو) وَالْأَوَّلُ أَفْصَحُ ، وَلَيْسَ الثَّانِي بِالرَّدِيِّ " (٢) .

— يذكر بأن : دَمَعَتْ عَيْنِي ، بفتح الميم ، هي الأفصح والأعلى ، وينبئ إلى أن فيها لغة أخرى هي : مِعَتْ ، بكسرها ، ويصرِّح بأن الأولى أجود (٣) .

د / يُكْتَرُ مِنَ الْإِسْتِشْهَادِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ، وَالشُّعْرِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَهْتَمُّ بِنِسْبَةِ آيَاتِ الشُّوَاهِدِ إِلَى أَصْحَابِهَا (٤) .

(١) شرحه : ١٠٦ .

(٢) نفسه : ٩٧ .

(٣) نفسه : ١٠٠ .

(٤) انظر الصفحات : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٥٤ ، ١٢٠ .

هـ / أحياناً يخالف ثعلباً وأئمة اللغة منفرداً برأيه هو ، ومن أمثلة ذلك : يذكر أن
الحَبْرَ : العالم ، ويصرِّح بأن هذا اختيار الفقهاء ، وينبه إلى أن المختار عنده حَبْرٌ ،
بالكسر ، ويدلل على صحة ما ذهب إليه بقولهم في الجمع : أَحْبَارٌ ^(١) .

و/ اعتنى في ضبطه للألفاظ ، وقد اعتمد طريقتين :

١ - التَّصُّ بِالْحَرَكَاتِ عَلَى الْحُرُوفِ :

كقوله : " وَلَا تَقُلْ : اَنْفَسَدَ وَلَا فُسَدَ - بضم السين - " ^(٢) . وقال : " وبعضهم
يقول : عَسَيْتُ - بكسر السين - " ^(٣) . وقوله : " والاسم : المَدْرُ - بفتح الهاء
والدال " ^(٤) .

وأحياناً يجمع بين حركتين في الكلمة الواحد ؛ لوجود لغتين فيها ، كقوله : "
سَخَنَ الماءُ ، وَسَخُنَ بالفتح والضم " ^(٥) .

٢ - التَّنْظِيرُ بِالْمَشْهُورِ فِي الْاِسْتِعْمَالِ :

كقوله : " ويقال : شَتَمَ يَشْتِمُ شَتْمًا ، فهو شَاتِمٌ مثل : ضَرَبَ يَضْرِبُ
ضَرْبًا فهو ضَارِبٌ " ^(٦) .

(١) شرحه : ٢٣١ . وانظر ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٢) نفسه : ٩٩ .

(٣) نفس الصفحة .

(٤) نفسه : ١٢٣ .

(٥) نفسه : ١٢٢ .

(٦) نفسه : ١٠١ .

رابعاً / مذهبُهُ فِي شَرْحِ الْقَصِيحِ :

يعد ابن الجبَّان من أصحاب التَّنْقِيهِ اللُّغَوِيَّةِ ، وقد تَمَيَّزَ بِذَلِكَ شَرْحَهُ مِنْ بَيْنِ شُرُوحِ الْقَصِيحِ ، بِأَنْ سَارَ عَلَى هَدْيِ الْمَذْهَبِ الَّذِي رَسَمَهُ صَاحِبُ الْقَصِيحِ نَفْسَهُ ، وَالتَّمَثَلَ فِي اخْتِيَارِ اللَّغَةِ الْأَفْصَحِ وَإِهْمَالِ مَا سِوَاهَا ، أَوْ ذَكَرَ لُغَتَيْنِ مَعاً فِي حَالَةٍ تَسَاوِيَهُمَا فَصَاحَةً ، فَعَلَى هَذَا الْمَسْئَلِ انْتَقَى ابْنُ الْجَبَّانِ مَذْهَبَهُ فِي شَرْحِ الْقَصِيحِ ثَعْلَبِ .

وقد ذكر ابن الجبَّان لغة العامَّة في مواضع متفرقة من شرحه ، وهو في ذكره إياها بصورها إذا وافقت لغة من لغات العرب ، أو يخطئونها إذا لم توافق ذلك ، ولغة العامَّة ليست صواباً كلها ، ولا خطأً كلها ، والشارح مع الصواب وضد الخطأ ، وإليك إيضاح لموقفه من هذه اللغة :

١ - تَخْطِئَةُ لُغَةِ الْعَامَّةِ :

ومن صور تخطئته للعامَّة ، أقواله التالية :

أ / (لَا يُقَالُ ...) : وَيَتَضَيِّحُ ذَلِكَ حَلِيّاً عِنْدَمَا يَقُولُ : " يُقَالُ ... وَلَا يُقَالُ " ، مِثْلَ قَوْلِهِ : " وَصَرَّفْتُ الْقَوْمَ وَغَيْرَهُمْ : إِذَا قَلْبْتَهُمْ وَحَوَّلْتُ وَجُوهَهُمْ عَنِ مُتَوَجِّهِهِمْ ، وَكَذَا : صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ الْأَذَى . يُقَالُ : صَرَفْتُ أَصْرَفُ صَرَفًا . وَلَا يُقَالُ : أَصْرَفْتُ " (١) .

(١) شرحه للقاصح : ١١٦ ، وانظر : ص ١١٨ .

ب / (لا تُقْلُ ...) يذكر أنه يقال : فَسَدَ الشَّيْءُ يَفْسُدُ ، فَسَادًا وَفُسُودًا إِذَا صَارَ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ ، وَيَصْرَحُ بِأَنَّهُ لَا يُقَالُ : انْفَسَدَ وَلَا فَسُدَ ، بضم السين ، وبنيه إلى أهما من لغات العامَّة^(١) .

ج / (ليس ذلك بصحيح) ففي قوله : وَأَغْفَيْتُ فِي النَّوْمِ أُغْفِي إِغْفَاءً ، يذكر أنَّ العامَّة تقول : غَفَوْتُ ، وبنيه إلى أن ذلك ليس بصحيح^(٢) .

د / (ليس ذلك بشيء) ففي قوله : وَرَيْطَةٌ اسْمُ امْرَأَةٍ مَعْرُوفَةٌ ، يذكر أنَّ العامَّة تقول : رَائِطَةٌ ، ويصرح بأن ذلك ليس بشيء^(٣) .

هـ / (ليس ذلك بمختار) يحكي أنه قد جاء في الشعر : السُّورُ ، بضم الواو ، وبنيه إلى أن ذلك ليس بمختار في الكلام والشعر^(٤) .

و / (ذاك خطأ) : كقوله : " وهي الأَسنان ، لجمع السنِّ ، والعامَّة تقول : إسنانٌ — بالكسر — وذاك خطأ " ^(٥) . قلتُ : لعلَّ الشَّارِح قصد بقول العامَّة — إسنانٌ — أهل زمانه ، لأنَّ عامتنا لا تخالف خاصتنا في فتح الهمزة ، ولم نسمع غيرها (أي : أسنان ، ومفردتها : سنٌّ) .

ز / (وهي أردى اللغات) يذكر أن : الإِنْفَحَةَ ، تُشَدُّدُ وَتُخَفَّفُ ، وبنيه إلى أنه يقال لها في بعض اللغات : مَنفَحَةٌ ، وَمَنَافِحُ فِي جَمْعِ مَنفَحَةٍ ، ويصرح بأنَّ الأخيرة أَرْدَى اللُّغَاتِ ^(٦) .

(١) ص : ٩٩ ، وانظر الصفحات : ٣٣٥/٣٢٩/١١٨ .

(٢) شرحه للفصيح : ١٥١ ، وانظر : ٢٠٢ ، ٢٤٦ ، ٢٦٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٧ .

(٣) نفسه : ٣٣٢ .

(٤) نفسه : ٢٢٥ .

(٥) نفسه : ١٩٩ ، وانظر : ٣٣١ ، ٣٢٥ ، ٢٦٩ .

(٦) نفسه : ٢٢٤ ، وانظر ص : ٣٢١ .

٢ - تَصْوِيبُ لُغَةِ الْعَامَّةِ :

يذكر لغة العامة مع تفضيله وتقديمه لاختيار ثعلب ، وجاء ذلك بأساليب منها :

أ / (موافقته لاختيار ثعلب) : كقوله : " ويقال : هو الكَثَانُ — بفتح الكاف — ، والعامة تقول : سُميدع — بالضم — وجدِي — بالكسر — والجَرَو — بالفتح — والكَثَان — بالكسر — والاختيار ما أخبرك به صاحب الكتاب " (١)

ب / (تقديمه للصحيح الجيد) : كقوله : " وَرُمِحَ حَطِيٌّ ... وَرِمَاخُ حَطِيَّةٌ ، وقوم يكسرون الحاء ، وصاحب الكتاب يختار الأفتح " (٢)

ج / (تنبيهه على لغة الفصاحة) يذكر أن الكَذِبَ : نقيض الصدق ، وينبّه إلى أن العامة تقول له : كَذِبٌ ، بكسر الكاف ، ويصرّح بأن الصحيح الجيد الأول (٣) .

د / (استعماله الأصل بمعنى الفصيح) : كقوله : " وهي الطُّسُّ والطُّسَّةُ " ، ويحكي أن المستعمل عند العامة : الطُّسْتُ ، ويصرّح بأن الذي في الكتاب هو الأصل (٤)

٣ - وأحياناً يورد لغة العامة دون ذكر لمستواها الصوابي ، فمن ذلك :

— يذكر أن : فَصَّ الخاتم هو الذي تقول له العامة : الفِصُّ ، بالكسر (٥) .

(١) شرحه للفصح : ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) نفسه : ٢٠١ .

(٣) نفسه : ٢١٣ .

(٤) نفسه : ٣١٢ .

(٥) نفسه : ١٩٨ .

— يَنْبَهُ إِلَى أَنَّ الْأَفْصَحَ وَالْأَعْلَى أَنْ يُقَالَ : طَرَسُوسٌ ، وَحَكَى أَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُهَا
بِتَسْكِينِ الرَّاءِ (١) .

— وَفِي ذِكْرِهِ لِللُّغَةِ الْفَصِيحِ : هِيَ إِلِيَةُ الْكَيْشِ ، وَالْجَمِيعُ أَلْيَاتٌ ، يَنْبَهُ إِلَى أَنَّ الْعَامَّةَ
تَقُولُ : لِيَّةٌ (٢) .

— وَفِي إِيرَادِهِ لِقَوْلِ ثَعْلَبٍ : وَهُوَ الْفُلْفُلُ ، بِضَمِّ الْفَاءِ ، يَصْرِّحُ بِأَنَّ الْعَامَّةَ
تُكْسِرُهَا (٣) .

— وَيَذَكُرُ أَنَّ الْأَرْجُوْحَةَ : هِيَ الَّتِي تَسْمِيهَا الْعَامَّةُ الْمَرْجُوْحَةَ (٤) .

— وَيَنْبَهُ إِلَى أَنَّ جَمْعَ دَانِقٍ وَدَانِقٍ : دَوَانِقٌ ، وَيَصْرِّحُ بِأَنَّ دَوَانِقٌ مِنْ قَوْلِ الْعَامَّةِ (٥)

خامساً / طَرِيقَتُهُ فِي ذِكْرِ اللُّغَاتِ :

ذَكَرَ ابْنُ الْجَبَّانِ بَعْضَ اللُّغَاتِ الْمَرْوِيَةِ عَنِ الْعَرَبِ ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْهَا بِالْفِظَائِ مَخْتَلِفَةٍ
فَاللُّغَاتُ الْعَالِيَةُ نَعْتَهَا بِالنَّعْوَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى فَصَاحَتِهَا وَعُلُوِّهَا وَجُودَتِهَا ، وَنَعْتِ
أُخْرَى بِالصِّحَّةِ وَالْبِلَاغَةِ وَالشَّهْرَةِ وَالْأَصَالَةِ ، وَيُمْكِنُ تَوْضِيحُ ذَلِكَ بِمَا يَلِي :

أ / الفصاحة : ومن الأمثلة على ذلك :

(١) شرحه للفصيح : ٢٠٤ .

(٢) نفسه : ٢٠٦ .

(٣) نفسه : ٢٤١ .

(٤) نفسه : ٢٤٧ .

(٥) نفسه : ٣١١ .

— عند كلامه على قول ثعلب : نَمَى المَالُ يَنْمِي ، يذكر أنه جاء في بعض اللغات : نَمَا يَنْمُو ، ويصرِّح بفصاحة الأولى ، وعدم رداءة الثانية^(١) .

ب / الجودة : ومن الأمثلة على ذلك قوله :

" ويقال : ذَوَى العودُ يَذْوِي ، ... ، وذَأَى بالهمز ، وذَوِي — بالواو والكسر — والأول أجود " ^(٢) .

ج / الصَّحَّةُ : ومن أمثلتها عند الشَّارِحِ :

— ففي تقديمه لقول الفصيح : وأَعْفَيْتُ في النوم ، يحكي أنَّ العامَّة تقول : غَفَوْتُ ، ويصرح بعدم صحة ذلك ^(٣) .

د / البَلَاغَةُ : وهي عند ابن الجَبَّان بمعنى الفصاحة ، ويدل على ذلك :

— حكى أن : شَرَقَتِ الشَّمْسُ بمعنى : طلعت ، ويصرِّح بأنَّ أشرقتُ أبلغ من شَرَقْتُ ^(٤) .

هـ / الشُّهْرَةُ : وهي كسابقتها ، أي قصد بها الشَّارِحِ العلو والفصاحة ، ومن ذلك :

— يقدم لغة الفصيح : وهَرَقْتُ المَاءَ ، وينبئ إلى أنه قد جاء راق يريق ، مصرحاً بأنَّ الأول أشهر ^(٥) .

(١) شرحه للفصيح : ٩٧ ، وانظر الصفحات : ٢٠٢ ، ٣٠١ ، ٣٢٦ .

(٢) نفسه : ٩٧ ، وانظر الصفحات : ٣٢٧ ، ٢٨٢ ، ٢٥٨ ، ٢٤٢ ، ٢١٣ ، ١٦٥ ، ١٠٠ ، ٩٨ .

(٣) نفسه : ١٥١ ، وانظر الصفحات : ٣١٩ ، ٢٦٠ ، ٢٤٦ ، ٢١٣ ، ٢٠٢ ، ٣٣٠ ، ٣٢٧ ، ٣٢٣ ، ٣٢٠ .

(٤) نفسه : ١٣٤ .

(٥) نفسه : ١١٦ .

سادساً / شَوَاهِدُ ابْنِ الْجَبَّانِ ، ومنها :

أ - الاستشهاد بالقرآن الكريم :

حَوَى شَرْحُهُ جَمْعاً مِنَ الشَّوَاهِدِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، وَمِمَّا أَنَّ كَلَامَ الْمَوْلَى جَلُّ وَعَلَا هُوَ
أَعْظَمُ وَأَفْصَحُ مَا يَسْتَشْهَدُ بِهِ ، فَقَدْ اعْتَمَدَ فِي شَرْحِهِ عَلَى الاسْتِشْهَادِ بِالآيَاتِ
الْقُرْآنِيَةِ ، وَقَدْ بَلَغَتْ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ آيَةً ، مَوْزَعَةً بَيْنَ ثِنَايَا الْكِتَابِ ، وَهُوَ فِي
هَذِهِ الشَّوَاهِدِ يُبَيِّنُ فَصَاحَةَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ :

أ - ففي باب (فعل بفتح العين) استشهد الشارح على فصاحة (نَقَمَ)^(١) بقوله
تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ﴾^(٢) .

ب - وفي باب (فَعَلَ وَفَعَلَ ، باختلاف المعنى) استشهد على فصاحة (عَرَجَ)^(٣)
والتي بمعنى صعِدَ بقوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾^(٤) .

ج - وفي باب (فَعَلَ وَأَفَعَلَ ، باختلاف المعنى) استشهد على فصاحة (قَسَطَ)^(٥)
والتي على (فَعَلَ) بقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾^(٦)

(١) شرحه : ١٠٢ .

(٢) سورة البروج آية : ٨ .

(٣) شرحه : ١٣١ .

(٤) سورة المعارج آية : ٤ .

(٥) شرحه : ١٣٧ .

(٦) سورة الجن آية : ٥ .

د - وفي باب (ما يقال بحروف الخفض) استشهد على فصاحة (سَخِرْتُ مِنْهُ)
(والذي يتعدى بحرف الجر في الفصيح بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا
نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾^(١) .

د - وفي باب (من الفرق) ذكر أن استعمال اسم الفاعل من (مَاتَ)^(٢) على
غير قياس في الفصيح : (مَيِّتٌ) واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ
وَأِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾^(٣) . وكان القياس (مائت) إلا أن الاستعمال - أحيانا -
يغلب القياس .

ب - الاستشهاد بالقراءات :

وقد استشهد على صحة بعض اللغات التي ذكرها ببعض القراءات ، فمن ذلك :

١ - ففي باب : (فعل بفتح العين) ذكر اللغة العالية الفصيحة ، وهي : (عَسَيْتُ ، بفتح السين) ، ثم استشهد على جواز (عَسَيْتُ ، بكسر السين)
كلغة ثانية بقراءة
(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ)^(٤) . مصرحاً بأن الاختيار
الفتح^(٥) .

(١) سورة هود آية : ٣٨ .

(٢) شرحه : ٣٤٥ .

(٣) سورة الزمر آية : ٣٠ .

(٤) سورة محمد آية ٢٢ .

(٥) شرحه للفصيح ٩٩ - ١٠٠ .

٢ — وفي الباب نفسه قدم اللغة الأفتح (نَحَتَ - يَنْحِتُ) مستدلاً على صحتها بقوله تعالى ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ ﴾^(١) . بكسر الحاء ، ورُوي عن الحسن البصري فتحها في القراءة^(٢) . فهو يذكر إلى جانب اللغة الأفتح لغة ثانية .

٣ — وفي باب (المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى) يذكر الخلاف بين (أُمَّةٌ ، وَأُمَّه) ويستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَادَّكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾^(٣) . أي بعد حين ، وَقُرِئَ : بعد (أُمَّه) أي : نسيان^(٤) .

ج — الاستشهاد بالأحاديث والآثار :

وقد بلغت جملة الأحاديث النبوية التي استشهد بها ، في مواضع متفرقة من شرحه ، أربعة أحاديث بالإضافة إلى أثر واحد ، يأتيها في التالي :

١ — ففي تفسيره للغو ، قال : " واللغو من الكلام ما لا فائدة فيه . يقال : لَعَا يَلْعُو لَعْوًا ... " ^(٥) . ثم استشهد على لغات هذا الفعل بقوله — صلى الله عليه

(١) سورة الشعراء آية ١٤٩

(٢) شرحه ١٠٤ .

(٣) سورة يوسف آية ٤٥

(٤) شرحه ٢٥٢

(٥) شرحه ٩١

وسلم — : " مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ أَنْصِتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَعَنَّا " (١)

٢— وفي باب (المهmoz) قال : " وَالْحَوَّابُ : مكان في طريق البصرة من الحجاز ، وكان كثير الكلاب ... " (٢) ثم يستدل على أن الحوَّاب مهموز بقوله — صلى الله عليه وسلم — : " إِذَا نَبَحَتْكَ كِلَابِ الْحَوَّابِ فَارْجِعِي " (٣) .

٣— وفي باب (المكسور أوله والمفتوح باختلاف المعنى) فرق بين (النَّعْمَةُ) بمعنى : التَّنْعُمُ ، (والنَّعْمَةُ بكسر النون) بمعنى : اليد والمنَّة (٤) ، واستدل على ذلك بما رُوِيَ في بعض الآثار : " رَبُّ ذِي نِعْمَةٍ لَا نِعْمَةَ لَهُ " (٥) .

د — الاستشهاد بالأشعار :

استشهد الشارح على فصاحة اللغات المذكورة في الفصح بكثير من الشواهد الشعرية ، والتي بلغت إثنين وستين بيتاً شعرياً ، وهو في هذه الشواهد ينسب الكثير منها إلى أصحابها مصرحاً بأسمائهم تارة ومغفلاً لهم تارة أخرى ، مكتفياً بقوله : جاء في الشعر ، أو قال الشاعر ، أو أنشد العلماء . وقد يستشهد على مذهبه بشرط من البيت ، أو بعجزه ، أو ببيت كامل ، وأحياناً يذكر بيتين من

(١) صحيح مسلم باب : صلاة الجمعة حين تزول الشمس برقم (٨٥٧) ورواه البخاري في باب : لإنصات برقم (٨٩٢) بلفظ : " إِذَا قَلَّتْ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَعَنَتْ " .

(٢) شرحه للفصح ٢٧٤ .

(٣) أورده الشارح بمعناه ، وأخرجه ابن أبي شيبة برقم (٣٧٧٧١) في مسيرته علي وعائشة والزبير ، بلفظ " كيف ياخذوا كن تمنح عليها كلاب الحوَّاب " ، ورواه أحمد في مسند عائشة برقم (٢٤٣٠١) ورقم (٢٤٦٩٨) بلفظ (أيتكن) .

(٤) شرحه ٢٣٦ .

(٥) لم أقف له على سند .

الشعر ، وقد يذكر شطراً من الرجز ، وقد يورد شطرين ، وهو إنما يسوق هذه الشواهد لبيان أمور منها :

— فصاحة اللغة الأولى التي جاءت في كتاب الفصيح ، ومن أمثلة ذلك : يقول : " نصحت لك " وقد جاء (نصحتك بغير حرف الجر) ، والقرآن نطق بالأول ، واستدل على فصاحة لغة القرآن ببيت من الشعر (١) .

— وفي (زَكِنَ ، بكسر العين) يستدل على فصاحتها ببيت من الشعر (٢) .

— ومن اللغويين من ذكر لغتين هما : (لازِبٌ ، ولازِمٌ) وصاحب الفصيح يختار اللغة الأولى لعلوها ، وهكذا فعل الشارح ، واستشهد على ذلك بيت للنابغة الذبياني (٣) — وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : (وَسَمَكٌ مَمْلُوحٌ

وَمَلِيحٌ) . نجده يقلل من شأن لغة العامة ويفهم من هذا ضمناً تقديمه للغة العالية الفصيحة ، بقوله : " والعامة تقول : مَالِحٌ ، وليس ذلك بمختار عند الفصحاء " ويوافق ثعلباً في اختياره للغة العالية مستشهداً على فصاحتها ببيت من الرجز (٤) .

— وفي كلامه على قول صاحب الفصيح ، وهو (الْفُلُّلُ ، بضم الفاء) ينكر الشارح لغة العامة ، موافقاً لصاحب الفصيح ، ومستشهداً على مذهبه ببيت لامرؤ القيس (٥) .

— وفي تقديمه للغة الفصاحة ، نجده — أحياناً — يذكر إلى جانبها لغة ثانية ؛ ففي كلامه على قول صاحب الفصيح : (وَيَوْمٌ طَلَّقٌ ، وَلَيْلَةٌ طَلَّقَةٌ) يقول : " وقد

(١) شرحه : ١٥٤ .

(٢) نفسه : ١٠٩ .

(٣) نفسه : ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٤) نفسه : ٣٢٦ .

(٥) نفسه : ٢٤٢ .

جاء في بعض اللغات : ليلةٌ طَلَّقَ ، بلا تاء التأنيث ، ويستشهد على هذه اللغة بيت من الشعر^(١) .

— وأحياناً يستشهد بالشعر على بيان بعض المسائل اللغوية ، كقوله : للتفريق بين : الظلُّ والفيءِ : " والظلُّ للشجرة وغيرها بالغداة ، والفيءُ بالعشيِّ ؛ لأنه يَفِيءُ من جانب على جانب ، أي : يَرْجِعُ ، ويستشهد على ذلك بيت من الشعر^(٢) .

— وقد يستشهد بالشعر — أحياناً — على بعض المسائل النحوية كقوله : " والأبوابُ ، جمع باب ، كالأموال جمع مال ، وقد قيل في جمع الباب : بيان ، كما قيل : جار وجيران ، وقد قالوا في جمع ياب : أبوبةٌ ، وفي ذلك كلام ، ويستشهد على الجمع الأخير بيت من الشعر^(٣) .

سابعاً / المعربُ :

شَارَكَ ابن الجبَّان شُرَّاحَ الفصيحِ في التنبية على بعض الألفاظ الأجنبية المعربة ، التي وردت في كتاب الفصيح ، وقد تنوعت تلك الألفاظ لديه ، فأبان عن أصل بعضها ، كالفارسية والعبرانية ، وسكت عن البعض الآخر مكتفياً بالقول : وهو معرب ، وأخرى قال عنها ليست بعربية ، ولم يبين عن أصلها ، وهو في إيراد هذه المعربات إما أن :

(١) ينبه عن الاستعمال الأوضح ، ويقدمه ، وهذا ما تُهدف إليه في هذا البحث ومن أمثلة ذلك قوله :

(١) شرحه للفصيح : ١٧٨ .

(٢) نفسه : ٣٩٨ .

(٣) نفسه : ٩٦ .

— " وهو الرِّصَاصُ — بالفتح — وقوم يكسرونه ، وزعموا أنه فارسي معرَّب ... " (١)

— " وهو الجَدْيُ — بالفتح — ... ، وزعموا أنه عبراني معرَّب " (٢) .

— " وهي طَرَسُوسُ ، والعامّة تقولها بتسكين الراء ، وهي أعجميّة معرّبة " (٣) .

(٢) وفي حالة وجود لغتين في اللفظة الواحدة يذكرهما جميعاً مقدماً اللغة الأفصح والأشهر ، ومن أمثلة ذلك قوله :

— " وهو العَرَبُونَ ، والعُرَبَانُ في قولِ الفراءِ ، وهو ما يُسمّى بالفارسيّة آرَبُونَ .. " (٤)

قلت : والذي ذكر ابن السكيت في الإصلاح : العُرَبَانُ والعُرَبُونَ ، والأُرَبَانُ ، والأُرَبُونَ^(٥) . ووافقه الجواليقي في المعرب ناقلاً ذلك عن الفراء^(٦) ، والشارح هنا استشهد بما جاء في الفصيح^(٧) .

— " والسَّرَجِينُ ، يُقالُ له : السَّرَقِينُ — أيضاً — ، وسُئِلَ الأصمعيُّ عن ذلك ،

فقال : لا أدري ما أقولُ ؛ لأنّه أعجمي معرَّب ، غير أنني أقولُ : الرُّوثُ " (٨) .

— " وهي الطَّنْفَسَةُ والطَّنْفَسَةُ — بالكسر والفتح — ... ، وقيلَ إنّها فارسيّة معرّبة : تَنْفَسَةٌ " (٩) .

(١) شرحه للفصيح : ١٩٧ .

(٢) نفسه : ٢٠٠ .

(٣) نفسه : ٢٠٤ .

(٤) نفسه : ٢٠٤ .

(٥) الإصلاح ٣٠٧ .

(٦) المعرَّب ٤٥٦ .

(٧) ٢٩١ .

(٨) شرحه للفصيح ٢٢٧ .

(٩) شرحه ٣٠٢ .

— " وَتَقُولُ عِنْدَ الدُّعَاءِ : آمِينَ — يفتح النون — من غير مَدٍّ ؛ لأنها ليست
بعربية ... وقد يقال : آمين بالمدِّ ، وهذا يشهد بأن الكلمة ليست عربية ؛ لأن
كلام العرب ليس فيه فاعيل " (١) .

(١) شرحه ٢٠٧-٢٠٨

ثامناً / آراؤه في فصيح ثعلب :

وَقَفَ الشَّارِحُ مَوْقِفًا مَعْتَدِلًا تَجَاهَ ثَعْلَبٍ ؛ فَلَمْ يَكُنْ مُتَحَامِلًا عَلَيْهِ كَمَا فَعَلَ ابْنُ دُرُسْتُوَيْهٍ ، وَلَمْ يُجَامِلْهُ وَيَغْضُضْ الطَّرْفَ عَمَّا يَرَاهُ مُخَالَفًا — فِي نَظَرِهِ — لِمَا وَرَدَ عَنِ اللُّغَوِيِّينَ الثَّقَاتِ — كَمَا فَعَلَ اللَّبْلِيُّ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ ، كَمَا سَنَرَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ — فَهَرُ يُثَبِّتُ لثَعْلَبٍ حَقَّهُ ، كَمَا أَنَّهُ يِعَارِضُهُ فِي بَعْضِ أَقْوَالِهِ ، فَالشَّارِحُ يَقِفُ مِنْ صَاحِبِ الْفَصِيحِ مَوْقِفِينَ مُتَبَايِنِينَ بَيْنَ التَّأْيِيدِ وَالْمِعَارِضَةِ ، نَوْجِزُهُمَا فِي الْآتِي :

أولاً — مَوْقِفُهُ الْمُؤَيَّدُ لِثَعْلَبٍ :

وفيه تتجلى رؤى مذهبه في اختيار الأفصح ، وخطى منهجه في التصويب ، ويكشف عن ذلك قوله : (والاختيار الأول — يعني اختيار ثعلب — أو قوله : والصحيح الجيد الأول ، وقوله : والذي في الكتاب — يعني الفصيح — هو الأصل ...) .

وهذا بيان لما أجملناه يتضح في قوله :

أ / " والاختيار هو الأول ، أو واختيار الرجل الأول " .

— ففي تقديمه لقول ثعلب : وَرَعَدَ الرَّجُلُ ، يَنْبَهُ إِلَى أَنَّهُ قَدْ يُقَالُ : (أَرَعَدَ وَأَبْرَقَ) ، والاختيار هو الأول ، أي اختيار ثعلب ^(١) .

(١) شرحه للفصيح ١١٥ - ١١٦ .

قلت هناك خلاف بين اللغويين في (أرْعَدَ وأَبْرَقَ ، ورَعَدَ وبرَقَ) ، والذي عليه أكثر اللغويين ^(١) هو جواز (رَعَدَ وأرْعَدَ وبرَقَ وأَبْرَقَ) في السحاب والوعيد ، إلا الأصمعي ، فإنه ينكر (أرْعَدَ وأَبْرَقَ) في الأمرين ^(٢) . وقد اختار ثعلب رعد الرجل ، ووافقه الشارح في ذلك .

— وفي كلامه على لغة الفصيح : أمْضَيْ الجرح ، حكى أن قوماً يقولون : مَضَيْ بغير ألف ، وينبّه إلى أن الاختيار ما أثبتته ثعلب ^٣ .

قلت : والشارح يؤيد ما اختاره صاحب الفصيح ، حيث لم يروى عن اللغويين (مضى) بغير ألف عدا ما انفرد به صاحب العين ^(٤) ، ولم يعرفها الأصمعي ^(٥) ، لذا لم يذكرها صاحب الفصيح (أعني مضى بغير ألف) .

ب / " والاختيار ما أخبرك به صاحب الكتاب " .

— يذكر أن الكَذِبَ : نقيض الصدق ، وينبّه إلى أن العامة تقولُ له : كَذِبٌ ، بكسر الكاف ، ويصرّح بأن الصحيح الجيد الأول ^(٦) . والشارح — هنا — يوافق ثعلباً في هذا الاختيار .

— وفي قوله : " الطَّسُّ والطَّسَّةُ " ، يذكر أن المستعمل عند العامة : الطَّسْتُ ، والذي في الكتاب — يعني الفصيح — هو الأصل ^(٧) . ونراه في هذه المادة موافقاً لصاحب الفصيح أيضاً ، جاعلاً اختياره هو الأصل ، ويعني به الفصيح .

(١) انظر الإصلاح ٢٢٦ ، وأدب الكاتب ٣٧٤ ، فعلت وأفعلت للزجاج ، والخصائص ٢٩٣/٣ ،

والتهذيب ٢٠٧/٢ ، والصحاح (رعد) .

(٢) فعل وأفعل للسجستاني ص ١٥٠ .

(٣) شرحه ١٥٠ .

(٤) العين (مضى) ١٨/٧ .

(٥) انظر فعل وأفعل ص ١٧٥ .

(٦) شرح الفصيح ٢١٣

(٧) نفسه ٣١٢ .

ثانياً / مَوْقِفُهُ الْمَعَارِضُ لِثُعْلَبٍ :

وفيه يَقِفُ مَوْقِفُ الْمَعَارِضِ لِثُعْلَبٍ فِي بَعْضِ أَقْوَالِهِ ، وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

أ — " وَعَجَلْتُهُ : إِذَا سَبَقْتَهُ ، وَيُقَالُ : عَجَلْتُ إِلَيْكَ ، وَهَذَا التَّعْدِي أَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً مِنَ التَّعْدِي الَّذِي فِي كِتَابِ الْفَصِيحِ " (١) . قُلْتُ : وَالْفِعْلُ (عَجَلَ) يَتَعَدَى بِنَفْسِهِ ، كَقَوْلِكَ عَجَلْتَهُ ، إِذَا سَبَقْتَهُ ، وَيَتَعَدَى بِحَرْفِ الْجُرِّ أَيْضاً ، وَقَدْ اخْتَارَ صَاحِبُ الْفَصِيحِ تَعْدِيَهُ بِنَفْسِهِ ، إِلَّا أَنَّ الشَّارِحَ يَخَالِفُ ثُعْلَباً وَيُرَى تَعْدِيَهُ بِحَرْفِ الْجُرِّ أَكْثَرَ اسْتِعْمَالاً ، وَلَعَلَّ هَذَا عَائِداً إِلَى مَذْهَبِ الْبَصْرِيِّ .

ب — " وَالسُّمَانِيُّ : طَائِرٌ مَعْرُوفٌ ، وَيَقَعُ ذَلِكَ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجِنْسِ أَجْمَعٍ ، وَلَيْسَتْ الْوَاحِدَةُ سُمَانَةً كَمَا ذَكَرَ ثُعْلَبٌ ؛ لِأَنَّ عَلَمَ التَّائِيثِ لَا يَدْخُلُ عَلَى الْعَلَمِ " (٢) . قُلْتُ : وَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ الشَّارِحُ عَلَى ثُعْلَبٍ لَيْسَ بِمَنْكَرٍ ، فَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَيْمَةِ اللُّغَةِ أَنَّ السُّمَانِيَّ جَمْعٌ ، وَوَاحِدُهُ سُمَانَةٌ ، وَلَيْسَ بَيْنَ وَاحِدِهِ وَجَمْعِهِ إِلَّا حَذْفُ الْهَاءِ وَإِبَاهَا ، كَمَا قَالُوا ، حَمَامَةٌ وَحَمَامَاتٌ ، وَتَمْرَةٌ وَتَمْرَاتٌ (٣) .

ج — " وَتَقُولُ : الْقَوْمُ أَعْدَاءُ وَعِدِيٌّ — بِكَسْرِ — ، ذَكَرَ أَكْثَرُ لُغَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ؛ لِأَنَّ وَضْعَ الْبَابِ يَقْتَضِي ذَلِكَ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ " (٤) . قُلْتُ : إِذَا كَانَ الشَّارِحُ أَنْكَرَ عَلَى ثُعْلَبٍ أَنَّ يَكُونُ أَعْدَاءً وَعِدِيٌّ ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، فَإِنَّ جَمْعاً مِنَ اللُّغَوِيِّينَ حَكَوْا مَا قَالَهُ ثُعْلَبٌ (٥) . قَالَ فِي الْعَيْنِ : " وَالْعَدُوُّ : اسْمٌ جَامِعٌ لِلوَاحِدِ

(١) شرحه للفصيح : ١٤٦ .

(٢) نفسه : ٢٦٩ .

(٣) انظر العين ٢٧٤/٧ (سمن) ، والبحر المحيط ٣٤٧/٨ .

(٤) شرح الفصيح : ٢٨٤ .

(٥) انظر الإصلاح ٩٩ ، وأدب الكاتب ٥٣٦ ، الكامل للمبرد ٤٠٩/١ ، والجمهرة ٦٦٨/٢

(عدو) .

والجميع والتثنية والتأنيث والتذكير ... ويجمع العَدُوُّ على الأَعْدَاءِ والعِدَى
والعُدَى والعُدَاة والأَعَادِي ... " (١) .

د — " قال ثعلبٌ : وعَامُ الأوَّل ، وهذا ردئ ؛ لأنَّ الشيء لا يُضَافُ إلى وصفه
... " (٢) .

قلت : ووجه الخطأ عند بن الجبان أن ثعلباً أضاف الموصوف إلى صفته ،
ومذهب الشارح في هذه المسألة على رأي أصحابه البصريين ، أما الكوفيون —
وعلى رأسهم ثعلب — فإنهم يجيزون إضافة الموصوف إلى صفته إذا اختلف
اللفظان واتحد المعنى ، واحتجوا بأن ذلك قد جاء في كتاب الله وكلام العرب
كثير (٣) .

ونخلص مما سبق إلى الأمور التالية :

أ — خلا هذا الشرح من مقدمة الشارح ، وكأنه جعل مقدمة صاحب الفصيح
مقدمة لكتابه .

ب — فيما يتعلق بأبواب الكتاب ومواده ، نجد أن الشارح قد التزم في شرحه
بترتيب صاحب الفصيح لأبوابه ومواده اللغوية ، دون تقديم أو تأخير ، فجاءت
في ثلاثين باباً .

(١) انظر العين (علو) ٢١٦/٢ .

(٢) شرح الفصيح ٣٢٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٥٥/٢ ، والانصاف ٤٣٦/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠/٣ .

ج — يغلب على منهجه طابع الاستقصاء ، فهو يذكر كل ما جاء في كتاب الفصيح ، ولا يغفل شيئاً دون الحديث عنه ، ويغلب على شرحه الطابع النحوي أيضاً .

د — لديه ثقة واعتزاز بالنفس وبالرأي ، فنجده أحياناً يخالف تعلباً وأئمة اللغة منفرداً برأيه عنهم .

هـ — ذكر الشارح لغة العامة في مواضع متفرقة من شرحه ، وهو يصورها في حالة موافقتها لغة العرب ، أو يحكم عليها بالخطأ إذا لم توافق ذلك .

و — ذكر الشارح بعض اللغات المروية عن العرب ، ناعتاً إياها بالنعوت الدالة على فصاحتها وعلوها وجودتها .

ز — حوى الشرح جمعاً من الشواهد المتنوعة ، والتي يبرهن فيها ابن الجبان على فصاحة ما ذهب إليه .

ح — نه الشارح على بعض الألفاظ الأجنبية المعربة والتي وردت في كتاب الفصيح .

ط — اتضح لنا — ومن خلال آرائه اللغوية — أنه بصري المذهب .

ي — اعتنى في ضبطه للألفاظ ، مستعملاً الطرق المعروفة في الضبط كما جاءت في المعاجم العربية .

شرحُ الفصيح ، للمرزوقي

المتوفى سنة ٤٢١هـ

تَرْجَمَةُ الْمُؤَلَّفِ :

هو (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ، من أهل أصبهان ، كان غاية في الذكاء والفطنة ، وحسن التصنيف ، وإقامة الحجج ، وحسن الاختيار ، وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة ، قرأ كتابَ سيبويه على أبي علي الفارسي ، وتلمذ له ، وله من التصانيف : كتاب (شرح المفضليات) ، وكتاب (شرح الحماسة) ، وكتاب (شرح أشعار هذيل) ، وكتاب (الأزمنة) ، وكتاب (شرح الفصيح) ، وغيرها من المصنفات الأخرى ، والأخير هو ما يهمننا منها ؛ فعليه مدار بحثنا هذا . قال الصَّاحِبُ بن عباد : فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة : حائك وحلاج ، وإسكاف ، فالحائك هو المرزوقي مات سنة ٤٢١هـ^(١) .

أولاً / منهجه في عرض المادة :

بدأ الشَّارِحُ شرحه — كغيره من شُرَّاح الفصيح — بحمد الخالق سبحانه وتعالى ، ثم صلى على النبي المصطفى — صلى الله عليه وسلم — ثم بدأ كتابه مخاطباً فيه شخصاً لم يحدده ، فكان المرزوقي ألف هذا الشُّرْح بناء على طلب ذلك الشخص السائل ، وأبان الشَّارِحُ منهجه والمتمثل في الآتي :

أ / إلتزامه بأبواب الفصيح وفصوله ، وعدم خروجه عنها إلا ما تقتضيه نظوم الكلام .

ب / لا يضمن شرحه إلا ما يراه موضحاً لأصول الألفاظ ومبانيها ، ومبيناً لمواردها ومصادرها ، واشتقاقات تلك الألفاظ ومعانيها .

(١) انظر ترجمته في معجم الأدياء ٣٤/٥ ، وإنباه الرواة ١٩٥/٢ ، وبيعة الرعاة ٣٥٦/١ .

ج / التزامه الاختصار وعدم الإطالة ، فهو يسوق مع كل لفظة أحوالها في البناء ، ونظائرها في السماع ، ويورد من نحوها وتصاريفها ما يستعان به على أحوال نظائره ، وأحكام أشباهها .

د / ثم بدأ بتفسيره لمقدمة ثعلب تفسيراً لا إفراط فيه ولا تفريط ، فهو يعرض قول ثعلب ، ثم يقوم بشرحه وتوضيحه ، كقوله : " كتاب " ، هو مصدر كتبت ، ثم يسمى المكتوب كتاباً كما يسمى المخلوق خلقاً ، والمصيد صيداً " (١) . وقد فعل ذلك في تفسيره لسائر مقدمة صاحب الفصيح (٢) .

هـ / ثم نجده يصدر كل باب بمقدمة يبين فيها قصد ثعلب في هذا الموضوع ، كقوله على أول أبواب الفصيح ، وهو باب (فَعَلت بفتح العين) ، " قصده في الترجمة إلى أن ينبه على أن ما يشتمل عليه الباب يجب أن يكون على فعل بفتح العين ، إما من طريق الاختيار ، وإن كان فيه غيره من اللغات جائزاً ، وإما لأنه لا يجوز غيره " (٣) ، وهكذا فعل ذلك في معظم أبواب الفصيح (٤) .

وتكون تلك المقدمة بمثابة المفسرة لما بعدها ، وكلامه فيها على جهة الاختصار وعدم الإطالة . فهو مثلاً يتكلم في صدر باب [فَعَلت بفتح العين] عن هذا الوزن ، وكيف يأتي منه المضارع والأمر ، فيتكلم عن الصحيح ثم المعتل العين أو اللام ، ثم يتكلم عما عينه أو لامه حرف حلق ، ثم عن المضاعف منه ،

(١) شرحه ص ٢ .

(٢) نفسه : ٢ - ٥ .

(٣) نفسه : ٥ .

(٤) انظر شرحه : على سبيل المثال ، باب : فعلت بغير ألف ، وباب فَعَل بضم الفاء ، وباب المكسور أوله ، وباب المكسور أوله باختلاف المعنى .

نحو : (شَدَّ و غَرَّ) ، ثم يختم حديثه بالشواذ من الباب ، مما جاء على خلاف القاعدة (١) . ونجده قد فعل مثل ذلك في أغلب شرحه لأبواب الفصح .

و/ ثم ينتقل إلى تناول مواد الفصح بالترتيب مادة بعد أخرى ، يذكر فيها معنى المادة ، واشتقاقاتها ومصادرها ، وبعض المسائل النحوية والصرفية ، وينسب اللغات إلى أهلها ، ثم يستشهد على ما ذهب إليه ، ويتضح هذا في أكثر مواد الفصح ، ومنها على سبيل المثال قوله في أول تلك المواد : " نَمَى المَالُ وغيره يَنْمِي : إذا زاد ، لا يتعدى فإن أردت تعديته قلت : أُنْمَأَهُ اللهُ ، وحكى بعضهم أن أهل الحجاز يقولون في المال وأشباهه : يَنْمُو نُموً ، وفي الخضاب (يَنْمِي نموًا) وأصله : نُموي ، لكن الواو والياء إذا اجتمعتا قلب الواو ياءً وتدغم الياء في الياء .. " (٢) .

ز/ اتضح لنا ومن خلال آراء المرزوقي اللغوية السابقة أنه بصري المذهب ، إلا أنه لم يكن متعصباً لمذهبه هذا .

ثانياً / معالم شرحه :

لعل من أبرز هذه المعالم ما يلي :

أ / يتَّبعُ الشارحُ لغات اللفظة الواحدة فهو يلاحق الفصاحة في مواطن هذه اللهجات ، فيقدم الفصح ويشير إلى الأصل ، كقوله : " وقد انْتَفَعَ لونه ، وفيه ثلاث لغات : (النون والميم والباء) ، وكان الأصل : انْتَفَعَ ، فدخَلَ الميم على

(١) شرحه للفصح ص ٦ .

(٢) نفسه : ٦ - ٧ .

التون ، ودخل الباء على الميم ، كما يُقال : "اطمأن ، واطبأن ، وشرُّ لازمٍ ولازبٌ" (١) ، وما أشبهه .

ب/ يهتم بذكر الفروق المعنوية بين اللغات كقوله : " غَوَى الرَّجُلُ ، أي : جهلَ ، ومصدره الغيُّ ، والغَوَايَةُ ، ولا يجوز غَوِيَ ؛ لأن غوي يقال في الجدِّي إذا أسيءَ غذاؤه ، يَغْوِي غَوَى " (٢) .

ج/ وينهج الشَّارِحُ نهجَ الباحثين المدققين ، فلم يكتفِ بنقل آراء علماء اللُّغة المتقدمين فحسب ، وإنما كان ينقد الآراء ويُصرِّحُ بالراجع منها ، فكانت له ثقة بالنفس ، واستقلال في الحكم يُسَعِّفه في ذلك حِسُّهُ اللُّغوي وسلامةُ ذوقه .

د / يولي الشَّارِحُ عنايةً كبيرةً للاشتقاق وتفريعاته ، وإرجاع معاني المواد اللُّغويَّة إلى أصلٍ واحدٍ ؛ لما بينها من أوجه الشبه والاشتراك . فهو يقول عند قول صاحب الفصيح : " شَمَلَهُمُ الأَمْرُ " : " ومنه الشَّمَلَةُ في الكساء ، كأنها تُشَمَلُ عدَّةُ أشياء ، وكذلك المشمَلَةُ ؛ لأنها يُؤَثَّرُ بها فتشمل الجسم كله ، والشُّمُولُ في الخمر قيلَ : هو منه أيضاً ؛ لأنها تشتمل على العقل " (٣) . فالشارح يرى أن : " الشَّمَلَةُ والمشمَلَةُ والخمر حين تسمى : الشُّمُولُ ، ترجع في اشتقاقها إلى الفعل (شَمَلَ) " وهذا يتكرر عنده في مواضع عدة (٤) .

هـ / يهتمُّ بالقياس كثيراً وكذلك السماع ، ولا نبعد حين نعد الرجل قياسياً ؛ إذ لا يترك فرصة دون أن يشير إلى القياس في المادة اللُّغوية وتصريفاتها . ويبلغُ اهتمامه بالقياس ذروته حين نراه يذكُرُ ما يَقْتَضِيهِ القياس ولم تنطقُ به العرب ،

(١) شرحه للفصيح : ٤٧ .

(٢) نفسه : ٨ ، ٧ .

(٣) نفسه : ٢٤ .

(٤) انظر الصفحات : ٢٨ ، ٥٢ ، ٦٦ .

فهو يُعَلِّقُ على قول صاحب الفصيح : " عُنَيْتُ بِحَاجَتِكَ " ، فيقول : " وكان القياس عَنَانِي كَذَا فَعَنَيْتُ ، وأنا عَنِ بِهِ . إلا أَنَّهُ لم يستعملُ إلا عُنَيْتُ " (١) .
فمواضع ذِكْرِهِ للقياس وما يُفْتَضِيهِ كثيرة جداً . هذا مع عناية الشارح بالمستمرع عن العرب ؛ فمن قوله في ذلك ، نجدُه — مثلاً — في تفضيله الفتح على الضم في " الحُروريةُ " : يقول : " لكن الفتح هو المستفصح في هذه الحروف ، ولا يمتنع أن يكون الأقيس أقل استعمالاً " (٢) .

فمقياس الفصاحة عنده ليس على موافقة القياس ، وإنما على كثرة استعماله عند العرب الفصحاء . ويتضح موقفه من القياس بشكل أكبر حين يُوجبه على ما كَثُرَ وشاع ، بقوله : " وبعضهم يقف عند السماع ولا يجعله قياساً ، وليس ذلك بسديد ؛ لأن الشيء إذا كثر في كلامهم واتسع فالواجب القياس عليه ما لم يمنع منه مانع " (٣) .

و / ينبه على الأساليب الحقيقية والمجازية ، فقد ضمنَّ الشارح كلامه إشارات إلى ظاهرة توسع العرب في الأساليب الحقيقية والمجازية منها ، ويُعَدُّ ذلك ميزة في كلامها ، حيثُ حظي شرحه للفصيح بتصيبٍ وافٍ من هذا الفن ، والذي تَضَمَّنَتْه صفحاتٌ عديدةٌ من هذا الشرح (٤) ، نُورِدُ منه على سبيل المثال ، ما يلي :

(١) شرحه للفصيح : ٣٩ .

(٢) نفسه : ١٣ .

(٣) نفسه : ٦٦ .

(٤) انظر الصفحات ١٠ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٥٠ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩١ ،

١٢٢ ، ١٢٥ .

(١) فعند كلامه على قول صاحب الفصيح : (رَبَّضَ الْكَلْبُ يَرْبِضُ) يُفْسِرُهُ بِمَعْنَى
نَامَ ، وَيَصْرِّحُ بِأَنَّ مَصْدَرَهُ الرَّبُوضُ ، وَيُنَبِّئُهُ إِلَى أَنَّهُ يُقَالُ : لَيْلٌ رَابِضٌ عَلَى
التَّشْبِيهِ (١) .

(٢) عند تقديمه لقول ثعلب : (نَحَتَ يَنْحِتُ) ، يَذْكَرُ أَنَّهُمْ تَوَسَّعُوا فِيهِ ، فَقَالُوا :
هَذَا مِنْ نَحْتِهِ ، أَي : مِنْ شَبْهِهِ ، وَإِنَّهُ لَكَرِيمُ النَّحِيَّةِ ، أَي : الضَّرِيَّةِ (٢) وَهِيَ الطَّبِيعَةُ
وَالْعَرِيزَةُ .

(٣) وعند ذكره لقول صاحب الفصيح : (نُتَجَّتِ النَّاقَةُ) يَحْكِي أَنَّهُمْ : تَوَسَّعُوا
فِيهِ ، فَقَالُوا : نَتِيجَةُ هَذَا الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا (٣) .

(٤) وفي : تقديمه لقول صاحب الفصيح : (أَدَلَيْتُ الدَّلْوَ) : إِذَا أَرْسَلْتَهَا لِتَمْلَأَهَا ،
أَدَلَيْتُهَا إِدْلَاءً ، يَصْرِّحُ بِأَنَّهُ يُقَالُ : دَلَاهُ فِي كَذَا تَوَسُّعًا وَتَشْبِيهًا (٤) .

(٥) وفي إيراد لقول ثعلب : (أَجْبَرْتُهُ عَلَى كَذَا) يَصْرِّحُ بِأَنَّهُمْ تَوَسَّعُوا فِيهِ حَتَّى
قَالُوا : جَبَرْتُ الْحِسَابَ جَبْرًا (٥) .

ز / يتضح مذهبه البصري في معالجته للمسائل اللغوية والنحوية ، وقد صرح
بذلك في شرح الفصيح وفي غيره . فيقول : " مَلَّتْ الشَّيْءُ فِي النَّارِ أُمَّلُهُ وَأَمْتَلْتُهُ ،
وَالشَّيْءُ مَمْلُولٌ وَمُمْتَلٌ . وَبَعْضُ النَّاسِ يَحْمِلُ " مَلْمَلْتُهُ الْحَمَى عَلَى الْفَرَاشِ فَتَمْلَمَلُ " .

(١) شرحه للفصيح : ١٨ .

(٢) نفسه : ١٤ .

(٣) نفسه : ٤٤ .

(٤) نفسه : ٦٩ .

(٥) نفسه : ٧٢ .

على هذا ، ويقول أصله : مَلَّتُهُ ، وأصحابنا البصريون يجعلونه بناءً على حدة ، وإن كان مؤدياً لمعناه ، وعلى هذا رَفَرَقْتُ ورَقَّقْتُ ، وأشباهه " (١) .

ح / اعتنى الشارح بالمسائل التصريفية : إن طبيعة المادة اللغوية المتضمن لها كتاب الفصيح ، تقتضي أن تكون المسائل التصريفية التي يتعرض لها الشارح أكثر من المسائل النحوية ؛ فإن الأصل اللغوي والفروع المشتقة منه تقتضي التطرق إلى التصريف ، وبخاصة أن الشرح يتعرض للمفردات أكثر من الجمل ، وحين نطلع على كلام الشارح في المسائل التصريفية ، يمكننا أن نتلمس معالم منهجه فيها على النحو التالي :

(١) في أول كل باب يذكر المرزوقي المسائل التصريفية المتعلقة في ذلك الباب مفصلة ، لكي يلم القارئ بمضمون الباب ، ففي باب (فعلت بفتح العين) نجد المرزوقي يعطي فكرة موجزة عن هذا الباب ، فيذكر مستقبله وما يجوز فيه من اللغات ثم يذكر الأصل فيه ، ويعلل السبب لهذه الأصالة ، كقوله : " وفَعَلَ مستقبله يكون على يَقْعُلُ بالضم أو يَفْعَلُ بالكسر ، والكسر هو الأصل والضم داخل عليه ، وذلك لمقاربة الفتحة الكسرة " (٢) .

(٢) يُولي الشارح عناية فائقة بالقواعد التصريفية ، ولا يألوا جهداً في التبيه عليها كقوله :

" ومصدر الأول : الرُعَاف ، جُعِلَ على مثال الأذواء ، كالزُّكَّام والصُّدَاع " (٣) وقوله في موضع آخر : " ودَابَّةٌ بها نِفَارٌ ، جُعِلَ على وزن العيوب : كالشَّمَّاس والحِرَّان ونحوها " (٤) .

(١) شرحه للفصيح : ٥٤ . وانظر تحفة الجد الصريح ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٢) شرحه للفصيح ص ٥ .

(٣) نفسه ص ١٠ .

(٤) نفسه ١١ .

(٣) يَذْكُرُ المسألة التصريفية معتمداً على كلام ثعلب ، ثم يوضحها بما يُفصِحُ عن المقصود ، فيجعل — في بعض الأحيان — مبدأ كلامه من كلام صاحب الفصيح ، فهو مثلاً في باب: (فَعَلْتُ ، بفتح العين) يذكر وزن (فَعَلَ يَفْعُلُ) ، وما يطرُدُ فيه هذا الوزن ، وما يشدُّ منه ، ثم يتناول وزن المضارع منه : صحيحاً كان أو معتلاً ، مضاعفاً أو غير مضاعف ، فيوردُ من ذلك ما يتَّضحُ به المقام ، ويتجلى به الكلام ، فهو يذكر أن مستقبل (فَعَلَ يكون على يَفْعُلُ بالضم أو يَفْعَلُ بالكسر) ، والكسر هو الأصل إلا أن تكون عينه أو لامه حرفاً من حروف الخلق ، فإنه حينئذ يجيء على (يَفْعَلُ) هذا في الصحيح ، أما في المعتل العين أو اللام : فما كان من بنات الواو فإنه يجيء على يَفْعُلُ ، وما كان من بنات الياء فإنه يجيء على يَفْعَلُ بكسر العين ، أما المعتل الفاء فإنه يجيء على (يَفْعَلُ) بكسر العين ، وأما في المضاعف فإن ما تعدى منه يجيء في الأكثر على يَفْعُلُ بالضم ، مثل قَدَّ وشدَّ ، وما لا يتعدى منه يجيء على يَفْعَلُ بالكسر ، نحو فرَّ وشدَّ .

(٤) يهتم المرزوقي بالعلل كوسيلة للإيضاح فهو يجعل الأصل في مضارع (فَعَلَ يَفْعُلُ) بالكسر ويجعل الضم فرعاً عليه ، إلا أن يكون عينه أو لامه حرف حلق ، فحينئذ يفتح المضارع منه ، ثم يعلل ذلك لكون الحركة مناسبة لاستعلاء حروف الخلق (١) .

(٥) أثناء عرض المرزوقي للمسائل التصريفية يتبع ذلك بالشواذ ، فيعد أن ذكر القياس في باب (فَعَلْتُ) أتبع ذلك بقوله : " والشاذ من هذا الباب : أَيْبَى يَأْبَى عن سبويه وقلَى يَقْلَى ، وَرَكَنٌ يَرَكُنُ عن بعضهم " (٢) .

(١) شرحه للفصيح ص ٥ .

(٢) شرحه ص ٦ .

(٦) ومن هذا الباب أنه يذكر الشاذ ، ثم يُبين سبب شذوذه عن القاعدة التصريفية ، كقوله في : " فَسَدَ الشَّيْءُ يَفْسُدُ ، يقال في مصدره : الفَسَادُ وَالْفُسُودُ ، وقيل في ضده ، وهو صَلَاحٌ : الصَّلَاحُ وَالصُّلُوحُ ؛ لأهم يحملون النظر على التَّنْظِيرِ وَالتَّقْيِيزِ عَلَى النَّقْيِيزِ ... ، ومن حيث لم يتعديا كان الأصل فيهما الصُّلُوحُ وَالْفُسُودُ ؛ لأن فُعلاً أصل فيما يتعدى من الثلاثي ، وفُعولاً أصل فيما لا يتعدى " (١)

(٧) يهتم كثيراً بالتفريق بين مصادر الأفعال إذا اختلفت معانيها ، وهذه الميزة تتكرر كثيراً في ثنايا حديثه ، كقوله وهو يُفَرِّقُ بَيْنَ : " نَفِسَتِ الْمَرْأَةُ " ، وبين " نَفِسْتُ " بمعنى بَحَلْتُ ، إذ يقول : " وَنَفِسَتِ الْمَرْأَةُ نَفَاساً فَهِيَ تُنْفَسُ ، وَالْمَوْلُودُ مَنفُوسٌ ... ، وكأنه من نفس الدَّمِ ، فَأَمَّا النَّفَاسَةُ فَمصدر " نَفِسْتُ " أي : بَحَلْتُ " (٢) ، وهذا التفريق مهماً جداً لتحديد المعاني في باب التنقية اللغوية .

ط / تعرض الشارح لبعض المسائل النحوية إلا أن ذلك يعتبر قليلاً جداً إذا ما عَقَدْنَا مُقَارَنَةً بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَسَائِلِ التَّصْرِيفِيَّةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعَدَدِيَّةِ ؛ إذ تُعَدُّ الْمَسَائِلِ النَحْوِيَّةِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا الشَّارِحُ عَلَى أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ ، لَكِنْ هَذَا الْأَمْرُ لَا يَشِيرُ اسْتِغْرَابَ الْبَاحِثِ ؛ فَطَبِيعَةُ الْكِتَابِ ، وَالْمَادَّةُ اللَّغْوِيَّةُ الَّتِي ضَمَّنَهَا تُعَلِّبُ كِتَابَهُ هِيَ الَّتِي تُوَجِّهُ مَسَارَ الشَّارِحِ فِي شَرْحِهِ وَتَحَدِّدُ نَوْعِيَّةَ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَعَالِجُهَا .

ولكن على قلتها يمكن للناظر أن يدرك بعض سمات منهج الشارح في معالجة هذه المسائل النحوية ، ومن هذه السمات :

(١) أنه يذكر المسألة معتمداً على كلام ثعلب ، لكنه يفصل الكلام فيها ، فتعلب حين يختار لغة على أخرى ، نجده يقول في خطبة كتابه : " فاخترنا أفصحهن " ؛ فيكون الاعتراض على ثعلب سبباً لكلام الشارح على أحوال

(١) شرحه للفصح : ٩ .

(٢) نفسه : ٤٨ .

(أفعل) ، فهو يذكر أحوال أفعل التفضيل حين يتعرض إلى نقد العلماء لثعلب في هذه المسألة .

(٢) تُظهر المسائل التي تعرض لها مدى عنايته بالعلل النحوية ، وهو جزء من عنايته بالتعليل ، فهو يقول عن (عَسَى) : " ويجب أن يستعمل معه (أن) ؛ ليفيد مع تقريره للفعل ما فيه من تراخيه " (١) .

ثالثاً / منهجه في إيراد اللغات :

ويمكن إبراز طريقة الشارح في إيراد لغات العرب من خلال الآتي :

أ / يقدم اللغة الأعلى والأفصح تبعاً لثعلب ، ثم يذكر إلى جانبها لغة ثانية ، وينسبها إلى إحدى قبائل العرب ، كقوله : " ذَوَى الْعُودِ ، أَي : ذُبُلٌ وَصَارَ بَيْنَ الرَّطْبِ وَالْيَابِسِ وَمصدره الذِّيُّ وَالذُّوِيُّ ، وَيُنْبَهُ إِلَى أَنَّ فِيهِ لُغَةٌ حِجَازِيَّةٌ أُخْرَى هِيَ : ذَايٌ يَذَايُ فَهُوَ ذَاءٌ ، وَيَصْرُحُ بِأَنَّ هَذَا لَيْسَ بِكَثِيرٍ " (٢) .

— وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : " تَمَى الْمَالُ وَغَيْرُهُ ... " ، يذكر أن بعضهم حكى أن بعض أهل الحجاز يقولون في المالِ وَأشْبَاهِهِ : يَنْمُو نَمَوًا ، وَفِي الْخَضَابِ : يَنْمِي ، وَيُنْبَهُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يُعْرَجُ عَلَيْهِ (٣) .

(١) شرحه للنصيح : ٩ .

(٢) نفسه : ٧ .

(٣) نفسه : ٦ ، ٧ .

ب/ يذكر أن في اللفظة لغات للعرب ، ويصرح بالأفصح منها ، فعند تقديمه لقول
 ثعلب : بُمِتَ الرَّجُلُ : إذا ورد عليه ما يُحَيِّرُهُ ، ويصرح بأن فيه لغات ، أفصحهن
 ما ذكره ثعلب (١)

ج/ يذكر لغتين في اللفظ الواحد ، ثم يجعلهما سواءً فلا يفاضل بينهما ، فهو
 يحكي في مستقبل " أَسَنَ الْمَاءُ " الضم والكسر ، ثم يذكر أنهما لغتان جيدتان
 (٢)

د/ يذكر اللغتين ثم يبنه على المختار منهما ، ثم يستشهد على الثانية ، حكى أن :
 أَمَرَ الشَّيْءُ أَي صَارَ مُرًّا ، وَيَبْنُهُ إِلَى أَنَّهُ يُقَالُ فِيهِ : مَرًّا أَيْضًا ، مَصْرَحًا بِأَنَّ الْمَخْتَارَ
 الْأَوَّلَ ، ثُمَّ يَسْتَشْهَدُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

لَيْسَ مَرًّا فِي كَرْمَانَ لَيْلِي لَطَالَمَا حَلَا بَيْنَ تَلِيٍّ بِأَبْلِ فَالْمُصِيحِ (٣)

هـ / يهتم بنسبة اللغات إلى قبائلها لتأكيد فصاحتها ، فمن ذلك قوله : " وفيه
 لُغَةٌ حِجَازِيَّةٌ أُخْرَى : ذَاي ، يَدَاي " (٤) . وفي موضع آخر يذكر أن : زُرًّا ، لُغَةٌ تَمِيمِ ،
 وَازْرُزُّ ، لُغَةٌ الْحِجَازِ (٥) . ويصرح في موضع ثالث أنه حكى أن قيساً تقول : أَهْدَيْتُ
 الْعُرُوسَ فَهَدَيْتُهَا ، بمعنى : دَلَلْتُهَا (٦) . كما نبه إلى أن لُغَةَ بَنِي سَلِيمِ : مَا أَكَاخَ فِيهِ
 السَّيْفُ ، وَمَا كَاخَ (٧) .

(١) شرحه للفصيح : ٣٩

(٢) نفسه : ٥٥ .

(٣) نفسه : ٧٩ .

(٤) نفسه : ٧ .

(٥) نفسه : ٢٢٢ .

(٦) نفسه : ٥٨ .

(٧) نفسه : ٨٢ .

و / وأحياناً يورد اللغة الثانية ، وينسبها إلى أهلها ، ففي كلامه على قول ثعلب :
" رَضِعَ المولودُ " ، يذكر بأنَّ الفتح في الضاد لغة حجازية^(١) . وهو هاهنا ينسب
اللغة الثانية دون الأولى .

ز/ وربما يعلل اللغة التي حكاها صاحب الفصح : فيذكر أن سبب إيراد ثعلب
لـ " رُمِحَ خَطِيئِي " ، لأنه ربما كُسِرَ أوله^(٢) .

ح/ قد يذكرُ ثلاث لغات مساوياً بينها من حيث الفصاحة ، فهو يصرِّح أن في اثتِّعَ
لَوَثَّةُ ، ثلاث لغات : النون ، والميم ، والباء^(٣) .

ط/ كثيراً ما يجعل اختياره للغة على أخرى بالكثرة ، حتى أنك تجده في ثلاث
مواد متتالية — كما وردت في الفصح — ففي (أنشَر) يصرِّح بأنَّ أبا العباس
ثعلب اختار أنشر لكثرتة^(٤) وفي : (أمتى الرجل) يذكر أنه حكى فيه : مَنَى ،
والأكثر ما اختاره ثعلب^(٥) . وفي : (أحاك) ينسب إلى أنه روي ما حاك فيه
السيف ، إلا أنه لم يكثر^(٦) . فتلك ثلاث مواد متتالية يُعلِّل اختياره ، واختيار
صاحب الفصح لها بالكثرة ؛ مما يُعطي أهمية كبرى لمبدأ كثرة الاستعمال الذي
يبنى عليه القياس ، كمعيار للمستوى الصَّوابي للغات .

(١) شرحه للفصح : ٢٥

(٢) نفسه : ١٥٠ .

(٣) نفسه : ٤٧ .

(٤) نفسه : ٨١ .

(٥) نفس الصفحة .

(٦) نفسه : ٨٢ .

رابعاً / موقفه من لغات العامة :

ويتضح ذلك في الآتي :

١ . ففي باب (فَعَلْتُ بِغَيْرِ أَلْفٍ) يذكر المرزوقي أن العامة يخطئون فيه لأنهم يردون هذا الباب إلى (أَفَعَلْتُ) ومن أمثلة ذلك :

— يذكر أن صَرَفَتَ القَوْمَ : أي رددتهم عن وجوههم ، وكذلك : صرف الله عنك الأذى ، وبنبه إلى أنه ليس في الكلام أَصْرَفَ ، ويذكر أن العامة أولعت به ^(١) .

— وحكى : شَعَلَنِي عنك أمرٌ ، وذكر أن العامة تُولِعُ بأشغل ، وصرَّح بأن كلامهم ليس بشيء ^(٢) .

٢) وفي باب (ما أوله من الأسماء) يبنه المرزوقي إلى أن هذا الباب يشتمل على كثير مما تخطيء العامة فيه فيغيرون أوله ، ثم يجده يفصل القول في ذلك فمن أمثلة ذلك :

— يذكر أن الجَوْرَبَ والكَوْسَجَ أعجميان ، وبنبه إلى أن ثعلباً ذكرهما لأن العوام يولعون بضم أولهما ^(٣) .

— وفي : طَرَسُوسٌ بلدٌ معروف ، يصرَّح بأن ثعلباً إنما ذكره لأن التعريب لحقه على ما ذكره ، ومثله قَرَبُوسُ السَّرَجِ : مُقَدَّمته ، وبنبه إلى أن العامة تسكن الراء منهما ، ويبيِّن أنه ليس في الكلام فَعْلُولٌ إلا قولهم : صَعْفُوقٌ اسمٌ لخنول باليمامة ^(٤) .

(١) شرحه للفصيح ٣١ .

(٢) نفسه ٣٥ .

(٣) نفسه ١٥٠ .

(٤) نفسه ١٥٤ .

— ذكر أن العامة تخطئ في قولهم : قرأتُ سورة السَّجْدَةِ ، فتكسر السين من (السجدة) ، ويصرَّح بعدم صواب ذلك ؛ لأنها على (فَعَلَّةٌ)^(١) .

وفي هذا الباب نجد إشارات إلى لغة العامة لكنها ليست بالكثرة التي توحى إليها عبارته أول الباب ، فنجدُه يَصِفُ لغةَ العَامَّةِ — أحياناً — بالرداءة ، فيذكر أن : (الفَقْرُ ، بالفتح) قد اختاره ثعلب على الفُقْر وهو لغةٌ رديئةٌ^(٢) .

فالمرزوقي يعد هذا الباب تصحيحاً لما تخطيء العامة فيه لكنه لا يفعل ذلك في الباب الذي يليه مع قريهما من بعضهما ؛ إذ يقول في ترجمة : (باب المكسور أوله

" القصدُ في هذا الباب إلى أن ما يجيء فيه يُكسَرُ أوله اختياراً لا أنه لا يُجوز غيره " ^(٣) ، على أن المرزوقي يقول قول ثعلب في هذا الباب : " وليس لي فيه فِكْرٌ ، وتفتح العامةُ فاءه " ^(٤) .

٣) ينبّه المرزوقي إلى لغة العامة ، دون الإشارة إلى مستواها الصوابي ومن أمثلة ذلك : في باب (فُعِلَ بضم الفاء) :

— حكى : شَغِلْتُ عنك ، ونَبّه إلى أن العامة تُوَلِّعُ بِأَشْغَلْتُ^(٥) .

— وكقوله في باب (المكسور أوله) : " بينهما إحْتِنٌ أي عَدَاوَةٌ والعوام تقول : حِنَةٌ " ^(٦) .

(١) شرحه للفيصيح ١٥٦ .

(٢) نفسه : ١٥١ .

(٣) نفسه : ١٦٦ .

(٤) نفسه : ١٧٢ .

(٥) نفسه : ٣٩ .

(٦) نفسه : ١٧٤ .

— وذكر أن : إِنْفَحَةُ الْجَدْيِ يَخْفَفُ وَيَثْقُلُ ، وَيَنْبَغُ إِلَى أَنْ الْعَامَّةُ تَقُولُ مِنْفَحَةً^(١)
 — وحكى أن : الإِجْحَاصُ ، وَاحِدَةٌ إِجْحَاصَةٌ ، وَزَكَاةٌ فِعَالَةٌ ، وَيَنْبَغُ إِلَى أَنْ الْعَامَّةُ
 تَقُولُ : إِجْحَاطَةٌ ، وَإِنْجَاصَةٌ^(٢) .

(٤) وفي باب (ما يقال بحروف الخفض) يقول :

— " زَرَيْتُ عَلَيْهِ ، أُرْزِي زَرِيًّا وَزَرِيًّا ، أَي : عَيْتَهُ ، وَلَا يَسْتَعْمَلُ بغيرِ (على)
 وَأُرْزَيْتُ بِهِ ، أَي : وَضَعْتُ مِنْهُ وَتَنَقَّصْتُ ، وَالْعَامَّةُ تَقُولُ : أُرْزَيْتُ عَلَيْهِ " ^(٣) .

فالمرزوقي هنا يذكر (زَرَيْتُ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثِي ، وَأُرْزَيْتُ بِهِ فِي الرَّبَاعِي) وَلَكِنِ
 الْعَامَّةُ يَعْكَسُونَ الْكَلَامَ فَيَضَعُونَ (عَلَيْهِ مَوْضِعَ بِهِ) .

(٥) وَأحياناً يُؤَيِّدُ الْمَرْزُوقِي ثَعْلِباً جَاعِلاً سَبَبَ إِيرَادِ صَاحِبِ الْفَصِيحِ لِلْمَادَةِ أَنَّ
 الْعَامَّةَ يُخَطِّئُونَ فِيهَا ، فَيُؤَافِقُ ثَعْلِباً عَلَى تَخْطِئَةِ الْعَامَّةِ ، وَيَجْعَلُ الْفَصِيحُ مَا ذَكَرَهُ
 ثَعْلِبٌ ، كَقَوْلِهِ : " أَغْفَيْتُ مِنَ النَّوْمِ ، قَالَ : وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ ؛ لِأَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُ :
 غَفَوْتُ غَفْوَةً ، وَالصَّوَابُ مَا ذَكَرَهُ " ^(٤) .

— وكقوله : " وفي الزُّبَيْقِ يُقَالُ : دَرِهَمٌ مُزْبِقٌ ، بِفَتْحِ الْبَاءِ ، لِأَنَّهُ يُقَالُ زُبَيْقٌ
 الدَّرْهَمُ : إِذَا جَعَلَ فِيهِ الزُّبَيْقَ ، وَالْعَامَّةُ تَقُولُ : مُزْبِقٌ عَلَى زُبَيْقِ الدَّرْهَمِ ،
 وَالْفَصِيحُ مَا اخْتَارَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ " ^(٥) .

(١) شرحه للفصيح : ١٧٥ .

(٢) نفسه : ٢٣٦ .

(٣) نفسه : ٨٨ .

(٤) نفسه : ٨٤ ، ٨٥ .

(٥) نفسه : ١٧٢ .

٦) وأحياناً يئبه إلى أن لغة العامّة موافقة لبعض لغات العرب الفصيحة ، فيذكر أن الكلّوبَ واحد الكلاب ، ويصرّح بأنّ العامّة تقول : كُلاب ، وينقل عن الخليل أنّهما لغتان^(١) .

— ويحكى أن ثعلباً اختار الأترجُ على سائر اللغات ، معللاً ذلك بأنه أشهر في السنة الفصحاء ، ويئبه إلى أن العامّة مولعة بأثرُنجة ، ويصرّح بأنّها لغة^(٢) .

خامساً / مَوْقِفُهُ مِنْ ثَعْلَبٍ :

كان في الأعم الأغلب تابعاً لصاحب الفصيح ، موافقاً له فيما ذهب إليه ، مُصرّحاً بصواب منهجه وأقواله في فصيحته ، فمن ذلك :

أ/ يئبه على أن ما اختاره ثعلب هو الأفصح والأكثر ، كقوله مُعَقَّباً على قولِ ثعلب :

(وَهَدَيْتُ الْعُرُوسَ ، إِذَا زَفَفْتُهَا) : وما اختاره أكثر وأفصح^(٣) .

ب/ أحياناً يدافع عن ثعلب ويرد إنكار المنكرين عليه بالدليل ، كقوله عند قول صاحب الفصيح : (عَجَلْتُهُ) وتفسير أبي العباس لها على سَبِقْتُهُ ، وإنكار البعض لهذا التفسير . قال الشَّارِحُ مدافعاً عن ثعلب : " وليس فيما أُتِّكِرَ مَسْتَكْرٌ ؛ لأن لفظة (عَجَلَ) يستعمل على وجوه ، واستشهد لمذهبه بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾^(٤) .

(١) شرحه للفصيح : ١٦٠ .

(٢) نفسه : ٢٣٦ .

(٣) نفسه : ٥٨ .

(٤) نفسه : ٧٦ .

ج / أحياناً يقدم اختيار ثعلب ويرره ، وينبه إلى قول العامة ، ويصوب ما ذكره ، كقوله على قول صاحب الفصيح : (أَعْفَيْتُ مِنَ النُّومِ) ، معللاً اختيار ثعلب لأنَّ العامَّةَ تَقُولُ : غَفَوْتُ غَفْوَةً ، ويصرِّح بأنَّ الصُّواب ما ذكره ثعلب (١) .

د / يستشهد لما ذهب إليه ثعلب بأقوال كبار العلماء كقوله : " قال أبو العباس — يعني ثعلباً — وأصله الواو ، يعني (نَشِيَان) يدلُّ على ما قاله : أن يعقوب حَكَى عن الكسائي : أن نَشْوَان هو الكلام المستعمل " (٢) .

هـ / وأحياناً يُفصِّح ما اختاره ثعلب ؛ لأنه صاحب تنقية ، فهو يذكر أن العامَّة تقول : مُزَبَّقٌ على زُبُقِ الدَّرْهِمِ ، ويصرِّح بأنَّ الفصيح ما اختاره أبو العباس (٣) .

وفي المقابل ، حينما يُخالف ثعلباً ، فإنَّ القارئ لا يَشْعُرُ بِهذه المخالفة ، أو شيئاً من المعارضة ، وإنما يسوق اعتراضه بأسلوب المهذب الملتمس للعدر ، كقوله عندما تعرَّضَ للحديث عن قوله : (هَرَقْتُ المَاءَ) : " وَوَضَعُ أَبِي العَبَّاسِ (أَرَقْتُ المَاءَ) فِي هَذَا البَابِ وَقَعَ سَهْواً مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ أَفْعَلْتُ " (٤) .

وقال في موضع آخر : (وَأَكْفَأْتُ فِي الشَّعْرِ) جعله أبو العباس كالإقواء ... وكثيراً من الناس يفصلون بين الإكفاء والإقواء ... " (٥) .

(١) شرحه للفصيح ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) نفسه ١٢١ .

(٣) نفسه ١٧٢ .

(٤) نفسه ٣١ .

(٥) نفسه ٦٢ .

سادساً/ شواهد في شرحه :

من خلال دراستي لهذا الشرح تبين لي وفرة الشواهد التي ساقها الشارح ، فالمرزوقي — في نظري — يحتل المرتبة الأولى بين شراح الفصيح من حيث الكم الوفير من هذه الشواهد ، ولا غرابة في ذلك فهو أديب كبير وقد انعكس هذا الفن على شرحه ، وقد استخدم هذه الشواهد للتأكيد على فصاحة الألفاظ التي يذهب إليها ، فقلماً نجدُ باباً من أبواب شرحه يخلو من شاهد ما ، وقد تنوعت تلك الشواهد التي ضمَّنها شرحه ، فجاءت موزعة كالتالي :

أ / القرآن الكريم :

إن خير ما يُمثلُ أعلى درجات الفصاحة والبيان هو كلام المولى سبحانه وتعالى ، كما أجمع على ذلك علماء العربية ، فنصوصه أوثق الشواهد التي يرجعون إليها ؛ لأنه المنزَّه عن اللحن والخطأ . وقد احتل هذا المصدر المرتبة الأولى من حيث الاستشهاد به ؛ إذ أكثر الشارح من الاستشهاد بالآيات القرآنية ؛ كي يرهن على فصاحة ما ذهب إليه .

— ففي باب (فعلت بكسر العين) يستشهد على فصاحة (حِطِفَ الشيءَ يَحِطِفُ)^(١)

بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مِنْ خَطِفِ الْخَطْفَةِ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾^(٢) .

(١) شرحه للفصيح ص ٢٥ .

(٢) سورة الصافات آية (١٠) .

— وفي باب (فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ باختلاف المعنى) يستشهد على فصاحة (عَجَلْتُهُ

التي بمعنى سبقته) ^(١) بقوله تعالى : ﴿ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَرْضَى ﴾ ^(٢) .

— وفي باب (ما يهمز من الفعل) استشهد على فصاحة : (دَارَأْتُ الرَّجُلَ ^(٣) :

إذا دافعته) بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذِ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ ^(٤) .

— وفي (باب المفتوح أوله من الأسماء) وعند كلامه على قول ثعلب (وهو الطَّهُورُ

(^(٥)) يعني الاسم منه ، ويستشهد على فصاحة هذه اللفظة بقوله تعالى :

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ ^(٦) .

ب/ الأشعار :

يحتل هذا المصدر — من شواهد — المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم ، وقد

تنوعت أساليب الشَّارح في هذه الشواهد على النحو التالي :

كثيراً ما يغفل نسبة البيت إلى قائله ، وقد كثر مثل هذا في شرحه وأحياناً يكتفي

بقوله : قال الراجز ^(٧) ، وأحياناً يكون أكثر تعميماً ، كقوله : قال بعضهم ،

(١) شرحه ٨٥ .

(٢) سورة طه آية (٨٤)

(٣) شرحه ٩٢ .

(٤) سورة البقرة آية ٧٢ .

(٥) شرحه ١٦٢ .

(٦) سورة الفرقان آية ٤٨ .

(٧) شرحه ١٠١ .

فيذكر عجزاً من بيت (١) ومثل هذا ورد كثيراً في ثنايا شرحه (٢) ، وأحياناً يصرح بذكر اسم الشاعر (٣) ومن ذلك قوله :
قال الأعشى ، فيذكر له عجز بيت (٤) .

قال زهير فيذكر بيتاً له (٥) .

قال الخطيئة في عمر — رضي الله عنه ، ويورد له بيتاً (٦) .

وهو في ذلك يذكر مادة الفصيح ، ثم يذكر بيتاً من الشعر ، للدلالة على فصاحة ما ذهب إليه ، فعند كلامه على قول صاحب الفصيح : (قَضِمَتُ الدَّابَّةُ شَعِيرَهَا) يستشهد على فصاحة (قَضِمَت) فيذكر عَجَزَ بَيْتٍ بِلا عَزْوٍ (٧) .

— وفي كلامه على قول ثعلب : (أَدَلَيْتُ الدَّلْو) يستشهد على فصاحة (أدليت) بقوله : قال الشاعر : ... فيذكر بيتاً من الشعر (٨) . وعند حديثه على قول ثعلب : (وَجَبَّرْتُ الْعِظْمَ) يستشهد بعجز بيتٍ بقوله : وقال الآخر (٩) للدلالة على فصاحة (جبرت) .

(١) شرحه للفصيح نفسه ١٠٤ .

(٢) انظر الصفحات : ١٥ ، ٢٣ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٣١ .

(٣) انظر الصفحات ١٤٩ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٢٠ .

(٤) نفسه : ٢٦ .

(٥) نفسه : ٢٨ .

(٦) نفسه : ٧٧ .

(٧) نفسه : ٢٠ .

(٨) نفسه : ٦٩ .

(٩) نفسه : ٧١ .

— وفي كلامه على قول ثعلب (بَرَدْتُ عَيْنِي أُبْرُدُّهَا) يستشهد على فصاحة
(برد) بيت لمالك بن الريب^(١) .

— وفي باب (المفتوح أوله من الأسماء) وعند كلامه على قول ثعلب (عَرِقَ النَّسَاءُ)
قال : " وقد عيب على ثعلب هذا القول والصواب : (النَّسَاءُ) ويستشهد على
فصاحة ما ذهب إليه بيت لامرؤ القيس^(٢) .

— وفي باب (المكسور أوله من الأسماء) وفي كلامه على قول ثعلب (وهو
الرُّطْلُ) وهو ما يوزن به ويكال ، ويستشهد على فصاحة هذه اللفظة بيت من
الشعر بلا عزو^(٣) .

— وفي الباب نفسه وفي كلامه على قول ثعلب (والسَّوَارِ لِلْيَدِ) نجده يستشهد
على فصاحة هذه اللفظة بيت للنابعة^(٤) .

— وفي باب (المهموز) وعند كلامه على قول ثعلب (كِلَابُ الْحَوَابِ) يوضح
أنه موضع ينسب إليه ثم يستشهد على فصاحة (الحوَابُ المهموز) بيت من
الشعر بلا عزو^(٥) .

ج / القراءات القرآنية :

— لم يُغفل المرزوقي القراءات في شواهدة ؛ لإثبات صحة بعض اللغات التي
أهملها ثعلب ويعلل سبب إهماله لها ، فمن ذلك : عند اختيار صاحب

(١) شرحه للفصيح : ٣٦ .

(٢) نفسه : ١٤٤ .

(٣) نفسه : ١٦٦ .

(٤) نفسه : ١٧٦ .

(٥) نفسه : ٢٥٠ .

الفصيح : (أَنْشَرَ اللهُ الْمَوْتَى) ^(١) ، قال : وقد حُكِيَ (نَشَرَ اللهُ الْمَوْتَى) لكنه يعني ثعلباً اختار أنشر لكثرتة ، ثم استدل عليها بقراءة (كَيْفَ نُنَشِرُهَا) ^(٢) .

— وعند كلامه على قول ثعلب (أَرْجَاتُ الْأَمْرِ) ^(٣) : يذكر أن الهمز فيه مُقَدَّمٌ على (أَرْجِيئُهُ) بالياء ، ... وقرئ : ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ ﴾ ^(٤) .

— وبيَّه إلى أن (مَرَفَقَ الْإِنْسَانِ) موضع الارتقاء منه يكسر ميمه ، والفتح أكثر وأجود . فأما مرافق الإنسان التي هي منافعها فالميم مكسورة منه في الواحد عند الأكثر ، وقرئ : ﴿ وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقًا ﴾ ^(٥) بالفتح والكسر ، والمعنى : صلاحاً ورقفاً ^(٦) .

— وفي كلامه على قول صاحب الفصيح (امْرَأَةٌ حَصَانٌ) ^(٧) ، يصرِّح بأنه قرئ في القرآن الكريم : (الْمُحْصِنَاتِ) ^(٨) . وقد استشهد هنا على المعنى ، وكل هذا يدل على حرص المرزوقي على تحديد المعاني من أجل التنقية اللغوية .

— وقد تضمَّن الشرح بعض القراءات الأخرى نشر إليها في مظاهرها ^(٩) .

-
- (١) شرحه : ٨١ .
 - (٢) سورة البقرة آية (٢٥٩) .
 - (٣) شرحه : ٩٦ .
 - (٤) سورة الأحزاب آية ١٥١ .
 - (٥) سورة الكهف آية (١٦) .
 - (٦) شرحه للفصيح ١٩٤ .
 - (٧) نفسه ١٠٣ .
 - (٨) سورة النساء آية ٢٤ .
 - (٩) انظر شرحه ١١٧ ، ١٤١ ، ١٩٤ ، ٢٢١ ، ٢٩٨ .

د (الحديث الشريف :

إذا كان المرزوقي من مُكثري الاستشهاد بالقرآن الكريم ، فإننا نجد من المُقلين في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ، وذلك مقارنة بالشواهد الأخرى ، كالأشعار ، والأمثال ؛ إذ يأتي الحديث في المرتبة الأخيرة من جملة شواهد ، وقد ساق بعضاً من هذه الأحاديث ^(١) إلا أن منها ما لا يرقى إلى مرتبة ودرجة الأحاديث الصحيحة ، كقوله : " النَّاجِشُ ، وَالْحَائِشُ ، وَالصَّائِدُ سِوَاءٌ فِي الْأَثْمِ " ^(٢) .

— ففي باب (فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ باختلاف المعنى) يقول : " أذِنْتُ لِلرَّجُلِ فِي الشَّيْءِ : أَي سَوَّغْتُ لَهُ فَعْلَهُ ، وَأَذِنْتُ لِكَذَا أَي اسْتَمَعْتُ إِلَيْهِ " . ويستدل على فصاحة ذلك بقوله : وفي الحديث : " مَا أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِشَيْءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَغْنَى بِالْقُرْآنِ " ^(٣) .

— وعند كلامه على قول ثعلب (وَأَخْفَرْتُهُ) يفسرها بنقض العهد ، ويستشهد على فصاحة هذه الكلمة بقوله وفي الحديث : " لَا تَخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ " ^(٤) .

هـ (الأمثال :

إذا كان الاستشهاد بالشعر قد احتل المرتبة الثانية في شرحه ، فإن الاستشهاد بالأمثال يليه في المرتبة ، حيث حوى الشرح عدداً وافراً منها ^(٥) جاءت كشواهد

على صحة ما ذهب إليه الشَّارِح ، فنورد منها على سبيل المثال قوله : (مَنْ سَلَكَ الْجَدَّةَ أَمِنَ الْعِتَارَ) ، فنجده يستشهد بهذا المثل على قول صاحب الفصيح : (عَثَرْتُ أَعْتُرُ) بمعنى سقط لوجهه ، فهو يستشهد — هنا — على المصدر من (عشر)^(١) .

— واستشهد على الفعل المضارع ، وعلى المعنى بالمثل القائل (إِنَّ الْجَوَادَ لَا يَكَاذُ يَعْتُرُ)^(٢) .

— كما نجده يستشهد لقول صاحب الفصيح على (نَطَحَ الْكَبِشُ يَنْطَحُ) فيورد المثل التالي : (عِنْدَ النَّطَاحِ يُغَلَبُ الْكَبِشُ الْأَجْمُ)^(٣) فهو — هنا — يستشهد بهذا المثل ليبين أن مصدر : (ناطح و انتطح) : النطاح .

— ويورد المثل : (الْأَكْلُ سَرَطَانُ ، وَالْقَضَاءُ لِيَانُ) وقد أتى بهذا المثل للاستشهاد على قوله : " وَفَرَسٌ سُرَاطِي الْجَرِي وَسَرَطَانُ كَأَنَّهُ يَسْتَرِطُ الْجَرِي " ^(٤) .

والملاحظ على الشواهد — بصفة عامة — أن الشَّارِحَ قد يجمع في استشهاده ما بين الآية القرآنية ، والبيت من الشعر ، وقد جاء ذلك في أكثر من موضع في

(١) شرحه للفصيح : ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٩١ .

(٢) نفسه ٣٣ ، ولم أفل له على سند

(٣) شرحه للفصيح : ٥٧ والحديث في البخاري باب : الرصية بكتاب الله عز وجل برقم (٧٤٣٥) ورقم

(٤٧٦٣) وفي مسلم ، باب : تحسين الصوت بالقرآن ، برقم (٧٩٢) .

(٤) نفسه : ٦١ .

(٥) انظر شرحه للفصيح الصفحات ١٣ ، ١٧ ، ٢١ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٧٣ .

(١) شرحه للفصيح : ١١

(٢) نفسه : ١٠ ، ١١ .

(٣) نفسه : ١٤ .

(٤) شرحه للفصيح : ٢٠ .

شرحه (١) . وأحياناً يجمع بين الآية القرآنية والمثل (٢) ، وقد يجمع بين هذه المصادر جميعاً — القرآن والحديث والشعر والأمثال ، كما بينا سابقاً — وقد جاء مثل ذلك أيضاً في موضع آخر من شرحه (٣) .

ونخلص مما سبق إلى بيان الآتي :

- أ / التزم المرزوقي بأبواب الفصيح وفصوله ، كما هو الحال عند ثعلب .
ب / ألتزم الاختصار وعدم الإطالة في شرحه .
ج / اتضح مذهبه البصري في معالجة المسائل اللغوية والنحوية ، وقد صرح بذلك في شرحه .
د / نهج الشارح نهج الباحثين المدققين ، فهو يتقصد لآراء ويصرح بالراجح منها .
هـ / ضمن الشارح شرحه إشارات إلى ظاهرة توسع العرب في الأساليب الحقيقية والمجازية .
و / اعتنى بالمسائل التعريفية أكثر من عنايته بالمسائل الأخرى .
ز / كان في معظم شرحه للفصيح مفرداً للغة الأوضح تبعاً لثعلب .
ح / يدافع عن صاحب الفصيح ، ويرد إنكار المنكرين عليه بالدليل .
ط / عندما يخالف ثعلباً لا يُشعر القارئ بهذه المخالفة ، وإنما يسوق اعتراضه على ثعلب بأسلوب المهذب الملتزم للعدل .
ك / استشهد على فصاحة ما ذهب إليه بالقرآن الكريم والقراءات القرآنية ، والحديث الشريف ، والأشعار والأمثال .

(٥) انظر الصفحات : ١٥ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٦١ ، ٧٧ .

(٦) نفسه : ١١ .

(٧) نفسه : ١٥ .

التَّلْوِيحُ فِي شَرْحِ الْفَصِيحِ

لَأَبِي سَهْلٍ الْهَرَوِيِّ

((المتوفى سنة ٤٣٣ هـ —))

ترجمة المؤلف (١) :

هو : أبو سهل محمد بن علي النحوي ، ولد في اليوم السابع من شهر رمضان سنة ٣٧٢هـ في هراة ، وإليها ينسب . نشأ في بيت علم وأدب ؛ إذ كان أبوه من العلماء البارزين ، فتلقى على يديه بدايات تعليمه المبكر ، وبعد بلوغه سن الطلب أخذ يختلف إلى حلقات العلماء ، خاصة علماء اللغة ، فأخذ عن أبي عبيد الهروي ، وأبي أسامة الهروي .

قدم به أبوه مصر ، واستوطنها بسبب الأحوال السياسية في هراة وبلاد خراسان واستقطاب الفاطميين للعلماء وإكرامهم ، كان رحيله بين عامي (٣٩٢ — ٣٩٩ هـ) . في أثناء قدومه إلى مصر عرّج على نيسابور و شيراز و بغداد و حلب ، وهي من حواضر العلم المزدهرة في عصره ، سمع الحديث بيت المقدس ، وقد تمكن بعد وصوله إلى مصر من الالتقاء بعلمائها والأخذ عنهم ، ثم انتهت إليه رئاسة المؤذنين بجامع عمرو بن العاص ، ولعله كان يكسب قوته من هذه الوظيفة ، ومن بيع الكتب التي كان ينسخها ، وكان العلماء يتنافسون في اقتنائها ؛ لحسن خطه ، وجودة ضبطه . وكانت وفاته يوم الأحد الثالث عشر من المحرم سنة ٤٣٣هـ ، وعمره واحد وستون عاماً — تقريباً — .

أولاً / منهجه في الكتاب :

وقبل الحديث عن منهج الهروي في هذا الشرح ، أشير إلى أن له مصنفات عدة ، والذي يعنينا منها تلك المصنفات التي تناولت كتاب الفصيح ، وفي مقدمتها :

(١) — انظر ترجمته في : معجم الأدباء ٢٦٣/١٨ ، وإنباه الرواة ١٩٥/٣ ، وبغية الرعاة ١٩٠/١ ، ١٩٥ ،

والبلغة للفنوجي ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/٢١١

— إسفار الفصيح ، وهو من أشهر مؤلفاته ، وسيأتي الحديث عنه في الباب الثاني من هذا البحث .

— وله كتاب التلويح في شرح الفصيح ، وهو مدار بحثنا هنا .
— وله أيضاً تهذيب كتاب الفصيح . ولكن الذي يعيننا في هذا المقام هو كتاب التلويح في شرح الفصيح ، وبعد اختصاراً لكتاب الإسفار ، والذي أوضح الشارح فيه منهجه بقوله : " ... فاختصرتُ لهم مِنْهُ أشياء تكفيهم معرفتها ، وتنشطهم في حفظها نزارتها ، وأثبتها في هذا الكتابِ ووسمته بكتاب : (التلويح في شرح الفصيح) ^(١) ... " .

وقد رسم الهروي لنفسه منهجاً في هذا الكتاب نوجزه في الآتي :

- أ / لم يذكر شاهداً على شيء من الفصول في هذا الكتاب
ب / لم يذكر جمعاً لاسم ولا تصريفاً لفعل ، ولا مصدراً له .
ج / لم يذكر اسم فاعل ولا مفعول ، إلا ما أثبتته ثعلب في الأصل .
د / لم يبنه على شيء من الفصول التي أثبتتها ثعلب في غير أبوابها ، وأحالتها عن جهة صوابها ، كما جاء في مقدمته .
وإنما فعل الهروي هذا في منهجه طلباً للإيجاز والتخفيف ، وقد صرح بذلك في مقدمته ، وكل ذلك من أجل التنقية اللغوية .

ثانياً / معالمُ شرحه :

ويمكن إبرازها في الآتي :

(١) مقدمة التلويح .

أ/ يذكر المعاني التي لم يذكرها ثعلب ، ويقوم بتفسيرها ، فهو يأخذ عبارات ثعلب ثم يوضحها بعبارات قليلة موجزة ، كقوله على سبيل المثال : " وَقَعَ الرَّجُلُ ، إذا رضي باليسير مما قسمه الله له " (١) . وفعل ذلك في معظم مواد الكتاب .

ب/ أحياناً ينبه على أشياء مهمة لم يذكرها ثعلب ، فعند كلامه على قول ثعلب : (وَعَسَيْتُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ) قال : " أي رجوت وطمعت في فعله ، ولا يُقال منه يَفْعَلُ ولا فاعل ، ولا يقال منه : يَعْسى ولا عاس " (٢) . وقد نبه إلى هذا لكون عسى فعلاً جامداً .

ج / أحياناً يضبط الكلمة إذا كانت تحتاج إلى ضبط ، كقوله : " وَكَلَعَ الْكَلْبُ فِي الْمَاءِ يَلْغُ ، إذا أدخل لسانه فشرّب ، وهو يُوَلِّغُ ، بضم الياء وفتح اللام " (٣) ، واعتنى بمثل هذا الضبط في أكثر مواد كتابه .

د/ أحياناً ينتصر لثعلب فيما ذهب إليه ، ففي كلامه على قول ثعلب : (وَغَلَّتِ الْقِدْرُ فَهِيَ تَغْلِي) ، يذهب إلى أن الذي اختاره ثعلب هو الفصيح ، مستشهداً على فصاحة ذلك ببيت لأبي أسود الدؤلي (٤) .

(٢) التلويح : ١٧ .

(١) التلويح : ٤ .

(٢) نفسه : ٥ .

(٣) نفسه : ٦ .

ثالثاً / مَذْهَبُهُ فِي تَنْقِيَةِ اللُّغَةِ كَمَا جَاءَ فِي شَرْحِهِ لِلتَّلْوِيحِ :

سار المهروي — في جُلِّ أبواب كتابه (التلويح في شرح الفصيح) — على طريقة ثعلب في الفصيح ؛ فكان في الأغلب الأعم يقتصر على ذكر الأفصح من اللغات ، ويغفل ما سواه ؛ لذا جاء تلويحه مختصراً ، حيثُ لم يزدْ على فصيح ثعلب سوى النذر اليسير ، خلال تفسيره لبعض المعاني المتعلقة بالدلالات اللغوية . ويمكن القول بأن مذهبه في التَّنْقِيَةِ يَمَثُلُ في متابعته لثعلب في الوقوف عند اللُّغَةِ العالِيَةِ ، وإغفال ما عداها ، وقد سلك في ذلك مسلكين يتضح معهما منهجه في تنقية العربية ، هما :

أ — مَسْئَلَةُ الْاِخْتِيَارِ :

وهو الغالب على طبيعة الكتاب ، ومن أمثلة ذلك :

— اقتصاره على : ذَوَى الْعَوْدُ يَذْوِي^(١) ؛ لكونها لغة الفصاحة والعلو ، وقد سَكَتَ عَنْ (ذَوِي ، يَذْوِي) والتي حكاها جمعٌ من اللُّغَوِيِّين^(٢) .

— أفرد : (رَعَفَ يَرْعِفُ)^(٣) كما حكاها ثعلب وسَكَتَ عَنْ لُغَتَيْنِ حكاها غير واحد ، هما : (رَعَفْتُ ، وَرَعِفْتُ) بضم العين وكسرهما^(٤) .

(١) التلويح : ٣ .

(٢) حكاها : ابن السكيت في الإصحاح ١٩٠ ، وابن قتيبة في أدب الكاتب ٤٧٥ ، والسرقسطي في الأفعال ٦٠٤/٣ ، وابن القطاع في أفعاله ٣٩٨/١ ، وانظر : اللسان (ذوى) .

(٣) التلويح : ٤ .

(٤) حكاها : ابن السكيت في الإصحاح ١٨٨ ، وابن قتيبة في أدب الكاتب ٤٢٢ ، ٤٧٦ ، وابن مكّي في تنقيف اللسان ٢٦٢ ، وانظر الصحاح (رعف) .

— وقف عند لغة الفصيح (رَضِعَ المولودُ يَرْضَعُ) ^(١) وسكت عن (رَضَعَ ، يَرْضَعُ) والتي حكاهما جمعٌ من اللُّغويين ^(٢) .

— اقتصر على : (أَسْفَقْتُ الحُوَص) ، إذا نسجته ^(٣) وهي اللغة التي حكاهما صاحب الفصيح ، وسكت الشَّارح عن (سَفَقْتُ) ، بغير ألف ، وهي لغة أيضاً حكاهما جمعٌ من اللُّغويين ^(٤) .

ب — مَسَّكُ التَّصْوِيبِ :

وهو المسلك الثاني الذي نصح الشَّارح في تنقيته ، ومن أمثلة ذلك :

— يرى أن الفصيح أن يقال : لَقِيْتُهُ لَقِيَةً ، بفتح الميم ، ولِقَاةً ، بكسرها ، وأنكر أن لا يقال : لِقَاةً ، بفتح اللام ، وصرَّح بخطئها ^(٥) . وقد وافق الشَّارحُ ما حكاه جمعٌ من اللُّغويين ^(٦) .

— يقرر بأنَّ الأفصح أن يقال : تَلِكُ المرأةُ ، وتيك المرأةُ ، وينبّه إلى أنَّه لا يقال : ذيك المرأةُ ، وخطأً ذلك ^(٧) وقد وافق قوله ما حكاه جمعٌ من أئمة اللُّغة ^(٨) .

(١) التلويح ٨ .

(٢) حكاهما : أبو عبيد في الغريب المصنف ٥٨٦/٢ ، ٦٠٧ - ٦٠٨ ، وابن السكيت ٢١٣ في الإصلاح ، والسرقسطي في أفعاله ٩١/٣ . وانظر : الصحاح ، والمضباح (رضع) .

(٣) التلويح ٢٥ .

(٤) انظر : الجمهرة ١٢٥٩/٣ ، وفعلت وأفعلت للزجاج ٨٨ ، والصحاح (سفغ) .

(٥) التلويح ٩٦ .

(٦) حكاه : ابن السكيت في الإصلاح ٣١١ ، والصفدي في تصحيح التصحيح ٤٥٦ ، وانظر : الجمهرة ٢ / ٩٧٧ ، والصحاح (لقي) .

(٧) التلويح ٨٧ ، وأنظر ص : ٩٨ .

(٨) حكاه : ابن السكيت ٣٤٢ ، وابن درستويه في شرحه للفصيح ٤٦٧ ، والزمخشري في شرحه للفصيح ٦٥١ ، وابن الجوزي في تقويم اللسان ٨٦ . وانظر : الصحاح (ذا) .

رابعاً / موقفة من اللغات :

نجده في الأعم الأغلب متابعاً لصاحب الفصيح في إيراد ما ذكره من لغات ،
ويمكن إبراز موقفه من هذه اللغات في الآتي :

أ / نجده يقف عند اللغة الأولى التي اقتصر عليها ثعلب ، وقد فعل ذلك في معظم
أبواب الكتاب . وقد فصلنا الكلام في ذلك أثناء حديثنا عن مذهبه في تنقية اللغة .

ب / أحياناً يصرح بفصاحة لغة بعينها ويقدمها على غيرها من اللغات ، ففي
باب : (ما يُقالُ بلُغتين) يذكر أن بغداداً ، بدال غير معجمة ، هي اللُغة الفصحى^(١) ،
كما هو الحال عند ثعلب .

ج / أحياناً نجده موافقاً لصاحب الفصيح في ذكرِ المستوى الصَّوابي لِلُغةٍ من
حيث الفصاحة ، ففي باب : (المفتوح أوله من الأسماء) يصرِّح بأن ققولهم :
الهربُ خَدعة — بفتح الحاء وسكون الدال ، أفصحُ اللُّغات^(٢) . فالهروي — هنا
— يذهب مع ثعلب إلى أن (خَدعة) أفصح اللغات ؛ وذلك لكونها لغة
الرسول صلى الله عليه وسلم .

د/ وأحياناً يصرح بلغة أخرى سكت عنها صاحبُ الفصيح ، كقوله في باب : (من الفرق) :
" وهو الظُّفْرُ من الإنسان ، بضم الطاء والفاء ، وتسكين الفاء لغة
أيضاً " ^(٣) . وفي موضع آخر حكى : ومن ذوات الحافر والسباع والأطباء ،
والواحد : طَبِيٌّ ، بضم الطاء وسكون الباء ، ويتب إلى أن كسر الطاء أيضاً لغة^(٤) .

(١) التلويح : ٨٣ .

(٢) نفسه : ٤٦ .

(٣) نفسه : ١٠١ .

(٤) نفسه : ١٠٢ .

هـ / أحياناً يذكر لغتين تبعاً لتعلب ، فهو يذكر في باب : (فَعَلْتُ بكسر العين) :
 أَنْ بَرِئْتُ من المرض ، وَبَرَأْتُ أيضاً بالهمز لغتان^(١) . وحكى في باب :
 (فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ باختلاف المعنى) أَنْ : سَخِنَ المَاءُ وَسَخُنَ — بفتح الخاء وضمها
 — لغتان أيضاً^(٢) ، وقد حوى الكتاب أمثلة أخرى على هذا النوع نشير إليها في
 مظاهرها^(٣) .

و / وأحياناً يتابع تعلباً حاكياً ما أثبتته من لغات ففي باب (المفتوح أوله من
 الأسماء) يقول " وهو صِدَاقُ المَرَاةِ لمهرها ، وإن شئت صِدْقَةٌ ، بفتح الصاد وضم
 الدال ، وصدقة بضم الصاد وسكون الدال ، ثلاث لغات " ^(٤) .

ز/ أما ما يخص لغة العامة فقد وجدت أن الهروي قد صرح بذكر إحداها مما
 سكت عنها صاحب الفصيح ، وذلك في موضع واحد — فقط — في كتابه ،
 فحكى أن العامة تقول : كَسَفَتِ الشَّمْسُ ، وَخَسَفَ القَمَرُ ، بالكاف فيهما جميعاً ،
 إذا أنه لم يشر إلى مستواهما الصوابي^(٥) .

خامساً / عنايةً بالضبط :

اعتنى الهروي في كتابه هذا بعملية ضبط الحروف والحركات ، وقد تنوعت
 أساليب الضبط لديه ، فكانت على النحو التالي :

(١) التلويح : ٨ .

(٢) نفسه : ١٨ .

(٣) انظر نفسه : ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٥ ، ٨٨ .

(٤) التلويح : ٤٣ ، وانظر ص ٨٧ .

(٥) نفسه : ٩٩ .

أ / الضَّبْطُ بالنَّصِّ على الحَرَكَةِ : وهو الأَكْثَرُ عنده ، والغالب على كتابه ومن أمثلة ذلك نَذُرُ قوله :

— وهو يُوَلِّغُ : بضم الياء ، وفتح اللام ^(١) .

— وازرُرَ عليك قميصك : بضم الراء الأولى ، وسكون الثانية ^(٢) .

— ومثل هذا الضبط ورد كثيراً في ثنايا الكتاب ^(٣) .

ب / الضَّبْطُ بالمِيزَانِ الصَّرْفِيِّ : ومن أمثلته ، قوله :

— وَدَفِيَ الرَّجُلُ فَهُوَ دَفَّانٌ ، على مثل سَكِرَ فَهُوَ سَكْرَانٌ ^(٤) .

— وَالجِرَّةُ مَلَأَى مَاءً ، بالهمز : على وزن فَعَلَى ^(٥) .

ج / الضَّبْطُ بِالتَّنْظِيرِ : ومن أمثلته عنده ، قوله :

— وَقَدْ وَبِئَتْ ، على مثال : حَدَرَتْ ^(٦) .

— وَرَجُلٌ لَهُ رُوَاءٌ ، بالضم والهمز والمد ، على مثال : رُعَاعٌ ^(٧) .

— وَهِيَ الحِدَاءَةُ ، بالهمز ، وجمعها : حِدَاءٌ ، على مثال : عِنْبَةٌ وَعِنْبٌ ^(٨) .

(١) التلويح : ٥ .

(٢) نفسه : ١١ .

(٣) انظر الصفحات : ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٣ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٤ .

(٤) نفسه : ٢٨ .

(٥) نفسه : ٩٢ ، وانظر ٢٧ ، ٦٩ .

(٦) نفسه : ٢٩ .

(٧) نفسه : ٤٢ .

(٨) نفسه : ٥١ .

سادساً / عنايةُ بأقوالِ أئمةِ اللغةِ وعلمائها :

نقلَ الهرويُّ في تلويحه عن بعضِ أئمةِ اللغةِ وعلمائها ، فجاءَ نقلُهُ عن كُلِّ منْ :
يونس^(١) ، وأبي زيد^(٢) ، و الفراء^(٣) ، وابن الأعرابي^(٤) ، وأبي جنيفة^(٥) ،
وابن دريد^(٦) ، وأبي العباس المبرد^(٧) ، وابن دُرُسْتُوَيْه^(٨) . وهو في نقله عن
هؤلاء الأئمة يستشهد على لغة الفصاحة والعلو ، والذي تميز به مذهبه في التنقية
اللغوية . .

سابعاً / شواهدُه :

اعتمد الهروي لبيان فصاحة ما ذهب إليه من أجل التنقية على :

أ / القرآنُ الكريمُ :

خَلَّتْ صفحاتُ تلويحِ الهروي الثمان والثمانون الأولى من أي شواهدٍ قرآنية ، ثم
تأتي بعدها بندرة في صفحاتٍ متقاربة — نسبياً — في آخره، حيث لم تتجاوز في
مجموعها أربع آيات^(٩) ، كانت نصيب مؤلفه من الاستشهاد بالقرآن الكريم .

(١) التلويح ٢٨ .

(٢) نفس الصفحة .

(٣) انظر الصفحات ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٩ .

(٤) انظر الصفحات : ٢١ ، ٢٨ ، ٥٧ ، ١٠٢ .

(٥) نفسه ٩٢ .

(٦) نفسه ٦٢ .

(٧) نفسه ٩٣ .

(٨) نفسه ٨٣ .

(٩) انظر التلويح الصفحات ٨٩ ، ٩٣ ، ١٠٠ .

ب / القراءات :

وإن كان اشتشهاده بالآيات القرآنية نادراً ، وكان فيها شحيحاً ، فقد انعدمت استشهاداته بالقراءات القرآنية ، وحلا كتابه منها تماماً .

ج / الحديث الشريف :

ولم يكن نصيب الأحاديث الشريفة بأفضل من القراءات القرآنية ، حيث حلا (تلويحه) — أيضاً — منها تماماً .

د / الشَّعْرُ :

أكثرُ الهرويُّ من الشواهد الشَّعْرِيَّة — مقارنةً باستشهاده النادر بالآيات القرآنية الكريمة ، والمنعدم بالنسبة للقراءات ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والأمثال — وقد أَحْصَيْتُ منها واحداً وستين بيتاً ، جاءت مشورة بين ثنايا شرحه ؛ إمَّا لبيان فصاحة مادة لُغَة ما ، أو لتوضيح معناها الدلالي ، أو غير ذلك . وهي في مجملها تعتبر وفيرة — سواء — مقارنةً بغيرها من الشواهد الأخرى ، أو مقارنةً بحجم الكتاب ؛ إذ أن التلويح مختصرٌ عن الإسفار ، فلا غرابة من أن يخلو من بعض الشواهد الأخرى ، كما ألهنا أعلاه .

هـ / الأمثال :

وقد اقتصر على ما ذكره ثعلب في باب : (ما جرى مثلاً وكالمثل) ، فلم يستشهد بأي مثلٍ آخر .

التصريح بشرح غريب الفصيح
للتدميري

(المتوفى سنة ٥٥٥ هـ)

ترجمة المؤلف :

هو (أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله ، ت ٥٥٥ هـ) يكنى أبا جعفر ، وأبا العباس ، اشتهر بالتدميري ، لأنه أصله من (تدمير) إحدى مدن الأندلس ، ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته ، وذكر السيوطي أنه كان مُقَدِّمًا في صنعة الأعراب ، ضابطاً للغات ، حافظاً للآداب ، ذا حظ من قرض الشعر ، روى عن أبي الحجاج بن يسعون ، وابن وضاح ، وعبد الحق بن عطية ، وصنّف التوطئة في النحو ، وشرح الفصيح وشرح أبيات الجمل ، وشرح شواهد الغريب للعريزي^(١) .

أولاً / سبب تأليفه للكتاب :

أوضح التدميري ومن خلال خطبة كتابه أن السبب في تأليفه لهذا الكتاب عائد إلى أمور منها :

- أ / أهمية كتاب الفصيح ، وما حواه من مادة لغوية ، تُهدف إلى تنقية اللغة العربية .
- ب / شرح ما يراه في الفصيح بحاجة إلى الشرح والتوضيح مما أغفله ثعلب صاحب الكتاب .
- ج / خدمة اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، وصيانة للسان العربي عن الانحراف والاعوجاج .

(١) ترجمته في : إنباه الرواة ٥٤/١٥ ، وجذوة الاقتباس ٦٩ ، وبغية الوعاة ٣٢١/١ ، وإشارة التعمين ٣٢

ثانياً / منهجة في عرض المادة :

أ / التزم التدميري بشرح الغريب من معاني الفصيح وألفاظه مُضرباً عن الإطالة والإسهاب ، مُقتصراً على الإيجاز والاختصار ، وقد صرَّح بذلك قائلاً : "وعن وجوب ما قُمتُ لحُفاظه بشرح الغريب من معانيه وألفاظه على حسب ما يقتضيه الاقتصار من الإيجاز والاختصار ، وبتضمنه الإضراب عن الإطالة والإسهاب" (١) .

ب / افتتح شرحه لغريب الفصيح بمقدمة ذكر فيها سبب تأليفه لهذا الكتاب ، مبيناً فيه قيمة فصيح ثعلب وأهميته وهذه الأهمية هي التي دعت له لشرح كتاب الفصيح .

ج / أبان في منهجه بأنه سيهتم بما يراه في الفصيح بحاجة إلى الشرح ، أي تلك المواد التي لم يشرحها أحد من قبل .

د / سار على طريقة ثعلب في فصيحه ، في ترتيبه لأبواب الفصيح من غير تقديم أو تأخير .

هـ / قَسَمَ الْغَرِيبَ أَنْوَاعاً :

(١) نَوْعٌ جَاءَ مُفَسَّرًا فِي الْفَصِيحِ .

(٢) نَوْعٌ آخَرٌ أَغْفَلَ ثَعْلَبٌ شَرْحَهُ .

وهذا الأخير — الذي أغفله ثعلب — ينقسم إلى قسمين :

— قِسْمٌ وَقَعَ مُفَسَّرًا وَمَشْرُوحًا فِي رَوَايَاتِ بَعْضِ اللَّغَوِيِّينَ .

— قِسْمٌ لَمْ يُفَسَّرْ أَصْلًا فِي أَيِّ رَوَايَةٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ ، وَهَذَا الْآخِرُ هُوَ الْمَقْصُودُ عِنْدَ التَّدْمِيرِيِّ بِشَرْحِ غَرِيبِ الْفَصِيحِ .

(١) انظر مقدمة الشرح ص ٤ .

وما هو يقرر هذه الحقيقة بقوله : " إِنَّ غَرِيبَ هَذَا الْكِتَابِ يَنْقَسِمُ عَلَى ضَرِيحَيْنِ ضَرِبَ قَدْ فَسَّرَهُ الْمُؤَلِّفُ بِنَفْسِهِ فَكَتَفِينَا مِنْ ذَلِكَ مَوْوَنَهُ التَّكْلُفَ ، وَضَرِبَ قَدْ أَهْمَلَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ تَفْسِيرِهِ صَفْحاً ، وَذَلِكَ عَلَى قَسْمَيْنِ ... " (١) . ولم يُشِرْ التَّدْمِيرِيُّ فِي مَقْدَمَتِهِ إِلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَيَتَّبِعُهَا فِي شَرْحِهِ لَغَرِيبِ الْفَصِيحِ ، أَوْ كَيْفَ سَيَتَعَامَلُ مَعَ نَصِّ الْفَصِيحِ .

ثالثاً / مَعَالِمُ شَرْحِهِ :

وبدراسة هذا الشرح اتضح لنا الملامح المنهجية التي سلكها التَّدْمِيرِيُّ فِي شَرْحِ غَرِيبِ الْفَصِيحِ ، فَأَوْجَزْنَا فِي الْآتِي :

(١) الشَّرْحُ بِالْإِجَازِ :

الترجم التَّدْمِيرِيُّ بِهَذَا الشَّرْطِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ ، حَيْثُ عَرَضَ لِشَرْحِ الْفَلِظِ بِمَا يَنَاسِبُهُ مِنْ مَعْنَى ، شَرْحاً مُوجِزاً ، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ :

أ / الْاِقْتِصَارُ عَلَى ذِكْرِ الْمَعْنَى فَقَطْ ، فَهُوَ يَذْكَرُ أَنَّ مَعْنَى : (كَلَّ بَصْرِي كُلُّوْلاً) ، أَيْ ضَعُفَ عَنِ الْإِبْصَارِ وَالرُّؤْيَا ، وَيَضِيفُ : وَكَذَلِكَ السِّيفُ إِذَا نَبَا عَنِ الْقَطْعِ وَالتَّأْتِيرِ (٢) .

ب / يَذْكَرُ الْمَعْنَى وَاللُّغَةَ الثَّانِيَةَ ، فَفِي كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِ ثَعْلَبِ : (نَمَى الْمَالُ وَغَيْرُهُ يَنْمِي) يَفْسِرُهُ بِمَعْنَى : كَثُرَ وَزَادَ ، وَيُنَبِّهُ إِلَى أَنَّ الْمَالُ هُنَا قَدْ يَكُونُ الْإِبْلُ وَقَدْ يَكُونُ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَيَصْرِّحُ بِأَنَّ نَمَا يَنْمُو — أَيْضاً — لُغَةٌ (٣) .

(١) شرحه لغريب الفصيح ٤ ، ٥ .

(٢) نفسه : ٢٢ .

(٣) نفسه : ٧ .

ج / ينبه على الفروق بين المعاني ويذكر بالإضافة إلى لغة الفصح لغة ثانية كقوله :
ففي كلامه على قول صاحب الفصح (شَحْبٌ لَوْنُهُ يَشْحُبُ) ينبه إلى أنه بالضم
والفتح في المضارع ، وهو عنده بمعنى تَغَيَّرَ وقيل تَغَيَّرَ بضمور . ويصرِّح بأنَّ
شَحْبٌ يَشْحُبُ بالضم فيهما لغة (١) .

ولم يقتصر الشَّارِحُ في مجال الإيجاز على شَرْحِهِ للأفعال ، بل حتى في الأسماء
فإنه يستعرض ما فيها من لغات ، ويشرح بعض معانيها على وجه الاختصار ،
ومن أمثلة ذلك :

أ/ يذكر المعنى وأصل الاشتقاق ، كقوله : " وهو في رَحَاءٍ من العيش ، أي في
رَعْدٍ منه وسَعَةٍ ، وكأنه مأخوذ من الشيء الرَّخْوِ وهو اللَّيْنُ الرَّطْبُ " (٢) .

ب / موافقته لتعلب بما ذكره من لغات ، ثم يضيف ما فيها من لغات أخرى
أحياناً ، فهو يذكر قول ثعلب : (وهو صِدَاقُ المرأة ، وإن شئت صِدْقَةٌ وصدَقَةٌ)
ويصرِّح بأنَّ هناك من زاد لغة ثالثة هي : صِدَاقُ المرأة ، بكسر الصاد — أيضاً
— وينبه إلى أنه معروف (٣) .

ج/ ينبه على الفروق بين الأسماء ، وهذا التنبيه مهم لتحديد المعاني ، وكل ذلك
حرصاً على التنقية ، كقوله : " وهو الشَّنْفُ يعني القِرْطُ الذي يُعَلَّقُ في الأذن ،
وقيل : إنما الشَّنْفُ ما يُعَلَّقُ في أعلى الأذن ، وجمعه شُنُوفٌ ، والقِرْطُ ما يُعَلَّقُ في
أسفلها ، وجمعه أَقْرَاطٌ " (٤) .

(١) شرحه لغريب الفصح : ٢٣

(٢) نفسه : ١٩٦ .

(٣) نفسه : ١٩٦ .

(٤) نفسه : ١٩٧ .

د / يجمع — أحياناً — بين المعنى واللغة الثانية ، فهو يذكر أن فصَّ الحاتم هو : الحجرُ الذي فيه من ياقوت وغيره ، ويثبته بقوله : وهو معروف ، ويصرِّح بأن فصَّ الحاتم بالكسر — أيضا — لغة (١) .

(٢) استطراده في المسائل اللغوية :

وقد جاء هذا الاستطراد في ذكره للفعل (هَرَقَ) فيأخذُ من اهتمامِ الشارحِ الشيء الكثير ، فينْسَاقُ وراءَ تَغْيِيرِ أَصْلِ الفِعْلِ ، وما حدث فيه انسياقاً لم يسلم معه من التكرار ، فيستعرض قولاً لسيبويه ، ويأتي بالشواهد الشعرية على هذا الفعل ؛ ليستغرق منه ذلك من الصفحات ثلاث بأكملهن (٢) . والسبب في هذا الاستطراد ما وجد من خلاف بين النحاة واللغويين حول (هرق) فأراد الشارح أن يُنبِّه على ذلك .

(٣) استطراده في ذكر المسائل النحوية :

— وقد يتكرَّرُ مثلُ هذا كثيراً في تضاعيف شرحه ، فالفعل : (زَرَرْتُ) استغرق في شرحه وعرض لغاته المختلفة نحو خمس صفحات مملأها بالمباحث النحوية ، مستقصياً لحالات الرفع والنصب والجر (٣) . ويتضح اهتمامه بالتفصيلات النحوية من خلال إعرابه لشواهد الفصح إعراباً كاملاً ، كما في إعرابه لبيت مالك بن الريب المازني والذي أخذ منه صفحتين كاملتين (٤) ، وكذا فعل مع بيت القطامي ، فأخذ يعرِّبه كلمة تلو الأخرى ، فأخذ منه ست صفحات (٥) .

(١) شرحه لغريب الفصح : ١٩٧ .

(٢) نفسه : ٤٧ .

(٣) نفسه : ٥٨ - ٦٢ .

(٤) نفسه : ٧١ .

(٥) نفسه : ١٧١ - ١٧٦ .

— ويُلاحَظُ اعْتِمَادُ الشَّارِحِ فِي الْمَسَائِلِ النُّحَوِيَّةِ عَلَى سَيَّبِيهِ ؛ إِذْ تَعَدَّدَ ذِكْرَهُ لَهُ
وَلِأَقْوَالِهِ فِي مَوَاضِعٍ كَثِيرَةٍ ، بَيْنَمَا نَجِدُهُ يَكْتَفِي بِالِإِشَارَةِ إِلَى مَا سِوَاهُ ، بِقَوْلِهِ :
(وَقَوْمٌ مِنَ النُّحَوِيِّينَ) ، إِلاَّ أَنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ لِيَمْنَعَهُ مِنْ أَنْ يَسْتَعْرِضَ أَوْجُهَ الْخِلَافِ
فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ النُّحَوِيَّةِ بَيْنَ سَيَّبِيهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْبَصْرِيِّينَ ، كَقَوْلِهِ فِي
إِعْرَابِ لَفْظِ (مُحْيُوكٌ) (١) .

٤) اسْتِطْرَادُهُ فِي ذِكْرِ الْمَسَائِلِ التَّصْرِيفِيَّةِ :

إِضَافَةً لِمَا يَأْتِي بِهِ التَّدْمِيرِيُّ مِنْ مَبَاحِثٍ فِي الصِّيْغِ وَأَحْوَالِ إِعْرَابِهَا فِي شَوَاهِدِ
الْفَصِيحِ ، يَمَلَأُ تَأْلِيفَهُ بِالْمَبَاحِثِ الصَّرْفِيَّةِ ، وَذَلِكَ فِي تَتَبُعِهِ لِأَحْوَالِ الْأَفْعَالِ ، فَيَذْكَرُ
أَصُولَهَا وَيَتَّبِعُ مَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنْ إِعْلَالٍ وَإِبْدَالٍ وَإِدْغَامٍ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَا هِيَ
عَلَيْهِ ، كَمَا فَعَلَ مَعَ الْفِعْلِ (حُشٌّ) فِي قَوْلِهِ : " حُشٌّ عَلَى الصَّيْدِ " (٢) ، وَكَذَلِكَ
فِي صِيْغِ الْمَشْتَقَّاتِ كَأَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ وَالْمَفْعُولِينَ ، وَأَسْمَاءِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ ، وَاسْمِ الْمَرَّةِ ،
وَالْهَيْئَةِ ، وَقَدْ اسْتَعْرَقَ هَذَا الْإِهْتِمَامُ بِالْمَبَاحِثِ الصَّرْفِيَّةِ جَانِباً هَاماً مِنْ شَرْحِهِ عَلَى
الْفَصِيحِ ، حَتَّى كَادَ يَطْغَى عَلَى الْجَانِبِ اللَّغَوِيِّ وَالْأَدَبِيِّ بَيْنَ ثَنَائِيهِ .

٥) إِسْنَادُ الْأَقْوَالِ إِلَى الْعُلَمَاءِ :

— فِي الْكِتَابِ حَشْدٌ كَبِيرٌ لِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَشُرُوحِهِمْ ، فَطَبِيعَةُ التَّدْمِيرِيِّ فِي شَرْحِهِ
تَعْتَمِدُ عَلَى أَنْ يَسْنِدَ الْأَقْوَالَ إِلَى أَصْحَابِهَا ، زِيَادَةً فِي التَّوَثِيقِ وَالتَّأَكِيدِ ، وَكُلُّ هَذَا
مِنْ أَجْلِ تَنْقِيَةِ اللُّغَةِ ، لَذَا فَلَا غُرُوَّ أَنْ يَكْتَفِظَ مِثْلَ هَذَا الشَّرْحِ بِأَقْوَالِ لِأَثْمَةِ اللُّغَةِ
وَعُلَمَائِهَا ، فَمِنْ أَبْرَزِ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ : الْخَلِيلُ ، وَالْأَصْمَعِيُّ ، وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ،
وَالْكَسَائِيُّ ، وَالْفَرَّاءُ ، وَابْنُ السَّكِّيتِ ، وَابْنُ قُتَيْبَةَ ، وَالزَّجَّاجِيُّ ، وَابْنُ دُرُسْتُوِيَهْ ،
وغيرِهِمْ .

(١) شرحه لغريب الفصيح : ١٧١ .

(٢) نفسه : ٦٧ .

(٦) يستعرض وجهة نظر المدارس النحوية في بعض المسائل الخلافية كالتي بين مذهب البصريين ومذهب الكوفيين — إذا استدعى الأمر ذلك — ، كما في قوله : " وقال الكوفيون هذا من الشاذ ، وكان يجب أن يُقال : شائل ؛ لأنه شيء لا يكون إلا للإناث خاصة ، مثل : الحائض والطامث ، قال : وهو عند البصريين جائز حسن ؛ وذلك أنهم يجوزونه على الفعل ، فيقولون : شَالَتِ الناقَةُ تَشُولُ فهي شَائِلَةٌ " (١) .

(٧) يكتفي بذكر بعض الأقوال دون أن يحدد مصادره في ذلك ، ففي قوله : " والسَّيْلِحُون ، قرية ببغداد ، قال أبو يوسف ، والعامَّة تقول لها : (السَّالِحون) " (٢) دون أن يذكُر اسم الكتاب الذي أخذ منه ، إلا في النَّادِر ، وكقولهِ : " قال أبو محمد ابن قُتَيْبَةَ — رحمه الله — " (٣) .

وغالباً ما تكون هذه الكنية مبهمة ، كقوله : " قال أبو جعفر " ونقل عنه في موضعين (٤) . وقوله : " أنشدني القاضي أبو محمد " ونقل عنه في ثلاثة مواضع (٥) .

(٨) ذكره لأعلام بلده : وإذا كان التدميري قد أغفلَ ذِكْرَ الأندلسيين في استشهاده الشعريّة ، فإنه اعتمد أقوال علمائهم ، حيث ساقَ عدداً من أبرز

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٥١٣ .

(٢) نفسه : ٤٨٧ .

(٣) انظر الصفحات : ٣٤ ، ٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٧٧ ، ٣٠٧ ، ٣١٧ .

(٤) نفسه : ٢٣٥ ، ٢٦٤ .

(٥) نفسه : ٤٨٩ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ .

أعلامهم ، مثل : الأعلام الشنتمري^(١) ، وأبي جعفر النَّحَّاس^(٢) ، وعبد الدائم القيرواني^(٣) ، وأبي بكر الزبيدي^(٤) .

ومع هذا الإئصاف لهؤلاء العلماء الأندلسيين ، ولجهودهم اللغوية التي لا تُنكر — إذ اعتمد مؤلفاتهم ، ونقل أقوالهم — إلا أنه لم يُشر ولو نزراً يسيراً إلى مؤلفاتهم حول الفصيح — ثعلب — ، لا سيما عند من سبقوه منهم في شرحه ، كشرح مكّي بن أبي طالب ، وشرح ابن السيّد ، علماً بأنه قد نقلَ العديد من آراء الشّراح المشاركة^(٥) ، فتعرض لمؤلفاتهم ذات الصلة بالفصيح ، سواء شروحه ، أو الانتقادات التي دارت حوله ، فذكر في هذا الصدد ما قام به أبو اسحاق الرّجاج ، ونقل رده على ثعلب^(٦) ، كما ذكر — أيضاً — علياً بن حمزة البصري^(٧) ، وابن دُرستويه^(٨) ، بالإضافة إلى نقله عن الزمخشري^(٩) .

وثمة معالم أخرى أوردتها أحد الباحثين^(١٠) ومنها :

أ / دقة التّدميري في متابعتها لأبواب ثعلب ومواده .

ب / أمانته العلمية عند نقله أقوال العلماء فهو يعزو كل قول إلى صاحبه .

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٣٨٦ .

(٢) انظر الصفحات : ٨٥ ، ١٠٧ ، ٢٣٤ ، ٢٩٤ .

(٣) لم يذكره محقق الشرح ، وذكره الشارح في لوحة ٧٨ .

(٤) شرحه لغريب الفصيح : ٣٦٨ .

(٥) كالرّجاج ، وعلي بن حمزة البصري ، وابن درستويه ، والزمخشري

(٦) شرحه لغريب الفصيح : ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٧) نفسه : ٤٦١ .

(٨) انظر الصفحات : ١٥٧ ، ٢١٢ ، ٢٥١ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣٤٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٩٣ .

(٩) نفسه : ١٧ .

(١٠) ذكرها عبدالرحمن الحازمي محقق كتاب (جهود اللغويين الأندلسيين في التصويب اللغوي إلى نهاية

القرن السادس الهجري ، مع دراسة وتحقيق كتاب التصريح بشرح غريب الفصيح للتدميري) ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

ج / إلمامه بتناول جميع قضايا الفصيح ، كاللغوية ، والنحوية والصرفية والعروضية ،
تناولاً شاملاً .

د / انفراده من بين شراح الفصيح — المتوفرة شروحهم — بشرحه لأبيات الفصيح ،
وعنايته بإعرابها إعراباً تاماً ، مع تنبيهه على البحور والزحاف والعلل ، وتحديد
الشاهد ووجه الاستشهاد .

هـ / اعتمده في شرحه على من سبقه من شراح الفصيح ، فنقل عن ابن
درستويه ، وابن خالويه والزحشري ، وقد صرح بذلك قائلاً :

" حكى الزحشري في شرحه الفصيح ... " (١) .

" قال ابن درستويه ... ، وذكر ابن درستويه ... " (٢) .

" قال ابن خالويه ... ، وذكر ابن خالويه ... ، وعن ابن خالويه ... " (٣) .

و / انفراده بإيراد مواد ليست في الفصيح المطبوع بين أيدينا ، ومنها :
(حصص) (٤) ، (عنز رمي) (٥) ، (أذن فاطم ، فقل ما بي طعم) (٦) .

ز / رُدوده على بعض العلماء في كثير من المسائل اللغوية ، كَرَدّه على ابن
درستويه في أن (نشيان) من الواو ، وليس من الياء (٧) . كما خطأ قولهم :
(عرق النسأ) وأن الصواب عنده : (النَّسأ) ؛ لأنه العرقُ بعينه (٨) . وكذا رده على

(١) شرحه لغريب الفصيح : ١٧ .

(٢) انظر الصفحات : ١٥٧ ، ٢١٢ ، ٢٥١ ، ٢٩٩ ، ٣٤٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٤٩٣ .

(٣) انظر الصفحات : ٢١٠ ، ٢٢١ ، ٤١٥ .

(٤) شرحه لغريب الفصيح : ٢٣٢ .

(٥) نفسه ٣٦٢ .

(٦) نفسه ٣٩١ .

(٧) نفسه ١٥٧ .

(٨) نفسه ١٩٢ .

صاحب (العين) في تعريفه (الأوقية) بأنها زنة سبعة مثاقيل ، وزنة أربعين درهماً ، وقال : إن الصواب هو : أنها تختلف باختلاف البلدان والأزمان (١) .

ح / نقله عن ابن جني كلاماً يُرجَّحُ أنه من شرحه للفصيح ، وهذا الشرح مفقود (٢) .

رابعاً - مَهْجَةُ فِي تَنْقِيَةِ اللُّغَةِ ، وكما جاء في شرحه لغريب الفصيح :

أبو العباس التُّدْمِيرِي أحد المغاربة الذين اعتنوا بشرح الفصيح ، ويُعدُّ من أصحاب التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ ، الذين لا يتعاملون إلا بالأفصح من اللُّغات ، وقد صَنَّفَتْ منهجه في التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَفَقَّ المعالم التالية :

١ - وقوفه عند اللُّغة العالية التي أفردتها أئمة اللُّغة ، وفي مقدمتهم صاحب الفصيح نفسه ومن أمثلة ذلك :

— اقتصر على الفصيح في قوله : (وَغَدَرْتُ بِهِ أَغْدِرُ) (٣) . موافقاً لما حكاه جمع من أئمة اللُّغة (٤) .

(١) شرحه لغريب الفصيح ٢٩٢ .

(٢) انظر الصفحات ٣٣١ ، ٣٨٠ ، ٤٣٦ ، ٤٨٥ .

(٣) شرحه لغريب الفصيح : ١٩ .

(٤) انظر : إصلاح المنطق ١٩٥ ، وتصحيح الفصيح ١٣١ ، وأفعال السر قسطنطيني ١١/٢ .

— افرد اللغة العالية في قوله : (سَبَّحْتُ أَسْبَحُ)^(١) ، وهكذا اقتصر عليها معظم أئمة اللُّغة^(٢) .

— وقف على لغة الفصاحة في قوله : (وَنَفِدَ الشَّيْءُ يَنْفَدُ)^(٣) وقد اقتصر عليها جمعٌ من اللُّغويين^(٤) .

— لزومه للغة العالية الفصيحة في قوله : (قَلَبْتُ الْقَوْمَ أَقْلَبُهُمْ)^(٥) ووافق ما قاله أئمة اللُّغة^(٦) .

٢- ذكَّره لغتين ، مُقدِّماً الأَفْصَحَ ، ويتبعها باللُّغةِ التَّائِيَةِ الفصيحة ، ومن أمثلة ذلك :

— يَصْرِّحُ بِأَنَّ : نَمَى الْمَالُ وَغَيْرُهُ يَنْمَى ، هي الأَعْلَى والأَفْصَحُ ، وَيَنْبَهُ إِلَى أَنَّ : نَمَى يَنْمُو أَيْضاً لُغَةً^(٧) . وقد وافقه فيما ذهب إليه جَمْعٌ من اللُّغويين ، كالكسائي ، وابن السكيت ، وابن دُرُسْتَوِيهِ ، والسَّرْقَسْطِي^(٨) وغيرهم^(٩) .

(١) شرحه : ٢٢ .

(٢) انظر : ما تلحن فيه العامة ١٢٨ ، وأدب الكاتب ٣٩٨ ، وتصحيح الفصح ١٢٦ ، وتقويم اللسان ١١٩ ، وتصحيح التصحيف ٣٠٦ .

(٣) شرحه : ٢٨ .

(٤) انظر : ما تلحن فيه العامة ١٠٠ ، والإصلاح ٢٠٩ ، وأدب الكاتب ٣٩٨ .

(٥) شرحه لغريب الفصح : ٥٦ .

(٦) انظر : الإصلاح ٢٢٦ ، وأدب الكاتب ٣٧٤ ، وتقويم اللسان ١٥٢ ، وتقويم اللسان ١٥٢ ، وتصحيح التصحيف ١٢١ .

(٧) نفسه : ٧ .

(٨) ما تلحن فيه العامة ١٢٨ ، والإصلاح ١٢٨ ، وتصحيح الفصح ٤٠ ، وأفعال السَّرْقَسْطِي ٢٧١/٣ .

(٩) انظر : الجمهرة ٩٩٢/٢ ، والصحاح ، واللسان (نمى) .

— والأفصح عنده : غَصَصْتُ بالطعام أَغْصُ ، ويصرِّح بأنَّ غَصَصْتُ أيضاً لغة^(١) .
ووافقه جَمَعُ من أئمة اللُّغة ، منهم : ابن السكيت ، وابن قتيبة ، والسرقسطي ،
وابن القطاع^(٢) وغيرهم^(٣) .

— كما أنَّه يصرِّح بعلو وفصاحة : بُهِتَ الرَّجُلُ ، وحكى أنَّ : بُهِتَ ، بفتح الباء ،
لُغة^(٤) . قُلْتُ : الأولى هي الأفصح ، كما قرر الشارح ، وبها قرأ الجمهورُ .
وهناك من صرِّح بثلاث لُغات ، قُرِئَ بها ، وهي : (بُهِتَ — كما ذكر التدميري
— وَبُهِتَ ، وَبِهتَ)^(٥)

— وبيَّنه إلى أنَّ : أُجِنَّتْ اللَّيْلُ هي الأعلى والأفصح ، ويصرِّح بأنَّ : جِنَّة اللَّيْلِ أيضاً
لُغة^(٦) . وقد وافق ما حكاه جَمَعُ من اللُّغويين^(٧) .

— ويذكر أنَّ : الْمُنْخَلُ : الْغَرِبَالُ ، وَالْمُنْخَلُ ، بفتح الخاء ، أيضاً لُغة^(٨) . ووافقه
فيما ذهب إليه ابن السكيت ، وابن قتيبة^(٩) .

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٣٢ .

(٢) انظر : الإصحاح ٢١١ ، وأدب الكاتب ٤٢٢ ، وأفعال السرقسطي ٢٦/٢ ، وأفعال ابن
القطاع ٤٣٦/٢ .

(٣) انظر : اللسان ، والمصباح ، والقاموس (غصص) .

(٤) نفسه : ٨٠ .

(٥) انظر : المحتسب ، تحقيق علي النجدي ناصف ، وعبد الحلیم النجار ١٣٤/١ ، وأدب الكاتب ٤٠٢ ، وإعراب
القرآن لأبي جعفر النحاس ، تحقيق زهير غازي زاهد ٣٣٢/١ ، وأفعال السرقسطي ١١٧/٤ ، وأفعال ابن القطاع ١/١
٨٨ .

(٦) شرحه لغريب الفصيح : ١٢٢ .

(٧) انظر : معاني القرآن للقرءاء ٣٤١/١ ، والإصحاح ٢٩٥ ، وشرح الزمخشري ٢٣٦ ، وأفعال
السرقسطي ٢٤٤/٢ ، وأفعال ابن القطاع ١٧٧/١ .

(٨) نفسه : ٢٤٥ .

(٩) الإصحاح ١٠٣ ، وأدب الكاتب ٣٧١

وثمة أمثلة أخرى ذكرها الشارح على هذا النوع جاءت مبثوثة في ثنايا الكتاب^(١) .

٣- وأحياناً يذكر لغتين دون التمييز بينهما من حيث مستوراهما الصوابي ، ومن ذلك :

— ما نقله عن أبي عبيد من أنه يقال : **طَلَّ دَمُهُ وَدَمَهُ ، وَأُطِلَّ دَمُهُ** ^(٢) .

— وحكى **بَرَّ اللهُ حَجَّكَ ، وَأَبْرَهُ اللهُ** أيضاً لغتان^٣ .

وقد تضمن هذا النوع — بالإضافة إلى ما ذكر — إلى أمثلة أخرى جاءت في مظاهرها من الكتاب ^(٤) .

٤- ومن معاييرها في تنقية اللغة ، **وَسَمُّهُ لِقَلِيلٍ مِنَ اللُّغَاتِ بِالضَّعْفِ ، وَنَحْوِهِ** : ففي موضع — فقط — من أصل الكتاب ذكر الشارح لغة واسماً إياها بالضعف ، أو قوله : **(لُغِيَّةٌ)** ، فمن ذلك ما نقله عن ابن الأعرابي : **بَأَنَّ أَكْفَأَتُ الإِنَاءِ لُغِيَّةٌ** ^(٥) .

خامساً : مَوْقِفُهُ مِنْ ثَعْلَبٍ :

— نجد أن التدميري **يَنْتَقِدُ قَوْلَ ثَعْلَبٍ** أحياناً ، ويحتج لانتقاده بالشرح ، كقوله في شرح (**وَحَطَبٌ يَيْسٌ كَأَنَّهُ خَلْقَةٌ**) ^(٦) فيصرِّح بأن قول ثعلب : **كَأَنَّهُ خَلْقَةٌ تَحَوُّزٌ مِنْهُ ، وَيُضِيفُ : أَلَا تَرَى أَنَّهُ مِنَ الْمَحَالِّ أَنْ يَكُونَ الْحَطَبُ يَابِساً فِي خَلْقَتِهِ ؟**

(١) انظر الصفحات : ٧٠ ، ١٠٠ ، ١٢٨ ، ١٤٥ ، ٢٠٤ ، ٢٤٩ ، ٢٨٠ ، ٣٢١ ، ٤٦٣ ، ٥٢٧ .

(٢) شرحه لغريب الفصح : ١٨٠ .

(٣) نفسه : ٩١ .

(٤) نفسه : ٤٦ ، ٥٨ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١٥٩ ، ١٨٧ ، ٢٠٤ ، ٣١١ .

(٥) نفسه : ١٠٢ .

(٦) الفصح : ٣١٠ .

لأنه نباتٌ ، فلا بد أن يكون فيه أولاً رطوبةً ، ثم لا يزال يَبَسُّ قليلاً قليلاً حتى يصل إلى الغاية وهو في تلك الدرجات كلها يُسَمَّى حَطْباً^(١) .

قد يأتي برأي غيره من العلماء على سبيل الاستدلال على ما قد يكون ثعلباً أخطأ فيه ، فقد أورد رأي أبي الوليد ، في قوله : " قال أبو الوليد : والسُّمَانِي يكون واحداً ويكون جمعاً ولا يجوز أن يُقال للواحدة (سُمَانَاة) لئلا يجمع بين علامتي تانيث ، وهذا خلاف لثعلب كما ترى " (٢) .

قلت : ولكن صاحب العين ٢٧٤/٧ ، وابن عباد في البحر المحيط ٣٤٧/٨ (سمن) قد وافقا ثعلباً على أنه جمعٌ وواحدته سماناة .

سادساً : اهتمامه بتفسير المصطلحات الطبية :

انتشرت في تضاعيف تأليفه ، شروح علمية يغلب عليها الطابع الطبي ، كشرحه للفعل (فُلِجَ) ، حيث إنه ذكر أن : فُلِجَ من الفالج ، ويشخصه بأنه داءٌ يصيب الإنسان عند امتلاء بطون الدماغ من بعض الرطوبات ، فيتطل منه الحسُّ وحركات الأعضاء ، ويبقى العليل كالميت لا يعقل^(٣) .

وكذلك حينما يحدد مفهوم (النَّسَا) فيعرفه تعريفاً علمياً بحثاً ، فيذكر بأن عرق النَّسَا خطأ عند الجميع أو الأكثر ، وينبّه إلى أن النَّسَا هو العرقُ بعينه ، وهو عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعرقوب حتى ينتهي إلى الرسغ^(٤) .

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٣١١ .

(٢) نفسه : ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٣) نفسه : ٨٦ .

(٤) نفسه : ١٩٢ .

وأيضاً يستدل بما قاله الأطباء على صحة الشرح ، كتعقيبه على شرح ابن خالويه للفظ (الدُّرُوحُ) ، فيقول : " قال ابن خالويه : وهو سُومٌ مِنَ السُّمومِ ، وكذا قال : الأطباء " (١) .

— ويحكى أن الأرقان : داءٌ يصيب الإنسان فيصفر منه بياض عينه وأصله في الزرع ، وهو داءٌ ، وقيل دود يصيب الزرع (٢) .

سابعاً : عنايته بذكر أصول الألفاظ المعربة :

ويظهر اطلاع التدميري على ما دخل إلى اللغة العربية من أصول فارسية اطلاقاً واسعاً ؛ إذ لا يمرُّ به لفظٌ أو اسمٌ أو صيغةٌ إلا ذكر أصلها الفارسي وتركيبها في هذه اللغة ، فيما أن يكون التدميري مطلعاً على تلك اللغة وإما أن يكون قد اطلع على ما أُلْفَ في علوم العربية من الدَّخِيلِ والمعرَّبِ ؛ إذ يقفُ على الألفاظِ ويُشيرُ إلى أصولها ببراعة ، وينقلُ رِوَايَاتِ شيوخه في ذلك ، كقوله :

" المَهْرَقُ : الصَّحِيفَةُ ، وأصله بالفارسية : مُهْرَةٌ " (٣) .

وقال في شرح (بأجاً واحداً) : " وإنما هذه كلمة فارسية يؤتى بها على آخر أسماء الطيخ ، كما يؤتى باللون في العربية في أوائلها ، فيقولون : سِكْبَاجٌ ونَارَبَاجٌ وزَرَبَاجٌ ، فقولهم : (سِك) اسم للخيل ، وقولهم : (نار) اسم للرمان ، وقولهم : (زير) اسم للكمون ، وأما (باج) الذي في آخره ، فهو بمنزلة ياء النسب التي في أواخر الأسماء العربية ، ومعناه : اللون ... " (٤) .

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٢١٧ .

(٢) نفسه : ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٣) نفسه : ٣٣٨ .

(٤) نفسه : ٣٤١ .

ويذكر في موضع آخر أن : الأَرْتَدَجَ واليَرْتَدَجَ : ضَرَبٌ من الجلودِ السُّودِ ،
وينبئه إلى أن أصله بالفارسية : رَتْدَه (١) .

سابعاً / شَوَاهِدُهُ :

وهي تحتلُّ في الكتابِ — شرح غريب الفصيح — مكانةً بارزةً ؛ لتنوع
مُسْتَوِيَاتِهَا اللُّغَوِيَّةِ والدَّلَالِيَّةِ ، فإذا كان الاستشهاد — بالقرآن ، والحديث ،
والأمثال ، والأشعار — أمر قائم عند المؤلفين المسلمين العرب — القدامى
والمحدثين — ، وشائع في مؤلفات علوم اللُّغة العربية — قديمها وحديثها — ،
فإن الاستشهادَ في شرح أبي العباس — التدميري — لِغَرِيبِ الفَصِيحِ ، يمكن
تصنيفه كما يلي :

أ / القرآن الكريم :

فاقت الآيات التي ساقها في شرحه أربعين آية ، قام بيثها في ثنايا شرحه ،
سواء استشهداً على فصاحة لفظ أو تفسير معنى ، أو على بعض القضايا الأخرى
، وهو عددٌ كبيرٌ إذا ما قيس بِعَدَدِ الآيات التي استشهد بها ثعلب في فصيحه (٢)
؛ إذ يبلغ ما نسبته (عشرة أضعاف الشواهد القرآنية التي استشهد بها صاحب
الفصيح) . وقد ساق هذه الاستشهادات للأغراض التالية :

(١) بيان فصاحة ما ذكره ثعلب وذلك من أجل التنقية ، ومن أمثلة ذلك :

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٣٥٧ .

(٢) أربع آيات انظر الفصيح فهرس الآيات : ٣٣٠ .

— عند كلامه على قول ثعلب : (ما هذا بضربة لازب ولازم)^(١) ، يقول :
" واللازِبُ : الثابت الملتصق ، من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ
لازِبٍ ﴾^(٢) .

ويذكر أن (اللازب) هي اللغة الفصيحة مستشهداً على ما ذهب إليه بما حكاه
ابن السكيت في الإصحاح^(٣) .

— وعند كلامه على قول صاحب الفصيح : (وَبَدَتْ النَّيْدُ)^(٤) ، يستشهد
على فصاحة هذا الفعل بقوله تعالى : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾^(٥)

— وعند كلامه على قول ثعلب : (وهو حَسَنُ الْقَبُولِ) يقول : " أي التَّقْبِيلِ ،
يُقَالُ : قَبِلْتُ الشَّيْءَ قَبُولاً حَسَناً ، وَقُبُولاً حَسَناً — بفتح القاف وضمها — وهما
مصدران "^(٦) . ثم يستشهد على فصاحة هذا اللفظ بقوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا
بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾^(٧) .

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٤١٤ .

(٢) سورة المصافات آية : ١١ .

(٣) ص : ٢٨٨ .

(٤) نفسه : ٦٩ .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٨٧ .

(٦) شرحه لغريب الفصيح : ٢١٩ .

(٧) سورة آل عمران آية : ٣٧ .

(٢) التفسير لبعض المعاني الدلالية ، فمن ذلك :

— (التَّحْتَ) بمعنى القَشْرِ^(١) . ويستشهد على هذا المعنى بقوله تعالى : ﴿

أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾^(٢) .

— يحكي أن : أَسِنَ بمعنى تَغَيَّرَ^(٣) ، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فِيهَا

أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾^(٤) .

— وفي (أَقْشَعَرٌ) بمعنى (تَقَبَّضَ)^(٥) ، استشهد بقوله تعالى : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ

جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾^(٦) .

(٣) الاستشهاد على وجود المشترك اللفظي ، ومن أمثلة ذلك : كلمة (أُمَّة)
فهي تحتل المعاني الآتية :

— الحين ، كقوله تعالى ﴿ وَأَذَكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾^(٧) .

— الجماعة ، كقوله تعالى ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً ﴾^(٨) .

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٢٢ .

(٢) سورة الصافات آية : ٩٥ .

(٣) شرحه لغريب الفصيح : ٢٧ .

(٤) سورة محمد آية : ١٥ .

(٥) شرحه لغريب الفصيح : ٢٧٢ .

(٦) سورة الزمر آية : ٢٣ .

(٧) سورة يوسف آية ٤٥ .

(٨) سورة القصص آية ٢٣ .

— الرجل الجامع للخير ، كقوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾^(١) .

— الدين والملة ، كقوله تعالى ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾^(٢) .

(٤) كما استشهد ببعض الآيات القرآنية على قضايا صرفية ، كاستشهاده بكلمة

(أَيْدِي) جمعاً لـ يد في قوله تعالى ﴿ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾^(٣) .

— وكاستشهاده على مجيء اسم الفاعل بمعنى المفعول ، بـ (راضية) بقوله

تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾^(٤) بمعنى مرضية^(٥) .

(٥) استشهد ببعض الآيات على بعض المسائل النحوية ، نذكر منها :

— استشهاده على حذف (ياء النداء) في مثل (أَيُّهَا الْقَوْمُ)^(٦) بقوله تعالى :

﴿ آيَةَ الثَّقَلَانِ ﴾^(٧) ، وبقوله تعالى : ﴿ آيَةَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٨) .

(١) سورة النحل آية ١٢ .

(٢) سورة الزخرف آية ٢٢ .

(٣) شرحه لغريب الفصيح ٤٥ .

(٤) سورة الحاقة آية ٢١ .

(٥) شرحه لغريب الفصيح ١٤٦ .

(٦) نفسه : ١٧٣ .

(٧) سورة الرحمن آية ٣١٤ .

(٨) سورة النور آية ٣١ .

ب / القراءات :

استشهد فيها بأربع قراءات ، بيأها كالتالي :

(١) استشهد على إبدال (الهاء من الهمزة)^(١) بقوله تعالى في قراءة شاذة (هِيَاكَ نَعْبُدُ)^(٢) .

(٢) استشهد على مجيء (ودع بمعنى ترك)^(٣) بقوله تعالى : (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ)^(٤) .

(٣) كما يستشهد على مجيء (الأترجُ بمعنى المثلثُ)^(٥) بقوله تعالى في قراءة شاذة (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَاً)^(٦) .

ج / الحديث الشريف :

إذا كان صاحب الفصيح نفسه قد اكتفى بالاستشهاد بأربعة أحاديث (صحيحة) ، — فقط — ، فإن التدميري ، أوردَ منها حديثين ، وزادَ عليها ثمانية — أي ضعف ما استشهد به صاحب الفصيح — حيث بلغت جملة استشهاداته في شرح غريب الفصيح عشرة أحاديث^(٧) .

(١) شرحه لغريب الفصيح ٤٨

(٢) سورة الفاتحة آية ٥ .

(٣) شرحه لغريب الفصيح ٨٩

(٤) سورة الضحى آية ٣ .

(٥) شرحه لغريب الفصيح : ٢٢٢

(٦) سورة يوسف آية ٢١ .

(٧) انظر الصفحات ٤٥ ، ٦٩ ، ١٦١ ، ٢١١ ، ٢٢١ ، ٣٠١ ، ٣١٩ ، ٣٧٥ ، ٤١٧ ، ٥٠٢

والغالب في هذه الاستشهادات هو لتفسير معاني ألفاظ وردت في الشرح ،
كالرعد والبرق ^(١) ، والعرض ^(٢) ، والكرش ^(٣) ، والأمة ^(٤) ، والربيعة ^(٥) ،
وإيريك ^(٦) .

د / الأشعارُ : ويمكن تقسيمها إلى قسمين :

— نوعٌ ساقه ثعلبٌ في الفصيح ، فهو من ضمن شواهدہ .

— نوعٌ ساقه التدميري ، كاستشهادٍ اختصَّ به شرحه .

(١) شواهدُ الفصيح : وَضَعَ التدميريُّ لها منهجاً خاصاً في شرحها ، يمكن إيجاز
ملاحظه في الآتي :

أ/ الدراسة العروضية : حيث يذكرُ البحرَ ، ويحدد نوع عروضه ، واسمه ، ثم
يأتي بمثال له ، مع ذكر تفعيلاته .

ب/ يذكرُ موضعَ الشاهدِ منه ، ويقومُ بشرح اللفظ ، ثم يتقصى حالاته وأوزانه .

ج/ يذكرُ المعنى العام للبيت .

د/ يستشهدُ على ذلك .

هـ / يعرِّبُ البيتَ إعراباً كاملاً — كلمة تلو أخرى — .

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٤٥ .

(٢) نفسه : ١٦١ .

(٣) نفسه : ٢٢١ .

(٤) نفسه : ٣٠١ .

(٥) نفسه : ٣٧٥ .

(٦) نفسه : ٤١٧ .

— وقد التزم الشَّارح بهذا المنهج في شرح جُلِّ شواهد الفصيح^(١) .

(٢) شَوَاهِدُ شَرْحِ غَرِيبِ الْفَصِيحِ :

وأقصد بها النماذج الشعريّة التي اختارها التّدميري في شرحه ، ويمكن تفصيلها على النحو التالي :

أ/ أشعارٌ استدل بها كأمثلةٍ على بحور شواهدِ الفصيح .

ب/ أشعارٌ استشهد بها على معاني الألفاظ ، ويغلبُ عليها الإيجاز ؛ إذ لم يتعقبها بشرح ولم يتتبع فيها حالات الإعراب ، أو غيرها من المسائل النحوية والصرفية ؛ فجاءت مختصرة ، حيث يكتفي فيها أحياناً بقوله : (قال الشَّاعِرُ) ، كشرحه لفظة (الأبلّة) الذي ذكر من معانيها : " والأبلّةُ أيضاً قطعةٌ مِنَ التَّمْرِ " ، قال الشَّاعِرُ :

فَيَأْكُلُ مَا رُضٌّ مِنْ زَادِنَا وَيَأْتِي الْأَبْلَةَ لَمْ تُرَضِّصِ^(٢)

ج/ أشعارٌ يستشهد بها على معاني أبيات الفصيح ، فيأخذُ شاهدَ الفصيح ، وبعد أن ينتهي من شرحه يأتي بأبيات مستشهداً بها على المعنى ، كشرحه لبيت القطامي :

إِنَّا مُحْيِيكَ فَاسَلَّمْ أَهْيَا الظَّلُّ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ

(١) انظر الصفحات ٩ ، ١٢ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ١٣٦ ، ١٥١ ، ١٦٨ ،

٢٥١ ، ٣٥٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥٤ ، ٤٩٥ .

(٢) شرحه ٢٨٤ .

وقد عَقَّبَ عليه بقوله : ومعنى البيت أَنَّهُ مرَّ بالدَّيارِ الخالية ، ووقف على
الرسومِ البالية فتذكر بها عصرَ الشَّبَابِ ، وحنَّ من أجلها إلى أيامِ التَّصَابِ ، فسَلَّمَ
عليها ، ودَعَا لها بالسَّلَامَةِ ، كما قالَ ذو الرُّمَّةِ :

أَلَا فَاسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبِلَاءِ وَلَا زَالَ مِنْهَا بِجَرَ عَائِكَ الْقَطْرُ

وإنما فعل ذلك شوقاً إلى سُكَّانِهَا ، وكَنَّى بها عن أهلها وقُطَّانِهَا ، كما قال آخر :
... ، ويورد بيتين حول هذا المعنى — أيضاً — (١) .

د / هناك أبيات يستشهد بها على صيغة فِعْلٍ مِنْ الأفعال ، فيورد عدداً منها
لشعراء مختلفين ، يحتج بأقوالهم على أحوال ، وصيغ هذا الفعل ، وكيف جاء في
كلام العرب ، كما فعل في الفعل (هَرَقَ) ، حيث ذكر أربعة أبيات لأربعة من
الشعراء (٢) . وهذا يدلُّ على سعة ثقافته الأدبية — عامة — ، واهتمامه الواضح
بالمحفوظ الشعري للمادة اللغوية في صيغها النحوية المختلفة ، وقد ضمن متن
كتابه أشعاراً بلغ عدد أبياتها فيه حوالي مئتين وواحد وعشرين بيتاً ، منها تسع
وثلاثون وردت في الفصح — ثعلب — فتكون جملة استشهاداته الشعرية —
الخاصة بشرحه — مائة واثنين وثمانين بيتاً ، وقد حظيت مُقَدِّمة كتابه — فضلاً
عن ذلك — بثمانية أبيات .

— اقتصار شواهد على شعر القدامى من الشعراء ، فلم نجد فيها شيئاً من شعر
المحدثين ، وكأنَّ التدميري يوافق في ذلك ثعلباً ، إذ أن الأخير يقرر أن آخر
الشعراء الذين يصح الاستشهاد بشعرهم هو : إبراهيم بن هرمة (ت ١٧٠ هـ)

(١) شرحه لغريب الفصح : ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) نفسه : ٥٤ ، ٥٥ .

— لم يلتفت التدميري إلى الموروث الشعري الأندلسي ، ولم يستشهد في شرحه بشاعر منهم ، رغم انتمائه إليهم .

— تَحَمَّلَهُ لِعِبَاءِ التَّحْقِيقِ فِي نِسْبَةِ أَشْعَارِ شَوَاهِدِ الْفَصِيحِ لِأَصْحَابِهَا مِنَ الشُّعْرَاءِ ، حَيْثُ كَانَ يَقُومُ بِنِسْبَةِ الْبَيْتِ إِلَى قَائِلِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي نِسْبَتِهِ خِلَافٌ ، ذَكَرَهُ ، ثُمَّ بَيَّنَّ مَا فِيهِ مِنْ أَوْجِهٍ (١) .

— قام بضبط الأشعار ، وعزَّزَها برواية الأسانيد (٢) .

— والملاحظ أن التدميري — في غير شواهد الفصيح من الشعر — لم يكن يُكَلِّفُ نَفْسَهُ بِنِسْبَةِ الْآيَاتِ إِلَى قَائِلِيهَا مِنَ الشُّعْرَاءِ — فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ — ، وَلِذَلِكَ نَجَدُهُ يَعْمَدُ إِلَى عَزْوِ بَعْضِهَا ، وَيَغْضُ الطَّرْفَ عَنِ الْبَعْضِ الْآخَرِ ، وَيَكْتَفِي فِيهِ بِقَوْلِهِ : (قَالَ الشَّاعِرُ) أَوْ (قَالَ آخَرٌ) (٣) .

— أكثر الاستشهاد بشعر امرئ القيس ، فجاءت في ستة عشر موضعاً من جملة استشاداته الشعرية ، ونراه قد يأتي بأبيات له ، أكثر من مرة في الصفحة نفسها (٤) أو في موضعين متعاقبين ، كقوله في : " امرأة معطار " ، أي كثيرة التَّعْطَرِ ، أي التَّطْيِبِ ، وضدها : " امرأة متفأل " ، وهي التي لا تمس طيباً (٥) .

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٧١ ، ٧٤ .

(٢) انظر الصفحات ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٣١٩ ، ٣٤٧ .

(٣) نفسه ١٩٤ .

(٤) نفسه ١٩٣ .

(٥) نفسه ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

د / الأمثال :

وكان أسلوبه في الاستشهاد بالأمثال ، أنه بعد أن يستكمل شرح المثل الوارد عند ثعلب يورد مجموعة من الأمثال تدور في المعنى نفسه .

والمقصود من هذه الأمثال هو ما ساقه التدميري للاستشهاد على شروحه ، باستثناء ما جاء في أصل الفصح — لثعلب — في باب : (ما جرى مثلاً أو كالمثل) ، فقد يأتي بشرح الكلمة فتوحى له بالمثل ، فيسوق المثل شارحاً لمعناه ، ومبيناً فيما ضرب له ، ثم تتداعى الخواطر فيسوق المثل يلو الآخر ، كقوله في : (حرّ) : " وَحَرَّ الْمَمْلُوكُ يَحْرُ ، بفتح الحاء لا غير ، أي صار حرّاً ، ويُقال في المثل : (حرّة تحتها قرّة) ، فالحرّة : العطش ، والقرّة : البارد ، ويُضرب مثلاً للذي يصيبه العطش في اليوم البارد ، والذي يظهر خلاف ما يخفي " (١) .

— ومثل ذلك ، من المثل : " هُدْنَةُ عَلَى دَنْحَنٍ ، وجماعة على أقداء " (٢) ، ومثله : " أَعْنُ صَبُوحٍ تَرَفَّقُ " ، و " وَهُوَ يُسِرُّ حَسْوَاً فِي ارْتِقَاءٍ " (٣) .

ونخلص مما سبق إلى بيان الآتي :

أ / أوضح سبب تأليفه للكتاب .

ب / دقته في متابعته لأبواب ثعلب ومواده .

ج / نص على التزامه الاختصار والإيجاز في شرحه .

د / اهتم بشرح غريب ما جاء في الفصح ، وبالذي لم يشرح من قبل .

(١) شرحه لغريب الفصح ١٥٥ .

(٢) نفس الصفحة .

(٣) نفس الصفحة .

هـ / انفرد من بين شُرَّاح الفصيح المتوفرة شروحهم بشرحه لأبيات الفصيح ، واعتنى بإعرابها مع تنبيهه على البحور والزَّحاف والعلل ، وتحديد الشاهد ، ووجه الاستشهاد .

و / اعتمد في شرحه على من سبقه من شُرَّاح الفصيح .

ز / انفرد عن غيره من الشراح بإيراده لبعض المواد التي لا وجود لها في الفصيح .
ح / يستعرض وجهة نظر المدارس النحوية ، عندما يتعرض لذكر بعض المسائل الخلافية .

ط / عنايته بأقوال العلماء ، وإسناد تلك الأقوال لأصحابها .

ي / اعتمد أقوال بعض علماء بلده ، إلا أنه لم يشر إلى مؤلفاتهم حول الفصيح .

ك / ردوده على بعض العلماء في كثير من المسائل اللغوية .

ل / استطرد في كثير من المسائل اللغوية .

م / انتقد ثعلبياً واحتج لانتقاده بالبرهان والدليل .

ن / اهتم بتفسير بعض المصطلحات الطيبة .

س / اعتنى بذكر أصول الألفاظ المعرَّبة .

ع / استشهد على فصاحة ما ذهب إليه بالقرآن الكريم ، والقراءات ، والحديث

الشريف ، والأشعار والأمثال .

شَرْحُ الْفَصِيحِ ، لِابْنِ هِشَامِ اللَّخْمِيِّ

المتوفى سنة (٥٧٧ هـ)

تَرْجَمَةُ الْمُؤَلَّفِ :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن خلف اللخمي السبيعي ، سكن سبتة . ولم تُشَرِّ المَصادرُ إلى تاريخ ولادته ، وإنما اكتفت بالقول : كان حياً سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وتوفي سنة ٥٧٧هـ^(١) .

أولاً / سَبَبُ تَأْلِيفِهِ لِلْكِتَابِ :

بدأ ابنُ هشام اللخمي كتابه بمقدِّمةٍ قصيرةٍ ، ذكر فيها الأسباب التي دعته لتأليف شرحه هذا على فصيح ثعلب ، ويمكن إيجازها في الآتي :

أ/ أهمية كتاب الفصيح : وقد أشار إلى أهمية كتاب الفصيح ، وفائدته لأهل العلم بقوله : " وكتاب الفصيح — أعزك الله — وإن صغرت جرمته ، وقل حجمته ، ففائدته كبيرة عظيمة ، ومنفعته عند أهل العلم خطيرة جسيمة ... " ^(٢) .

ب/ شرح ما وقع في كتاب الفصيح من الألفاظ المشككة ، والمعاني المغفلة .

ج/ التنبيه على ما في الفصيح من الهفوات والسقطات .

د/ أشار إلى أن الشراح السابقين لم يشفوا غليلاً ولم يردوا غليلاً ، ولا استوفوا غرضاً ، ولا ميزوا من جوهره عرضاً ، وإنما قصروا في ذلك .

هـ / رغبته في الثواب والمغفرة من الخالق سبحانه وتعالى .

و/ شكواه من قلة الاهتمام بالأدب والعلم وأهلها .

(١) انظر ترجمته في : البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٢٠٩ ، وبغية الرعاة ٤٨ — ٤٩ ، وإشارة التعيين

في تراجم النحاة واللغويين : ٢٩٨ .

(٢) انظر مقدمة شرحه ٤٦ .

ثانياً / معالم شرحه :

وتتلخص هذه المعالم في الآتي :

أ/ أبان لنا الطريقة التي سلكها في شرحه لأبواب الفصيح بقوله : " وها أنا أبدأ بشرح أبوابه ، وذكر المهيم من معانيه وإعترابه على طريقة الإيجاز والاختصار ، ومجانبة الإكثار " (١) .

ب/ ذكر سنده في قراءة الفصيح ، كما فعل التدميري في شرحه ، ولعل هذه الطريقة شائعة عند الأندلسيين ، وأبان على أنه أحذه عن أبي بكر بن العربي ، وذكر سلسلة القراءة المنتهية بالمؤلف ثعلب (٢) .

ج/ أخذ في شرح الفصيح متابعاً لأبوابه الثلاثين ، وما فيها من مواد ، مُستفتحاً بذكر عبارة ثعلب ، وقد يُسبقها بعبارة : (وقوله) ، أو (وقول أبي العباس) ، ثم يُعقب عليها بقوله : (قال الشارح) ، أو (قال المفسر) .

د/ ومن هذه المعالم — أيضاً — عنايته بأقوال العلماء ، فقد اعتنى كغيره من شراح الفصيح بأقوال جمع غفير من أئمة اللغة للاستدلال على فصاحة ما ذهب إليه ، مقدماً اللغة الفصيحة التي ذكرها ثعلب ثم يضيف إليها ما رواه اللغويون من لغة ثانية فيها ، ومن أمثلة ذلك :

— ففي كلامه على قول صاحب الفصيح : (ذوى العودُ يذوي) ينقل عن يونس أنه حكى : ذوي ، وذوي أفلها (٣) .

(١) مقدمة شرحه : ٤٦ .

(٢) المقدمة : ٤٧ .

(٣) شرحه للفصيح : ٤٨ .

— وفي كلامه أيضاً على قول نعلب : (أَقَلْتُ الرَّجُلَ الْبَيْعَ) يحكي عن الخليل : قُلْتُهُ الْبَيْعَ^(١) .

— وفي تقديمه للفصيح (أَهْلُ الْمَلَالُ وَاسْتَهْلُ) يحكي أن الكسائي زعم أنه يُقالُ : أَهْلُ الْمَلَالُ وَأَهْلُ وَاسْتَهْلُ^(٢) .

— وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : (عَبَّيْتُ الْجَيْشَ) يصرِّح بأن أبا زيد حكى فيه الهمز ، وابن الأعرابي^(٣) .

— حكى أن الأضمعي ذكر أن الوضوء ، بضم الواو ، ليس من كلام العرب^(٤) .

— وفي كلامه على قول صاحب الفصيح (قَرَرْتُ فِي الْمَكَانِ) ، يذكر أن أبا عبيد حكى : قَرَرْتُ فِي الْمَكَانِ^(٥) .

— وبعد تقديمه لقول صاحب الفصيح : (حَرَّصَ يَحْرِصُ) يذكر أن هناك من قال : يَحْرِصُ أيضاً ، حاكياً ذلك عن الفراء^(٦) .

كما ضمن الشارح كتابه أمثلة أخرى على هذا النوع^(٧) .

(١) شرحه للفصيح : ٨٦ .

(٢) نفسه : ٧٢ .

(٣) نفسه : ٩٨ .

(٤) نفسه : ١٣١ .

(٥) نفسه : ٧٥ .

(٦) نفسه : ٥٢ .

(٧) انظر الصفحات : ٦١ ، ٩٢ ، ١٣١ .

هـ / ومن هذه المعالم كذلك نقله عن المغاربة وهم أهل بلده ، ذاكراً مصنفاتهم ، كقوله :

— " .. وأنكره الزبيدي في كتابه الموضوع بلحن العامة " (١) .

— " وحكى صاعداً في الفصوص ... " (٢) .

— " وحكى ابن سيده في المحكم : هلّ اللال " (٣) .

— " قال الأستاذ أبو محمد بن السيد : حاك قيه السيفُ صحيحٌ ... ، على ما حكى ثعلب " (٤) . وهو هنا يشير إلى كتابه (الاقتضاب) .

ثالثاً / مذهبُهُ فِي تَنْقِيَةِ اللُّغَةِ :

وقد تجلّى مذهبه في الآتي :

أ/ كان متابعاً لثعلب في معظم أبواب الفصح ، فيذكر اللُّغَةَ العالية الفصيحة ، وَيَقِفُ عندها ، ومن أمثلة ذلك قوله :

" كَلَّتْ : أَعْيَتْ " (٥) .

" نَفَدَ الشَّيْءُ " (٦) ، فهو يقف عند حد الفصاحة كما حكاها ثعلب .

(١) شرحه للفصح : ٩٥٤ وانظر : ٢٣٧ .

(٢) نفسه : ١٤٠ ، وانظر ١٤٢ .

(٣) شرحه للفصح : ٧٢ ، وانظر ٢٣٥ ، ٢٥١ ، ٢٦٧ ، ٢٩٦٨ ، ٢٩٥ .

(٤) نفسه : ٩٢ ، وانظر ١٥١ ، ٢٣٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦٥ .

(٥) نفسه : ٥٤ .

(٦) نفسه : ٦٠ .

وثمة أمثلة أخرى على هذا النوع ضمنها الشارح شرحه (١) .

ب/ ومن معاييره — أيضاً — أنه يُقدِّم في مواضع من كتابه اللُّغة الأَفصح ، التي ذكرها ثعلب ، ثم يتبعها باللُّغة الثانية ، دون الإشارة إلى مستواها الصَّوابي ، ومن أمثلة ذلك :

— يذكر لغة الفصيح (فَسَدَ الشَّيْءُ) وينبه إلى أنهم قالوا : فَسُدَّ (٢) .

— يقدم لغة الفصيح (شَحَبَ لَوْنُهُ) ، وحكى أنهم قالوا : شَحَبَ بضم الحاء (٣) .

— حكى قول ثعلب (وَنَعَشْتُ الرَّجُلَ) ، ويصرِّح بأنهم قالوا : أَنْعَشْتُ بِالْأَلْفِ (٤) .

— وفي كلامه على قول ثعلب (جَرَعْتُ الْمَاءَ) ، حكى بأنهم قالوا : جَرَعْتُهُ يفتح الراء (٥) .

— وعند تقديمه لما جاء في الفصيح (نَاوَأْتُ الرَّجُلَ) ، نبّه إلى أنهم قالوا : نَاوَيْتُ ، بغير همز (٦) .

ج/ ذكره لغتين متساويتين في الفصاحة ، ومن أمثلة ذلك قوله تعقيباً على قول ثعلب :

— حكى (نَمَا الْمَالُ يَنْمِي) ويصرِّح بأنهم قالوا في المستقبل : يَنْمُو ، ويَنْمِي ، ويذكر بأنهما لغتان فصيحتان (٧) .

(١) انظر الصفحات : ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧٩ ، ٩٠ .

(٢) نفسه : ٥٠ .

(٣) نفسه : ٥٥ .

(٤) نفسه : ٦٧ .

(٥) نفسه : ٨٥ .

(٦) نفسه : ٩٩ .

(٧) نفسه : ٤٥ .

— وذكر أنه يُقالُ : ذأى ، يذأى ، وينبّه إلى أنهما لغتان فصيحتان ، ولم يخترهما ثعلب^(١) .

د/ أحياناً يذكر لغتين : مُصرِّحاً بفصاحة إحداهما دون الأخرى :

— حكى أن يَخَصَّتْ عَيْنَ الرَّجُلِ ، بالصاد ، هي الأفصح ، وذكر أن فيه لغة أخرى هي : بَخَسَّتْ ، بالسين^(٢) .

— وفي قوله : " وبينهما بَوْنٌ بعيدٌ " يذكر أن فيها لغة أخرى هي (بَيْنٌ) بالياء ، ويصرِّح بفصاحة الأولى^(٣) .

— يذكر أن معنى : صَفَقَتُ البابَ أَغْلَقْتُهُ ، ويصرِّح بأنه يُقالُ : أَصْفَقْتُهُ ، بالألف ، وينبّه إلى أنه يستعمل بالصاد والسين ، والصاد عنده أجود^(٤) .

هـ / وقد يذكر ثلاث لغات ، ففي كلامه على قول ثعلب : (وَبَصَقَ الرَّجُلُ ..) يذكر أنه يقال : بصق وبسق وبزق ، بالصاد والسين والزاي ، وهو البُصَاق والبُسَاق والبُزَاق^(٥) . قلت وحكي أن كل حرف لغة لقبيلة من قبائل العرب^(٦) .

(١) شرحه للنصيح : ٤٨ .

(٢) نفسه : ٢٩١ .

(٣) نفسه : ٢٦٧ .

(٤) نفسه : ٢٩٢ .

(٥) نفسه : ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٦) انظر البحر المحيط ٤٥/١ .

و/ وأحياناً يذكر أربع لغات ، ففي تعقبه لكلام ثعلب : (ذَوَى العُودِ يذَوِي)
يصرِّح بأنه يقال : ذَاى يذَاى ، وينبئه إلى أنهما لغتان فصيحتان لم يغير بهما ثعلب ،
وينقل عن يونس أنه حكى ذَوِي ، وذَوِي ، ويصرح بأن الأخيرة أقلها^(١) .

ز/ ومن المعايير التي اعتمدها في التنقية ، وسمُّه بعض اللُّغات ، بالضعف ، أو
الرداءة ، أو القلَّة ، فمن ذلك :

— ينقل عن ابن دريد أنه حكى : غَلَّقْتُ البابَ ، ويسمها الشارح بالضعف^(٢) .

— وعند كلامه على قول ثعلب (وهو الأُرُزُّ) ذَكَرَ أَنْ : أُرُزُّ هي اللغة الفصيحة ،
ونبئه إلى أَنْ رُنَزَّ لغة للعامة ، ووسمها بالرداءة^(٣) . قُلْتُ : وقد حكأها جمع من
اللُّغويين^(٤) ، ونسبها ابن دُرُستويه لعبد القيس^(٥) .

رابعاً / لغات العامَّة في شرحه :

نصَّ ابنُ هشامٍ على ذِكْرِ العامَّةِ في تسعة وعشرين موضعاً في شرحه هذا ،
وهو يقصدُ بهم دائرة أوسع من الخاصة ، وقد تجلَّى موقفه من العامَّةِ في الآتي :

(١) شرحه للفصيح : ٤٨ .

(٢) نفسه : ٩٠ .

(٣) نفسه : ١٨٤ .

(٤) انظر : الإصحاح ١٣٢ ، وأدب الكاتب ٥٧٥ ، والتلويح ٧٠ .

(٥) تصحيح الفصيح ٣٨٨ .

- أ / أحياناً يصرح بتخطئة لغة العامة ، وقد جاء ذلك في مواضع نذكر منها :
- يذكر أن الذي لا يجوز ، ولم تستعمله العرب : العربون ، بفتح العين وتسكين الراء ، كما تنطق به العامة^(١) .
- وفي ذكره للزئبق ، ينبه إلى أن العامة تسميه : الزوق ، ويصرح بأن الصواب : الزاوق^(٢) .
- وفي تقديمه للغة الفصيح : وهي (الإرزبة) ، يذكر أن العامة تقول لها : مرزبة ، بتشديد الباء ، ويصرح بخطئها^(٣) .
- ب / وأحياناً يميز ما تقوله العامة ، وقد جاء ذلك في مواضع نذكر منها :
- ففي كلامه على لغة الفصيح : (الإوزة) ينبه إلى أنه قد قيل : وزّة ، كما تنطق به العامة^(٤) .
- وعند تقديمه لقول ثعلب : (شهدنا إملأك فلان) ، يصرح بأنه يُقال فيه : ملأك ، كما تقول العامة^(٥) .

(١) شرحه للفصيح ١٢٦ .

(٢) نفسه : ١٣٦ .

(٣) نفسه : ١٤١ .

(٤) نفسه : ١٤١ .

(٥) نفس الصفحة .

— وحكى : (وتقول ماءً ملحٌ) وينبّه إلى أن قول العامة : مَالِحٌ لا يُعَدُّ خطأً ، وإنما يجبُ أن يُقالُ : هي لُغة قليلة^(١) ، قلت : وقد وافقه فيما ذهب إليه جمعُ من اللُّغويين^(٢) .

ج/ ونجده أحياناً يُخرِّج لغة العام على وجه صحيح ، كقوله :

— " وهي إنْفِحةُ الجَدِّي ، ... ، والذي تقول له العامةُ : اليَنقُ " ^(٣) .

— " وهو الجِصُّ ، الذي تقول له العامةُ : الجِيسُ " ^(٤) .

خامساً / شواهد :

اعتنى الشَّارح — كغيره من شُرَّاح الفصيح الذين سبقوه — بالاستشهاد على صحة ما ذهب إليه من اللُّغات التي تضمَّنُها الفصيح ، فحوى شرحه جمعاً من الشواهد المتنوعة ، ايجازها في الآتي :

(١) الاستشهادُ بالقرآن الكريم :

استشهد الشَّارح بآياتٍ من الذُّكْر الحكيم ؛ لبيان فصاحة بعض اللُّغات ، إلا أنه لم يكن من مكثري الاستشهاد بها ، مقارنةً بغيره من الشُّراح ، ولا سيما ابن درستويه ، والمرزوقي ، والزنجشري ، جاءت موزعة بين صفحات شرحه .

وهو يستشهد بالآيات القرآنية لأغراض منها :

(١) شرحه للفصيح : ٢٧٠ .

(٢) انظر الإصلاح ٢٨٨ ، وأدب الكاتب ٤٠٤ ، وتصحيح الفصيح ٤٩٣ ، وشرح الزنجشري ٦٧٩ .

(٣) شرحه للفصيح : ١٣٩ .

(٤) نفسه : ١٣٦ .

أ / ذكر أن معنى الغي ضد الرشد ^(١) واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ ^(٢) .

ب/ حينما يذكر الاشتقاقات المختلفة لمادة من المواد التي ذكرها ثعلب نجده يستشهد عليها بالقرآن الكريم ، كقوله عندما استشهد على : (بَرَّرْتُ وَالِدِي) ^(٣) بقوله تعالى ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ ^(٤) .

ج/ وعند كلامه عند قول صاحب الفصيح (أَرْجَأْتُ الْأَمْرَ) ^(٥) يذكر اللغة الثانية ويستشهد عليها بقوله تعالى : ﴿ أَرْجِئْ وَأَخَاهُ ﴾ ^(٦) . قلت : وهذا على تسهيل الهمزة ، وهي لغة قريش .

(١) شرحه للفصيح : ٤٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥٦ .

(٣) شرحه للفصيح : ٦٢ .

(٤) سورة عبس آية ١٦ .

(٥) شرحه للفصيح : ٩٩ .

(٦) سورة الأعراف آية ١١١ .

٢) الاستشهاد بالقراءات القرآنية :

كان ابن هشام من ضمن الشراح الذين اعتنوا بالاستشهاد بالقراءات ، فضمن شرحه العديد منها ، وغالباً ما يشير إليها ، بقوله : وقُرئ^(١) ، وقد استشهد بهذه القراءات لبيان الآتي :

أ / ذكر أن الأثرجة بمعنى المتك^(٢) ، واستشهد عليها بالقراءة (واعتدت لهن متكاً^(٣) .

ب / يرى أن كل ما جمع من المضاعف على (فُعْلٌ)^(٤) يجوز فيه الضم والفتح لتقل التضعيف ، واستشهد على ذلك بالقراءة (عَلَى سُرَرٍ مُّضَوِّتَةٍ)^(٥) .

ج / وعند قوله : " ويُقال : أَرْجِيَّتُهُ ، بغير همز ، ... على قراءة ورش " ^(٦) . ثم يستشهد على ذلك بقوله تعالى : (أَرْجِحُهُ وَأَخَاهُ)^(٧) على لغة قريش ، وبها قرأ ورش .

٣) الاستشهاد بالحديث الشريف :

— ضمن ابن هشام شرحه مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة^(٨) ، التي استشهد بها على فصاحة بعض ما عرّضه من لغات ، وقد افتح شرحه بقوله :

(١) شرحه للفصيح ١٨٢ .

(٢) نفسه : ١٨٢ .

(٣) سورة يوسف ٣١ .

(٤) شرحه للفصيح : ١٥٦ .

(٥) سورة الواقعة آية ١٥ .

(٦) شرحه للفصيح ٩٩ .

(٧) سورة الأعراف آية ١١١ .

(٨) انظر شرحه للفصيح ١١٨ ، ١١٩ ، ١٨٢ ، ١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ .

وجاء في الحديث عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : (لا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً)^(١) ، وقد استشهد به على قول صاحب الفصيح : (امرأة فارك)^(٢) .

وهو يستشهد بهذا الحديث لكي يبينه إلى أن fark خاص بالإناث كما جاء في الفصيح ، ولكنه قد يستعمل للذكور أيضاً .

— وعند كلامه على قول ثعلب : (والعُودُ مَعْرُوضٌ على الإِنَاءِ) ، قال : وجاء في الحديث : (هَلَا حَمْرَتُهُ وَلَوْ بَعُودٍ تَعْرُضُهُ عَلَيْهِ)^(٣) .

٤) الاستشهاد بالأشعار :

اعتنى الشارح كغيره من شراح الفصيح بالشواهد الشعرية ، إلا أنه تميَّز بأمور منها :

— اهتمامه بنسبة الأبيات — وخاصة شواهد الفصيح — لقائلها^(٤) ، بل ويُفصِّل القول في تعريفه بالشاعر ؛ فيذكر لقبه ، ويبيِّن سبب إطلاق هذا اللقب عليه ، ثم ينتهي إلى ذكر اسمه كاملاً ، فمن أمثلة ذلك ، قوله :

— " والبيت الذي استشهد به — يعني صاحب الفصيح — يُروى للمرقش الأكبر ، وسُمِّيَ مَرَقَشاً ؛ لأنه يُزَيَّن شِعْرُهُ ، واسمه : ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ... " ^(٥)

(١) في مسلم ، باب : الوصية بالنساء برقم (١٤٩٦) .

(٢) شرحه للفصيح : ٦١ .

(٣) نفسه : ١١١ . والحديث في البخاري باب : تغطية الإناء رقم (٥٣٠١) .

(٤) نفسه : ٥٦ ، ١١٢ ، ٢١٢ .

(٥) نفسه : ٤٩ .

— وعند كلامه على قول صاحب الفصيح : (قَنَعَ قُنُوعاً) ، يقول : " والبيت الذي استشهد به للشَّمَاخ ، واسمه : مَعْقِلُ بنِ ضِرَارٍ " (١) .

— ويقول في موضع آخر ، مُعَرِّفاً باسم الشَّاعر : " والبيت الذي استشهد به ، هو لِقَعْنَبِ ابنِ أمِّ صاحب ... " (٢) .

— ومن أمانته في نسبة الأبيات لأصحابها ، ينقل ما قيل فيه من اختلاف في نسبه ، كقوله : " والبيت الذي أنشد هو لمالك بن الرِّيب ، وقيل : لجعفر بن خالد الحارثي " (٣) .

— وأحياناً نجده ينسب الأبيات الخاصة بشرحه إلى قائلها (٤) ، كقوله :

أ/ قال النابغة ، فيورد له بيتاً واحداً (٥) .

ب/ قال الطَّرَمَّاح ، فيذكر البيت (٦) .

ج/ قال امرؤ القيس ، فيذكر البيت (٧) .

د/ قال جرير ، فيستشهد بالبيت (٨) .

هـ/ قال عنترة ، فيذكر الشاهد (٩) .

(١) شرحه للفصيح : ٧٥ .

(٢) نفسه : ٥٩ .

(٣) نفسه : ٦٨ .

(٤) انظر الصفحات : ٦٤ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١٢١ ، ١٤٥ .

(٥) نفسه : ٨٣ .

(٦) نفسه : ٩٠ .

(٧) نفسه : ١٢٠ .

(٨) نفسه : ١٥٤ .

(٩) نفسه : ٢٨٨ .

— لم يقتصر الشارح على الاستشهاد بشعر الشعراء فحسب ، بل نجده يستشهد لبعض الشعراء — أيضاً — ، كقوله :

أ / قالت جارية من العرب ، فيستشهد لها بيت (١) .

ب / قالت الخنساء ، فيذكر الشاهد (٢) .

ج / قالت خرنق ، فيورد الشاهد (٣) .

— وأحياناً نجده يشارك أغلب الشراح ، في إغفالهم ذكر اسم الشاعر ؛ حيث اقتصر في بعض شواهده بقوله : قال الشاعر ، أو قال الراجز (٤) .

وتجدر الإشارة إلى الموافقة في المنهج الذي اتبعه الشراح المغاربة (التدميري ، وابن هشام اللخمي) فيما يخص العناية بشواهد الفصيح الشعرية ، من حيث نسبتها لقائلها ، والتعريف بألقاب أصحابها ، وأسمائهم .

(١) شرحه للفصيح : ١٠٢ .

(٢) نفسه : ١١٥ .

(٣) نفسه : ١٥٩ .

(٤) انظر الصفحات : ٥٦ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ١٢٨ ، ١٦٥ ، ٢٠١ ، ٢٨٠ ، ٣٩٦ .

ونخلص مما سبق إلى بيان الآتي :

- أ/ ذكر ابن هشام اللخمي ستة أسباب دعت لتأليف هذا الشرح .
ب/ ذكر سنده في قراءة الفصيح .
ج / التزم طريقة ثعلب في عرضه لأبواب الفصيح .
د / اعتنى بأقوال العلماء ، ونقل عن أهل بلده .
هـ / كان متابعاً لثعلب في ذكره للغة العالية الفصيحة والوقوف عندها .
و / يقدم اللغة الأوضح ، ثم يتبعها باللغة الثانية ، وقد يذكر لغتين متساويتين فصاحة ، وقد يُخرِّجُ لغة العامة على وجه صحيح .
ز / استشهد على فصاحة ما ذهب إليه بالقرآن الكريم والقراءات والحديث الشريف ، والأشعار .

الفصل الثالث

موازنة

بين شروح الفصح المشرقية والمغربية

في حركة التنقية اللغوية

وبعد أن تحدثنا عن دور كتاب الفصيح وأثر شروحه — المشرقية والمغربية —
في تدعيم حركة التنقية اللغوية ، رأينا من المفيد أن نعقد — في هذا الفصل —
موازنة يسيرة بين شروح الفصيح مشرقياً ومغربياً ، وفاءً بوعدنا المتقدم في
بداية هذه الدراسة .

أما الشروح المشرقية التي تضمنتها هذه الموازنة ، فتمثل في :

١— تصحيح الفصيح لابن دُرُسْتُوَيْه .

٢— شرح الفصيح لابن الجبَّان .

٣— شرح الفصيح للمرزوقي .

وأما الشروح المغربية فتمثل في الشرحين التاليين :

١— شرح غريب الفصيح للتدميري .

٢— شرح الفصيح لابن هشام اللّحمي .

وتهدف من خلال هذه الموازنة إلى معرفة أوجه الاتفاق أو الاختلاف بين هذه
الشروح ، وذلك من خلال تلك المواد المختارة من بعض أبواب الفصيح وموادها
التميزة التي تبرز ما نسعى لتحقيقه كمعيار صادق يكشف ما نصبوا إليه من
خلال نتائجها .

وتيسيراً منّا على المتبع لهذه الموازنة ونتائجها ، فقد بوبناها على صورة
جداول ، حتى يسهل المقارنة بين أوجه الاتفاق أو الاختلاف في أبواب الفصيح
وموادها التي دارت فيها أصول هذه الموازنة .

أمثلة الموازنة : ١

الشرح	باب : فَعَلْتُ ، بفتح العين (شَحَبَ لَوْنُهُ)
تصحیح ابن ذُرَّسْتَوِيهِ	<p>وأما قوله : (شَحَبَ لَوْنُهُ) ، فمعناه : تَغَيَّرَ ؛ إمَّا من سَفَرٍ ، وإمَّا من مَرَضٍ ، أو سوءِ حالٍ ، كما قال الشاعر :</p> <p>شَحَبَ الوجْهَ بِلَا فَائِدَةٍ وَذَهَابَ المَالُ مِمَّا قَدْ قُدِرَ</p> <p>وإنما ذكره ؛ لأنَّ العَامَّةَ تقولُ : شَحِبَ ، بكسر الحاء ، وهو خطأ ، وبعضهم يقول : شَحَبَ — بضم الحاء — والمستقبل بالضم على أصل الباب ، ومصدره الشُّحُوبُ ، واسم فاعله : الشَّاحِبُ .</p> <p>(ص ٥١ ، ٥٢) .</p>
شرح ابن الجبَّان	<p>وَشَحَبَ لَوْنُهُ يَشْحُبُ ، شَحْبًا وَشُحُوبًا : إِذَا تَغَيَّرَ ، من هُزَالٍ أو شَمْسٍ أو سَفَرٍ .</p> <p>(ص ١٠٤) .</p>
شرح المرزوقي	<p>(شَحَبَ لَوْنُهُ) إِذَا تَغَيَّرَ ، ومصدره الشُّحُوبُ والشُّحُوبَةُ</p> <p>(ص ١٥) .</p>
شرح التدميري	<p>وَشَحَبَ لَوْنُهُ يَشْحُبُ ، بالضم والفتح في المضارع ، أي تَغَيَّرَ ، وقيلَ : تَغَيَّرَ بضمور . وَشَحَبَ يَشْحُبُ — بالضم فيهما أيضاً — لُغَةٌ .</p> <p>(ص ٢٣)</p>
شرح اللخمي	<p>شَحَبَ لَوْنُهُ ، تَغَيَّرَ من سَفَرٍ أو مَرَضٍ أو سوءِ حالٍ . وقالوا : شَحِبَ وفي المستقبل : يَشْحُبُ وَيَشْحَبُ .</p> <p>(ص ٥٥)</p>

الموازنة :

أولاً / ابن درستويه في تصحيحه :

- بدأ شرحه لقول ثعلب بتفسيره للمعنى اللغوي .
- انفرد من بين الشراح المذكورين بالاستشهاد على فصاحة (شحب) بيت من الشعر .
- علل ذكر ثعلب للفعل (شحب) ؛ لأن العامة تقوله بالكسر ، وقد خطأه .
- ذكر لغة أخرى للعامة ، وهي : (شَحْبَ) بالضم .
- ذكر بعض المشتقات ، كالمصدر واسم الفاعل .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

- أفرد لغة ثعلب وهي اللغة الفصيحة العالية ، واقتصر عليها .
- ذكر باب الفعل ، واتفق مع ابن درستويه في ذكره للمصدر (الشُّحُوب) وزاد عليه (شَحْباً)

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

- اقتصر على اللغة الفصيحة العالية التي ذكرها ثعلب .
- اقتصر على تفسيره للمعنى اللغوي ، دون ذكر العلة .
- أضاف مصدراً آخر لم يذكره الشارحان السابقان ، وهو (الشُّحُوبَة) .

رابعاً / التدميري في شرحه :

- بدأ قوله بذكره لباب الفعل ، ثم أتبع ذلك بتفسير المعنى اللغوي .
- حكى لغتين في الماضي ، منفرداً بهذا عن الثلاثة السابقين ، وهما : (شَحْبَ ، وشَحْبَ) . فأما الأخيرة فقد نسبها ابن درستويه للعامة .

- تفرد عن سبقه بذكر لغتين في المضارع أيضاً ، هما (يَشْحَبُ ، وَيَشْحُبُ)
فأما الأخيرة فهي على أصل الباب عند ابن درستويه .
- خامساً / ابن هشام اللخمي في شرحه :
- اتفق مع ابن درستويه في تفسيره للمعنى اللغوي .
- وافق التدميري في ذكره للغات في الماضي والمستقبل .
- أغفل ذكر المشتقات ، لأنه هكذا ألزم نفسه بمقدمته ، فذكر أنه سيهتم بالمعنى .

نتيجة الموازنة :

- اتفق الشُّرَّاح جميعاً على تفسيرهم للمعنى ، وإن تفاوتوا في ذكرهم للعلة .
- اتفقوا أيضاً على تقديمهم للغة العلو والفصاحة ، كما حكاهما ثعلب ، فاقصر
عليها المشاركة ، بينما أضاف المغاربة إلى جانب لغة الفصيح لغة أخرى هي (شَحْبُ)
بضم الحاء ، وإن كان ابن درستويه ، وهو أحد المشاركة قد ذكرها ،
إلا أنه نسبها للعامَّة وسكت عن مستواها الصوابي .
- انفرد ابن درستويه عن غيره من الشُّرَّاح بالاستشهاد على فصاحة لغة الفصيح
بييت من الشعر .
- علل ابن درستويه ذكر ثعلب للفعل (شَحَبَ) ، وقد انفرد بذلك عن غيره
من الشُّرَّاح الآخرين .
- عطفاً ابن درستويه لغة العامَّة (شَحِبَ) ، كما أضاف لغة أخرى للعامَّة هي
(شَحْبُ) وسكت عن ذكر مستواها الصوابي ، بينما صرَّح كل من التدميري
وابن هشام بأنها لغة .
- انفرد ابن درستويه عن غيره من الشُّرَّاح بذكره اسم الفاعل (شاحب) .
- اتفق الشُّرَّاح الثلاثة المشاركة في ذكرهم للمصدر (الشحوب) ، بينما أغفله
الشُّرَّاح المغاربة .

— اتفق الشارحان المغربيان على ذكر لغتين في الماضي ، كما ذهبوا إلى وجود لغتين في المستقبل ، هما (يشحب ويشحب) بفتح الحاء وضمها .

أمثلة الموازنة : ٢

الشرح	باب : فَعَلْتُ ، بكسر العين (جَرَعْتُ الماءَ أَجْرَعَهُ)
تصحیح ابن دُرُسْتُوْبِه	(جَرَعْتُ الماءَ أَجْرَعَهُ) أي : بلعته ، ومنه قيل : تَجَرَّعْتُهُ ؛ إذا بَلَعْتَ منه شيئاً بعد شيء بشدة ، وقال الله عز وجل : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ ، ومنه قيل : تَجَرَّعَ الغيظُ ، وَجَرَّعْتُهُ الهمَّ ونحوه . والعامة تقول : جَرَعْتُهُ ، بفتح الماضي ، وهو عطاء . (ص ٦١)
شرح ابن الجبَّان	(وَجَرَعْتُ الماءَ أَجْرَعُهُ جَرَعًا) : إذا جعلته في أقصى فمك لِيَنْزِلَ ، فإن أنت أسعت ذلك قليلاً ، قلت : تَجَرَّعْتُهُ . (ص ١٠٨)
شرح المرزوقي	(جَرَعْتُ الماءَ) يُقَالُ فيه : اجْتَرَعَ أيضاً ، ويُقَالُ : إذا جَرَعَ بكرة قيل : اجْتَرَعَ ، وإذا تابع مرة بعد مرة ، قيل : تَجَرَّعَ . (ص ٢١)
شرح التلميري	(وَجَرَعْتُ الماءَ أَجْرَعُهُ) أي : بلعته ، وَتَجَرَّعْتُهُ : إذا بلعتُ منه شيئاً بعد شيء بشدة ، وَجَرَعْتُ أَجْرَعُ بالفتح — فيهما أيضاً — لغة . (ص ٣٢)
شرح اللخمي	(جَرَعْتُ الماءَ) شربته برغبة ، ويُقَالُ : جَرَعْتُهُ . (ص ٥٨)

الموازنة :

أولاً : ابن درستويه في تصحيحه :

— استفتح بتفسيره للمعنى اللغوي .

— فرّق بين دلالة (جَرَعٌ ، وَجَرَعٌ) ، واستشهد على ذلك بالآية الكريمة .

— ذكر المعنى المجازي للفعل .

— أضاف إلى لغة الفصح لغة ثانية ، وهي (جَرَعَتْهُ) ونسبها للعامّة وخطأها .

ثانياً : ابن الجبان في شرحه :

— أفرد لغة الفصح واقتصر عليها .

— فسر المعنى اللغوي ، مبيّناً الفرق بين (جَرَعٌ وَجَرَعٌ) موافقاً لابن درستويه في ذلك .

— انفرد عن جميع الشراح المذكورين بذكره للمصدر (جَرَعاً) .

ثالثاً : المرزوقي في شرحه :

— وافق الشارحين السابقين في التفريق بين دلالة (جَرَعٌ وَجَرَعٌ) .

— انفرد عن الشارحين السابقين بذكره لغة ثانية ، وهي : (اجْتَرَعٌ ، بمعنى

جَرَعٌ)

رابعاً : التدميري في شرحه :

— يوافق ابن درستويه وابن الجبان في نصه على التفريق بين دلالة (جَرَعٌ

وَجَرَعٌ)

— يخالف ابن درستويه فيما ذهب إليه من تخطئة لغة العامّة ، حيث ينص

التدميري على أنها لغة .

خامساً : ابن هشام اللخمي في شرحه :

- انفرد عن جميع الشراح المذكورين في تفسيره للمعنى اللغوي للفعل (جَرَع) .
- وافق التدميري فيما ذهب إليه من أن (جَرَع) بالفتح لغة ثانية .

نتيجة الموازنة :

- اتفق الشراح جميعاً على تقديمهم لغة الفصيح (جَرَع) وقد اقتصر عليها المشاركة ، بينما اتفق المغاربة على إضافة لغة أخرى (جَرَع) بفتح الراء ، مع تصريحهم بأنها لغة .
- اتفق الشراح الأربعة على التفريق بين دلالة (جَرَع و تَجَرَّع) بينما أغفل ابن هشام اللخمي ذلك .
- أضاف ابن درستويه إلى لغة الفصيح لغة ثانية (جَرَع) بفتح الراء ونسبها للعامة ، ووسمها بالخطأ .
- انفرد ابن الجبان عن غيره من الشراح بذكره للمصدر (جَرَعًا) .
- كما انفرد المرزوقي أيضاً عن بقية الشراح بذكره لغة ثانية (اجترع) بمعنى (جَرَع)
- كما انفرد ابن هشام اللخمي عن بقية الشراح الآخرين بتفسيره للمعنى اللغوي تفسيراً مغايراً عما ذكره أولئك الشراح .

الشرح	باب : (فَعَلْتُ بِغَيْرِ أَلْفٍ) رَعَدَ وَأَرَعَدَ
<p>تصحیح ابن ذرستویه</p>	<p>وأما قوله : (رعدت السماء) من الرعد ، و (برقت) من البرق وكذلك قوله : (رعد الرجل وبرق) إذا أوعد وتهدد ، قال : وقد يقال : أَرَعَدَ وَأَبْرَقَ فَإِنَّ مَعْنَى الرعد معروف ؛ وهو صوت الريح في السحاب ، سمي بذلك لما فيه من الرَّعْدَةِ . ومعنى البرق : الضوء اللامع ومنه قوله : بَرَّقَ عَيْنَهُ ، إذا فتحتها جداً ولمعها ، ومنه سمي البراق الذي تبركبه الأنبياء صلوات الله عليهم ، وكذلك كل شيء كان منه صوت شديد مرتعد ، يقال منه : رعد وترعد ولذلك سميت السحابة : راعدة وبارقة ، فإن أردت أن شيئاً قد أظهر صوت الرعد أو بريق البرق أو غيره ، فحقه وقياسه أن يقال : أَرَعَدَ وَأَبْرَقَ بِأَلْفٍ ، كما يقال : سقى وأسقى ، بمعنيين مختلفين .</p> <p>ولا يكون معنى رعد وأرعد واحداً ، ولا معنى برق وأبرق واحداً إلا أن يكون ذلك في لغتين متباينتين ، ولذلك قال الكميت :</p> <p>أَرَعَدُ وَأَبْرُقُ يَا زَيْدُ — دُفَمَا وَعَيْدُكَ لِي بِضَائِرٍ</p> <p>(ص ٧٠)</p>
<p>شرح ابن الجبان</p>	<p>وَرَعَدَتِ السَّمَاءُ تَرَعُدُ رَعْدًا : إذا سمعت صوتاً من دوي السحاب والريح فيه أو من اصطكاك بعضه ببعض . وَرَعَدَ الرَّجُلُ إِذَا تَهَدَّدَ وَخَوَّفَ ، وهو مستعار من رَعَدِ السحاب ؛ لأنه مخوف هائل ، وكذلك بَرَّقَ الرَّجُلُ مستعار من بَرَّقِ السحاب ، وقد يُقالُ : أَرَعَدَ وَأَبْرَقَ ، والاختيار هو الأول .</p> <p>(ص ١١٥ ، ١١٦)</p>

<p>شرح المرزوقي</p>	<p>رَعَدَ الرَّجُلُ وَبَرَقَ : أَوْعَدَ وَتَهَدَّدَ ، وَقَدْ يُقَالُ أَيْضًا : أَرَعَدَ وَ أَبْرَقَ ، وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَمْتَنِعُ فِيهِ مِنْ أَرَعَدَ وَأَبْرَقَ ، وَلَا يَعُدُّ قَوْلَ الْكَمَيْتِ حُجَّةً فِي قَوْلِهِ :</p> <p>أَرَعِدْ وَأَبْرُقْ يَا زَيْدَ — دُ فَمَا وَعَيْدُكَ لِي بِضَائِرٍ وَإِنَّمَا يَجْتَنِجُ بِقَوْلِ ابْنِ أَحْمَرَ : فَأَبْرُقُ بِأَرْضِكَ مَا بَدَا لَكَ وَأَرَعِدُ . وَقَدْ رَوَى فِي رَعَدَاتِ السَّمَاءِ وَبَرَقَاتِ : أَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ أَيْضًا ، وَالْمَصْدَرُ : الرَّعْدُ ، وَالرُّعُودُ ، وَالرَّعْدَةُ وَالْبُرُقُ وَالْبُرُوقُ ، وَيُقَالُ لِلْمَرْأَةِ إِذَا تَزَيَّنَتْ وَهَيَّأَتْ : أَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ؛ وَأَبْرَقَ بِالسَّيْفِ : لَمَعَ بِهِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : " رَبِّ صَلِّفْ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ " أَي قَلَّةِ خَيْرٍ مِنْ مُتَكَبِّرٍ وَمُدَّعٍ ، وَأَرَعَدْنَا وَأَبْرَقْنَا أَي : سَمِعْنَا الرَّعْدَ وَرَأَيْنَا الْبُرُقَ .</p> <p>(ص ٢٩ ، ٣٠)</p>
<p>شرح التدميري</p>	<p>"وَرَعَدَاتِ السَّمَاءِ مِنَ الرَّعْدِ " أَي : سَمِعَ مِنْهَا صَوْتَ الرَّعْدِ ، وَالرَّعْدُ فِيمَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : اسْمٌ مَلَكَ يَزْجُرُ السَّحَابَ بِصَوْتٍ مِنْ نَارٍ ، وَجَاءَ فِي الْخَيْرِ : عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَنْشِئُ السَّحَابَ فَتَنْطِقُ أَحْسَنَ الْمَنْطِقِ وَتَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ ؛ فَمَنْطِقُهَا الرَّعْدُ ، وَضَحْكُهَا الْبُرُقُ " وَقَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ : الرَّعْدُ صَوْتُ السَّحَابِ وَالْبُرُقُ نُورٌ وَضِيَاءٌ يَصْحَبَانِ السَّحَابَ . وَرَعَدَ الرَّجُلُ وَبَرَقَ إِذَا أَوْعَدَ وَتَهَدَّدَ ، فَأَوْعَدَ ؛ مَاخُودٌ مِنَ الْوَعِيدِ ؛ وَهُوَ مِثْلُ التَّهْدِيدِ ، وَيُقَالُ أَيْضًا : أَرَعَدَ وَأَبْرَقَ ، وَأَنْشَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ لِلْكَمَيْتِ بِنِ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ :</p> <p>أَرَعِدْ وَأَبْرُقْ يَا زَيْدَ — دُ فَمَا وَعَيْدُكَ لِي بِضَائِرٍ وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَنْكُرُ هَذِهِ اللَّغَةَ وَيَقُولُ : لَيْسَ الْكَمَيْتُ بِحُجَّةٍ ،</p>

	<p>وينشد قول المتلمس :</p> <p>فَإِذَا حَلَلْتُ وَدُونَ بَيْتِي غَاوَةٌ فَابْرِقْ بِأَرْضِكَ مَا بَدَا لَكَ وَأَرْعُدِ (ص ٤٥)</p>
<p>شرح اللخمي</p>	<p>رَعَدَتِ السَّمَاءُ مِنَ الرَّعْدِ ، وهو مَلَكٌ يَزْجُرُ السَّحَابَ . وَبَرَقَتْ مِنَ الْبَرْقِ ، وَالْبَرْقُ : مَخَارِقُ مِنْ نَارٍ مَعَ مَلَكٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ ، وَيُقَالُ أَيْضاً : أَرْعَدَ الْقَوْمُ وَأَبْرَقُوا وَأَغِيمُوا إِذَا أَصَابَهُمْ غَيْمٌ وَرَعَدَ وَبَرَقَ . " وَرَعَدَ الرَّجُلُ وَبَرَقَ " : إِذَا أَرْعَدَ وَتَمَدَّدَ ، قَالَ الْمُتَلَمِّسُ يَخَاطِبُ عَمْرُو بْنَ هِنْدَ :</p> <p>فَإِذَا حَلَلْتُ وَدُونَ بَيْتِي غَاوَةٌ فَابْرِقْ بِأَرْضِكَ مَا بَدَا لَكَ وَأَرْعُدِ وقد يقال : أَرْعَدَ وَأَبْرَقَ ، وَعَلَيْهِ أُدْخِلَ الْكَمِيَّتُ قَوْلَهُ :</p> <p>أَرْعُدْ وَأَبْرِقْ يَا زَيْدُ — سُدُّ فَمَا وَعَيْدُكَ لِي بِضَائِرِ والكميت عند الأصمعي ليس بحجة ؛ لأنه مولد . (ص ٦٣ ، ٦٤)</p>

الموازنة :

أولاً : ابن درستويه في تصحيحه :

— فسر معنى الرعد بأنه صوت الريح في السحاب ، وعلل ذلك لما فيه من

الرعدة ، كما فسر معنى البرق بالضوء اللامع .

— ذكر المعاني المجازية في قولهم : رعد الرجل وبرق .

— ذكر المشتقات لهذا الفعل : (بَرَقَ ، بَرَقًا ، تَبْرَقًا ، الْبَرَاقُ ، بَارِقَةٌ) .

— ينفي أن يكون (رعد وأرعد) بمعنى واحد ؛ وإنما جعلهما لغتين مختلفتين .

— استشهد بييت الكميت على التفرقة بين معنى (رعد وأرعد) .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

— اتفق مع ابن درستويه في تفسيره للمعنى اللغوي ، وكذلك ذكره للمعاني
المجازية .

— خالف ابن درستويه ، حيث يرى أن (رعد وأرعد) بمعنى واحد .

— يفصح (رعد) التي على (فعل) ، ويقدمها على (أرعد) والتي على أفعل
بالألف .

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

— بدأ بتفسيره للمعنى اللغوي .

— ذكر المشتقات (كالرَّعْدِ ، والرُّعُودِ ، والرَّعْدَةُ ، والبرقُ ، والبروق) .

— يذكر المعاني المجازية للفعل .

— ينبه من أنه قد يأتي (رعد ، وأرعد) بمعنى واحد ، ذاكراً مذهب الأصمعي
في ذلك .

رابعاً / التدميري في شرحه :

— يفسر المعنى اللغوي للرعد ، ويريد في إيضاح ذلك بما قاله أهل اللغة .

— ينص على أن (رعد وأرعد) بمعنى واحد ، مخالفاً بذلك ابن درستويه .

— يذكر شاهد الفصح ، وهو بيت الكميت للدلالة على أن (رعد وأرعد) بمعنى
واحد .

خامساً / ابن الجبان في شرحه :

— يوافق التدميري في تفسيره للمعنى اللغوي .

— يوافق ابن الجبان والمرزوقي من أنه قد يقال : (أرعد وأبرق) بمعنى (رعد

ويرق) مخالفاً في ذلك ابن درستويه .

نتيجة الموازنة :

— بدأ الشراح بتفسيرهم للمعنى اللغوي ، واتفق ابن الجبان مع ابن درستويه في تفسيرهما لذلك المعنى ، بينما جاء تفصير المرزوقي موجزاً غير ملتزم بما ذهب إليه الشارحان السابقان ، وجاء تفسير المغاربة متفقاً مع بعضهم البعض .

— ذكر الشراح المعاني المجازية بالإضافة إلى ذكرهم بعض المشتقات ، وقد تفاوتوا في ذلك .

— اتفق الشراح الأربعة على أنه يقال : رعد وأرعد ، ومثلها : برق وأبرق ، وقد خالفوا ابن درستويه في ذلك حيث أن الأخير أنكر أن يكون (رعد وأرعد) بمعنى واحد ، وإنما جعلهما لغتين مختلفتين .

الشرح	تابع للباب السابق (نَعَشْتُ الرَّجُلَ وَأَنْعَشْتُهُ)
تصحيح ابن ذُرِّسْتَوِيهِ	<p>وأما قوله : (نَعَشْتُهُ ، فَأَنَا أَنْعَشْتُهُ) فمعناه : رفعته من صرعته ، وذلك إذا صُرِعَ ببدنه فوقع على الأرض ، أو سقط جاهه ، أو ظلمه ظالم فنصرته ، أو عثر فأخذت بيده أو زل في كلامه فأعنته أو آسبته ، ففي كل ذلك قد نَعَشْتُهُ أي: رفعته ، وأنت نَاعَشْتُهُ ، وهو مَنَعُوشٌ نَعَشًا . و مستقبل فعله : أَنْعَشْتُهُ ، بفتح حرف المضارعة ، وكل ذلك دليل على أن نَعَشْتُهُ بغير ألف . والعامية تقوله بالألف أَنْعَشْتُهُ ، وهو خطأ . ومنه قول الشاعر:</p> <p>إذا ما نَعَشْنَاهُ عَلَى الرَّجْلِ يَنْشِيْ مُسَالِيَهُ عَنْهُ مِنْ وَرَاءِ وَمَقْدَمِ ولهذا سُمِّي سرير الميت : نَعُشًا ؛ لأنه يرفع عليه .</p> <p>(ص ٨٣)</p>
شرح ابن الجبَّان	<p>وَنَعَشْتُ الرَّجُلَ : إذا رفعته ، أَنْعَشْتُهُ نَعَشًا ، وَنَعَشُ الْجِنَازَةِ من ذلك ؛ لأن الميت يرتفعُ به .</p> <p>(ص ١٩)</p>
شرح المرزوقي	<p>نَعَشْتُ الرَّجُلَ نَعَشًا : سددت فقره ، ويقال : اننَعَشُ نَعَشَكَ اللهُ ، أصله : الرفع ، ومنه : نَعَشُ الْجِنَازَةِ ، وَنَعَشْتُهُ : حملته على النَّعْشِ .</p> <p>(ص ٣٤)</p>
شرح التدميري	<p>وَنَعَشْتُ الرَّجُلَ أَنْعَشْتُهُ أَي: أخذت بيده ورفعته ، وهو كناية عن الإحسان إليه ، و منه سُمِّي النَّعْشُ نَعَشًا ؛ لأنه يرفع بالأيدي . وَأَنْعَشْتُهُ — أيضاً — لغة عن الكسائي ، وقال الأصمعي: لا يُقَالُ ذَلِكَ .</p> <p>(ص ٧٠)</p>

شرح اللخمي	نَعَشْتُ الرَّجُلَ : رفعته من صرعته، وقالوا: أُنْعَشْتُ . ص (٦٧)
------------	---

الموازنة :

أولاً / ابن درستويه في تصحيحه :

- يبدأ في تفسيره للمعنى اللغوي ، ثم يتبعه بذكر المعنى المجازي .
- ينص على ذكره لباب الفعل .
- يجعل وزن (أفعل) من المادة من كلام العامة ، وليس من اللغة في شيء ، ثم يوضح ذلك بالأمثلة .
- يستشهد على فصاحة لغة الفصيح العالية بيت من الشعر .
- يذكر المشتقات (كاسم الفاعل ، واسم المفعول ، والمصدر) .
- يؤكد المعنى بتعليقه لتسمية سرير الميت (نَعَشًا) ؛ لأنه يرفع عليه .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

- يوافق ابن درستويه في إفراده لغة الفصيح ، ويقف عليها ، يوافقه أيضاً في ذكره لباب الفعل ، وكذلك المصدر (نَعَشًا)
- كما يوافقه في تفسيره للمعنى اللغوي — أيضاً .

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

- بدأ بتفسيره للمعنى اللغوي ، مخالفاً لتفسيره هذا الشارحين السابقين .
- لم ينص على باب الفعل .
- أضاف قولاً من عنده لم يذكره الشارحان .
- يتفق مع الشارحين السابقين في الوقوف على لغة الفصيح وإفرادها .
- يتفق مع الشارحين السابقين في ذكره للمصدر (نَعَشًا) .

— ثم عاد وذكر أصل المعنى وهو الرفع .

رابعاً / التدميري في شرحه :

— بدأ بتفسيره للمعنى الحقيقي ، ثم أضاف معناً مجازياً ، ويؤكد هذا المعنى بتعليقه لتسمية سرير الميت (نَعْشاً) ؛ لأنه يرفع بالأيدي ، متفقاً بذلك مع الثلاثة السابقين

— يذكر بالإضافة إلى لغة الفصيح أن (أنعش) بالألف لغة عن الكسائي ، وإن كان الأصمعي ينكرها .

خامساً / ابن هشام اللخمي في شرحه :

— اقتصر على المعنى اللغوي ، ولم يذكر باب الفعل .

— اقتصر على كلام صاحب الفصيح .

— قدم لغة الفصاحة (نعش) مع نصحته على أن (أنعش) بالألف لغة أخرى ، فهو موافق للتدميري في ذكره هاتين اللغتين .

نتيجة الموازنة :

— اتفق ابن الجبان مع ابن درستويه في تفسيرهما للمعنى اللغوي ، وجاء تفسير المرزوقي مغايراً لما ذكره الشارحان ، بينما اتفقا المغربيان في تفسيرهما لذلك المعنى .

— أفرد الشراح المشاركة لغة الفصيح ووقفوا عليها ، بينما أضاف المغاربة إلى جانب لغة الفصيح لغة أخرى هي (أنعشه) بالألف ، والتي خطأها ابن درستويه ونسبها للعامّة ، أمّا التدميري فحكّاها عن الكسائي ، وإن كان الأصمعي قد أنكرها .

— انفرد ابن درستويه عن الشراح الآخرين في ذكره لبعض المشتقات ، كاسم الفاعل والمفعول والمصدر .

— اتفق المشارقة على ذكرهم للمصدر (نَعْشاً) ، بينما أغفله المغاربة .

الشرح	باب : فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ باختلاف المعنى ، (قَنِعَ وَقَنِعَ)
<p>تصحيح ابن دُرُستويه</p>	<p>و أما قوله (قَنِعَ الرَّجُلُ قَنَاعَةً) ، بكسر النون في الماضي فمعناه رَضِيَ بحظه ، وصبر على ضُرِّه . واسم فاعله : قَنِعَ بكسر النون بغير ألف ، وقَنُوعَ على فَعُولٍ في المبالغة . وأما قوله : قَنِعَ ، بفتح النون قُنُوعاً فمعناه سأل وتعرض و طلب . واسم فاعله : قانع ومنه قول الله — عز وجل — { فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ } والمستقبل منهما جميعاً : يَقْنَعُ بفتح النون ؛ فالأول يجري مستقبلة على ماضيه — على الأصل — . والثاني يُقْنَعُ مستقبلة — لحرف الخلق — وأصله غير ذلك . ومصدر الثاني : القُنُوع ، على فَعُولٍ كما قال الشَّماخ :</p> <p>لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُقْنِعِي مَفَاقِرَهُ أَعْفُ مِنْ الْقُنُوعِ</p> <p>(ص ١١٤ ، ١١٥)</p>
<p>شرح ابن الجبَّان</p>	<p>وقد قَنِعَ الرَّجُلُ إذا رَضِيَ باليسير ، يَقْنَعُ (قَنَاعَةً) ، فأما قَنِعَ — بفتح النون — قُنُوعاً فمعناه سأل ، والنون مفتوحة في المضارع منهما جميعاً ، تقول : يَقْنَعُ .</p> <p>(ص ١٢٩)</p>
<p>شرح المرزوقي</p>	<p>وقَنِعَ الرَّجُلُ إذا رَضِيَ قَنَاعَةً فهو قَنِعٌ ، وقد حُكِيَ فيه القُنُوعُ ولم يكثُر ، و يقال : في هذا مَقْنَعٌ ، ورجلٌ مَقْنَعٌ : إذا كان في موضع الرضا ، قال :</p> <p>شُهُودِي عَلَى لَيْلِي شُهُودٌ مَقَانِعُ</p> <p>ورجلٌ قُنُوعٌ : إذا كان دأبه القَنَاعَةُ ، وهو قُنَعَانٌ أي : شديد القَنَاعَةِ والرضا ، و "قَنِعَ" سأل ، مصدره القُنُوعُ ، واسم الفاعل منه القَانِعُ ، وفي القرآن الكريم : { وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ } .</p> <p>(ص ٥٠)</p>

شرح التدميري	لم يتعرض التدميري للحديث عن هذه المادة .
شرح اللخمي	<p>قَنَّعَ الرَّجُلُ إِذَا رَضِيَ قَنَاعَةً . وَقَنَّعَ قُنُوعًا إِذَا سَأَلَ . قَالَ الشَّارِحُ : وَقَدْ قِيلَ : الْقُنُوعُ فِي الرِّضَى ، وَالْبَيْتَ الَّذِي اسْتَشْهَدَ بِهِ لِلشَّمَاخِ ، وَاسْمُهُ مَعْقَلُ بْنُ ضَرَّارٍ ، وَبَعْدَهُ :</p> <p>يَسُدُّ بِهِ نَوَائِبَ تَعْتَرِيهِ عَلَى الْإَيَّامِ كَالْتَهْلِيلِ الشُّرُوعِ</p> <p>وَقَوْلُهُ : يَقَنَّعُ فِيهِمَا جَمِيعًا إِنَّمَا فُتِحَتِ الْعَيْنُ فِي مَسْتَقْبَلِ قَنَّعَ إِذَا سَأَلَ ؛ لِأَجْلِ حَرْفِ الْخَلْقِ .</p> <p>(ص ٧٥ ، ٧٦)</p>

الموازنة :

أولاً / ابن درستويه في تصحيحه :

— ضبط عين الفعل ، ثم ذكر المعنى اللغوي .

— ذكر المشتقات (اسم الفاعل ، والمصدر ، وصيغة المبالغة) .

— نص على أن الفعل الآخر (قَنَّعَ) مفتوح النون ، ثم أعقب ذلك بذكر المعنى والمشتقات لهذا الفعل (كالمصدر واسم الفاعل) ، واستشهد على الآخر بالآية الكريمة .

— ذكر باب الفعل في المكسور والمفتوح ، أي في القياسي وغيره .

— ذكر مصدر الفعل الثلاثي (القُنُوع) مستشهداً على ذلك بما جاء في الفصح .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

— بدأ بتفسيره للمعنى اللغوي للفعل الأول .

— ذكر باب الفعل والمصدر ، فيما يتعلق بالفعل الأول .

— ضبط الفعل الثاني بالنص على فتح عينه ، وذكر المعنى والمصدر لهذا الفعل .

— نص على فتح التون في مضار الفعلين .

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

— ذكر المعنى للفعل الأول ، وتبعه بذكره للمشتقات (كالمصدر واسم الفاعل) .

— أضاف مصدراً آخر ، وهو (القنوع) ونبه على قلته .

— انفرد عن الشراح المذكورين بإضافته لاشتقاقات واستعمالات جديدة على

الفعل الأول ، واستشهد على ذلك بشطر من الشعر .

— ذكر معنى الفعل الثاني ، ومصدره واسم فاعله ، واستشهد على الأخير بالآية

الكريم موافقاً بذلك لابن درستويه .

رابعاً / التدميري في شرحه :

لم يتعرض للحديث عن هذه المادة .

خامساً / ابن هشام اللخمي في شرحه :

— بدأ بتفسيره للمعنى اللغوي للفعلين جميعاً ، وتبع ذلك بذكر مصدريهما .

— نص على المصدر الذي أضافه ابن درستويه والمرزوقي (القنوع) .

— ذكر العلة في فتح العين في المضارع من الفعل الثاني .

— اتفق مع ابن درستويه والمرزوقي على أن فتح العين من الفعل الثاني في

المضارع إنما هو لأجل حرف الحلق ، وليس على القياس .

نتيجة الموازنة :

— قدم الشراح الأربعة تفسيرهما للمعنى للفعلين ، باستثناء التدميري الذي أهمل

هذه المادة

— اتفق كل من ابن درستويه والمرزوقي وابن هشام اللخمي على إضافة المصدر (القُورع) ، والذي أغفله ابن الجبان ، أمّا التدميري فإنه لم يتعرض للحديث عن هذه المادة أصلاً كما أسلفنا .

— اتفق ابن درستويه والمرزوقي وابن هشام في ذكرهما لعلة فتح العين في المضارع من الفعل الثاني ، وصرّحوا بأنه لأجل حرف الحلق ، وليس على القياس .

— وافق ابن الجبان ابن درستويه في ضبطهما للفعل الثاني (قَنَعَ) بفتح العين .

— انفرد ابن الجبان بالنص على فتح النون في مضارع الفعلين ، وهذا ما لم يجده عند الشراح الآخرين .

— وافق المرزوقي ابن درستويه في ذكره لمعنى الفعل الثاني ومصدره ، واسم الفاعل منه ، واستشهاده عليه بالآية الكريمة .

الشرح	نفس الباب السابق (مَلَّتْ و مَلَّتْ)
تصحیح ابن دُرُستویه	<p>وأما قوله : مَلَّتْ الشيء في النار أَمَلَهُ مَلًّا فمعناه: طَبَخَتْ أَطْبَخُ طَبْخًا ، و شَوَيْتُ أَشْوِي شَيْئًا ، وَحَدَّتْ أَخَذَتْ حَنْدًا . وهو خبزة تُدخَل في رماد حار ، أو رمل حار ، حتى تنضج . ويسمى ذلك خَبَزَ مَلَّةً . و المَلَّةُ : الرماد الحار . وأما قوله: مَلَّتْ من الشيء أَمَلٌ ، فمعناه : سَكِمَتْ أَسَامٌ ، و غَرَضْتُ أُغْرِضُ ، و نحو ذلك ؛ فلذلك جاء على أمثلتهما ؛ بكسر الثاني من الماضي وفتح من المستقبل . ومصدره: المَلَلُ ؛ بفتحين مثل السَّامِّ والغَرَضِ ، ونحو ذلك . ومَلًّا كذلك .</p> <p>(ص ١١٩)</p>
شرح ابن الجبَّان	<p>ومَلَّتْ الشيء في النار أَمَلَهُ : إذا أَلْقَيْتَهُ فِيهَا لِنَطْبِخٍ أَوْ لِنَشْوَى . ومَلَّتْ من الشيء إذا كَرِهْتَهُ بَعْدَ مَلَاظِمَتِهِ فَتَرَكْتَهُ أَمَلٌ مَلَالًا وَمَلَالَةً وَمَلًّا .</p> <p>(ص ١٣٢)</p>
شرح المرزوقي	<p>ومَلَّتْ الشيء في النار أَمَلَهُ مَلًّا ، وَاْمَلَّتُهُ ، وَالشَّيْءُ مَمْلُولٌ ، وَمُمْتَلٌ ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَحْمَلُ "مَلْمَلَتُهُ الْحَمَى عَلَى الْفَرَّاشِ فَتَمَلَّمَلْ" عَلَى هَذَا ، وَيَقُولُ : أَصْلُهُ : مَلَّلْتُهُ ، وَأَصْحَابُنَا الْبَصْرِيُّونَ يَجْعَلُونَهُ بِنَاءٍ عَلَى حِدَّةٍ . وَإِنْ كَانَ مُؤَدِيًا لِمَعْنَاهُ ، وَعَلَى هَذَا رَقَرَقْتُ وَرَقَقْتُ وَأَشْبَاهَهُ ، وَاسْمُ مَا يَلْقَى فِي النَّارِ فِيهِ مِنَ الْجَمْرِ وَالرَّمَادِ الْمَلَّةُ . وَمَلَّتْ مِنْ الشَّيْءِ سَكِمْتُهُ ، وَمَصْدَرُهُ الْمَالَلُ وَالْمَالَلَةُ وَالْمَلَّلُ ، وَيُقَالُ : فَلَانَ مَلَّةً طَرَفٌ أَي : يَمَلُّ الشَّيْءُ وَيَتَطَرَّفُهُ ، وَرَجُلٌ مَلُولٌ لِلْمَبَالِغَةِ .</p> <p>(ص ٥٤)</p>
شرح التدميري	<p>ومَلَّتْ الشيء في النار : أَلْقَيْتُهُ فِيهَا .</p> <p>(ص ٩٦)</p>

شرح اللخمي	<p>مَلَّتُ الشيءَ في النارِ طَبَخْتُ وشَوَيْتُ وَقَلَّيْتُ ، والمَلَّةُ : الرماد الحار . ومَلَّيْتُ الشيءَ : سَعَمْتُهُ .</p> <p>(ص ٧٧)</p>

الموازنة :

أولاً / ابن درستويه في تصحيحه :

- بدأ بذكره لباب الفعل الأول (مَلَّتُ) ثم أتبعه بذكر المصدر (مَلًّا) .
- ذكر التفسير اللغوي للمعنى ، مع التنظير بالمثال .
- أضاف بعض الزيادات من أجل توضيح المعنى المراد .
- ذكر باب الفعل الثاني ، ثم أتبعه بذكر المعنى والتنظير بالمثال .
- أحياناً ينصُّ بالعبارة على الضبط ، بقصد الزيادة في التوضيح .
- فسّر معنى الملة ، ذاكراً لها أكثر من معنى .
- ذكر المصدر من الفعل الثاني ، وهو : المَلَّلُ ، وأضاف إليه مصدراً آخرأ : (مللاً) ، ووافق ذلك المرزوقي وأضاف مصدرين آخرين .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

- بدأ بذكر باب الفعل ، ثم أعقبه بتفسير المعنى اللغوي .
- قام بتفسير المعنى اللغوي للفعل الثاني ، وتبعه بذكر باب الفعل .
- ذكر من المشتقات ثلاثة مصادر ، واتفق مع ابن درستويه في إيراده للمصدر الأول (مللاً) .
- يلاحظ عليه عدم استطراده في الشرح والتوضيح كما فعل ابن درستويه والمرزوقي من بعده .

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

- بدأ لذكره لباب الفعل ، ووافق ابن درستويه للمصدر (ملأ) .
- أضاف فعلاً آخر لا وجود له عند الشراح المذكورين ، وهو (امتلأته) .
- ذكر بعض المشتقات ، كالمصدر واسم المفعول ، وصيغة المبالغة ، وقد انفرد بالأخيرتين عن الشراح المذكورين .
- نبه إلى التفريق بين مذهب الكوفيين ، في الوقوف عند الثلاثي (مَلَّلَ) ومذهب البصريين الذين يفرقون بين الثلاثي (ملل) والرباعي (مَلَمَلْ) وإن كان مؤدياً لمعناه .
- ذكر الفعل الثاني وفسر معناه اللغوي ، وأتبعه بذكر ثلاثة مصادر له .
- يلحظ عليه إضافته لأقوال متنوعة من كلام العرب ، وذلك لما يتمتع به من علم غزير وثقافة لغوية متنوعة .

رابعاً / التدميري في شرحه :

- لم يُزد على تفسير المعنى اللغوي للفعل .
- ملاحظ قصوره في شرحه لهذا الفعل ، والذي أفاض فيه ابن درستويه والمرزوقي من بعده .

خامساً / ابن هشام اللخمي في شرحه :

- فسر المعنى اللغوي بالمترادفات .
- ذكر معنى (الملة) موافقاً لابن درستويه في ذلك .
- ذكر المعنى الثاني للفعل .
- أهمل ذكر المشتقات .

نتيجة الموازنة :

- استطرد كلُّ من ابن درستويه والمزوقي في شرحهما وتوضيحهما للفعالين ، وهذا ما لم نجده عند الشراح الآخرين .
- انفرد ابن درستويه عن بقية الشراح في إضافته لبعض الزيادات بقصد توضيح المعنى المراد .
- كما انفرد أيضاً بتفسيره لمعنى (المَلَّة) ذاكراً لها أكثر من معنى ، وقد وافقه ابن هشام اللخمي فيما ذهب إليه .
- وخالف ابن درستويه بقية الشراح بتفسيره لمعنى الفعلين ، مع التنظير لهما بالمثال .
- وافق المرزوقي ابن درستويه في ذكره لباب الفعل الأول ، وإضافته للمصدر (مَلَأَ) .
- اتفق المرزوقي مع ابن الجبَّان في ذكرها ثلاثة مصادر للفعل الثاني ، وقد وافق الأخير ابن درستويه في ذكره للمصدر (مَلَأَ) .
- انفرد المرزوقي بإضافته لفعل آخر لا وجود له عند الشراح الآخرين ، وهو (امْتَلَأْتُ) ، كما انفرد أيضاً بذكره لاسم المفعول وصيغة المبالغة ، وهذا ما لم نجده عند غيره من الشراح الآخرين .
- كما انفرد المرزوقي أيضاً بالتنبيه إلى التفريق بين المذهبين في الوقوف عند الثلاثي (مَلَّلَ) .
- أيضاً انفرد المرزوقي بإضافته لأقوال متنوعة من كلام العرب يسعفه في ذلك علمه الغزير ، وثقافته اللغوية المتنوعة ، وهذا لا وجود له عند بقية الشراح الآخرين .
- أغفل الشارحان المغربيان ذكر المشتقات اللغوية لهذين الفعلين ، مع قصور التدميري الواضح في شرحه لمعنى الفعلين .

الشرح	باب : ما يُقال بحروف الحَفْضِ (سَخِرْتُ مِنْهُ)
<p>تصحیح ابن دُرستویه</p>	<p>وأما قوله : (سَخِرْتُ مِنْهُ) ؛ فأصله : من تَسَخَّرَ الشَّيْءَ ، وهو السُّخْرَةُ ، ومن ذلك قول الله — عز وجل — " فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ " أي : طَوَّعْنَاهَا لَهُ ، وَذَلَّلْنَاهَا لَهُ ؛ أي : جعلناها مُطِيعَةً . وكذلك قوله : ﴿ سَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ ﴾ وكذلك قولهم : سَخَّرْتُ الدُّوَابَّ وَالسُّفُنَ : إنما معناه : جعلنا ما لغيرنا منقادا لنا . وكذلك سَخِرْتُ مِنْهُ ؛ إنما معناه : أن تتخذ الرَّجُلَ لَكَ كَالسُّخْرِ ، فتجعله بالخديعة أو غيرها مُطِيعاً لَكَ . وإنما قيل : سَخِرْتُ مِنْهُ فَأَدْخَلْتُ فِيهِ " مِنْ " للتبعيض ، وبني الفعل منه على فَعَلْتُ ؛ لأنه بمعنى عَبَّثْتُ وَهَزَيْتُ ، ونحو ذلك ، وهو أيضاً كالمطاوعة التي لا تتعدى ، ومستقبله على أَسَخَّرَ بِالْفَتْحِ ، كما قال الله — تعالى — : ﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ . واسم الفاعل منه : سَاخِرٌ وَمَصْدَرُهُ : السُّخْرِيَّةُ ؛ كأنها منسوبة إلى السُّخْرَةِ ، و لكن علامة التأنيث حُذِفَتْ من مصدره ؛ لدخول ياء النسب ، ثم أُتَتْ المصدِرُ بعد ذلك ، كما يُقَالُ : العُبُودِيَّةُ وَاللُّصُوصِيَّةُ . وأما قول الله — عز وجل — : ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ فإنما هو نعت الشيء المُسَخَّرِ ، من السُّخْرَةِ ، لو وضع موضع المصدر جاز ، وقد يكسرون السين منه ، والعامّة تقول : سَخِرْتُ بِكَ ؛ فتعدى الفعل بالياء على التشبيه بهزئت به . ومن يزعم أن حروف الجر تتعاقبُ يُجِيزُ ذلك . وثعلب وأصحابه يعتقدون جواز التعاقب وقد ردُّ على العامّة (سَخِرْتُ بِهِ) وصوب سَخِرْتُ مِنْهُ .</p>

	<p>والسُّخْرَةُ بفتح الحاء الكثير السُّخْرِيَّة . والسُّخْرَةُ : الذي يَسْخَرُ منه من الناس ، وهو أيضا مصدر مثل : العُرْفَةُ واللُّعْبَةُ وأشباهاها . (ص ١٧٠ ، ١٧١)</p>
شرح ابن الجبَّان	<p>تقول : سَخِرْتُ مِنْهُ : إذا استهزأت به ، والعامَّةُ تقولُ : سَخِرْتُ بِهِ ، والقرآنُ نَطَقَ بالأولِ . قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ . تقولُ : سَخِرَ يَسْخَرُ سَخْرِيَّةً وَسُخْرِيًّا وَسِخْرِيًّا ، وَسَخَرًا وَسُخْرًا فهو سَاخِرٌ . (ص ١٥٣)</p>
شرح المرزوقي	<p>وقوله (سَخِرْتُ مِنْهُ) واستَسَخَرْتُ هو الاختيار ، وبعضهم يعديه بالباء ، وهو قليل ، يجري مجرى هَزَيْتُ ، وهم يحملون النظر على النظر ، ومصدره : السَّخْرِيُّ والسُّخْرِيَّةُ والسُّخْرُ ، وبعضهم يجعل السَّخْرِيَّ بالكسر من التَّسْخَرِ والسُّخْرَةِ ، وهو ما تستعمله بلا أجرة و لا ثمن كرهاً و تذليلاً ، ومنه : " سَخَرَ اللهُ كَذَا " . (ص ٨٦)</p>
شرح التدميري	<p>قوله : (سَخِرْتُ مِنْهُ ، وَهَزَيْتُ بِهِ) كلاهما بمعنى واحد ؛ أي : استهزأت به واستخففت . وَهَزَيْتُ بالفتح — أيضاً — لَعَّةٌ . (ص ١٢١)</p>
شرح اللخمي	<p>تقولُ : سَخِرْتُ مِنْهُ أَي : هَزَيْتُ ، يُقَالُ : سَخِرْتُ مِنْهُ وَبِهِ ، وَ أَصْلُ سَخِرْتُ : من تَسْخِيرِ الشَّيْءِ ، وَ إِنَّمَا مَعْنَاهُ : أَنْ يُتَّخَذَ الرَّجُلُ كَالسُّخْرِ تَجْعَلُهُ بِالْخُدَيْعَةِ أَوْ غَيْرِهَا مَطِيعاً لَكَ ، وَ دَخَلَتْ مِنْ التَّبَعِيضِ ؛ لِأَنَّكَ لَمْ تُسَخِّرْهُ كَمَا تُسَخَّرُ الدُّوَابُ ، وَإِنَّمَا حَدَّثَهُ عَنْ بَعْضِ عَقْلِهِ . (ص ٩٤)</p>

الموازنة :

أولاً / ابن درستويه في تصحيحه :

— بدأ بذكر أصل الفعل ، واستشهد بشاهدين من آي الذكر الحكيم ، لتوضيح ذلك .

— فسر المعنى اللغوي للفعل ، بأن تتخذ الرجل كالمسخر فتجعله بالخديعة أو غيرها مطيعاً لك .

— ذكر العلة في تعديده (بمن) وبناء الفعل على (فَعِلَ) لأنه (كَعَبِثْتُ وَهَزَيْتُ) لفظاً ومعنى ، وهو أيضاً كالمطاوعة اللازمة .

— ذكر باب الفعل واستشهد عليه بشاهدين من القرآن الكريم .

— نص على تشديد (السُّخْرِيَّة) ، على النسب إلى (السُّخْرَةَ) وبين سبب التشديد ، وهو دخول ياء النسب ثم تأنيته بعد ذلك .

— بين سبب التذكير (سُخْرِيًّا) في الآية الكريمة ؛ لأنه نعت الشيء المسخر ، وهو مذكر .

— أفاض في الحديث عن تصاريف الكلمة ، وبيان معنى كل منها .

— أشار إلى أن من يقول بتعاقب حروف الجر قد يميز : سخرت به .

— ذكر اللغة الثانية ، ثم تخطى ذلك على حمل (سخرت به) على لغة العامة ، وعلل ذلك بأنه على التشبيه هزئت به . ثم صرح بجواز ذلك .

— ذكر أن الكوفيين يميزون التعاقب بين حروف الجر ، ثم فرق بين (فُعَلَةٌ وَفُعَلَةٌ) بأن الأولى تطلق على الكثير الفعلي ، وأما الثانية فسر الذي يسخر من الناس .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

— ذكر المعنى ووافق ابن درستويه بقول العامة وصرح باللغة العالية .

— نص على باب الفعل .

— ذكر من المشتقات خمسة مصادر ، بالإضافة إلى اسم فاعل .

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

— وافق ابن درستويه وابن الجبان بأن سخرت منه هو الأصل .

— ذكر حداً وهو أن العرب يحملون النظر على النظر .

— ذكر بعضاً من المشتقات ، ووافق في بعضها ابن درستويه ، ووافق ابن الجبان في البعض الآخر .

— أضاف لغة أخرى لا وجود لها عند الشراح المذكورين ، وهي (اسْتَسَخَرْتُ) .

رابعاً / التدميري في شرحه :

— لم يفيض في شرح هذا الفعل وتصريفاته .

يرى الترادف بين معنى (سخرت به وهزئت) .

— تفرد عن الشراح المذكورين بذكره لغة ثانية في (هزأ) .

خامساً / ابن هشام اللخمي في شرحه :

— كان موافقاً لابن درستويه في تفسيره للمعنى اللغوي للفعل .

— خالف الشراح الثلاثة المذكورين بنصه على أنه يقال : (سخرت منه وبه) .

— يعلل دخول من للتبعيض هنا ، بأن يتخذ بمعنى بعض عقله .

نتيجة الموازنة :

— وافق ابن الجبان ابن درستويه في ذكره لأصل الفعل والاستشهاد عليه بالذكر

الحكيم ، وبأن (سَخِرْتُ منه) هو الأصل ، ووافقهما في ذلك المرزوقي أيضاً .

— انفرد ابن درستويه في ذكره علة تعدية الفعل (سَخِرَ) بمن . وهذا ما لم نجد

عند الشراح الآخرين .

— نصّ ابن درستويه على تشديد (السُّخْرِيَّة) على النسب إلى السُّخْرَةِ ، وبين العلة في ذلك ، وقد انفرد بهذا عن بقية الشُّرَّاح الآخرين .

— ذكر لغة ثانية وحملها على لغة العامّة ، وأجازها لمن يرى بجواز تعاقب حروف الجرّ ، ووافقه ابن الجبّان ، مع تصريح الأخير باللغة الأعلى والأشهر .

— انفرد ابن درستويه عن بقية الشُّرَّاح الآخرين بالتنبيه إلى رأي الكوفيين في جواز التعاقب بين حروف الجرّ ، وهذا ما لم نجده عند الشُّرَّاح الآخرين .

— ذكر ابن درستويه من المشتقات اسم الفاعل (سَاخِر) والمصدر (السُّخْرِيَّة) ، بالإضافة إلى بعض الصفات ، ووافقه ابن الجبّان في ذكره لاسم الفاعل ، وأضاف الأخير خمسة مصادر ، كما وافق المرزوقي ابن درستويه في ذكره لبعض المشتقات ، ووافق في البعض الآخر ما ذكره ابن الجبّان ، بينما أغفل الشارحان المغربيان تلك المشتقات .

— انفرد المرزوقي عن غيره من الشُّرَّاح بإضافته للغة أخرى لا وجود لها عند الشُّرَّاح الآخرين ، وهي (اسْتَسَخَرْتُ) .

— انفرد التدميري عن غيره من الشُّرَّاح بتصريحه بالترادف بين معنى (سَخَرْتُ) وهزئت) كما انفرد أيضاً بإضافته للغة ثانية هي (هزأ) مصرحاً بأنها لغة .

— خالف ابن هشام اللخمي بقية الشُّرَّاح الآخرين بتصريحه بأنه يقال : (سَخَرْتُ مِنْهُ وَبِهِ) وهما عنده بمعنى واحد ، دون النظر إلى من يقول بتعاقب حروف الجرّ .

الشرح	باب : المفتوح أوله من الأسماء (الحَرْبُ خَدَعَةٌ)
تصحیح ابن دُرستویه	<p>وأما قوله : (الحرب خدعة) هذا أفصح اللغات ذكر لي أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم) فإن أكثر الكلام في هذا ضم الخاء ، وقد روي فتحها عن النبي صلى الله عليه وسلم . ولكن ليس ذلك لأنه كما ذكر ثعلب أنه أفصح اللغات ، ولا لأنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن الفتح علامة للمرة الواحدة في هذا وفي كل مصدر مثله ، يقال : خَرَجْتُ خَرْجَةً ودَخَلْتُ دَخْلَةً وركعت ركعة ... فإذا ضموا جعلوه اسم ما يُخدَعُ به ، والخدعة أيضاً من الناس الذي لا يزال يُخدَعُ والخدعةُ ، بفتح الدال الرجل الخداعُ والخدعةُ بفتحتين : جمع الخادع ، وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم بفتح الخدعة : المرة الواحدة من الخداع وليس فيها شيء من اللغات بل كل العرب لغتهم النطق بجميع ما وصفنا في مواضعها .</p> <p>(ص ٢٧٩)</p>
شرح ابن الجبّان	<p>(الحَرْبُ خَدَعَةٌ) وهي فَعْلَةٌ من الخداع ، كالقَوْمَةِ من القيام ، والمراد أن الحرب يُكفَى الإنسان أمرها بخدعة واحدة يأتيها ، وذُكِرَ أنها لغة النبي — صلى الله عليه وسلم — أعني الفتح .</p> <p>(ص ٢٠٧)</p>
شرح المرزوقي	<p>(وقوله : الحَرْبُ خَدَعَةٌ) اختار فتح الخاء على ضمّها ، وهي لغة أيضاً ، قال : وحكي أنها لغة النبي — صلى الله عليه وسلم — .</p> <p>(ص ١٥٧)</p>
شرح التدميري	<p>(والحَرْبُ خَدَعَةٌ) أي : حيلةٌ ومخادعةٌ ، والمعنى : أن المكرَ والخديعةَ في الحرب أنفذ من الإقدام بالجهل والخرق ، والحَرْبُ خَدَعَةٌ ، وخدعةٌ — أيضاً — لغتان ، ويُقالُ ثلاث لغات على ثلاث معان : فالخدعةُ</p>

	<p>بافتح المصدر ، والخُدعة بالضم اسم المصدر ، والخُدعة بضم الخاء ، وفتح الدال : هي التي تُخدعُ الرجال ، مثل : الصرعة ، وهو الذي يصرعُ الرجال ، واللعة الذي يلعنُ الناس . وبلغي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه الكلمة يوم الأحزاب ، وقد أراد أن يُخادِلَ بين اليهود وقريش وغطفان .</p> <p>(ص ٢١١)</p>
<p>الشرح اللخمي</p>	<p>(الحربُ خُدعةٌ) يعني : من خُدِعَ فيها خُدعةً ، فولت قدمه وعطب ، فليس له إقالة ، ومن قال : خُدعةً ، بضم الخاء وإسكان الدال : أراد أنها تُخدعُ ، كما يقال (لُعنةٌ) : إذا كان يُلعنُ كثيراً ، ومن قال (خُدعةٌ) ، بفتح الدال وضم الخاء أراد : أنها تُخدعُ أهلها ، كما يقال : رَجُلٌ لُعنةٌ وضُحكةٌ ، إذا كان يُلعنُ الناسَ ويضحكُ بهم .</p> <p>(ص ١٢٧ - ١٢٨)</p>

الموازنة :

أولاً / ابن درستويه في شرحه :

— خَطُّ ابنِ دُرُسْتَوِيهِ — كما هي عادته — ثعلباً فيما ذهب إليه من أن (خُدعةٌ
(أفصح اللغات ؛ كونها لغة الرسول — صلى الله عليه وسلم — ؛ حيث يرى
أنها — بفتح الخاء — كلام الجميع ، وعلامة للمرة الواحدة (اسم المرة) .
— ذكر أن اللغة المشهورة والكثيرة هي (خُدعةٌ) بضم الخاء ، وأشار إلى أن
الفتح فيها لغة النبي صلى الله عليه وسلم .
— بين معاني بعض الفروق اللغوية ، فالخدعة بضم الخاء وسكون الدال : اسم ما
يخدع به . والخُدعة بضم الخاء وفتح الدال ، هو الشخص الذي يخدع الناس .
وأما بفتحهما جميعاً جمع الخادع .

- أضاف معناً آخر من كلام العرب وهو الذي يُخدع كثيراً .
- علل فتح الحاء وسكون الدال بأنها المرة الواحدة .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

- بدأ بتفسيره للمعنى اللغوي .
- وزن (خَدَعَة) بفعلة ، ونظر لها باللفظ .
- نص على أن ثعلباً نسبها للرسول صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

- ذكر أن ثعلباً اختار الفتح على الضم .
 - أضاف إليها لغة الضم — أيضاً — (خَدَعَة) .
 - نبه أنها روية عن النبي صلى الله عليه وسلم .
- رابعاً / التدميري في شرحه :
- بدأ بذكر المعنى اللغوي وعالله .
 - ذكر ثلاث لغات تبعاً للمعنى المقصود .
 - قدم اختيار صاحب الفصيح على غيره من اللغات .

خامساً / اللخمي في شرحه :

- ذكر المعنى اللغوي للفعل .
- قام بتفسير اللغات ، ونظر لكل لغة ، وذلك لزيادة المعنى .
- لديه عمق في ذكره للمعاني المتصلة بهذا الفعل .

نتيجة الموازنة :

- بدأ ابن درستويه كلامه بتخطئة ثعلب فيما ذهب إليه من أن (خَدَع) بفتح الحاء أفصح اللغات ، بينما وافق بقية الشراح الآخرين ما حكاه ثعلب .

— صرَّح ابن درستويه أنَّ اللغة المشهورة هي (خُدْعَة) ، وهو بهذا يخالف ما ذكره بقية الشَّرايح الآخرين ، والذين يرون أنَّ فتح الحاء — كما ذكر ثعلب — هي الأعلى والأشهر ، وإن كان المرزوقي أضاف (خُدْعَة) إلا أنَّه يرى أنَّ الأفضح ما اختاره ثعلب ، معللاً ذلك بأنَّها لغة النبي صلى الله عليه وسلم .

— انفرد ابن درستويه عن بقية الشَّرايح الآخرين في تعليقه لفتح الحاء وسكون الدال في (خُدْع) .

— انفرد ابن الجبَّان عن بقية الشَّرايح الآخرين بذكره (خُدْعَة) وأنها على (فَعْلَة) ونظر لها باللفظ .

— اتفق الشَّرايح المشاركة الثلاثة على التصريح بأنَّ (خُدْعَة) بفتح الحاء لغة رُوية عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

— انفرد التدميري عن غيره من الشَّرايح الآخرين بتصريحه لثلاث لغات ، وذلك تبعاً للمعنى المقصود ، مع تقديمه لاختيار ثعلب .

— وافق ابن هشام اللخمي ابن درستويه من أنَّ (خُدْعَة) بالضم هي الأعلى والأشهر ، بدليل اقتصار الأول عليها ، وسكوته عن اللغة التي حكاهها ثعلب ، وغيره من الشَّرايح الذين ذكرناهم .

الباب الثاني

التَّوَسُّعُ اللُّغَوِيُّ

الفصلُ الأوَّلُ

مُصْطَلَحُ التَّوَسُّعِ اللُّغَوِيِّ

أولاً - تعريف التوسّع في اللغة :

الساو ، والسين ، والعين : كلمة تدلُّ على خلاف الضيق والعسر . يُقال :
وَسَعَ الشَّيْءُ وَاتَّسَعَ ... الخ^(١) .

والتوسّع خلاف التضييق ، تقول : وَسَعْتُ الشَّيْءَ فَاتَّسَعَ ، وَاسْتَوْسَعَ ، أي
صار واسعاً^(٢) .

والتوسّع : مصدر (تَوَسَّعَ) ، والتوسّع (تَفَعَّلَ) نحو (التَكَسَّرَ)^(٣) .

والتوسّع خلاف الضيق ، كالتوسيع ، وقد وَسِعَهُ ولم يَضِقْ عنه^(٤) ، ومنه
قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾^(٥) أي اتَّسَعَ .

ووسّع المكان القوم ، أي اتَّسَعَ ، ووسّع المكان ، بالضم ، بمعنى اتَّسَعَ ، فهو
وَأَسِعَ . ووسَّعْتُهُ بالتثنية خلاف ضيقتُهُ^(٦) . ومن الجاز : إنه لَيْسَعْنِي ما يَسْعُكَ ،
ولا يَسْعُنِي شيءٌ وَيَضِيقُ عنك ... ووسّع القوم عطاءً فلان^(٧) .

(١) مقاييس اللغة ١٠٩/٦ .

(٢) الصحاح (وسع)

(٣) معجم الأوزان الصرفية ، أمين يعقوب ص ٩٠ .

(٤) تاج العروس ، والقاموس المحيط : (وسع)

(٥) سورة البقرة آية ١٥٤ .

(٦) المصباح (وسع)

(٧) أساس البلاغة (وسع)

ثانياً - تعريف التوسُّع في الاصطلاح :

كما سبق ، وجدنا أن اشتقاقات المادة اللغوية (وسع) كُلُّها تدور حول التوسُّع الذي هو خلاف التضييق ، وقد استعمل العلماء مصطلح (التوسُّع اللُّغوي) للنمو اللُّغوي ، أو لكل ما فيه غو للثروة اللفظية في العربية ؛ ولذا فإن كُـلَّ رافد يُثري هذه اللُّغة ، هو من طرق (التوسُّع اللُّغوي) وهم يقصدون الانطلاق باللُّغة من الضيق إلى السَّعة ؛ كي تعالج مقتضيات كُلِّ عصر من العصور اللاحقة .

وهذا يُمكننا أن نخلصَ إلى أن التوسُّع بالنسبة للُّغة ، معناه : جعل اللُّغة غنية بما تصرفُ العربُ فيه من الألفاظ والاستعمالات والاشتقاقات المختلفة ، حتى يَسعَ استعمالها جميع شئون الناطقين بها ، وتكون أكثر مرونة وعطاء ، وحتى تكون - أيضاً - واسعة التعبير ، كثيرة المفردات ، متنوعة الدلالات ، غنية في أصول الكلمات .

فالتوسُّع اللُّغوي في الاصطلاح يقصد به أن كل ما رُوِيَ عن العرب في عصور الفصاحة ، إنما هو من لُغة العرب ، فكل من يتكلم بلغة أو يقيس عليها ولو كانت نادرة أو رديئة ، فهو مصيبٌ ، ولا يُخطأ ما دام استعماله له وجه في العربية يبيِّزه ، فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيبٌ غير مخطيء (١) .

وحكي أن الفراء روى عن الكسائي قوله : " على ما سمعتُ من كلام العرب ليس أحدٌ يلحن إلا القليل . وقال الأَخفش عبد الحميد بن عبد الحميد : أنحى

(١) الخصائص ١٢/٢ .

الناسُ من لم يُلحِّنْ أحداً . وقال الخليل : لغة العرب أكثر من أن يُلحِّنَ فيها متكلِّمٌ " (١) .

وجاء في المزهر : " كان الأصمعيُّ يَقُولُ أفصح اللُّغات ، ويُلغِي ما سواها ، وأبو زيد يجعلُ الشَّاذَّ والفصيحَ واحداً ، فيجيز كل شيء قِيل " (٢) . وهذا ابن الأعرابي نراه يُلقِي باللائمة على الأصمعي في تشدده ، مصرِّحاً بأنه سمع من ألف أعرابي خلاف ما قاله الأصمعي (٣) .

ويأخذ ابن السِّدِّ البطليوس على ابن قتيبة ، تحفظته قول العامة (ماءٌ مالِحٌ) : وينص على أن هذا الذي قاله ابن قتيبة قد قال مثله يعقوب ، وأبو بكر بن دريد ، وغيرهما ، ورواه الرواة عن الأصمعي ، وهو المشهور من كلام العرب ، وبينه إلى أن قول العامَّة لا يُعدُّ حَطْأً ، وإنما يجبُ أن يُقال : إنها لغة قليلة (٤) .

وردَّ الحريريُّ كلمات ذكر الحنْفَاجِيُّ أنها خلافُ الأفصح فقط ، ثم قال الحنْفَاجِيُّ مُعلِّقاً : " ما أنكرتُه مسموع على ردايته ، وكفى به سنداً لمن استعمله " (٥) .

وهذا - أيضاً - أبو بكر الزبيديُّ يُحْطِيء قولَ العامَّة : (سَكَرَانَه) فيردُّ عليه ابن هشام اللّحمي قائلاً : " فإذا قالها قومٌ من بني أسد فكيف تُلحِّنُ بها العامَّة ، وإن كانت لغة ضعيفة ، وهم قد نطقوا بها كما نطقت بعض قبائل

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٢٨ .

(٢) المزهر ٢٣٣/١ ، وانظر : ص ٣٩ من هذا البحث .

(٣) العربية (يوهان فك ٩٨ ، وانظر لحن العامة لرمضان عبدالنواب ٦٦ ، وانظر ص ٣٩ من هذا البحث

(٤) الاقتضاب ٢٢٣/٢ ، وانظر ص ٥١٧ من هذا البحث .

(٥) شرح درة الغواص للحنْفَاجِي ٥١٤ .

العرب" (١) ، فابن هشام يرى : " أن ما اختلف فيه أهل اللغة ، لا تُغَلَطُ فيه العامة " (٢) .

وذاك إمام الرواة أبو عمرو بن العلاء — كما مرَّ بنا (٣) — عندما سأله أحدهم قائلاً : أخبرني عما وضعت وسميته عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال أبو عمرو : لا فقال السائل : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر ، وأسمي ما خالفني لغات (٤) .

ونخلصُ مما سبق إلى أن كُلاً ما تكلَّمتُ به العرب الفصحاء ، وما قيس على كلامها فهو صواب ؛ فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه ، كما قرر ذلك ابن جني (٥) .

فالتوسُّع اللغوي ، كان ثمرة لاختلاف تلك اللغات ، فالعربُ — كما هو معروف — قبائل ، وتنحدر من كل قبيلة بطون متعددة ، وتنتمي إليها أفخاذ ، فعشائر ، ثم فصائل ، ولا بد أن يكون ناموس الاختلاف قد عمَّ هذه الأقسام كلها ، فإن لم يكن في أصل اللغة ، ففي امتداداتها من فروع ولهجات .

وذكر ابن فارس في الصحاحي (في فقه اللغة) باباً (٦) نص فيه على وقوع لغتين في الكلمة الواحدة ، كقولهم : " الحِصَاد والحِصَاد " ، و " الصَّرَام والصَّرَام " ، ووقوع ثلاث لغات ، نحو : " الزُّجَاج والزُّجَاج والزُّجَاج " ، وأربع لغات في (الصَّدَاق) ، وخمسة في (الشَّمَال) ، وستاً في (القُسْطَاس) .

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٥ .

(٢) نفس المرجع ٥٩ .

(٣) انظر : ص : ٤١ من هذا البحث .

(٤) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : ٣٤ .

(٥) الخصائص ١٢/٢ .

(٦) باب انتهاء الخلاف في اللغات .

ونشير هنا — وبشيء من الإيجاز — إلى بعض ملامح التوسع اللغوي ، حيث حدد اللغويون ^(١) مظاهر الاختلاف في لغات العرب على النحو التالي :

أولاً / فيما يتعلق بالمستوى الصوتي ، ومن أمثلة ذلك :

(١) الاختلاف في الحركات :

وفيه تظهر ملامح التوسع اللغوي في أوسع أبوابه ، فمن ذلك قولهم : (نَسْتَعِين ، وَنِسْتَعِين) ، فَتَقَلَّ ابْنُ فَارِسٍ عَنِ الْفَرَاءِ قَوْلَهُ : " وَهِيَ مَفْتُوحَةٌ فِي لُغَةِ قَرِيْشٍ ، وَأَسَدٌ . وَغَيْرُهُمْ يَقُولُونَهَا بِالْكَسْرِ " ^(٢) . ومن ذلك — أيضاً — قولهم : (تَعَلَّمُ ، وَتَعَلَّمُ) ، و (نَعَلَّمُ ، وَنِعَلَّمُ) ، و (أَعَلَّمُ ، وَإِعَلَّمُ) ؛ فالفتح لغة أهل الحجاز ، والكسر لغة جميع العرب ^(٣) . وهناك من حكى في الفعل الأمر (أَرْزُرُ) أربع لغات : (فَازَرُرُ حِجَازِيَّةٌ ، وَزُرُّ يَمَانِيَّةٌ ، وَزُرُّ قَيْسِيَّةٌ) ^(٤) .

وقد يكون هذا النوع من الاختلاف ناتج عن تباين الظروف في الحياة البيئية والاجتماعية ؛ فتميم تجنح إلى الحرف الأشد المنفخم ؛ بما يناسب طبيعتها البدوية ، بينما تختار قريش الأرق الأنعم لما تتسم به حياتها من مظاهر حضرية اكتسبتها من موقعها التجاري ، ومكانتها الدينية منذ القدم ، ولهذا حَرَصَ التميميون على الضم ؛ لخشونته ، بينما حرص الحجازيون على الكسر ؛ لرقته .

فتميم تضم — على سبيل المثال — أوائل الكلمات الآتية :

(١) انظر : الصاحي في فقه اللغة ، تحقيق عمير فاروق الدباغ ص ٥٠ ، وما بعدها ، والمزهر ٢٥٥/١ ، والبلغة في أصول اللغة للفتوحى ١٥٤ ، والدراسات اللغوية عند العرب لمحمد حسين آل ياسين ٣٣٤ .

(٢) الصاحي في فقه اللغة ٥٠ ، وانظر : دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ٩٥ .

(٣) انظر دراسات في فقه اللغة ٧٣ ، والدراسات اللغوية عند العرب ٣٣٥ .

(٤) انظر شرح الزمخشري ٨٨ ، ٨٩ .

(رُضْوَان ، أُسْوَة ، قُدْوَة) ، بينما يكسرها الحجازيون . كما نُقِلَ عن عَمِيم
أَنَّهَا تُسَكَّنُ الكَلِمَاتُ الآتِيَة : (فَخِذٌ ، كَبِدٌ) ، وذلك في الإفراد . (وَرُسُلٌ ،
وَخُمُرٌ ، وَفُرُشٌ) في الجمع ، بينما يتوالى تحقيق المُتَحَرِّكَاتِ جَمِيعاً عند الحجازيين ،
فيقولون : (فَخِذٌ ، كَبِدٌ ، رُسُلٌ ، خُمُرٌ)^(١) .

٢) الاختلاف في أصوات الحروف :

فهناك مجموعة من الحروف التي شاع الاختلاف في استعمالها بين اللغات ، فمن
ذلك :

أ / الاختلاف في السين والصاد والزاي :

وهو كما مرَّ بنا ، قولهم : " صراط ، وسراط ، وزراط ، فالصاد لغة قريش ،
واشتمام الصاد زايّاً لغة قيس ، والزاي لغة عذرة وكعب وبني القين والسين لغة
عامّة العرب " ^(٢) . ومثل هذا أيضاً ما نقل عن الأصمعي : أن رجلين اختلفا في
(الصَّمْرُ) ، فقال أحدهما : بالصاد ، وقال الآخر : بالسين ، فتراضيا بأولٍ وَآرِدٍ
عليهما ، فحكياً له ما هم فيه ، فقال : لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزُّقْرُ ^(٣) .

وكذلك في (بصق ، ويزق ، وبسق) حيثُ ذُكِرَ أنّها لغات ^(٤) .

(١) انظر المخصص ١٤ / ٢٢٠ ، ودراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ٩٣ .

(٢) انظر البحر المحيط ٤٥/١ .

(٣) المزهر ١/٢٦٣ .

(٤) انظر الصحاح والمحكم ٦/١٣٥ (بزق) .

ب / الاختلاف في التاء والفاء :

فالتاء عند تميم تقابل الفاء عند الحجازيين ، فتميم تقول : (لثَام ، وثُوم) ويقابلها عند الحجازيين (لِقَام ، وقُوم)^(١) . قلت : وقد وافقت لغة الحجازيين ما جاء في الترتيل ، في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا ﴾^(٢) .

ج / الاختلاف في القاف والكاف :

فَصَلَّ التميميون (القاف) على (الكاف) ، فقالوا : قَشَطْتُ الجُلَّ عن الفرس ، بدلاً من (كَشَطْتُهُ) لغة الحجاز ، قال أبو عبيدة : (قريش تقول : (كَشَطْتُ) ، و تميم وأسد وقيس تقول : (قَشَطْتُ))^(٣) .

وبعض العرب ، ومنهم بنو تميم يلفظون القاف صوتاً بين الكاف والقاف ؛ أي يلحقونه باللهاء فيقولون : (الكَّوم) ، بدلاً من القوم ، و (كِذْر) بدلاً من قِذْر ، ويقول عنها ابن فارس : هي لغة سائرة في اليمن ، مثل : (جَمَل) إذا اضطروا ، قالوا : (كَمَل)^(٤) .

(١) انظر اللسان (فرم) .

(٢) سورة البقرة آية ٦١ .

(٣) انظر دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ٩٥ .

(٤) الصاحبي في فقه اللغة ٥٧ .

ومن ذلك ما رواه الأصمعي ، أنه وجد رجلاً خارجاً من الصحراء ، كأنه جذع نخل محترق ، قال : فقلت له : أتقرأ شيئاً من كتاب الله ؟ قال : لا ، قلت : فأعلمك ؟ قال : ما شئت . فقلت : اقرأ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) . قال : (كل يا أيها الكافرون) ، قلت : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) كما أقول . قال : ما أجد لسانى ينطق بذلك ^(١) .

٣ (الاختلاف في تحقيق الهمزة وتسهيلها :

حكى أبو زيد أن لغة تميم على نبر الهمز ، أي تحقّقها ، وتلتزم النطق بها ، ويشاركها في ذلك أكثر البدو ، بينما يُسهّل أهل الحجاز الهمزة ولا ينبرونها ، إلا إذا أرادو محاكاة التميميين ^(٢) قال أبو زيد : أهل الحجاز ، وهذيل ، وأهل مكة ، والمدينة لا ينبرون ^(٣) .

٤ (الاختلاف في الإدغام و الفك :

تجنح تميم إلى ادغام المثلين ، أو الحرفين المتجاورين المتقاربين ، فالأمر من (غَضٌّ) : (اغضض) بفك الادغام عند الحجازيين ، وأهل نجد يقولون : (غِضٌّ) بالإدغام ، فالتضعيف لغة تميم ، ومن وافقها ، والفك لغة أهل الحجاز ^(٤) . قلت : وقد وافقت الأخيرة ما جاء في الذكر الحكيم ، في قوله تَعَالَى :

﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ ^(٥) .

(١) العقد الفريد ٤٧٦/٣ .

(٢) دراسات فقه اللغة ٧٧ .

(٣) اللسان (حرف الهمزة) .

(٤) دراسات فقه اللغة ٩١ .

(٥) سورة لقمان آية ١٩ .

٥) الاختلاف في الحذف والإثبات :

ومن أمثلته ، قولهم : (اسْتَحْيَيْتُ ، واسْتَحْيَيْتُ) فالأولى لغة الحجاز ، والثانية لغة تميم وبكر بن وائل ^(١) . ومثلها قوله : (صَدَدْتُ ، وَأَصَدَدْتُ) ^(٢) .

٦) الاختلاف في التقديم والتأخير :

وتقصد به تقديم بعض الحروف — في الكلمة الواحدة — على أخرى ، كقولهم : جَبَدَ ، وَجَذَبَ . وصَاعِقَةٌ ، وصَاقِعَةٌ ^(٣) . قُلْتُ : وصَاعِقَةٌ أفصح وأشهر ؛ فيها جاء الذكر الحكيم ، في قولِ المولى — جَلَّ وَعَلَا — ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ^(٤) . وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا فَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ ^(٥) .

ثانياً / فيما يتعلق بالمستوى الصرفي ، ومن أمثلة ذلك :

أ / الاختلاف في باب الفعل :

الحجازيون يقولون : (بَرَأْتُ مِنَ الْمَرَضِ ، فَأَنَا بَرَاءٌ ، وْتَمِيمٌ يَقُولُ : بَرِئْتُ مِنَ الْمَرَضِ فَأَنَا بَارِيءٌ ، كما هي لغة سائر العرب ^(٦) . وأهل الحجاز يقولون :

(١) الدراسات اللغوية عند العرب ٣٣٦ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ٥١ .

(٣) نفس المرجع ٣٣٧ .

(٤) سورة البقرة آية ١٩ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٤٣ .

(٦) انظر الزهر ٢/٢٧٦ — ٢٧٧ ، والدراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ٨٣ .

(ذَايُ الْبَقْلِ يَذْأَى) ولغة نجد — ومنها تميم — (ذَوَى يَذْوِي) ^(١) ، وأهل الحجاز يقولون : (قَلَوْتُ الْبِرَّ ، فَأَنَا أَقْلُوهُ قَلَوًّا ، وَتَمِيمٌ تَقُولُ : (قَلَيْتُ الْبِرَّ ، فَأَنَا أَقْلِيهِ قَلِيًّا) ^(٢) .

ب / الاختلاف في التذكير والتأنيث :

عقد السيوطي في المزهر ^(٣) باباً قارن فيه بين ألفاظ اختلفت فيها لغة الحجاز عن لغة تميم ، من حيث التذكير والتأنيث ، فمن ذلك أن أهل الحجاز يقولون : هي : التَّمْرُ ، وهي البِئْرُ ، وهي الشَّعِيرُ ، وهي الذَّهَبُ . وتَمِيمٌ تُذَكِّرُ هَذَا كُلَّهُ . وفي أعضاء جسم الإنسان : كالعُنُقِ ، والعَضُدِ ، مؤنثة عند الحجازيين ، ومُذَكَّرَةٌ عند التميميين ، وكذا الحال في أسماء الأماكن : كالطَّرِيقِ ، والسُّوقِ ، والصَّرَاطِ ، والسَّيْلِ ، فبينما تُذَكِّرُهَا تَمِيمٌ ، يُؤنِّثُهَا أَهْلُ الْحِجَازِ .

ج (الاختلاف في الصيغ الصرقيّة :

ذكر السيوطي أن الصيغة الدالة على أسماء الزراعة هي (فَعَالٌ) ، بكسر الفاء ، على لغة الحجاز ، كقولهم : (حِصَادٌ ، وَقِطَافٌ ، وَصِرَامٌ ...) ، بينما هي (فَعَالٌ) — بالفتح — في لغة تميم ^(٤) ، وبها نزل الذكر الحكيم ، قال تعالى : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ^(٥) .

(١) المزهر ٢/٢٦٣ ، وانظر اللسان (ذوى) .

(٢) المزهر ٢/٢٧٧ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) المزهر ٢/٢٧٧ .

(٥) سورة الأنعام آية ١٤١ .

ثالثاً / فيما يتعلق بالمستوى النحوي : ومن أمثلة ذلك :

أ / إعمال (ما) وإهمالها :

يقول ابن جني في (اختلاف اللغات وكلها حجة) : " ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال (ما) يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك ؛ لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ، ويُخلدُ إلى مثله ، وليس لك أن تُردَّ إحدى اللغتين بصاحبتهما ؛ لأنها ليست أحقَّ بذلك من رَسيلتها ، لكن غاية ما لك في ذلك أن تختير إحداهما فتقويها على أختها ... فأما ردُّ إحداهما بالأخرى فلا . أولاً تُرى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : " نزل القرآن بسبع لغات كُلها كافٍ شافٍ " (١) .

ب/ الاختلاف في نصب الخبر المستثنى ورفعہ بالتفي في (ليس) :

وقد جاء ذلك فيما حكاه الأصمعيُّ عن أبي عمرو بن العلاء من أن الأخير أجاز قولهم : ليس الطيبُ إلا المسكُ برفع الخبر المستثنى ونصبه أيضاً في التفي ، ونبه أبو عمرٍ إلى أن النصب لغة الحجاز والرفع لغة تميم (٢) .

وقد يكون الاختلاف داخل للغة نفسها ، ولا أدلُّ على ذلك مما رُوِيَ عن الكسائي أن المضارع في (نَمَى) إنما هو (يَتَمَّى) بالياء ، وقال الكسائي : " لم أسمع (يَتَمُّو) بالواو ، إلا من أخوين من بني سليم ، ثم سألتُ عنه جماعة من بني سليم ، فلم يعرفوه بالواو " (٣) . فهذا يدلُّ على وجود الاختلاف حتى في

(١) الخصائص ١٠/٢ . ولم أقف له على سند .

(٢) المزهري ٢/ ٢٧٧ ، وانظر الدراسات اللغوية عند العرب ص ٣٣٩ .

(٣) تحفة المجد الصريح ١٣ .

العشيرة الواحدة ؛ لأن هذين الأخوين أهل بيت واحد تميّز بهذه اللّغة عن باقي
العشيرة .

ج - الاختلاف في عامل الرفع في المبتدأ :

اختلفت المدرستان في هذه المسألة ، أهو الابتداء كما ذهب البصريون ؟ أم
هو الخبر كما يزعم الكوفيون ؟ (١) .

ومن اللغويين من ذهب إلى أن كل ما كان لغة لقبيلة قيس عليها (٢) .

ومما سبق ، نستطيع القول : إنّ كثيراً مما دُوّن في كتب اللغة والنحو ، وغيرهما
من فنون العربية ، لا يمثل لغة واحدة ، بل لغات كثيرة ، فاستعمالها جميعاً جائز ،
وليس بينها فرق ، إلا في الفصاحة ، " فالناطق على قياس لغة من لغات العرب
مصيبٌ غير مخطئ " (٣) .

إذاً فلغات القبائل العربية كلها معتدّ بها ، فالقبائل متكافئة ليس لأحداها سلطة
على غيرها ، وإن وجد من اللغويين من صرح بفصاحة لغة قبيلة بعينها ، كما
نص ابن فارس على ذلك بقوله : " أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة
لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ، أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأفصحهم
لغة ... " (٤) .

(١) انظر الانصاف للمسألة الخامسة ، وأسرار العربية لابن الأنباري : ٧٢ ، ٧٣ . والمسألة مبسطة بجلاء

وروضح في كتب النحو .

(٢) المزهر ٢٥٨/١ .

(٣) الخصائص ١٢/٢ .

(٤) الصحاحي في فقه اللغة ٥٥ .

ولعل ابن فارس عندما نعت لغة قريش بالفصاحة إنما كان ذلك لمكانة النبي صلى الله عليه وسلم منها بعد الإسلام ، وإلا فإن الرواة مختلفون بشأن أي القبائل أفصح (١) .

وإذا ما تحدث بعضهم عن لغة بعض القبائل العربية الأخرى ، طالعتك قوائم من الأوصاف التي أطلقوها على هذه اللهجات ، كقولهم : (لغة رديئة ، أو شاذة ، أو ضعيفة ، أو قليلة ، أو مرغوب عنها ...) . ولكنهم اصطدموا بلغات في القرآن تُنسبُ إلى قبائل خارجة عن الحارطة التي رسموها لمن يُؤخذُ عنهم ، فنشأ جراء ذلك نوع من التأليف ، وهو ما يُسمى " بلغات القرآن " ، فهو من أوائل الفنون ظهوراً في هذا المجال ؛ حيث أُلّف فيه جمعٌ كثيرٌ من علماء اللغة (٢) ، نذكر منهم :

(١) هشام الكلبي (ت : ٢٠٤ هـ) ، وكتابه : " لغات القرآن " (٣) .

(٢) الفراء (ت : ٢٠٧ هـ) ، وكتابه : " لغات القرآن " (٤) .

(٣) الأصمعي (ت : ٢١٣ هـ) ، وكتابه : " اللغات في القرآن " (٥) .

وكان لهذه الحركة النشطة ، في هذا الضربُ من التأليف نتيجة حتمية ، تتمثل في التأليف حول اللهجات المختلفة بوجه عام ، ومن المفيد أن نذكر : أن علماء العربية ، ما كانوا ليستخدموا كلمة (لهجة) ، بل استبدلوها بكلمة (لغة) ،

(١) انظر المزهر ٤٨٣/٢ ، والكامل المبرد ٣٧١/١ . والتطريز اللغوي ، محمد خليفة الدناع ١٨٧-١٨٨ .

(٢) انظر : اللهجات العربية في التراث ، أحمد الجندي : ١٣٥ .

(٣) ذكره ابن النديم في الفهرست ٥٩ .

(٤) البحر المحيط ١٩٣/٣ ، وذكره ابن النديم في الفهرست ١٠٦ ، والسيوطي في البغية ٤١١ ،

والمزهر ٩٦/١ ، كما عزي له مصنف باسم (كتاب الجمع واللغات) .

(٥) ذكره ابن النديم في الفهرست ٥٩ ، والقفطي في إنباه الرواة ٢٠٣/٢ ، والسيوطي في البغية ٣١٤ .

ومن تأليفهم في اللهجات العربية ، تحت اسم : " اللغات " — كُتِب اللغات — ،
نذكر منها ، ما يأتي :

- (١) كتاب اللغات : ليونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ)^(١) .
- (٢) كتاب اللغات : لأبي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني (ت ٢٠٦ هـ)^(٢) .
- (٣) كتاب اللغات : لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ)^(٣) .
- (٤) كتاب اللغات : لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٤ هـ)^(٤) .

(١) ذكره ابن الندم في الفهرست ٦٩ .

(٢) ذكره الغفطي في إنباه الرواة ٢٧٧/١ .

(٣) ذكره ابن الندم في الفهرست ٨٦ ، ويقوت في معجم الأدباء ١٦١/١٩ .

(٤) ذكره ابن الندم في الفهرست ٨٧ ، والسيوطي في البغية ٢٥٥ ، والزهر ٩٦/١ .

وهناك ثبتت موسعاً لأشهر المؤلفات في هذا المجال أورده مؤلف اللهجات العربية في التراث^(١) . وقريب من هذه التأليف ، ضربٌ آخرٌ ، عرف باسم "نوادر اللغات وشواردها" ، فممن ألف فيه :

(١) أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٧ هـ) ، فقد عزا له صاحب الفهرست مؤلفاً باسم "كتاب النوادر"^(٢) .

(٢) القاسم بن معن (ت ١٧٥ هـ) وقد نسب إليه السيوطي مصنفاً باسم "كتاب النوادر"^(٣) .

(٣) يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) ، وله "كتاب النوادر"^(٤) .

(٤) الكسائي (ت ١٨٩ هـ) ، وله "كتاب النوادر"^(٥) .

(٥) قطرب محمد بن المستنير (ت ٢٠٦ هـ) ، وذكر له كتاب عنوانه "النوادر"^(٦) .

(٦) أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) وله كتاب النوادر مطبوع .

(٧) الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) ، وقد عزا له السيوطي كتاباً باسم "نوادر الأعراب"^(٧) .

وهناك الكثير غيرهم — غير ما ذكرنا — ذكّرهم مؤلف اللهجات العربية في التراث^(٨) .

(١) انظر اللهجات العربية في التراث ١٤٣ ، وما بعده لأحمد علم الدين الجندبي .

(٢) ص ١٣٦ .

(٣) البغية ٢٨١ .

(٤) الفهرست ٦٩ .

(٥) الفهرست ١٠٤ ، ١٣٦ ، والسيوطي في المزهري ٩٦/١ .

(٦) الفهرست ٨٤ ، ومعجم الأدباء ٥٣/١٩ .

(٧) البغية ٣١٤ .

(٨) انظر اللهجات العربية في التراث ١٥١ وما بعدها .

ومن هذين الضربين — السابقين — من حركة التأليف اللغوي حول اللهجات تحت مسمى اللغات ، أو نوادرها ، نلاحظ الصلة الوثيقة بينهما ، وتعزى هذه الرابطة القوية بينهما إلى أن كل من ألف في ضرب منهما ، ألف في الضرب الآخر ، حتى أننا وجدنا منهم من يجمع بين الضربين في مصنف واحد ، وقد جُمع — أيضاً — بين اسميهما ، كما فعل الفراء في كتاب " النوادر واللغات " (١) .

ومن ناحية أخرى ، أخذ هذا النوع من التأليف بُعداً آخرأ ، أكثر رسوخاً وتفصيلاً ، نجده في مؤلفات شملت كل ما يتصل بفنون العربية ، كما في " دواوين القبائل وأشعارها " ، أو كتب القبائل ، فمن أشهر مَنْ جمع دواوين القبائل : أبو عمرو الشيباني ، حيث جمع شعر نيف وثمانين قبيلة (٢) . وساق ابن النديم (٣) ، أسماء ستة وعشرين ديواناً من دواوين القبائل ، كما ذكر الآمدي في " المؤلف والمختلف " ستين ديواناً ، لستين قبيلة (٤) . ومن المعروف أن دواوين القبائل وكتبها تحوي سجلاً حافلاً بأخبار القبيلة وأيامها ، وحروبها ، كما تحمل في طياتها فحاحاتها ولغاتها الخاصة ... فخراً وهجاءً ورثاءً .

وإذا ما عَقَدْنَا مقارنة يسيرة بين مواقف علماء العربية من ظاهرة اختلاف اللهجات واللغات ، لا سيما ما أبرزته ظاهرة اختلاف القراءات ، نجدهم قد انقسموا إلى فريقين ، الأول متشدد في الأخذ والاعتبار لبعض القبائل ويمثله البصريون . والآخر متوسع ويمثله الكوفيون ، فأدخلوا قبائل استتكَفَ البصريون أن يأخذوا عنها .

(١) المزهر ٩٦/١ .

(٢) انباه الرواة ٢٢١/١ .

(٣) الفهرست ٢٣٢ .

(٤) انظر مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد ٥٤٩ .

وقد نقل السيوطي ^(١) عن أبي نصر الفارابي ما يفيد أن الرواة لم يأخذوا في الاعتبار لهجات قبائل كثيرة ، ثم أخذ يعدد هذه القبائل . ولم يقبل الكوفيون بتحديد الفارابي ، لأسباب من أهمها :

أ / أن لغات هذه القبائل — التي أنكرها الرواة — جاءت في القرآن الكريم فلغة غسان وردت في القرآن الكريم أربع مرات ، ولغة بني حنيفة ثلاث مرات ، ولغة خزاعة مرتين ، وكذا لغة لخم ^(٢) .

ب / كما ورد عن ابن عباس — رضي الله عنهما — أن من القبائل التي ورد القرآن بلغتها ثقيف ^(٣) ، وعن عمر — رضي الله عنه — قوله : " لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف " ^(٤) ، وقول عثمان — رضي الله عنه — : " اجعلوا المملي من هذيل ، والكاتب من ثقيف " ^(٥) .

ج / كما ثبت (أيضاً) أن القرآن بعضه بلغة جندام وبعضه بلغة اليمن ، وبعضه بلغة قضاة وبعضه بلغة اليمامة وبعضها بلغة كندة ^(٦) . ونقل السيوطي عن أبي بكر الواسطي أن في القرآن الكريم من اللغات خمسين لغة ، ثم أخذ يعدد تلك اللغات ^(٧) . وكل ما في الأمر أن بعض اللهجات أسعد به من بعض ، وأكثر نصيباً . وعلى هذه الروايات رأوا أن لهجات هذه القبائل فصيحة ؛ لأنها موجودة في القرآن ، ولهذا طعنوا في مقياس الفصاحة الذي وضعها رواة البصرة ،

(١) الزهر ٢١١/١-٢١٢ ، والاقتراح ٢٢ .

(٢) الاتقان ١٧٦/١ ، ١٧٧ .

(٣) نفس المرجع

(٤) الزهر ٢١١/١ .

(٥) نفس المرجع والصفحة

(٦) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٧٦/١ ، ١٧٧ .

(٧) الاتقان ١٧٧/١ .

وَوَزَّنُوا به لهجات العرب جميعاً . فكانوا بصنيعهم هذا أشدَّ تقديراً لما ورد من لهجات القبائل ، فلم يهملوا شيئاً ، ولهذا كان رجال الكوفة — أيضاً — لمأحين للمفهوم الشامل للغة ، وواعين لطبيعتها ، ففهموها فهماً أصيلاً ؛ فكل لهجة تمثل جذراً في حقل اللغة ، إذ لا يصح إهداره ، أو الحيف عليه .

ولهذا انتصر الكسائي على سيبويه في المناظرة التي جرت بينهما ، بمنصرة قبائل العرب له ؛ وذلك لأن الكوفيين وعلى رأسهم زعيم مدرستهم قد توسعوا في الأخذ عن القبائل والمصادر التي أسقطها البصريون . ويوضح هذا ما جاء عن الأزهري من أن : " الغالب على الكسائي اللغات " (١) ، ولن يضير هذه القبائل — التي لم يأخذ عنها البصريون — مخالفة لهجاتها لللهجة قريش ؛ لأن : " الناطق على قياس لغة من لغات العرب مُصيب غير مخطيء " (٢) .

والحق أن هذا الموقف الكوفي كان دافعاً لأصحابه للإعتداد بالقراءات القرآنية ؛ فالقراءات القرآنية ما هي إلا وجه من وجوه الخلاف بين لهجات القبائل . أما البصريون فقد أخضعوها لأصولهم وصنعتهم ، حتى أهملوا أكثرها ، واتهموا أغلبها بالشذوذ ، والغلط ، واللحن ، بل ربما حكموا على القراءة بالوهي ، وعلى قارئها بالوهم (٣) .

والمتبع لكتب القراءات — على اختلافها — تستوقفه أكثرها مما تمثل لهجات عربية تجهم لها البصريون ، ووقفوا منها موقفاً متشدداً من المعارضة الصريحة ؛ إذ خالفت أصولهم ، وقواعد منهجهم ، فأخذوا في تأويلها تارة ، ورفضها تارة أخرى ، ولهذا كان استقرارهم ناقصاً حين اعتمدوا على منهج التشدد والجمود

(١) مقدمة تمذيب اللغة ٥٢ .

(٢) الخصائص ١٢/٢ .

(٣) الانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري مسألة : ٦٠ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

في الأخذ عن بعض القبائل المشهورة ، وأهملوا ما سواها . وهم بذلك يكونوا قد انحرفوا عن جادة الطريق ، من ناحية مجانبة قواعد المنهج السليم ، ومن ناحية أخرى فوثقوا على الباحثين من بعدهم فرص دراسة الجانب اللغوي في فضائه الواسع . فأهدروا حاضراً — لهم — وحجروا واسعاً — علينا .

وعلى عكس هذا نجد مدرسة الكوفة قد اعتبرت القراءات مصدراً للتشريع اللغوي ؛ إذ اعتنت — الكوفة منذ تمصيرها — برواية القراءات ؛ لأنها كانت مهبط القراء ، وكانت دراساتهم تعتمد على النقل ، وتعزز بالرواية والتلقين ، وكانوا يرون أن اختلاف القراءات يُعزى لما بين لهجات القبائل من أوجه خلاف ، فرأوا أن كلاً من القراء قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهباً من مذاهب العربية لا يُدفع ، وقصد من القياس وجهاً لا يُمنع ^(١) .

وإذا أخذ البعض بالنهج المتشدد للبصريين ، فإن البعض الآخر وقف ضده منتصراً لمذهب الكوفيين المعتد باللهجات ، فمن أنصار المذهب الأخير نذكر :

(١) جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجياني الأندلسي (ت ٦٧٢هـ) :

قال عنه السيوطي : " وأما اللُّغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها والاطلاع على وحشيها . . . وأما النحو والتصريف فكان فيهما مجراً لا يُجَارَى ، وجِراً لا يُبَارَى ، وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللُّغة والنحو فكان الأئمة الأعلام يتحيرون فيه ويتعجبون من أين يأتي بها " ^(٢) .

ويبدو أن ابن مالك الجياني من المتوسعين في الأخذ عن القبائل ، لا سيما تلك التي رفض البصريون أن يأخذوا عنها ، فقد اعتمد على لغات بعض القبائل

(١) اللهجات العربية في التراث ص ١٥٥ .

(٢) البنية ٥٣ .

كلخيم وجذام وغسان^(١) . وهي القبائل التي لم يأخذ عنها البصريون ، بينما أخذ بلهجاتهم الكوفيون ؛ إذ كانت عندهم كلُّها حُجَّة ، وما دامت القبائل ذات أصول عربية فهي — في مذهبهم — حُجَّة في الاستشهاد والأخذ بلهجاتها ، ومما يؤكد انتماء ابن مالك للمدرسة الكوفية ، أنه كان يأخذ بالقراءات ويحتج بها ولها ، فقد جوز تشديد النون من " اللذان واللَّتان " ، كما جوز التشديد مع الياء أيضاً ؛ إذ يقول : " والنون إن تشدد فلا ملامة "^(٢) . والتشديد مذهب الكوفيين بينما رفضه البصريون^(٣) .

وكان ابن مالك في أخذه بالقراءات التي تمثل لهجات عربية ، يرى أن في اللهجات حقلاً حصيماً لا يجوز إغفاله ، ويكشف هذا ما جاء في البغية من أنه " كان إماماً في القراءات وعللها "^(٤) كما ردَّ على النحويين المتقدمين الذين يعيرون علي حمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية^(٥) . ووثقَ بعض اللهجات العربية بما جاء في الحديث كلهجة طيء ، وأزد شتوعة ، حيث ألحقنا بالفعل علامة التنثية والجمع مع ذكر الفاعل الظاهر بعده ، فعضدها ابن مالك ، بقوله صلى الله عليه وسلم : " ويتعاقبون فيكم ملائكة "^(٦) . وكان ابن مالك محقاً —

(١) انظر الاقتراح ٢٤ .

(٢) الألفية باب الموصول .

(٣) البحر المحيط ١٩٥/٧ .

(٤) البغية ٥٣ .

(٥) الاقتراح ٧ .

(٦) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح : ١٩٢ ، جمال الدين محمد بن عبدالله الطائي

، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، والحديث في البخاري ، باب : فضل صلاة العصر برقم (٥٣٠)

وبسبب : قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ برقم (٧٠٤٨) ، وفي مسلم ، باب : فضل

صلاتي الصبح والعصر برقم (٦٣٨) .

أيضاً — عندما استشهد بالحديث على الرغم من معارضة الكثيرين من رجال العربية في ذلك (١) .

(٢) الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤ — ٧٤٥ هـ) :
نَحْوِي عَصْرَهُ ، وَلُغَوِيَّةٌ وَمُفَسِّرُهُ وَمُحَدِّثُهُ وَمُقَرَّبُهُ وَمُؤَرِّخُهُ وَأَدِيبُهُ ، أَخَذَ الْقُرْآنَ
عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الطَّبَّاعِ ، وَالْعَرَبِيَّةَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَبْدِيِّ ، وَأَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ،
وَكَانَ مَقْدِّمًا فِي النُّحُوِّ (٣) .

والناظر في كتابه " البحر المحيط " ، يلحظ كثرة اللهجات المعزوة إلى قبائلها
كثيرة غامرة ، وقد قام الدكتور محمد خاطر بدراسة لبحره المحيط ، ركز فيها
على تصنيف جميع ما ورد فيه من القراءات فنسقتها وعلق عليها (٤) ففتح بصنيعه
هذا باباً ، يمكن للباحثين طرقه فيما يماثله من كتب اللغة في هذا المضمار .

وكان أبو حيان يقصد في كتابه إلى القراءات والنحو ، لما لهما باللهجات من
صلة وثيقة ؛ إذ يعتمد في أوجه الخلاف في القراءات على ما بين اللهجات من
فروق ، كما أن لهجات القبائل ما هي إلا منحي من مناحي اللغة الفصحى ،
ومسلكاً من مسالكها . وهو القائل : " إن القراءات جاءت على لغة العرب
قياسها وشاذها " (٤) .

ويجدر بنا الإشارة إلى أن موقف الغرب الإسلامي من اللهجات لم يكن
ليطعن في بعض اللهجات ، بل كان يرويها وينقلها — هذا ما وجدناه في منهج
أئمتهم : ابن مالك وأبي حيان — ؛ إذ تعتمد مدرستهم الأندلسية على قراءات

(١) خزائن الأدب : المقدمة .

(٢) البقية ٢٨٠/١ .

(٣) القراءات القرآنية في البحر المحيط ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة .

(٤) البحر المحيط ٤٩٣/٨ .

قرآنية تميل فيها إلى النزعة الأثرية في الاحتجاج للقراءة^(١) ، فسلكت في ذلك طريق السنقل والأثر ، لا القياس والنظر^(٢) ولهذا برز بالأندلس أئمة من القراء ، نذكر منهم :

مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) ، وأبو عمر الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، والشاطبي (ت ٥٣٨ هـ) ، وغيرهم ممن لم نذكر ، أو الذين ذكرناهم — فيما سبق ، كابن مالك ، وأبي حيّان — .

فاهتم هؤلاء بكل ما يحيط بلغة القرآن الكريم من قراءات وغيرها ، كاهتمامهم ببيان المصادر اللغوية للقرآن ، ونسبة الألفاظ فيه إلى قبائلها . ولعل ما يؤكد اهتمامهم باللهجات ، أكثر من إخوانهم المشاركة ، ظهور اللهجات في مؤلفاتهم ظهوراً غامراً .

وليس أدلّ على هذا من أن ابن سيده الأندلسي قد ضمن معجمه (المخصص) عدداً من القبائل التي عزا إليها — بعد إحصائية قام بها " أحمد الجندي " (٣) — بلغت تسعاً وثلاثين قبيلة ، بينما بلغ عددها في الجمهرة ، لابن دريد واحداً وثلاثين قبيلة ، وفي لسان العرب بلغت إحدى وسبعين قبيلة ، كما بلغ عدد اللهجات التي عزا إليها أبو حيّان الأندلسي في تفسيره لأربع وستين قبيلة .

(١) أبو العلي الفارسي ، لعبدالفتاح شلبي ٤٣٠ .

(٢) اللهجات العربية في التراث ٢١٨ .

(٣) اللهجات العربية في التراث ٢٢٠ .

وَمِمَّا سَبَقَ تَخْلُصٌ إِلَى :

١. إنَّ أُمَّةَ المَذْهَبِ البَصْرِيِّ — المتشدد في الأخذ — وضعوا خارطةً لمنهج جمعهم ، كانت في نظر الكوفيين — والمغاربة من بعدهم — قاصرة ومُقَصَّرة في حق المفهوم اللُّغوي الشامل ، حيث أخرجوا من اللُّغة ما كان لزاماً أن يدخل فيها ويستشهد به في هذا المجال .

٢. إن البصريين الذين أولعوا بالمنطق والقياس — لاحقاً — اصطدموا بالقراءات واللهجات وغريب القرآن ، فردُّوا منها ما خالف جمعهم أو قياسهم .

٣. وعلى النقيض من ذلك برز الكوفيون في مجال التَّوسُّع اللُّغوي ، وأقروا ما جاء من كل ذلك ، فسعوا في ذلك باحثين عن الشواهد التي تُعَضِّدُه من لهجات القبائل المختلفة ، فكل لهجة بالنسبة لهم تمثل جذراً في حقل اللُّغة إذ لا يصح إهداره ، فأدخلوا قبائل استنكف البصريون الأخذ عنها .

وبعد هذه المقدمة الموجزة حول مفهوم التَّوسُّع اللُّغوي ، نشير إلى شروح الفصيح الممثلة لحركة التَّوسُّع اللُّغوي في المشرقين ، والتي لم يتوفر لنا منها سوى ثلاثة شروح ، اثنان منها يمثلان حركة التَّوسُّع اللُّغوي في المشرق ، وأما ثالثهما ، فيمثل حركته في المغرب ، وهي على الترتيب كما يأتي :

(١) إسفار كتاب الفصيح ، لأبي سهل الطروي (ت ٤٣٣هـ) .

(٢) شرح الفصيح ، للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) .

(٣) تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ، لأبي جعفر اللبلي (ت ٦٩١هـ) .

وسنُفَصِّلُ الحديث عن هؤلاء الشُّراح والشُّروح الخاصة بهم — في الفصل التالي — قاصدين في سعينا هذا إلى تزويد القارئ بفكرة عامَّة حول مناهج شروحيهم ، وما احتوته من خصائص عامَّة ، ثم إبراز مظاهر التوسُّع اللُّغوي لديهم بشيء من التفصيل .

الفصل الثاني

مَظَاهِرُ التَّوَسُّعِ اللِّغَوِيِّ
فِي شُرُوحِ الْفَصِيحِ

يقول سيويه : " واعلم أن من كلامهم ، اختلاف اللفظين ؛ لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين " (١) ، ولعل في هذا القول إشارة لما يطلقه بعض علماء اللغة من مسميات لظواهر لغوية قد ينكرها غيرهم ، كاطلاقهم اسم الترادف على المفردات الدالة على معنى واحد ، والمشارك اللفظي على الألفاظ المتفقة الدالة على المعاني المختلفة ، والأضداد اللفظ الواحد الدال على معنيين متضادين .

وقبل الشروع في عرض الشروح الخاصة بالتوسُّع اللغوي ، أُشيرُ إلى بعض المصطلحات المتعلقة بظاهرة التوسُّع اللغوي ، وهي ما اعتمدها كمعايير يسرت لناسيل استنباط المسالك التي سلكها أصحاب التوسُّع في شروحيهم فيما يخص هذا الباب ، وهي بإيجاز كالآتي :

— التوسُّع عن طريق الإبدال :

وفيه يقول ابنُ فارس : " من سنن العرب إبدالُ الحروف ، وإقامة بعضها مُقام بعض كقولهم : مَدَحَهُ وَمَدَّهَهُ ، وَفَرَسَ رِفْلًا وَرِفْنًا ، وهو كثير مشهور ، قد أُلِّفَ فيه العلماء " (٢) .

— التوسُّع عن طريق الترادف :

نقل السيوطي عن الإمام فخر الدين الرَّازي قوله في تعريف المترادف : " هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد " (٣) . وعرف الدكتور

(١) الكتاب : ٧/١ .

(٢) صاحب في فقه اللغة : ٢٠٩ .

(٣) الزهر : ٤٠٢/١ .

رمضان عبد التواب المترادفات بقوله : " هي ألفاظ متحدة المعنى ، وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق " (١)

— التَّوَسُّعُ عن طريق الاشتراك اللفظي :

المشترك اللفظي يقصد به : اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر ، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة (٢) .

— التَّوَسُّعُ عن طريق الأضداد :

قال السيوطي في المزهري : " إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الأثنان على جهة الاتساع ، فمن ذلك : الصَّريم ، يُقال لليل صريم ، وللنهار صريم ؛ لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ؛ فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع " (٣) .

— التَّوَسُّعُ عن طريق الاشتقاق :

حكى ابن فارس : " أجمع أهل اللُّغة — إلا من شذ منهم — أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشق بعض الكلام من بعض ، واسم الجن مشتق من الاجتنان ، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر ، تقول العرب للدرع : حُنة ، وأجنه الليل ، وهذا جنين ، أي هو في بطن أمه ... " (٤) .

(٤) فصول في فقه اللغة : ٣٠٩ .

(١) المزهري ١/٣٦٩ .

(٢) المزهري : ٤٠١/١ .

(٣) الصاحبي في فقه اللغة : ٦٦ .

— التوسُّعُ عن طريق جمع اللغات :

وهو من الظواهر اللغوية المشهورة في هذا الباب ، وقد أشار إلى ذلك ابن فارس في فقه اللغة ، في باب القول في اختلاف لغات العرب (١) .

هذه بعض المعايير التي اعتمدها وفق مفاهيمها الاصطلاحية ومدى ارتباطها بظاهرة التوسع ، ونضيف إليها أبرز المسائل التي انتهجها أصحاب التوسع ، كالتوسع عن طريق ذكر أكثر من لغتين ، أو تساويهما من حيث الفصاحة ، أو عن طريق وسم لغة العامة بالجودة ، وغيرها مما سنضمّنه هذه الشروح بأقسامها الثلاثة ، وهي :

— كتاب إسفار الفصيح لأبي سهل الهروي .

— شرح الفصيح للزحشري .

وهذان الشرحان يمثلان الشروح المشرقية . أما الشرح الثالث فهو :

— كتاب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ، لأبي جعفر اللبلي ، الذي

يمثل الشروح المغربية . وهذه الشروح هي مدار حديثنا في الصفحات التالية .

(١) الصاحبى في فقه اللغة : ٥٠ .

أولاً— كتاب إسفار الفصيح لأبي سهل الهروي
(المتوفى سنة : ٤٣٣هـ —)

كتابه (إسفار الفصح) :

يعد هذا الكتاب من أهم المصنفات المشرقية التي اهتمت بالتصويب اللغوي وتنقية اللسان العربي من الخطأ واللكنة ، وهو أحد الشروح التي ألقت على فصيح ثعلب قام بتأليفه أبو سهل الهروي^(١) فكان غزيراً في مادته ، تناول فيه مؤلفه قدراً كبيراً من مفردات اللغة وشروحها ، وعرض لعدد من المسائل المهمة في اللغة والنحو والصرف ، واهتم بإيراده لأقوال جمع من أئمة اللغة ، وانفرد ببعض آراءه العلمية . ولأهمية هذا المصنف فقد قام الباحث أحمد سعيد قشاش بتحقيقه معتمداً في ذلك على نسختين ونال به درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية ، بالمدينة المنورة كلية اللغة العربية عام ١٤١٦ هـ والكتاب يقع في مجلد واحد .

أولاً — المعالم التي تميّز بها هذا الشرح :

١ — بدأ الشارح بمقدمة ، حمد فيها المولى — جلّ وعلا — ، ثم صلى على النبي وآله — صلى الله عليه وسلم — ثم نعى بمخاطبة أحد وزراء الصنهاجيين^(٢) ذاكراً أنه هدّب له كتاب (الفصح) — لثعلب — إلا أن الشارح ، أنكر على ثعلب إثباته فصولاً عدّة في غير أبوابها المترجمة بها ، واستكثاره ما أهمله من تفسير فصوله ، وطلب الوزير إليه إبانته ، وإيضاحها ؛ فعمل الشارح على أن يزيد في إبانة ما فسّره صاحب الفصح ، وإيراد مصادر الأفعال التي أهملها ؛ لإشكالاتها واختلافها ، وأسماء القاعلين والمفعولين ؛ لأنه لم يذكرها — ثعلب — كلها ، فبسبب ما تقدّم ؛ أخرج شرحه هذا ورفعته إلى ذلك الوزير ، ووسمه بـ (إسفار كتاب الفصح) ،

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٦٠ من هذا البحث

(٢) وهو : شهاب بن علي بن أبي الرجال الشيباني .

وأوضح فيه منهجه بقوله : " ثم لما سألتني تفسيره ، واستعجلتني فيه ؛ عملت لك هذا وقصدتُ الإيجاز والاختصار في التفسير ؛ ليقرب عليك حفظه " (١) ثم وعد الوزير بأنه سَيُتِمُّ له وللمتأديين أمثاله شروحه ، إن أمهله القدرُ .

٢ — أعقب مقدمته بتناول مقدمة الفصيح شارحاً — بإسهاب — لما احتوته من مفردات ؛ فأخذ منه ذلك العديد من الصفحات (٢) .

٣ — في عرضه لمواد الفصيح التزمَ بذكر نصِّ الفصيح وعبارته قبل أن يشرع في شرحها ، ففعل ذلك في جُلِّ شرحه .

٤ — اهتم بذكر المشتقات ، وخاصة اسم الفاعل والمفعول ، كما نصَّ على ذلك في مقدمته (٣) .

٥ — حوى الشرح قدراً كبيراً من مفردات اللغة وشروحها ، بحيث يجد قارئه شرحاً وافياً ، لأغلب ألفاظ الفصيح .

٦ — ومن هذه المعالم أيضاً عنايته بأقوال العلماء : اعتنى الشارح — كسابقه ولاحقيه — من شراح الفصيح — بأقوال أئمة اللغة ، مصرحاً بذكر أسمائهم ومصنفاتهم تارة ، ومغفلاً إياها أحياناً ، أو مكثفياً بذكر المؤلف من غير ذكر كتابه ، أو مصرحاً بعبارات تفيد نقله عن بعض تلك المصادر ، كقوله : " قال بعض أهل اللغة ، وقيل ، وقال بعض أهل النحو ... " .

وبما أن الهروي يهدف في إسفاره إلى شرح كتاب الفصيح لتعلب ، فلا غرابة أن تكون مصادره الأولى في هذا الشرح ، هي بعض شروح الفصيح التي سبقتة ،

(١) شرحه للفصيح ص ٢ .

(٢) انظر الصفحات ٣-١٢ .

(٣) انظر ص ٢ .

والتي احتلت المرتبة الأولى في قائمة مصادره ، ويأتي في مقدمتها (تصحيح الفصيح) لابن دُرُسْتُوَيْه وقد أكثرَ التَّقْلَ عنه^(١) ، ويليه في المرتبة الثانية شرح ابن الجبَّان ؛ حيث افتتح به الشارح ناقلاً عنه في مواضع كثيرة^(٢) — أيضاً — . كما صرح الهروي بنقله عن ابن خالويه ، بقوله : " وفي رواية عن ابن خالويه ، أوقوله : ورأيت أيضاً في نسخة مروية عن ابن خالويه " ^(٣) .

وإن كانت شروح الفصيح قد احتلت المرتبة الأولى في قائمة مصادر الشارح ، فإنه لم يُعْفَلْ أقوال الأئمة المتقدمين ، فقد نقل عن شيخ الرواة أبي عمرو بن العلاء ، وعن الخليل بن أحمد ، وعن تلميذه سيويه ، وعن خلف الأحمر ، والنضر بن شمیل ، والقراء ، وأبي عبيدة ، والأصمعي ، وأبي زيد ، وابن الأعرابي ، وابن السكيت ، والسجستاني ، والمبرد ، والزجاج ، وغيرهم . والملاحظ في نقله عن هؤلاء الأئمة إغفاله ذكر الكسائي ، فلم يرد له ذكرٌ في شرحه ، ولعلَّ نقله عن تلميذه القراء ، قد أغناه عن ذلك .

ثانياً — لغات العامّة في الإسفار :

تَطَرَّقَ الهروي — كغيره من شُرَّاح الفصيح — إلى ذِكْرِ لغات العامّة ، وقد سَلَّكَ في ذلك ثلاث مسالك بارزة ، تُبيِّنُها في الآتي :

— أولاً : تصويبه لبعض لغات العامّة :

يُصَوِّبُ بعضَ لغات العامّة ، فيصِفُ بعضها كلغة للعرب ، ويصِفُ أُخْرَى بالفصاحة وسيوضح ذلك عند بسط الحديث حول مذهبه في التَّوَسُّعِ اللُّغَوِيِّ ،

(١) نقل عنه في اثنين وثلاثين موضعاً أولها ص ١٠٨ وآخرها ص ٤٥٣ .

(٢) نقل عنه في أربعة وعشرين موضعاً : أولها ص ٢٢ ، وآخرها ص ٤٥٣ .

(٣) انظر الإسفار : ١٤٩ ، ١٥٣ .

ولا بأس من ذكر مثالين ، فيما يتعلق بتصويبه لُغة العامَّة ، كي يتضح المقصود ،
فمن ذلك :

ذكر ثعلب في الفصيح^(١) أن في (الخاتم) لغين فصيحتين ، هما : خاتم ،
خاتم ، بكسر التاء وفتحها . وحكى ابن سهل أن العامة تقول : خواتيم ، بزيادة
الياء ، وبين أنها لغة للعرب فصيحة^(٢) ، قلت : قال سبويه : " سمعنا من يقول
من يوثق به من العرب : خَوَيْتِيْمُ ، فإذا جمع قال : خواتيم " (٣) .
وفي موضع آخر من الكتاب يذكر أن : (البصاق) بالضم هي اللغة الفصيحة
المسروية عن ثعلب ، ثم يذكر أن العامة تقول : البزاق ، بالزاي للبصاق ، وينص
على أنها لغة — أيضاً — عن العرب^(٤) . قلت : والصاد لغة قريش والزاي لغة
عذرة وكعب وبني القين^(٥) ، واللغتان حكاهما ابن السكيت وابن قتيبة^(٦) .

— ثانياً : التقليل من شأن لغة العامَّة :

يُصرِّحُ بذكر لغة العامَّة ، إلا أنه يُقلِّل من شأنها ، مستخدماً العبارات التالية :
— ليس ذلك بمختار عند الفصحاء : فيذكر أنه لا يقال : سمكٌ مَالِحٌ ، وينبّه إلى
أنه جاء عن بعض العرب قولهم : مَالِحٌ ، ويصرِّح بأن العامَّة على هذه اللغة ،

(١) الفصيح : ٣١٧ .

(٢) انظر الإسفار ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(٣) انظر الكتاب ٤٢٥ / ٣ ، ٢٤٩ / ٤ .

(٤) الإسفار ٤٤٨ .

(٥) انظر البحر المحيط ٤٥ / ١ .

(٦) انظر الإصلاح : ١٨٤ ، وأدب الكاتب : ٣٨٧ ، والتاج : (بصر)

وليس ذلك بمختار عند الفصحاء^(١) ، قلت : ووافقه فيما ذهب إليه ابن السكيت وابن قتيبة والزمخشري^(٢) .

— وليس هذا بالجيد : ومن أمثلة ذلك : ففي كلامه على قول ثعلب : (وثيابٌ جُنْدٌ) بضم الدال ، حكى أن العامّة تفتح الدال ، ويذكر بأنه قد تُكَلِّمُ بهذه اللُّغة بَعْضُ العرب ، ويسمها بعدم الجودة^(٣) . قلت : وقد تكلم بهذه اللغة بعض تميم وبعض كلب^(٤) .

— ثالثاً : تخطئة لغة العامّة :

يصرح بتخطئتها ، وقد جاء ذلك بعبارات مختلفة ، كقوله :
— هذا من خطأ العامّة :

فعند كلامه على قول ثعلب : " وهو عِرْقُ النَّسَا ... يحكي أن الأصمعي أنكر ذلك ، وقال : و لا نقل عِرْقُ النَّسَا ، كما لا يقال : عِرْقُ الْأَكْحَلِ ، ... ، وقالوا : هذا من خطأ العامّة " ^(٥) ، قلت : هكذا رواه ثعلب وابن السكيت وغيره من أئمة اللغة^(٦) .

— والعامّة تُعَلِّطُ فيه : كقوله " وتقول : عندي زوجان من الحَمَامِ ، والعامّة تغلط في هذا فتُسَمِّي الاثنين زوجاً " ^(٧) .

(١) الإسفار ٤٢١ ، ٤٢٢ .

(٢) انظر الاصلاح : ٢٨٨ ، وأدب الكاتب : ١٦٥ ، وشرح الفصيح الزمخشري : ٢٠٢ .

(٣) الإسفار : ٢٨٩ .

(٤) انظر البحر المحيط : ١٠٠/٩ ، ٧٩/١٠ .

(٥) الإسفار : ٢٠٦-٢٠٧ .

(٦) انظر الفصيح : ٢٨٩ ، والاصلاح : ١٦٤ ، والجمهرة ١٠٧٤/٢ ، والمقاييس ٤٢٢/٥ (نسى)

(٧) الإسفار : ٤١٣ ، ٤١٤ .

— وَالْعَامَّةُ تُخَالِفُ الْعَرَبَ :

يذكر أن الفصيح هو قولهم : حُجْزَةُ السَّرَاوِيل ، وينبه إلى أن العامة تخالف العرب في الجيم ، فتقلبها زايًا ، فتقولُ : حُزَّةٌ^(١) . قلت : وحكى ابن الأعرابي (حُزَّة) كما تنطق بها العامة وذكر أنها لغة^(٢) . وفي موضع آخر يذكر أن العامة تخالف لما ورد به السماع عن العرب في قولها : عُوْدٌ يُسْرٌ ، بالياء^(٣) قلت : وحكى الأزهري في التهذيب ٦١/١٣ عن ابن الأعرابي قوله : " هذا عود أُسْرٌ وَيُسْرٌ "

— وَالْعَامَّةُ لَا تُمَيِّزُ بَيْنَهُمَا :

يذكر أبو سهل أن الفصيح أن يقال : جئنا من رأس عَيْنٍ ، بغير ألف ولام في عَيْنٍ ، وينبه إلى أن العامة تقول : رأس العَيْنِ ، فتزيد فيه الألف واللام ، وأنكر أهل العلم بالنحو واللغة ذلك^(٤) . قلت : ذكر علي ابن حمزة في (التنبهات) خلاف ما قال الشارح ، فحكى : " إنما يقال جاء من رأس عين إذا كانت عيناً نكرة غير معروفة ، فأما هذه العين التي في الجزيرة فلا يقال فيها إلا من رأس العين " ، واستشهد على ذلك بييتين من فصيح الشعر^(٥) .

ثالثاً — الْمَعْرَبُ فِي إِسْفَارِ الْفَصِيحِ :

لم ينفرد الهروي — عن غيره من شُرَّاحِ الْفَصِيحِ — فيما يتعلق بالألفاظ المعربة ، والتي وردت في ثنايا الفصيح ، بل سلك مسلك نظرائه من شُرَّاحِ الْفَصِيحِ فِي

(١) الإسفار : ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٢) انظر المدخل إلى تقويم اللسان : ٦٠ ، وشرح ابن هشام اللخمي : ١٥٩ .

(٣) الإسفار : ٢٨٩ .

(٤) نفسه : ٤٢٤ .

(٥) انظر التنبهات : ٣٠٦ .

ذلك ، فتحدث عن مجموعة من الألفاظ المُعَرَّبَة ، وأوضح منها ما هو فارسي
معرب — وهو الغالب على هذه الألفاظ — وأحياناً يقول : أعجمي مُعَرَّب ،
ولم يذكر من أيّ لغة هو ، كما ذكر لفظاً نبطياً مُعَرَّباً . وإليك بعض الأمثلة
على ذلك :

يذكر أن الرِّصَاصُ فارسي معرَّب (١) .

وفي موضع آخر ينبه على أن الجورب أصله فارسي (٢) .

ويذكر أن الإهليلج — بكسر الهمزة واللام الأولى وفتح الثانية — دواء معروف ،
وهو مُعَرَّبٌ من الفارسية ، وأصل الفارسية هندية (٣) .

ويصرح بأن الفلفلُ أعجمي معرَّب (٤) .

وفي موضع آخر من الشرح يذكر أن الأبلّة اسم مدينة معروفة عند البصرة ،
وهي نبطية معرَّبة (٥) .

ومثل هذه المعربات تكرر ورودها في ثنايا الكتاب (٦) .

(١) الإسفار ٢٠٨ .

(٢) الإسفار : ٢١٥ ، والمعرب ٢٤٣ .

(٣) نفسه : ٢٥٦ ، والمعرب ١٣٣ .

(٤) نفسه : ٢٩٠ ، والمعرب ٤٧ .

(٥) نفسه : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، والمعرب ١٠٩ ، ١١٠ .

(٦) انظر الصفحات : ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٣٢٥ ، ٣٨٤ ،

٤١١ ، ٤١٦ ، ٤٢٠ .

رابعاً — مَوْقِفُهُ مِنْ ثَعْلَبٍ :

تتضح مواقف الهروي من صاحب الفصيح في موقفين متباينين ، وتتلخص في الاستدراك عليه ، أو الانتصار له ، وإيجازهما في الآتي :

أولاً — موقف المستدرك عليه :

وتمثل ذلك في تبيهاته على بعض الألفاظ التي وضعها ثعلب في غير أبوابها مما لا تغلط فيها العامة .

— ففي أول باب : (المفتوح أوله من الأسماء) ينيه أبو سهل إلى أن أبا العباس ثعلب ذكر في هذا الباب أربعة وعشرين فصلاً خارجة عن بابهِ (١) .

— وفي موضع آخر : نبّه إلى ألفاظ لا تغلط فيها العامة — كما زعم ثعلب — إلا أنه سرعان ما يبحث عن مخرج لما ذهب إليه ثعلب ، كقوله : " وليس الظنّي والجبرو من هذا الباب (المفتوح أوله من الأسماء) ، ولا تغلط فيه العامة ، وإنما ذكره ثعلب — رحمه الله — ؛ لأن جمعهما في القلة والكثرة كجمع الجدّي " (٢) .

— وفي موضع آخر من الباب نفسه ، وفي كلامه على قول ثعلب : (وهو أئيب من قَلْبِ الصُّبْحِ ، وفَرَقِ الصُّبْحِ) ، ينبّه إلى أن العامة لا تغلط في هذين الفصلين (٣) .

— وقال في أول باب : (المضموم أوله) : " قال أبو سهل : ذكر أبو العباس ثعلب — رحمه الله — في هذا الباب أحد عشر فصلاً خارجة عن ترجمته ، والعامة لا تغلط في الحرف الأول منها ؛ لأنها تضم أوائلها كلها ، كما تتكلم بما

(١) الإسقار : ٢٠٥ .

(٢) نفسه : ٢١٢ .

(٣) نفسه : ٢١٦ .

العرب ، وإنما تغلط في الحرف الثاني منها " (١) . وذَكَرَ من هذه الألفاظ :
اللُّعْبَةُ ، والقُلْفَةُ ، والجُلْدَةُ ، والضُّعْطَةُ ، وِجْدُدٌ ، ...) (٢) .

وقد اهتم الشارح بالتنبيه إلى مثل هذه الاستدراكات (٣) . كما نَبَّه —
أيضاً — على بعض الأخطاء الصرفية واللغوية ، التي وقع فيها ثعلب ، ومن
ذلك ، قوله : " وذكر أبو العباس — رحمه الله — عَجَّتْ ، بكسر العين، في
هذا الباب غلط أيضاً ، والقول فيه كالتقول في عِمَّتْ ، بكسر العين " (٤) .
وقد جاءت تنبيهاته إلى مثل تلك الأخطاء اللغوية ، في أكثر من موضع من
شرحه (٥) .

ثانياً — مَوْقِفُ الْمُتَنَصِّرِ لَهُ :

إذا كان الشَّارِحُ قد استدرك على ثعلب في فصيحه في مواضع منه ، فإنه
قد انتصر له في مواضع أُخَرَ ، مصرحاً بصحة ما ذهب إليه ثعلب مستخدماً
في ذلك بعض العبارات ، كقوله : وهو كلام صحيح ، والأفصح والأكثر ما
اختاره ثعلب ، والذي ذكره أهل اللغة موافق لقول ثعلب ، وإليك تفصيل ما
أوجزناه :

— يصرح بأن قول ثعلب (وهو السُّمَّاني لهذا الطائر) كلامٌ صحيح . دل
به على طائر واحد ، لقوله : (لهذا الطائر) (٦) .

(١) الإسفار : ٢٨٧ .

(٢) نفسه : ٢٨٧ - ٣٠٢ .

(٣) نفسه : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٤) نفسه : ٩١ - ٩٢ .

(٥) نفسه : ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ٢٩٦ ، ٣٩٦ ، ٤٥٢ .

(٦) نفسه : ٣٣٦ .

— أنكر بعض اللغويين على ثعلب أن يكون أعداءً وعدىً بمعنى واحد ،
فصرح أبو سهل الهروي بأن الذي ذكره جِلَّةُ أهل اللغة مُوافقٌ لقول ثعلب (١) .

— أبان الهروي أن العامة تكسر أوائل الكلمات التالية : (كَبَدٌ ، فَخَذٌ ،
كَرْشٌ ، فَحِثٌ) وتسكن الحرف الثاني منها ، ونبه إلى أنها لغة لبعض العرب ،
ولكن الأفصح والأكثر فيها ما اختاره ثعلب — رحمه الله — (٢) .

— وفي موضع آخر يذكر أن في النَّطْعِ ، بكسر النون وفتح الطاء ، أربع
لغات وينبه على أن ما اختاره أبو العباس هو الأفصح (٣) .

خامساً — مَظَاهِرُ التَّوَسُّعِ فِي شَرْحِ الهُرُوي :

تعددت مظاهر التوسع اللغوي لدى الهروي ؛ حيث شملت مسالكة فيه :
التوسع عن طريق إبدال الحروف للكلمة الواحدة ، أو عن طريق التحريك لها
بصورتين مختلفتين ، أو توسعه فيها بالاشتقاق ، والترادف ، والتضاد ، ومن
مظاهر توسعه — أيضاً — تصويبه لبعض لغات العامة ووسمها بالفصاحة .
وتفصيل كل ذلك في الآتي :

أ — التَّوَسُّعُ عَنِ طَرِيقِ (الإِبْدَالِ) : فمن ذلك :

— الإبدال بين الهاء والهمزة :

ذكر الهروي أن (الهاء) في قولهم : (هَرَقْتُ المَاءَ) أصلها هَمَزَةٌ ، وهي مبدلة
منها للتخفيف وكثرة الاستعمال ، والأصل : أَرَقْتُ (٤) .

(١) الإسفار : ٣٩٩ .

(٢) نفسه : ٢٣٢ .

(٣) نفسه : ٢٦٥ .

(٤) نفسه : ٥٤ .

— بين اللام والراء :

ومن ذلك ما حكاه عن بعض اللغويين ، كقولهم : وهو أَيْينٌ من فَلَقِ الصُّبْحِ ،
وَفَرَّقِ الصُّبْحِ ^(١) . قلت : ذكر ابن هشام اللخمي في شرحه للفصيح أن : أهل
الحجاز يقولون (فلق) وبنو تميم يقولون (فرق) بالراء ^(٢) .

— بين الهمزة والواو :

ومن ذلك قولهم : وهو الإِكَافُ والوَكَافُ ^(٣) . قلت : وذكر السيوطي في
المزهر أن : الوكاف بالواو لغة الحجاز ، والإكاف بالهمزة لغة تميم ^(٤) .

— بين الباء والميم :

كقولهم : ما هو بضْرْبَةٍ لِأَزْبٍ ، وبالميم إن شئت ^(٥) .

— بين اللام والنون :

ومن ذلك قولهم : وهو أَشَدُّ سَوَاداً من حَلَكِ العُرَابِ وَحَنَكِ العُرَابِ ، واللام
أكثر ^(٦) .

— بين الواو والياء :

كقولهم : وبينهما بَوْنٌ بعيد بالواو ، وَيَيْنٌ أيضاً بالياء ^(٧) .

(١) الإسفار : ٢١٦ .

(٢) نفسه : ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٣) نفسه : ٢٥٢ .

(٤) نفسه : ٢٧٦/٢ .

(٥) نفسه : ٢٧٦ .

(٦) نفسه : ٤٠٥ .

(٧) نفسه : ٤١٧ .

— بين الصاد والزاي والسين :

واللغة الفصيحة كما يراها الهروي هي : لَصِقْتُ به ، بصاد مكسورة ، إلا أنه ينيه إلى أن قول العامة : لَزِقْتُ وَلَسِقْتُ ، بالزاي والسين ، هما لغتان للعرب أيضاً^(١) ، نلاحظ هنا أنه قد أجاز الإبدال بين هذه الأحرف الثلاثة وكل حرف منها يمثل لغة قبيلة من العرب ، فالصاد لغة قريش ، والزاي لغة عذرة وكعب ، والسين لغة عامة العرب^(٢) .

ب — التَّوَسُّعُ عن طريق الحَرَكَة :

وهذا النوع هو الغالب على طبيعة الكتاب ، ونوجزه بذكر بعض الأمثلة ، الموضحة لذلك ، فمن خلالها يتضح لنا أن هذا النوع من التوسع يكون بذكر لغة واحدة :

— حكى الهروي عن ثعلب : (وَفَسَدَ الشَّيْءُ يَفْسُدُ ، وَيَفْسُدُ ، بالضم والكسر) . وقد اقتصر أصحاب التنقية على لغة الضم ، وأضاف الهروي لغة الكسر^(٣) .

— ومثل ذلك قوله : " وَنَقَرَ الرَّجُلُ وَالذَّابَّةُ يَنْقُرُ ، وَيَنْقُرُ ، بالضم والكسر ، حيث اقتصر أصحاب التنقية على لغة الضم وأضاف الشارح إليها لغة الكسر^(٤) .

(١) الإسفار : ٤٨٨ .

(٢) انظر البحر المحيط : ٤٥/١ .

(٣) انظر الإسفار : ١٥ .

(٤) نفسه : ١٧ .

— وفي موضع آخر يحكي قولهم : يقال : طَلَّقَتِ المرأةُ ، بفتح الطاء واللام ، وطلَّقَتْ ، بضم اللام . فاقترصر أصحاب التنقية على لغة الفتح بينما أضاف الهروي لغة الضم^(١) .

— وفي موضع آخر من الكتاب يقول : " وأَرْضٌ وَبَيْتَةٌ ، على فَعْلَةٍ ، وَوَيْبَةٌ أَيْضاً على فَعِيلَةٍ ، وإن شئت قلت : أرض موبوءة على مفعولة ، فأضاف الشارح هنا لغة تالفة على زنة (مفعولة)^(٢) .

— ويقول في موضع آخر : " وثوبٌ مُزَابِرٌ بالهمز وكسر الباء ، ويروي مُزَابِرٌ ، بفتح الباء ، فالهروي أضاف إلى لغة الفصح لغة ثانية وهي الأخيرة^(٣) .

— وقد يتوسع بذكر أكثر من لغتين : حيث إنه ذكر أن في الإصبع بكسر الهمزة وفتح الباء لغات^(٤) . قُلْتُ : وَذُكِرَ فِيهَا عَشْرُ لُغَاتٍ^(٥) ، ولعلَّ الشَّارِحَ يَعْنِيهَا .

— ويحكي أن في التُّطْعِ ، بكسر النون وفتح الطاء ، أربع لغات^(٦) .

(١) الإسفار : ١٦٩ .

(٢) نفسه : ١٤٤ .

(٣) نفسه : ٢٤٥ .

(٤) نفسه : ٢٥١ .

(٥) انظر المنتخب لكراع : ٥١١/١ ، ٥٣٧ والمدخل لتقوم اللسان : ٨٠ ، والمذكر والمؤنث لآين الانباري

٢٣٧/١ ، والمثلث للبعلي : ١٦٣ تحقيق الأستاذ الدكتور سليمان العايد ، والفرز الثلاثة للفيروز أبادي : ٢٦٦

(٦) الإسفار : ٢٦٥ ، وهذه اللغات جاءت في الغريب المصنف : ٦٦٥ ، والإصلاح ٩٨ ، ١٦٩ ، وأدب

الكتاب ٤٢٣ ، والمدخل إلى تقوم اللسان ٨٧ .

ج - التَّوَسُّعُ عن طريق الاشتقاق :

أحياناً ينسب في توسعه إلى رد هذه المشتقات إلى أصولها التي اشتقت منها كقوله : "والكتاب مُشْتَقٌّ من الكَتَبِ ، وهو الجمع والضم " (١) ، ثم ينتقل إلى تفسير كلمة (الناس) فيرى أنها مُشْتَقَّة من الأَنْسَةِ ، وهي الاستئناس ؛ لأنَّ بعضهم يَأْنَسُ ببعض ، ولا يَأْنَسُ بغيرهم من الحيوان (٢) . ويقول في موضع آخر : " والبهيمة مأخوذة من الإهام ، وهو اشتباه الشيء ، فلا يُدْرَى وَجْهَهُ " (٣) . والمنقارُ عنده مُشْتَقٌّ من النَّقْرِ ، وهو النَّقْرُ والحَفْرُ (٤) . وقوله في موضع آخر : " الجنة البستان ... وأصلها من السَّتر ؛ لأنَّ الموضع لا يسمى جنة حتى تستتر أرضه بالشجر ... " (٥) .

— وفي كلامه على قول صاحب الفصيح (رَهَنْتُ الرَّهْنَ) ، يسوق اشتقاقها : كالمُرْهِنِ ، والرَّاهِنِ ، والمُرْهُونِ ، والرَّهَّانِ ، والرُّهْنِ (٦) .
— ويرى أن أحدَ أبواب الفصيح — والذي وسمَّه ثعلبٌ بـ (باب منه آخر)
— قد اشتمل على عدد من الألفاظ التي تعود كُُلُّها إلى أصل واحد في الاشتقاق ، مُصْرِّحاً بقوله : " وأصلُ هذا الباب كُله من التَّعْطِيطِ والسَّتْرِ " (٧) .

(٤) الإسفار : ٤ .

(٥) نفسه : ٦ .

(٦) نفسه : ٣٥٦ .

(٧) نفسه : ٤٥٣ .

(٨) نفسه : ٢٨٠ .

(١) الإسفار : ٥٨ .

(٢) نفسه : ٣٦٦ .

د - التَّوَسُّعُ عَنْ طَرِيقِ التَّرَادُفِ :

لم يُصْرِّحْ الهرويُّ بهذا المصطلح ، إلا أنه يُفهمُ — عن طريق تتبع شرحه لبعض ألفاظ الفصح — إقراره لظاهرة التَّرَادُفِ ، ويتضح ذلك من قوله : " وَعَضِضْتُ الشيء ، مثل كدَمْتُ سواءً : إذا قبضت عليه بأسنانك " ^(١) . كما يرى أنَّ العقوبة والعذاب بمعنى واحد ^(٢) .

— ويصرح بأن : هزئت به مثل : سخرت منه في الوزن والمعنى ^(٣) .

— وفي موضع آخر من الكتاب يذكر أن : جَرَى وَقَمَنَ ، بمعنى واحد ؛ بمعنى حقيقٌ وخليقٌ وجديرٌ ^(٤) .

— وينبه إلى أن العام والحول والسنة بمعنى واحد ^(٥) .

هـ - التَّوَسُّعُ عَنْ طَرِيقِ تَصْنُوبِ بَعْضِ لُغَاتِ الْعَامَّةِ :

هناك العديد من الأمثلة حول هذا الضرب من التوسع في إسفار الهروي ^(٦) ، وقد سبق أن أشرنا لبعض منها ، في أثناء عرضنا لبعض مواقف من لغات العامة — في مبحث تصويبه للغة العامة — ، حيث وَسَمَ قولَ العامة (عخواتيم ، بزيادة الياء) بقوله : هي لغة فصيحة للعرب ^(٧) ، وقول العامة (البَرَّاقُ ، بالزاي)

(١) الإسفار : ٣٤ .

(٢) نفسه : ٣٨ .

(٣) نفسه : ١٣٢ .

(٤) نفسه : ١٩٧ .

(٥) نفسه : ٤١٦ .

(٦) الإسفار : ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٦٥ ، ٤٠٦ ، ٤٢١ .

(٧) نفسه : ٤٠١ ، ٤٠٢ . وانظر الكتاب لسبويه ٤٢٥/٣ ، ٢٤٩/٤ .

بدلاً من الصاد بقوله : هي لغة أيضاً عن العرب ^(١) . وأشرنا في موضع آخر لمادة (لَصِقْتُ بِهِ) — ضمن أمثلة توسعه عن طريق الإبدال — ، حيث وردت بالصاد ، والنزاي ، والسين ، وكانت بالحرفين الأخيرين من لغات العامة ، وقال الهروي : هما لغتان أيضاً عن العرب ^(٢) . وفيما يأتي نورد المزيد من الأمثلة على هذا النوع :

— ذكر أن جمع : الدَائِقُ والدَائِقُ دَوَائِقُ ، والعامة تقول : دَوَائِقُ بالياء ، فيكون جَمْعُ دَائِقٍ ، وهي لغة للعرب في الدَائِقِ ^(٣) . قلت : وحكى سيبويه هذه اللغة ^(٤) . بينما وصف ابن سيده هذا الجمع بالشذوذ ^(٥) .

— وذكر أن الطسُّ ، بغير هاء ، هي اللغة الفصيحة ، والطَّسْتُ بالياء ، لغة للعرب أيضاً ، ونَبَّه إلى أن العامة لا تتكلم إلا بهذه اللغة ^(٦) . قلت : وقد نسبت هذه اللغة إلى قبيلة طيء ^(٧) .

— وعند كلامه على قول صاحب الفصيح : وهو (العُنُقُ) ، بضم النون ، ذكر أن العامة تُسَكِّنُها وبعضهم يفتحها ، وهما عند العرب لغتان ^(٨) . قلت : وتسكن النون لغة بني عميم وربيعة ^(٩) .

(١) الإسفار : ٤٤٨ ، وانظر الصحاح والمحكم (بزر)

(٢) نفسه : ٤٤٨

(٣) نفسه : ٤٠١ .

(٤) الكتاب : ٢٤٩/٤ .

(٥) انظر المحكم (دنق) .

(٦) الإسفار : ٤٠٣ .

(٧) انظر التهذيب (طسس) ٢٧٤/١٢ .

(٨) الإسفار : ٢٩٠ .

(٩) انظر تنقيف اللسان : ٣٠٠ .

— وحكى عن ثعلب قوله : وهو (الجُبْنُ) : للذي يؤكل ، بضم الباء ، ويصرح بأن العامة تُسكن الباء منها ، ويرى أن ذلك ليس بخطأ ، بل هما لغتان جيدتان (١) ، قلت : والجُبْنُ بضم الباء وتشديد النون لغة ثالثة فيها حكاها الكسائي وابن السكيت وعلي بن حمزة (٢) .

ونخلص مما سبق إلى بيان الآتي :

- التزم الهروي بذكر نص الفصيح وعبارته أثناء عرضه لمواد الفصيح .
- ضمن الشارح شرحه قدرأ كبيراً من مفردات اللغة وشروحها .
- اعتنى بذكر المشتقات بأنواعها ، والترادف والمشارك اللفظي بنوعيه .
- اعتمد كثيراً على شروح الفصيح التي سبقته وفي مقدمتها شرح ابن درستوية ، وشرح ابن الجبّان ، واللذان يأتيان في مقدمة مصادره اللغوية .
- اعتنى بالنقل عن أئمة اللغة المتقدمين وصرح بذكر أسمائهم .
- وقف من لغة العامة ثلاثة مواقف : فصوّب بعضها عندما توافق لغة من لغات العرب ، وأحياناً يقلل من شأنها ، وقد يصرح بخطئها عند مخالفتها للغة العرب .
- ذكر مجموعة من الألفاظ المعربة مما أصلها الفارسية أو النبطية أو الهندية .
- وقف الشارح من صاحب الفصيح موقعين : موقف المنتصر له ، وتصريحه بفصاحة ما ذهب إليه ثعلب ، وموقف المستدرك عليه ، وتنبهه إلى بعض الألفاظ التي وضعها صاحب الفصيح في غير أبوابها .

(١) الإسفار : ٢٩٢-٢٩٣ .

(٢) انظر ما تلحن فيه العامة : ١٢٧ ، والاصلاح : ١١٨ ، والتنبهات : ١٨٣ .

— اهتم بظاهرة توسع العرب في كلامها ، فذكر : التوسع عن طريق الإبدال ،
والتوسع عن طريق تغيير الحركة ، والتوسع عن طريق الاشتقاق ، والتوسع عن
طريق الترادف ، والتوسع عن طريق تصويبه لبعض لغات العامة .

ثانياً — شرحُ الفصيح للزمخشري

(المتوفى سنة : ٥٣٨ هـ —)

ترجمة المؤلف (١) :

هو محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، وقيل : محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري ، ويُكنى أبو القاسم ، لُقّبَ بـ (جار الله) ؛ لمجاورته البيت العتيق بمكة المكرمة ، ثم أصبح هذا اللقب علماً عليه ، ولد بزمخشري إحدى قرى خوارزم سنة سبع وستين وأربعمائة هجرية ، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة هجرية .

كتابه (شرح الفصح) :

يمثل هذا الكتاب أحد الشروح المشرقية التي تناولت فصيح ثعلب بالشرح والبيان ، لمؤلفه أبي القاسم الزمخشري ، والذي يذكر الدكتور فؤاد سزكين في كتابه (تاريخ التراث العربي) المجلد الثامن الجزء الأول ، ص : ٣٣١ أن هذا الشرح كتب في القرن السابع الهجري ، وقد قام بتحقيقه الباحث ابراهيم ابن عبدالله بن جمهور الغامدي على نسخة واحدة ، ونال بها درجة الدكتوراه ، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، كلية اللغة العربية عام ١٤١٧ هـ ، ويقع الكتاب في مجلدين .

أولاً — قيمة هذا الشرح :

وتبرز قيمة هذا الشرح من خلال اهتمامه بشرح مقدمة الفصح واستقصائه لها ، فالشارح بدأ كتابه بتفسير مقدمة الفصح ، وقد فصل القول في ذلك ، فبدأ بتفسير كلمة (هذا) ، قائلاً : " ها : تنبيه ، وذا : اسم يُشارُ به إلى شيء حاضر

(١) انظر معجم في الأدباء ١٩ / ١٢٦ ، انباه الرواة : ٣ / ٢٦٥ ، ووفيات الأعيان ٥ / ١٦٨ ، وبغية الوعاة : ٢ /

... " (١) وقد أسهبَ في بيان أحوالها ، ذاكراً صيغ الإفراد والتنثية والجمع ، والتذكير والتأنيث ، وشرح ذلك فيما يقرب من نصف صفحة . ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان كلمة (كتاب) فذكر مشتقاتها ، فأبان عن اسم الفاعل منه — مثلاً — بقوله : " وسُمِّي الكاتب كاتباً ؛ لأنه يجمع بين الحروف بعضها إلى بعض " (٢) . ثم تابع تفسيره ، فعرّف الكلام الفصيح بأنه : الخالص من اللحن ، مُدلاً على ذلك بذكره معانٍ للفصاحة . واحتتم تفسيره لمقدمة صاحب الفصيح بقوله : " أَلْفَنَاهُ : جمعناه ، والتأليف : الجمع ... " (٣) . أمّا خاتمة كتابه فقد جاءت موجزة في عبارته التالية : " تَمَّ الكتابُ والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلامه " (٤) .

— وقد امتاز هذا الشرحُ بغزارةِ المادة العلمية وتنوعها ، مما يدل على سعة إطلاع الزمخشري وعمق ثقافته ، فمن ذلك : عنايته بأقوال أئمة اللغة ، واهتمامه بالمسائل النحوية والتصريفية وبالمشتقات وإرجاعها إلى أصولها كما اهتم بلغات العرب ، بالإضافة لعنايته بلغات العامة ، كما اهتم بالاستشهاد بفصيح كلام العرب وفي مقدمته القرآن الكريم الذي يمثل قمة الفصاحة ، ثم الشعر العربي والحديث الشريف ، كما اعتنى بظاهرة الترادف والمشارك اللفظي بنوعيه ، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه .

(٢) المقدمة : ٥ .

(١) المقدمة : ٦ .

(٢) المقدمة : ٩ .

(٣) خاتمة الكتاب : ٧١١ .

عِنَايَتُهُ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ :

تَبَرَّزَ عِنَايَتِهِ — فِي شَرْحِهِ — بِأَقْوَالِ أَثَمَةِ اللُّغَةِ ، وَلَا سِيَّمَا الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ ، وَلَا أَدْلَى عَلَى ذَلِكَ مِنْ اسْتِفْتَاخِهِ لِأَوَّلِ مَوَادِّ شَرْحِهِ بِقَوْلِهِ عَلَى " نَمَسَى الْمَالُ يَنْمِي " : " بِالْيَسَاءِ اخْتِيَارِ نَقْلَةِ اللُّغَةِ كَالْفَرَاءِ ، وَالْكَسَائِيِّ ، وَأَبِي عَيْبَةَ ، وَأَبِي زَيْدٍ " (١) . وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْكِتَابِ يَنْقُلُ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ وَالْفَرَاءِ وَالْكَسَائِيِّ قَوْلَهُمْ : كَسَبْتُ الْمَالَ (٢) .

— وَفِي كَلَامِهِ عَلَى قَوْلِ ثَعْلَبٍ : (فَرَكْتُ الْمَرْأَةَ زَوْجَهَا تَفْرُكُهُ) أَبَانَ الشَّارِحُ أَنَّهُ يَقَالُ : فَرَكْتُ تَفْرُكُ ، وَيَصْرِّحُ بِأَنَّهُ حَكَاهَا كُلٌّ مِنَ : الْكَسَائِيِّ ، وَأَبُو عَيْبَةَ ، وَاللَّحْيَانِيِّ (٣) .

— وَذَكَرَ أَنَّ الْعَامَةَ تَقُولُ : أَجِنَ الْمَاءُ يَأْجِنُ ، وَيَنْبَهُ إِلَى أَنَّهَا لَعْنَةٌ حَكََاهَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَالْكَسَائِيُّ (٤) .

— وَحَكَى أَنَّهُ يَقَالُ : خَيْطَانٌ ، وَخَيْطَانٌ ، بِكسْرِ الْخَاءِ وَفَتْحِهَا ، رَوَى ذَلِكَ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ فِي كِتَابِ الطَّيْرِ ، كَمَا نَصَّ الشَّارِحُ عَلَى ذَلِكَ (٥) .

وَهَكَذَا كَانَ لِعِنَايَتِهِ بِأَقْوَالِ اللُّغَوِيِّينَ نَصِيبٌ وَافِرٌ فِي الْكِتَابِ (٦) .

(١) شرحه للنصيح : ١١ .

(٢) نفسه : ٣٦ .

(٣) نفسه : ٦٢ .

(٤) نفسه : ٣٤ .

(٥) نفسه : ٤٧٦ .

(٦) انظر الصفحات ١٩٠ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٣١ ، ٢٨٨ ، ٣٦١ ، ٣٨٧ .

عنايته بمسائل العربية :

وكما اعتنى المصنف بأقوال أئمة اللغة ، فقد اعتنى أيضاً بمسائل العربية ، وخاصة النحو والصرف ، وفيما يلي إشارة موجزة لذلك : ففي الجانب النحوي ، نقل عن الكسائي قوله : " بُني أمس على الكسر ؛ لأن أصله : أمسى يُمسي ، كقولك : أمس عندنا . فإذا دخلت عليه الألف واللام أجريت عليه وجوه الإعراب ؛ لأنه حينئذ خرج من شبه الفعل ، فتقول : مضى لأمس ، وكان عندي لأمس ... " (١) . كما تضمن شرحه إشارات متفاوتة تدل على عنايته بهذه المسائل النحوية (٢) ، إضافة إلى عنايته بالمسائل الصرفية ، فاهتم بأبنية كلام العرب ، وبيان الفصيح منها ، فأبان الشارح أوزان جل المواد التي عرض لها ، وما اعترى بعضها من العلل الصرفية ، وتوضيح آرائه في الكلمة الموزونة وبيان أصولها (٣) .

ومن عنايته بمسائل العربية تبرز عنايته بالجموع : فقد اهتم المؤلف أثناء شرحه للمواد اللغوية بجمعها وبيان نوع هذا الجمع ، والأوجه الجائزة فيه ، وبيان ما هو قياسي منه أو سماعي ، معتل أو صحيح ، وما كان أصله مصدراً أو صفة ، كما أنه نبه على نواذر الجمع وغرائبه ، وبعض صيغ الجموع القياسية المطردة (٤) .

كما اهتم بظاهرة المذكر والمؤنث فتحدث المؤلف عن هذه الظاهرة من خلال تتبعه لما أورده ثعلب ، وأبان عن الصيغ التي يستوي فيها المذكر والمؤنث ،

(١) شرحه : ٦٨١ ، ٦٨٢ .

(٢) انظر الصفحات : ٣٥٦ ، ٢٨٥ ، ٣٨٦ ، ٥٣٩ ، ٦٩٠ .

(٣) انظر الصفحات : ١٩١ ، ٣٣٦ ، ٣٥٦ ، ٥٥٣ ، ٦٠٩ .

(٤) انظر الصفحات : ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٥٥٢ ، ٦٦٧ .

كصيغة فَعَّالٍ وَمَفْعَالٍ وَمَفْعِيلٍ ، وأبان عن الألفاظ التي يشترك فيها المذكر والمؤنث ، أو يختص بها أحدهما^(١) .

ثانياً — لغة العامة في شرح الزمخشري :

تعد عناية الشارح بلغة العامة من أبرز مظاهر توسعه اللغوي ، وقد سلك في ذلك أساليب متنوعة ، منها :

أ — يسمُّ لغة العامة بالجودة ، مع تقديمه للغة الأشهر والأفصح :

ومن أمثلة ذلك ، قوله :

— ففي كلامه على قول ثعلب : (وَقَلَجَ الرَّجُلُ) يذكر أن أفلاج لغة جيِّدة ، والعامة مَوْلعة بها^(٢) . قلت : فصَّحها أحد اللغويين حاكياً إياها عن أئمة اللغة الثقات^(٣) .

— وعند تقديمه لقول صاحب الفصيح : (عَنَيْتُ بِحَاجَتِكَ) ذكر أن العامة تقول : عَنَيْتُ بِحَاجَتِكَ ، وهي على ما ذكر ابن الأعرابي جيِّدة^(٤) . قلت : وقال المطرز : هما لغتان فصيحتان^(٥) .

(١) انظر الصفحات : ٤٩٧ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦٠٥ .

(٢) شرحه للفصيح : ٧٣ .

(٣) انظر تحفة المجد : ٢٣٢ .

(٤) شرحه للفصيح : ٦٢٤ ، ٦٢٥ .

(٥) انظر الاقتضاب : ٢١٩/٢ ، وأفعال السراقسطي : ٣١٥/١ ، و تحفة المجد الصريح : ٣٠١ .

— وفي كلامه على قول ثعلب : (شتان ما هما) يصرح بأن العامة تقول : شتان ما بينهما ، وهي عند الفراء جيدة^(١) . قلت : والأخيرة فصحتها ابن السيد البطليوسي ، وأنكرها الأصمعي وغيره^(٢) .

ب — يَنْسِبُهَا إِلَى إِحْدَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، مُقَدِّمًا لُغَةَ الْقَصَاحَةِ عَلَيْهَا :
ومن أمثلة ذلك :

— ففي كلامه على قول ثعلب : (وَعَجَزْتُ عَنِ الشَّيْءِ أَعْجَزُ) يذكر أن العامة تقول : عَجَزَ يَعْجِزُ ، وهي لغة في هذيل ، رواها الفراء^(٣) . قلت : وحكي عن أبي زيد أنها لغة لبعض قيس^(٤) .

— وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : (وَهَلَّتْ عَلَيْهِ التُّرَابُ) ينبئ إلى أن العامة تقول : أَهَلَّتْ التُّرَابُ ، وهي لغة في هذيل^(٥) . قلت وحكاها أبو عبيد ، والمطرز عن ابن الأعرابي^(٦) .

— وعند تقديمه لقول ثعلب : (حَلَمْتُ فِي النَّوْمِ أَحْلُمُ) يصرح الشارح بأن العامة تقول : حَلَمْتُ فِي النَّوْمِ ، وهي لغة قيس ، على ما ذكر أبو زيد^(٧) .

(١) شرحه : ٢٢٤ .

(٢) انظر الإصلاح : ٢٨١ ، وأدب الكاتب : ٤٠٣ ، والمزهر : ٣١٩/١ ، والصحاح (شت) والافتضاب : ٢٢٢/٢ ، وقد فصحتها المصنف فيه .

(٣) شرحه للفصيح : ٢٤ .

(٤) تحفة المجد : ٧١ .

(٥) شرحه للفصيح : ١٠٥ .

(٦) انظر الغريب المصنف : ٥٧٤/٢ ، والمحكم ٢٧٦/٤ (هزل)

(٧) شرحه للفصيح : ٢٩٩ .

— وفي موضع آخر من شرحه يقول : هي الفَحِثُ ، والعامَّة تقول : فِحْثٌ ،
وينص على أنها لغة لتميم (١) .

ج — يَنْبُئُهَا دُونَ ذِكْرِ لِمَسْتَوَاهَا الصَّوَابِي :

ومن أمثلة ذلك :

— ففي كلامه على قولهم : بَرَدْتُ عَيْنِي أَبْرَدُهَا يَذْكَرُ أَنَّ الْعَامَّةَ تَقُولُ : أَبْرَدْتُهَا (٢) .
قلت : والأخيرة وسمت بالرداءة (٣) .

— وفي كلامه على قول صاحب الفصيح أيضاً (وَأَعْقَدْتُ الْعَسَلَ وَغَيْرَهُ) ،
يصرح بأن العامَّة تَقُولُ : عَقَدْتُ (٤) . قلت : واللغة الأخيرة ذكرها غير واحد
من اللغويين (٥) .

— وفي موضع آخر من شرحه يقول : وهي الرَّحَا ، بفتح الراء ، وينبه إلى أن
العامَّة تَقُولُهَا بِكَسْرِ الرَّاءِ (٦) . قلت : والأخيرة أنكراها ابن السكيت ، وسكت عنها
ابن الجوزي (٧) .

د — يَسْمِيهَا بِالضَّعْفِ ، وَعَدَمِ الْجُودَةِ :

وقد استخدم في وَسْمِهَا لها بذلك — الضعف — عبارات مختلفة ، كقوله :

(١) شرحه للفصيح : ٤٢٠ .

(٢) نفسه : ١١٠ .

(٣) انظر أفعال ابن القطاع : ٣١٢/٢ ، والصحاح (برد) .

(٤) شرحه للفصيح : ١٨٢ .

(٥) انظر الإصلاح : ٢٢٧ ، وتقويم اللسان : ٦٣ .

(٦) شرحه للفصيح : ٣٦٤ .

(٧) انظر الإصلاح : ١٦٢ ، وتقويم اللسان : ١١٠ .

— لغة ضعيفة : فعند ذكره لغة الفصاحة : (أمر الشيء) ، نبه إلى أن العامة تقول :
مر ، ويذكر أنها لغة ضعيفة (١) .

— وهي لغة رذلة : قدّم لغة الفصاحة : (أغلقتُ الباب) ، ونبه إلى أن العامة
تقول : غلقتُ ، وصرّح بأنها لغة رذلة (٢) .

— وعند كلامه على قول صاحب الفصيح (وهو صدّاقُ المرأة) ، يذكر أن العامة
تقول : صدّاق ، وينقل عن الفراء : بأنها أرذل اللغات (٣) .

هـ — أحياناً يخطئها :

ومن أمثلة ذلك :

— ففي كلامه على قول ثعلب : (وفَسَدَ الشيءُ يَفْسُدُ) يصرّح بأن العامة تقول :
انفَسَدَ ، ويسمها بالخطأ (٤) .

— وعند تقديمه لقول ثعلب : (وعَلَفَتُ الدّابةُ) ، يذكر أن العامة تقول :
أعلفتُ ، بالألف ، ويصرّح بخطئها (٥) . قلت : وحكى اللبلي أنه يقال : علفت
الدابة ، وأعلفتها بالألف ، راوياً ذلك عن أئمة اللغة (٦) .

ثالثاً — مَوْقفُه من ثعلب :

(١) شرحه للفصيح : ٢١٩ .

(٢) نفسه : ٢٢٠ .

(٣) نفسه : ٣٦٧ ، وانظر : ٤٥٠ ، ٦٦٣ .

(٤) شرحه للفصيح : ١٥ .

(٥) نفسه : ٨٦ .

(٦) انظر تحفة المجد : ٢٥٤ .

إذا كان ابنُ دُرُسْتُوَيْه — رحمه الله — قد تحامل على ثعلب وخطأه في بعض
المواضع ، وانتقده في مواضع أخرى ، وكان الهروي — رحمه الله — قد استدرك
على ثعلب في بعض الألفاظ التي وضعها في غير أبوابها — كما أشرنا سابقاً —
فإن موقف الزمخشري كان مخالفاً للموقفين السابقين ، وذلك من خلال انتصاره
لثعلب في مواضع من كتابه ، مستخدماً العبارات التالية :

أ — والفصيح ما ذكره :

— نبه الشارح على أن في (امْتَقَعَ لَوْنُهُ) أربع لغات ويصرح بأن أفصحهن ما
ذكره أبو العباس ^(١) .

— ويذكر أن العامة تقول : (قَلَنْسُوَّةٌ) وينبه إلى أن الفصيح ما ذكره أبو العباس
وهو (قَلَنْسُوَّةٌ) ^(٢) .

— ويذكر أيضاً أن العامة تقول : (صَبْرٌ) ، ويصرح بأن الفصيح ما ذكره أبو
العباس ، وهو (الصَّبْرُ) ^(٣) .

ب — ما اختاره أبو العباس أفصح : يذكر أن في (النَّطْعُ) أربع لغات ، وينص
على أن ما اختاره أبو العباس أفصح ، وهو (نَطْعٌ) ^(٤) .

ج — والأجود ما اختاره أبو العباس : يذكر أن (الحَيْرُ) : المداد وينبه إلى أن
هذا هو اختيار أبي العباس ، حكاه عن الفراء ، وصرَّح الشارح بجودته ^(٥) .

(١) شرحه للفصيح : ١٢٨ .

(٢) نفسه : ٦٤٠ .

(٣) نفسه : ٤٢٣ .

(٤) نفسه : ٤٧١ .

(٥) نفسه : ٤٧٦ .

أما موقفه الثاني من ثعلب فهو موقف المستدرِك عليه ، وتمثل ذلك في الآتي :

أ - يصرح بعدم فصاحة ما ذكره ثعلب : حيث إنه يرى أن قول ثعلب (عِبْتُ عليه) ليس بفصيح ، وإنما الفصيح قولهم (عِبْتُهُ)^(١) .

ب - يورد الخلاف بين ثعلب وغيره من أئمة اللغة : ففي قوله : " بأسنانه حَفَرٌ وحَفَرٌ " يصرُّ بأن أبا العباس سوى بينهما ، ونبه إلى أن الكسائي يرى أن (الحَفَرُ) أجود^(٢) .

ج - يحكي الخلاف بين ثعلب وابن قتيبة ، ويتنصر للأخير على ثعلب : ففي كلامه على قول ثعلب : (ماءٌ شَرُوبٌ وشَرِيبٌ) للذي بين الملح والعدوية ونبه إلى أن أبا العباس جمع بينهما ، وفرَّق غيره ، فقال : الشَّرُوب للذي يشرب عند الضرورة ، والشَّرِيبُ الذي فيه أدنى ملوحة ويشرب على ما فيه ويصرح بأن هذا القول أجود^(٣) .

رابعاً - المُعَرَّبُ في شرح الزمخشري :

ذَكَرَ الزمخشريُّ في شرحه كثيراً من الألفاظ الأعجمية المُعَرَّبة ، والتي بلغت ما يقارب من تسعة وأربعين لفظاً ، وقد جاء هذا بصيغ مختلفة ، منها :

قوله : فارسي مُعَرَّبٌ ، وهو الغالب على هذه الصيغ .

(١) شرحه للفصيح : ٢٣٥ .

(٢) نفسه : ٦٥٤ .

(٣) نفسه : ٦٦٠ ، ٦٦١ ، وانظر أدب الكاتب : ١٦٥ .

ومن أمثلة ذلك :

— يذكر أن العامة تقول : جُورِبٌ ، وهو فارسي مُعَرَّبٌ^(١) .

— وينقل عن أبي زيد أن الكَوْسَجَ والكَوْسَقَ فارسي مُعَرَّبٌ^(٢) .

— أحيانا يذكر اللفظة المعربة ، مكتفيا بقوله : أصله أعجمي ، أو أصله فارسي^(٣) أو : ((ويُقالُ : إنَّه فارسيٌّ))^(٤) ، وقد ينقل عن بعض اللغويين قولهم ، بأن الكلمة فارسية مُعَرَّبة^(٥) .

— أحيانا يخالف مُشَدِّداً في تعريب بعض الكلمات التي يرى أكثر الناس بأنها عربية صحيحة^(٦) . أو يذكر اللفظة الأعجمية معلقاً عليها بقوله : ((وليست الكلمة بعربي محض))^(٧) . وبالرغم من تشدده هذا ، نجده أحيانا يورد اللفظة للمعربة دون إشارة منه إلى تعريبها^(٨) . أو يكتفي بإشارة عابرة حول تعريبها ، كقوله : ((فليس من كلامهم))^(٩) ، وأحيانا نجده يسهب في حديثه عن خصائص الفارسية إذا عُرِّبت^(١٠) .

(١) شرحه للفصيح : ٣٨٢ . وانظر المعرب : ٢٤٣ .

(٢) نفس الصفحة ، وانظر ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٣ ، ٤٥٥ ، ٤٦٦ ، ٤٨٢ ، ٥١٥ ، ٥٣٩ ، وانظر المعرب : ٥٤٠ .

(٣) شرحه للفصيح : ٤١٠ .

(٤) نفسه : ٥٨٧ .

(٥) نفسه : ٦٧٢ .

(٦) نفسه : ٤٨٢ .

(٧) نفسه : ٦٥٥ .

(٨) شرحه للفصيح : ٤٣ - ٤٤١ .

(٩) نفسه : ٤٤١ .

(١٠) نفسه : ٤٥٥ .

خامساً — مَظَاهِرُ التَّوَسُّعِ فِي شَرْحِ الزَّمْخَشَرِيِّ لِلْفَصِيحِ :

ومن هذه المظاهر ، نذكر ما يلي :

أ — التَّوَسُّعُ عَنْ طَرِيقِ الْإِبْدَالِ :

ومن أمثلة ذلك :

— الإبدال بين الهمزة والياء والميم والباء : يذكر الشارح أربع لغات في (أَوْمَاتُ إِلَى الشَّيْءِ) وهي : أَوْمَاتُ ، وَأَوْمَيْتُ ، وَوَمَاتُ ، وَوَمَيْتُ ، ويصرح بأن الهمز أجود ، وينبئ إلى جواز إبدال الميم بباء ، كقولهم : أَوْبَاتُ وَوَبَاتُ ، بمعنى واحد^(١) . قلت : وسم ابن درستويه (أوميتُ) بأنها من لغات العامة ، وجوز هذا في القياس ، إلا أنه بالهمز أفصح ، ورفضها ابن السكيت والجوهري^(٢) .

— بين اللام والراء : كقولهم (هو أبين من فَلَقِ الصُّبْحِ ، وَفَرَقِ الصُّبْحِ)^(٣) . قلت : وهي باللام لغة أهل الحجاز وبالراء لغة تميم^(٤) .

— الإبدال بين الهمزة والواو : ذكر الشارح أن : (الْإِكَافُ وَالْوِكَافُ ، لُغَتَانِ جِيدَتَانِ ، وَكَذَلِكَ : إِشَاحٌ وَوِشَاحٌ ، وَإِسَادَةٌ وَوِسَادَةٌ)^(٥) . قلت : مرُّ بنا ما قرره السيوطي في المزهر من أن الواو لغة لأهل الحجاز ، والهمز لغة تميم^(٦) .

(١) نفسه : ٢٤٨ .

(٢) انظر تصحيح الفصيح : ١٨٢ ، والإصلاح : ١٤٨ ، والصحاح (وما)

(٣) شرحه للفصيح : ٣٨٥ .

(٤) انظر شرح الفصيح لابن هشام اللخمي : ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٥) شرحه للفصيح : ٤٥٢ .

(٦) ٢٧٦/٢ .

— بين الباء والميم والتاء : أورد الشارح قوله : (ما هذا بَضْرِبَةٍ لَازِبٍ وَلَازِمٍ) ،
وحكى عن الفراء أنهما لغتان ، ونبه إلى وجود لغة ثالثة فيهما وهي لَاتِبٌ ^(١) .
قلت : والأخيرة نسبت لقيس فيقولون : طين لَاتِبٌ ^(٢) .

— بين اللام والنون ، كقولهم : (أسود حَالِكٌ وَحَانِكٌ ، وهو أَشَدُّ من حَنَكِ
الغراب ، وَحَلَكِ الغراب) وبينه على أن اللام أكثر ^(٣) . قلت : ومن اللغويين
من فرق بينهما من حيث المعنى ، فقال : حلك الغراب : لوئته ، وحنك الغراب :
منقاره ^(٤) .

— بين الميم والباء والنون والهاء : كقولهم (امْتَقِعْ لونه : إذا تغير) ، يحكى أن
فيه أربع لغات : امْتَقِعَ بالميم ، وابتَقِعَ بالباء ، واثْتَقِعَ بالنون ، واهْتَقِعَ بالهاء ^(٥) .

— بين الواو والياء : ذكر الشارح لغة الفصيح (وبينهما بَوْنٌ بَعِيدٌ) ، ونبه إلى
أن العامة تقول : بَيْنٌ بَعِيدٌ ، وجوز ذلك ، حاكياً إياها عن يعقوب ^(٦) .

— بين الصاد والسين والزاي : جاء في الفصيح : (وهو الصَّقْرُ ، بالصاد) ،
ونبه إلى أن العامة تقولها بالسين ، وصرح بأنها لغة ، وبالزاي لغة ثالثة ، ويذكر
أن كُلَّ صَادٍ بَعْدَهَا قَافٌ أَوْ طَاءٌ أَوْ غَيْنٌ ، أَوْ دَالٌ ، فإن لغات العرب تختلف فيها ،
منهم من يقول : بالزاي ، نحو : الصَّقْرُ ، والسَّقْرُ ، والزَّقْرُ ، والصَّرَاطُ ، والسَّرَاطُ ،
والزَّرَاطُ ، ويضيف : بأنه يقال : أَصْدَقُ ، ومنهم مَنْ يَقُولُ : أَرْدَقُ ^(٧) . قلت :

(١) شرحه للفصيح : ٦٢٥ ، وانظر الإبدال لابن السكيت : ٤٨ ، ٦٢ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء : ٣٨٤/٢ .

(٣) شرحه للفصيح : ٦٥٨ .

(٤) انظر اللسان (حلك)

(٥) شرحه للفصيح : ١٢٨ ، وانظر الإبدال لابن السكيت : ٧٩ .

(٦) نفسه : ٦٧٥ .

(٧) نفسه : ٦٩٣ .

والصناد لغة قريش ، والسين لغة عامة العرب ، والزاي لغة عذرة وكعب وبيبي القين (١) . وحكى الصاغاني أن : " الزراط لغة في السراط " (٢) .

— ومثل هذا الإبدال ما حكاه في موضع آخر : وَبَصَقَ الرَّجُلُ ، إِذَا رَمَى الْبُصَاقَ ، وكذلك : بَزَقَ ، وَبَنَّهُ إِلَى أَنْ الْعَامَّةُ تَقُولُ : بِالسَّيْنِ ، وَيَصْرَحُ بِأَنَّهَا لُغَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ (٣) .

ب — التَّوَسُّعُ عَنْ طَرِيقِ تَغْيِيرِ الْحَرَكَةِ :

وهذا النوع أكثر من سابقه وروداً في ثنابا الكتاب ، وقد يكون :

(١) بذكر لغة واحدة : حكى عن الكسائي أنه قال : سِوَارٌ وَسِوَارٌ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ لُغَتَانِ جِيدَتَانِ (٤) .

اقتصر أصحاب التنقية على اللغة الأولى بينما أضاف الزمخشري لغة الضم .

(٢) ذكره للفتين : كقوله : " الْحَرْبُ خَدَعَةٌ ، فِيهَا ثَلَاثُ لُغَاتٍ : خَدَعَةٌ ، عَلَى وَزْنِ تَمْرَةٍ ، وَخَدَعَةٌ مِثَالِ رُطْبَةٍ ، وَخَدَعَةٌ مِثَالِ بُسْرَةٍ " (٥) .

اقتصر أصحاب التنقية على : (خَدَعَةٌ) بفتح الخاء وضم الدال ، وأضاف الزمخشري اللغتين الأخيرتين .

(٢) البحر المحيط : ٤٥/١ .

(٣) انظر : التكملة والمذيل والصلة : ١٣٢/٤ .

(٤) شرحه للفصيح : ٧٠١ .

(٥) نفسه : ٤٥٣ .

(٦) نفسه : ٤٠٢ .

٣) ذكره لثلاث لغات : كقوله : " وفي الشَّمال لغات " ، اقتصر أصحاب التنقية على اللغة الأولى (الشَّمال) بينما ذكر الزمخشري — بالإضافة إلى ما سبق — ثلاث لغات : شَمَّال ، شَأْمَل ، شَمَل^(١) .

وذكر أن في الإصْبَع أيضاً ثلاث لغات : وهي : إصْبَعٌ وزان : إذْخِر ، أصْبَعٌ مثال : أبْكَم ، وأصْبَعٌ تقدير : أبْلَم^(٢) .
اقتصر أصحاب التنقية على اللغة الفصيحة الأولى ، وأضاف الزمخشري اللغتين الأخيرتين .

كما حكى أيضاً ثلاث لغات في : النَّطْع^(٣) والأُضْحِيَّة^(٤) .

٤) ذكره لخمس لغات : ذكر خمس لغات في (الأُرُزُّ) : أُرُزُّ بفتح الهمزة وتشديد الزاي ، وهي اللغة التي اقتصر عليها ثعلب وأصحاب التنقية ، وأُرُزُّ ، بضم الهمزة وتشديد الزاي ، وأُرُزُّ ، وأُرُزُّ ، ورُزُّ ، ورُزُّ^(٥) .

٥) يذكر لغة واحدة في الأفعال ، ومن أمثلة ذلك : حكى أن في سَخْنِ الماء ثلاث لغات : سَخْنٌ ، وهو الأجود ، وسَخْنٌ ، وهو كثير ، وسَخِنَ^(٦) . وينبئ إلى أن الكسر لغة هوازن^(٧) . وذكر ثعلب وأصحاب التنقية (سَخِنَ ، وسَخِنَ) . وأضاف الشارح لغة الكسر .

(١) شرحه للفصيح : ٧٠ .

(٢) نفسه : ٤٤٩ ، وانظر الإصلاح : ١٧٤ ، وأدب الكاتب : ٥٧٤

(٣) شرحه للفصيح : ٤٧١ ، وانظر الغريب المصنف : ٦٦٥ ، والإصلاح : ٩٨ ، ١٦٩ ، وأدب الكاتب : ٥٧٤ والمدخل إلى تقويم اللسان : ٧٧

(٤) نفسه : ٥٢١ ، وانظر الإصلاح : ٢٩٨ ، وأدب الكاتب : ٥٧٤ .

(٥) نفسه : ٥٦١ ، وانظر أدب الكاتب : ٥٧٥ ، والإصلاح : ١٣٢ .

(٦) نفسه : ١٤٧ .

(٧) انظر تحفة المجد : ٤٠٠ .

(٦) ويذكر أن في (بُهتَ الرجلُ) ثلاث لغات : بُهتَ ، بهتَ ، مثل دُهشَ ، ودُهشَ . ويقال بهتَ على وزن سَكَتَ^(١) .

(٧) ذكره ثلاث لغات في الأفعال : يذكر أن في (مسَّ) أربع لغات : مَسِسْتُ ، وَمَسَسْتُ ، وَمَسَّتْ ، بفتح الميم ، وَمَسَّتْ بكسرها^(٢) .

وقد اقتصر علماء التنقية على ذكر اللغة الأولى (مَسِسْتُ) بينما أضاف الزمخشري الثلاث لغات الأخيرة .

وحكى ان في : (ازرُرُ) أربع لغات : ازرُرُ ججازية ، وُرُرُ يمانية ، وُرُرُ قَيْسِيَّة ، ويُقال : زُرَّ العير أتانه : إذا عضَّها^(٣) .

ففي هذا النوع من أنواع التوسُّع اللغوي ، أبان الشَّارح عن اختلاف هذه اللُّغات ، كنتيجة طبيعية عن الاختلاف في أصل الحركات .

ج - التَّوَسُّعُ عَنِ طَرِيقِ التَّرَادُفِ :

وقد أورد الشَّارح بعضَ الألفاظِ المترادفةِ ، مما يدل على إثباته لهذه الظاهرة اللُّغوية في مجال التَّوَسُّعِ اللُّغوي ، ومن أمثلة ذلك حكى : " وقالوا في الجُرْحِ : أَمَدُ الجُرْحِ لا غير ، كما قالوا : أَعَثَّ " وينبئ إلى أن المِدَّةَ والعَيْثَةَ بمعنى واحد^(٤) . وفي موضعٍ آخر يذكر أن من أسماء الدُّلُو : السَّجَلُ ، والدُّنُوبُ ، والمدارة^(٥) . وهكذا ، نجد أن مثل هذه الظاهرة تتكرر في مواضع متفرقة من شرحه^(٦) .

(١) شرحه للفيحي : ١١١ .

(٢) نفسه : ٤٦ .

(٣) نفسه : ٨٨ ، ٨٩ .

(٤) نفسه : ٢١٤ .

(٥) نفسه : ١٩٩ .

(٦) انظر الصفحات : ١٣٨ ، ١٩٩ ، ٢١٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٤٢٢ .

د - التَّوَسُّعُ عَنْ طَرِيقِ الْمُشْتَرِكِ الَّلَفْظِيِّ :

وقد أشار الشارح إلى هذه الظاهرة في مواضع متفرقة من كتابه ، بل صرح بها قائلًا : " وقد تجيء الكلمة لمعنى ومثلها لمعنى يخالفه " (١) . ومن أمثلة هذا الضرب من ضروب التَّوَسُّعِ اللُّغَوِيِّ ، يصرِّح بأنَّ القلب يقع على أربعة معانٍ : القلبُ : قلب الإنسان ، والقلبُ : مصدر قَلَبْتُ ، والقلبُ : نجم في السَّماء من نجوم الشِّتَاءِ ، والقلبُ : قلبُ النَّخْلَةِ (٢) .

هـ - التَّوَسُّعُ عَنْ طَرِيقِ الْأَضْدَادِ :

والشارح يثبت هذه الظاهرة - أيضاً كسابقتهما - بقوله : " وقد تجيء الكلمة لمعنى ، ومثلها لمعنى يضاده ، فافهم " . وكان تصريحه واضحاً جلياً حول هذه الظاهرة ، عند تفسيره لكلمة (البيع) بمعنى الأخذ والعطاء (٣) .

و- التَّوَسُّعُ عَنْ طَرِيقِ وَسْمِ لُغَةِ الْعَامَّةِ بِالْجَوْدَةِ :

ومن مظاهر التَّوَسُّعِ - أيضاً - لدى الزمخشري ، ارتضاؤه للغة العامة ، ووسمها بالجودة ، أو بالنص عليها كلغة منسوبة لمن حكاهها من اللغويين المشهورين ، أو يشير إلى ذكر العلماء لها دون أن يسميهم ، أو يجاوزها ، أو يجمع بين جودتها وفصاحتها ، وفيما يلي تمثيل موجز لكل ما سبق :

(١) شرحه للفصح : ٢٩٤ .

(٢) نفسه : ٨٢ ، ٤٣ .

(٣) نفسه : ٤٢٧ - ٤٢٨ ، وانظر : ٦٧٥ .

— ففي كلامه على قول ثعلب : (وَقَلَجَ الرَّجُلُ عَلَى حِصْمِهِ)^(١) ، يذكر أن
أَفْلَجَ — أيضاً — لغةٌ جيِّدةٌ ، والعامَّةُ مُولعةٌ بها^(٢) . قلت وقد حكاه أبو جعفر
اللبلي عن الأئمة الثقات^(٣) .

— وجاء في الفصيح : (وَقَدْ جَهَّدَ دَابَّتُهُ)^(٤) . ونبه الزمخشري إلى أن العامة
تقول : أَجْهَدَ ، ويصرِّح بأنها لغة جيِّدة فصيحة^(٥) . قلت : ووافق الزمخشري
في فصاحة اللغة الأخيرة غير واحد من أئمة اللغة^(٦) .

— وعند كلامه على قول صاحب الفصيح : (وَسَهَمَ وَجْهَهُ)^(٧) نبه الزمخشري
إلى أن العامة تقول : سَهَمَ ، مصرحاً بجوازها^(٨) . قلت والأخيرة حكاهما الفراء
والجوهرى وغيرهما^(٩) .

— وعند كلامه على قول ثعلب : (حَرَمْتُ الرَّجُلَ عَطَاءَهُ)^(١٠) وينبه إلى أن
العامَّةُ تقولُ : أَحْرَمْتُهُ ، وينص على أنها لغة أبي عبيد^(١١) . قلت : وهذه اللغة
الأخيرة حكاهما أبو عبيد وابن القطاع وابن سيدة في المحكم^(١٢) .

(١) الفصيح : ٢٦٥

(٢) شرحه للفصيح : ٧٣ .

(٣) تحفة المجد : ٢٣٢ .

(٤) ٢٦٩ .

(٥) شرحه للفصيح : ١٠٦ .

(٦) انظر فعلت وأفعلت للزجاج : ١٨ ، وأفعال ابن القطاع : ١٤٧/١ ، وتحفة المجد : ٢٩٧ .

(٧) الفصيح : ٢٦١ .

(٨) شرحه للفصيح : ٣٢ .

(٩) انظر الإصلاخ : ٢٠٧ ، والصحاح ، واللسان (سهم)

(١٠) الفصيح ٢٦٧ .

(١١) نفسه : ٩٥ ، ٩٦ .

(١٢) انظر الغريب المصنف ٥٧٠/٢ ، وأفعال ابن القطاع ٢٠٧/١ ، والمحكم : ٢٤٧/٣ (حرم) .

— قال صاحب الفصيح : (وهو الرِّصَاصُ)^(١) . ونبه الشارح إلى أن العامَّة تقول : رِصَاصٌ ، مصرحاً بأنها لغة حكاها العلماء^(٢) .

— وعند كلامه على قول ثعلب : (وهو الفُقْرُ)^(٣) . يذكر الشارح أن العامَّة تقول : الفُقْرُ ، بالضم ، ويصرح بأنها لغة حاكياً ذلك عن الكسائي^(٤) .

ز — التوسع عن طريق نسبة لغات العامَّة إلى قبيلة من قبائل العرب :

ويفهم من هذا ضمناً تأصيل الشارح وتفصيحه لهذه اللغة ، وقد يشير أحياناً إلى المصادر التي استقى منها لغة قبيلة ما — كهذيل ، وقيس ، وتميم ، وربيعة — فيقول : رواها الفرَّاء ، أو ذكرها أبو زيد ، وهكذا وكأنه بنهجه هذا يؤكد على صحتها ، ضمن نظرتة التوسعية في لغات العرب ، فبعد أن يُقدِّم لغة صاحب الفصيح يتبعها بلغة العامَّة ، ناسباً إياها ، إلى إحدى قبائل العرب ، فمن ذلك نذكر ما يأتي :

— قال صاحب الفصيح : " وَعَجَزْتُ عن الشيء أعجز " ^(٥) . ونبه الشارح إلى أن العامَّة تقول : عَجَزَ ، ويصرح بأنها لغة في هذيل رواها الفرَّاء^(٦) . قلت : ونسبها أبو زيد لبعض قيس^(٧) .

(١) ٢٨٩ .

(٢) شرحه للفصيح : ٣٦٦ .

(٣) الفصيح : ٢٩١ .

(٤) شرحه للفصيح : ٣٨٤ .

(٥) ص ٢٦١ .

(٦) شرحه للفصيح : ٢٤ .

(٧) انظر تحفة المجد : ٧١ .

— وعند كلامه على قول صاحب الفصيح : " وهَلْتُ عليه التَّرَاب " (١) يذكر الشارح أن العامة تقول : أَهَلْتُ التَّرَاب ، مصرحاً بأنها لغة لهذيل (٢) . قلت : والأخيرة ذكرها غير واحد من أئمة اللغة (٣) .

— وعند تقديمه لقول ثعلب : " حَلَمْتُ في النوم " (٤) ينبه إلى أن العامة تقول : حَلَمْتُ ، بضم اللام ، ويصرح بأنها لغة لقيس على ما ذكر أبو زيد (٥) .

— وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : " ليس لي في هذا فَكْرٌ " . ينبه الشارح إلى أن العامة تقول : " فَكْرٌ ، بالفتح ، ويذكر أنها لغة ربيعة (٦) . . قلت والأخيرة حكاهما غير واحد من اللغويين (٧) .

— وعند كلامه على لغة الفصيح : (وهو الضَّلْعُ) (٨) . ينبه إلى أن العامة تقول : ضِلْعٌ ، ويصرح بأنها لغة وينسبها لبني تميم (٩) . قلت : وحكى ابن السكيت عن أبي زيد (ضِلْعٌ و ضِلْعٌ) فالفتح لغة الحجاز ، والتسكين لغة تميم ، والتسكين قليل والفتح أجود في أدب الكاتب (١٠) .

(١) الفصيح : ٢٦٨ .

(٢) شرحه للفصيح : ١٠٥ .

(٣) انظر الغريب المصنف ٥٧٤/٢ . وأفعال ابن القطاع : ٣٦٢/٣ . والصحاح والمحكم (هيل) .

(٤) الفصيح : ٢٨٣ .

(٥) شرحه للفصيح : ٢٩٩ .

(٦) نفسه : ٤٤٣ .

(٧) انظر الإصلاح : ١٦٥ ، والصحاح (فكر)

(٨) الفصيح : ٢٩٠ .

(٩) شرحه للفصيح : ٤٧٠ - ٤٧١ .

(١٠) انظر الإصلاح : ٩٨ ، ٩٩ . وأدب الكاتب : ٣٨٤ .

— وذكر أن في الأرز — وكما مرّ بنا — ست لغات ، ونبه إلى لغة غير مشهورة وهي : (رُرُز) ، بالنون ، ونسبها لعبد القيس^(١) .

ونخلص مما سبق إلى بيان الآتي :

- ذكر أحد الباحثين أن هذا الشرح كُتب في القرن السابع الهجري .
- امتاز هذا الشرح بغزارة المادة العلمية وتوسعها ، مما يعكس سعة اطلاع مؤلفه وعمق ثقافته .
- اعتنى بذكر أقوال علماء اللغة المتقدمين مصرحاً بذكر أسمائهم . .
- اهتم بذكر لغات العرب ، كما اهتم بالمسائل النحوية والتصريفية ، واعتنى بالمشتقات والترادف والمشارك اللفظي بنوعيه .
- اهتم بلغات العامة ، وصرح بجودة بعضها ، وأحياناً ينسبها إلى إحدى القبائل العربية ؛ لكي يدلل على فصاحتها ، وقد يشتهر دون ذكر لمستواها الصوابي ، وأحياناً يضعفها ، وفي مواضع قليلة يخطئها .
- اهتم بذكر المعربات ، فضمن شرحه الكثير من تلك الألفاظ المعربة .
- وقف من صاحب الفصيح موقفين متباينين ، موقف المنتصر له ، وموقف المستدرك عليه .
- اعتنى بظاهرة التوسع اللغوي من خلال : التوسع عن طريق الإبدال ، والتوسع عن طريق تغيير الحركة ، والتوسع عن طريق الترادف ، والتوسع عن طريق المشارك اللفظي بنوعيه .
- التوسع عن طريق نعت لغة العامة بالجودة .
- التوسع عن طريق نسبته لغة العامة إلى قبيلة من قبائل العرب ، ويفهم من هذا ضمناً ارتضاؤه لها كلغة فصيحة .

(١) شرحه للفصيح : ٥٦١ . وانظر الإصلاح : ١٣٢ ، وأدب الكاتب : ٥٧٥ ، وإسفار الفصيح : ٣٢٩ ،
والصاحح (أرز) .

ثالثاً - كتابُ تحفةِ انجد الصريحِ في شرحِ كتابِ

الفصيحِ

لأبي جعفر اللبلي

(المتوفى سنة : ٦٩١هـ -)

تَرْجُمَةُ الْمُؤَلِّفِ (١) :

هو الشيخ أحمد بن أبي الحجاج يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللبلي ،
يكنى أبا جعفر ، ويُلقب بصدر الدين ، وهو لقبٌ لم يشتهر به في المغرب ، ولعله
لقبٌ أطلقه على نفسه ، لما صار إلى مصر والشام محاكاةً منه للمشاركة آنذاك
. وُلِدَ اللبلي في مدينة لبلة غرب الأندلس ، وهي مدينة تبعد عن إشبيلية حوالي
أربعين ميلاً ، وكان مولده بها سنة ٦١٣هـ وقيل سنة ٦١٠هـ ، وقيل : سنة
٦٢٣هـ .

وفي مسقط رأسه لبلة بدأ حياته العلمية ؛ حيث تتلمذ على أبي زكريا يحيى
بن عبد الكريم الفندولابي ، فلما عزَّ بلده عن تحقيق طموحه العلمي ، رحل إلى
إشبيلية التي كانت تزخرُ بعلومها وثقافتها ، فزل بها ، وأخذ عن علمائها
ردحا من الزمن ، حتى ارتحل عنها — إبان سوء الأحوال السياسية ببلاد الأندلس
— إلى المغرب ، فأخذ عن علمائها ، ثم إلى تونس ومنها بدأ ترحاله ببلاد
المشرق ، فحج ولقي جماعة من الأئمة بالإسكندرية ومصر والشام والحجاز ،
وبعد رحلته الطويلة إلى بلاد المشرق عادَ إلى تونس ، فاستقر بها ، ثم اشتغل فيها
بالإقراء حتى مات — رحمه الله — سنة ٦٩١هـ في غرة المحرم ، ودفن بداره بعد
صلاة العصر (٢) .

(١) انظر ترجمته في : بغية الوعاة ٤٠٢/١ ، ونفح الطوبى ٢٠٨/٢ ، وكشف الظنون ٢٤٧/١ ، وتاريخ

الأدب العربي لبروكلمان ٢١٢/٢ .

(٢) انظر مقدمة بغية الآمال لللبلي تحقيق الأستاذ الدكتور سليمان العايد ، وانظر مقدمة تحقيق تحفة المجد .

كتابه (تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح) :

يعد هذا الكتاب من أعظم ما وصل إلينا من شروح الفصيح المغربية ، والممثلة لحركة التوسع اللغوي فالمؤلف أبان لنا - ومن خلال مصنفه هذا - عن توسع العرب في لغاتهم وأصل لنا تلك اللغات التي أوردها مدعماً مذهبه في فصاحتها بما حاكه عن أئمة اللغة الثقات من خلال سنده اللغوي . ويرى بعض الباحثين أن أبا جعفر اللبلي قد ألف شرحه هذا في إشبيلية في بلاد الأندلس ويرجحون أنه كان في الفترة التي قبل سنة ٦٤٧هـ . وقد وقف العالم الهندي الأستاذ عبدالعزيز الميمني^(١) على نسخة كاملة لهذا الشرح في حجته عام ١٣٧٦هـ وذكر أنها تقع في مجلدين ضخمتين ، إلا أنه لم يصلنا من هذا الكتاب سوى السفر الأول ، والذي ينتهي عند الباب السادس من الفصيح وهو باب (فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ باختلاف المعنى) وقد حقق هذا السفر الباحث عبدالمملك الشبيبي ، على نسختين ونال به درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، كلية اللغة العربية عام ١٤١٧هـ والكتاب يقع في مجلد واحد .

أولاً - قِيمَةُ الْكِتَابِ :

ذَكَرَ اللَّبْلِيُّ فِي مَقْدَمِهِ أَنَّهُ أَلَّفَ كِتَابَهُ هَذَا اسْتِجَابَةً لِرَغْبَةِ الْوَزِيرِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْوَزِيرِ أَبِي الْحَسَنِ ، وَالَّذِي رَأَى أَنْ يَرْفَعَهُ - أَيِ الْكِتَابِ - إِلَى ذِي الْوَزَارَتَيْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ أَبِي عَلِيٍّ . وَمِنْ هُنَا سُمِّيَ الْكِتَابُ : " تَحْفَةُ الْمَجْدِ الصَّرِيحِ " ، وَقَدْ أَثْنَى الْمَوْلُفُ - فِي مَقْدَمِهِ - عَلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ .

(١) ذكره الأستاذ الدكتور سليمان العايد في مقدمة تحقيقه بغية الآمال ص ٤٧ . ، ونقل عنه محقق تحفة المجد في مقدمته .

وقد أبان اللبلي عمًا قام به من عمل في هذا التأليف ، قائلاً : " فشرحت الكتاب شرح استيفاء واستيعاب ، وتكلمت عن شواهد أبياته ، بما عن في معانيها من اغراب ، وفي ألفاظها من إعراب ، واستدركت ما يجب استدراكه ، مسهلاً لكلامه ، وقاصداً لإكمال ما تحصل الفائدة به وإتمامه ، وانتصرت له حيث يمكنني الانتصار ، ورددت على ما تُعقب عليه رداً يُرضى بحكم الإنصاف ويختار " (١) .

ويعد هذا الكتاب من أوسع شروح الفصيح التي وصلت إلينا ، وقد احتفظ بشروء أدبيةً ولغويةً كبيرة ، تتمثل في عدد المؤلفات التي اعتمد عليها اللبلي ، والنقول التي أوردها ، وقد ضاع الكثير من هذه المؤلفات ، ولم يبق منها إلا هذه النقول التي اعتمد عليها اللبلي ، فحفظ بذلك جانباً من هذا التراث المفقود ، كما اعتمد بعض الدارسين من المعاصرين في دراساتهم ، على هذه النقول في إماتة اللثام عن بعض الحقائق ؛ فاعتمد عاطف مذكور في دراسته للفصيح على تحفة الجحد فيما نقله من كتاب (البهي) للفرّاء ، فقال : " وإذا كان بهي الفرّاء لم نعثر عليه ، فقد عثر عليه أبو جعفر اللبلي ، وعدّه من مصادر كتابه (تحفة الجحد الصريح) ويذكر ذلك في مقدمته ، ثم هو بعد ذلك يضمن كتابه ثلاثة نقول عن الفرّاء في كتابه (البهي) ، وهو بهذا هياً لنا عقد مقارنة بين الفصيح والبهلي ، فحسّم ذلك الخلاف " (٢) .

وقد ضاعت بعض شروح الفصيح الأندلسية ، ولم نعلم عنها شيئاً لولا ما نقله لنا اللبلي ، وهو بهذا الصنيع قد رد على الفصيح — كما قرر أحد الباحثين

(١) مقدمته ص ٣ ، قلت : والغالب على ذلك انتصاره له ممن انتقده أو عارضه أو تحامل عليه ، وفي

استدراكه عليه نجده يتمس له العذر والحجة .

(٢) انظر الفصيح : ٤٧ .

— ثروة لغوية كانت ضائعة^(١) . فذكر في شرحه نقولاً عن شرح ابن مكّي بن أبي طالب ، وشرح ابن صاف اللّحمي ، وشرح ابن طلحة الإشبيلي . ومن ناحية أخرى ، فإنّه بالرغم من وفرة المؤلفات التي نقل عنها اللّبي ، كان يُسندُ كلَّ قولٍ إلى قائله ، ويذكرُ الكتاب الذي ينقل عنه ، ويورد أوجه الاتفاق أو الاختلاف بين العلماء ، موثقاً نقوله بذكر المصادر وأسماء مؤلفيها . فهذه فضيلة للرّجل ، فهو لم يدع شيئاً ليس له ، وهذا يدلُّ على إحاطته وشمولِ علمه ، على أن كثيراً من الكُتب التي نقل عنها قد تسربت بين أصابع الأيام ، فكان . بذلك الصنيع خير عونٍ للباحثين على التعرف عما احتوته تلك الكنوز المفقودة . فاشتمل الكتاب على نقول كثيرة من مصادر لغوية عالية القيمة لا يزال بعضها مفقوداً مثل : جامع القزاز ، وموعب اللغة لابن التبان ، وواعي اللغة لعبدالحق الأزدي ، والمرز ليونس ، والبهى وكتاب المصادر للفراء ، وكتب النوادر وغيرها^(٢) .

كما حَسَمَ النَّزاعَ الذي نَشَبَ بين بعض العلماء حول نسبة بعضها إلى أصحابها ، كما حدث في اختلافهم في نسبة الفصيح نفسه ، فكانت الحيرة بين نسبته إلى ثعلب أو الفراء — كما أشرنا سابقاً — حتى عثرنا في تحفته على القول الصحيح^(٣) . ويُبرز المؤلف دفاعه عن صاحب الفصيح وينصفه ويتصر له ممن انتقده أو عارضه أو تحامل عليه .

ومن ناحية أخرى ، لم تكتسب التحفة أهمية من حيث حجم الشرح ووفرة مادته اللغوية والأدبية والنحوية ، فحسب ، بل لكونها ثمرة جهود عدد من العلماء تراكت على مرور حقب من الزمان حطبيّ فيها الفصيح بعناية فائقة من الشرح والتحليل ، فجاءت تجمع خيوط هذه الشروح وتطعمها بما أُلّف في اللغة

(١) انظر مقدمة تحقيق الفصيح لعاطف مذكور : ١٩١ .

(٢) انظر خطبة المؤلف : ٤-٨ .

(٣) انظر الفصيح : ١٨٩ .

من مباحث منذ القدم وحتى عصر المؤلف (القرن السابع الهجري) ؛ ولذا كان طبيعياً أن يظهر هذا الشرح بهذا الحجم الكبير — لما حواه من استقصاء واستيعاب لمادة الفصح اللغوية ، والأدبية والنحوية والصرفية ، إضافة لأساليب التوسُّع اللغوي المتنوعة — وأن ينال إعجاب الناس ، وأن يُحظى باهتمامهم .

وكم كانت سعادة الباحثين غامرة ، وكم كانت هذه الثروة اللغوية النَّفيسة جَمَلَةً وهائلة ، لو وصلت إلينا أبواب الفصح الثلاثين كاملة وافية ، فما هذه السُّحفة الغزيرة في مادتها ، والتي أتحفنا بها صاحبها إلا جزء يسير ، بل أقل من اليسير ، مقارنة بأبواب الفصح ؛ حيث إنَّ الشَّارح انتهى بها إلى الباب السادس — فقط — وقد مثَّلَ هذا السُّفَرُ الأول لهذه التحفة ، ولعلَّ باحثاً يُوقِّفُ إلى صَنِيعِ أبي جعفر ، فيتحف المكتبة العربية بباقي التُّحفة .

ثانياً — المنهجُ الذي سارَ عليه في شرحه :

أوضح منهجه في تناول كل مادة من مواد الكتاب ، بقوله : " ورتبتُ الكلام فيه أولاً على مدلولِ اللَّفظ ومعقوله ومسموعه ومقوله ، وإن كان فعلاً أتيت بلغاته وأنواع مصادره ، واسم فاعله ومفعوله ، وربما أثبت بالمرادف والمشارك ، وسلكت من التعليل في بعض المواضع ووضح المسالك ، وأخذت ذلك من أئمة اللغة المشهورين بالتبريز ، ونفضت فيه الدواوين ما بين المستوعب منها والوجيز ... " (١) فكان هذا منهجه في تحفته ، وخطته في تأليف كتابه ، وقد حرصَ على الاستقصاء والاستيعاب ، مما جعل شرحه يفوقُ سواه من شُرُوح الفصح ، فيما احتواه من مادة لغوية ؛ لاعتماد شارحه على الكثير من المصادر اللغوية ،

(١) نظر خطبة المؤلف ص : ٤ .

فغلب عليه طابع الاستدراك في عرضه للمواد اللغوية ؛ لذا فهو من أوسع شروح
الفصيح ، وأغزرها مادة .

ولمعرفة طريقته في هذا الشرح ، نسوق نموذجاً من نماذج الفصيح ، وهو أول
مادة افتتح بها ثعلب فصيحته ، وهو قوله في باب : (فعَلْتُ بفتح العين) : "
نَمَى المَالُ وَغَيْرُهُ يَنْمِي " ، فبدأ اللبليُّ بشرح معنى الفعل ، فقال : " تَقُولُ : نَمَى
المَالُ ، أي زَادَ وَكَثُرَ ، قاله غير واحد : " ثم يذكر لغة ثانية في الماضي ، حكى :
وفي نَمَى لغة ثانية ، يُقَالُ : نَمُوَ ، على وزن ظَرْفَ ، حكاه صاحب الواعي ،
ومن خَطَّه . وحكاها أبو القاسم السعدي في أفعاله . ثم انتقل إلى ذكر اللغات
في مضارع هذا الفعل ، فصرَّح أنَّ في مضارع نَمَى بفتح العين لُغَتَانِ : يَنْمِي على
وزن يَرْمِي ، كما ذكره ثعلب ، وَيَنْمُو على وزن يَدْعُو . ثم ساق ثلاثة شواهد
شعرية : أحدها على يَنْمُو ، والآخرين على يَنْمِي — بلا عزو — .

ثم انتقل إلى الدفاع عن ثعلب ، راداً اعتراض ابن هشام اللخمي على ثعلب ،
مُدكِّلاً على ما ذهب إليه بما نقله أئمة اللغة الثقات عن الكسائي ، قائلاً : " فإذا
كان الكسائي على مرتبته من حفظ كلام العرب وإمامته لم يسمعها (أي يَنْمُو) إلا
من رجلين من العرب ، فهذا دليل على قلتها " (١) .

ونجده قد أسهب في شرح هذه المادة ، فأورد كل ما سمع من مصادر هذا
الفعل ، ناسباً ذلك إلى المصادر التي ورد فيها ، ذاكراً الاختلاف في تحديد دلالة
المال ، ثم أورد مجموعة أفعال تستعمل في نفس دلالة ((نَمَى المَالُ)) ، وهو يشير في
ذلك إلى المترادف ، والذي اهتم به في كتابه أكثر من اهتمامه بالظواهر اللغوية
الأخرى ، كالمشترك اللفظي ، والأضداد .

(١) تحفة المجد : ١١/٨ .

وَلَعَلَّ هَذَا الشَّرْحَ جَمَعَ بَيْنَ مِيزَتَيْنِ ، هُمَا : غِزَارَةُ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي اسْتَوْعَبَهَا ، وَأَمَانَةُ الشَّارِحِ وَدِقَّتُهُ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ التَّالِي — مِنْ نَفْسِ النَّمُودَجِ الَّتِي تَنَاوَلْنَاهُ — قَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ : مَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ مِنْ أَنَّهُمَا لَغَتَانِ فَصِيحَتَانِ غَلَطَ ، وَإِنَّمَا اللَّغَةُ الْفَصِيحَةُ (يَنْمِي) فَقَطْ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا تُعَلَّبُ بِدَلِيلٍ مَا نَقَلَهُ الْأُئِمَّةُ الثَّقَاتُ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي كِتَابِ الصَّحَاحِ : " نَمَى الْمَالُ وَغَيْرُهُ ، وَرَبَّمَا قَالُوا : يَنْمُو . قَالَ الْكَسَائِيُّ : وَلَمْ أَسْمَعْهُ بِالْوَاوِ إِلَّا مِنْ أَحْوِينَ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْهُ بَنِي سَلِيمٍ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالْوَاوِ . قَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ : وَحَكَى هَذَا أَيْضًا أَبُو عَبِيدٍ فِي الْمَصْنَفِ عَنِ الْكَسَائِيِّ ^(١) . ثُمَّ يَنْتَقِلُ اللَّبْلِيُّ إِلَى ذِكْرِ مَصَادِرِ الْفِعْلِ وَيَتَعَقَّبُهَا فِي كِتَابِ اللَّغَةِ وَيَذْكَرُ مَا حَدَّثَ فِيهَا مِنْ قَلْبٍ وَإِدْغَامٍ ^(٢) .

— ظَاهِرَةُ الْاسْتِطْرَادِ فِي شَرْحِ الْمَادَّةِ اللَّغَوِيَّةِ ، وَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ :

— اسْتِطْرَادٌ بَسِيطٌ ، وَسُرْعَانٌ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى الْمَوْضُوعِ ، كَقَوْلِهِ : " وَإِنْ كَانَ بَعْضُ اللَّغَوِيِّينَ فَرَّقَ بَيْنَ يَنْمِي وَيَنْمُو ، فَقَالَ : يَنْمِي لِلْمَالِ ، وَيَنْمُو بِالْوَاوِ لِغَيْرِ الْمَالِ ، كَمَا فَرَّقُوا بَيْنَ يَزِيدُ بِالْكَسْرِ ، وَيَزِيدُ بِالضَّمِّ ، فَقَالُوا : زَيْدٌ يَزِيدُ ، بِكَسْرِ الْمُسْتَقْبَلِ إِذَا أُعْطِيَ وَزَيْدٌ يَزِيدُ ، بِضَمِّ الْمُسْتَقْبَلِ إِذَا أُطْعِمَهُ الزَّيْدُ ^(٣) .

— وَاسْتِطْرَادٌ طَوِيلٌ ، قَدْ يَسْتَفْرِقُ مِنْهُ الصَّفْحَةُ بِكَامِلِهَا ، كَشَرْحِهِ لِكَلِمَةِ الْمَالِ ، وَمَا يَعْنِي الْعَرَبُ بِاسْتِعْمَالِهِمْ لِهَذَا اللَّفْظِ ، فَاسْتَعْرَضَ أَقْوَالَ ابْنِ سَيِّدِهِ فِي كِتَابِهِ (الْعَوِيصُ) ، وَالْمَطْرُزِيُّ فِي كِتَابِهِ (الْيَاقُوتُ) ، وَالْقَالِي فِي أَمَالِيهِ ، وَابْنُ السَّيِّدِ فِي مِثْلِهِ ، وَغَيْرِهِمْ ^(٤) . ثُمَّ يَسْتِطْرِدُ مَرَّةً أُخْرَى لِمَعَانِي الْفِعْلِ (نَمَى) وَمَرَادِفَاتِهَا ،

(١) تحفة المجد : ١٣ .

(٢) نفسه : ١٦-١٧ .

(٣) نفسه : ١٥-١٦ .

(٤) نفسه : ١٧-١٨ .

فيقول: " يُقَالُ: نَمَى المَالُ ، وَصَفَا ، وَعَفَا ، وَوَفَى ، وَخَبَى ، وَأَخْبَى ، بِهَمْزٍ
وغير همز " (١) .

ثالثاً — موقفه من لغات العامة :

وقف أبو جعفر من لغات العامة موقفين بياهما في الآتي :

أ — تصويبه للغة العامة وتعبه لمن خطأها :

ومن أمثلة ذلك :

— أنكر الكسائي قولهم : (يَجِفُّ الثوبُ) ويرى أن الصواب : يَجِفُّ بكسر
الجيم ، فيرد عليه أبو جعفر بما حكاه صاحب الفصيح من أن الناس يستعملون
اللغتين جميعاً (٢) ، مع تصحيحه للغة الكسر (يَجِفُّ) وينقل عن الأئمة الثقات
إثباتهم للغتين معاً (٣) .

— وفي موضع آخر من الكتاب ينقل أبو جعفر ما حكاه المطرز في شرحه عن
ثعلب عن سلمة عن الفراء أنه لا يجوز أن يقال : (هَلِكَ بكسر العين) في لغة
من اللغات ، فينقل الشارح عن أحد اللغويين أنه يقال : هَلِكَ يَهْلِكُ بالكسر في
الماضي (٤) . يجوزاً لغة الكسر .

(١) تحفة المجد : ١٨ .

(٢) نفسه : ١٠١ .

(٣) انظر الغريب المصنف ٥٨٦/٢ ، والإصلاح : ٢٠٧ ، وأفعال ابن القطاع : ١٨١/١ ، والمتنكب لكراع
: ٥٥١/٢ .

(٤) تحفة المجد : ٨٤-٨٥ .

— كما نقل أبو جعفر عن أحد اللغويين أن الأصمعي أنكر قولهم (عَسَيْتُ بالكسر)^(١) ثم يرد عليه الشارح من أنه يقال : عسيت بالفتح ، والكسر ناقلاً ذلك عن الفراء وثعلب وغيرهم من أئمة اللغة^(٢) .

— ونقل ابن السكيت في الإصلاحي^(٣) أن الأصمعي أنكر قولهم (غَوِي) بكسر العين في الماضي ، ويرى أنه لا لغة فيها سوى فتح العين في الماضي (غَوَى) بينما ينقل أبو جعفر عن أئمة اللغة كابن الأعرابي والمطرز وأبي عبيدة وصاحب الواعسي وغيرهم أنه يقال : غوي الرجل يغوي بكسر الواو في الماضي وفتحها في المستقبل^(٤) .

— كما أنكر الأصمعي أيضاً قولهم : (نَكَلْتُ بالكسر) ، وصرح بأنه لا يقال ذلك . وحكى أبو جعفر^(٥) هذه اللغة التي أباهما الأصمعي عن جمع من أئمة اللغة ، وقد حكوها جميعاً عن ثعلب ونسبها بعضهم لقبيلة تميم^(٦) .

— وينكر الشارح أيضاً على كل من أبي حاتم في (تقويم المفسد) وأبي الفتح المراغي في (لحنه) تحطبتهما للغة العامة (حَرَصَ) بالكسر ، حيث إنهما يذهبان إلى أن الصواب : (حَرَصَ بالفتح) فيرى أبو جعفر أن لغة الكسر ليست بخطأ^(٧) . مستشهداً بما حكاه عن الأئمة الثقات^(٨) .

(١) تحفة المجد : ٣٦-٣٧ .

(٢) انظر الإصلاحي ١٨٨ ، والمحكم ١٥٧/٢ (عسي)

(٣) ص : ١٨٩ .

(٤) تحفة المجد : ٢٦ .

(٥) نفسه : ١٠٣-١٠٤ .

(٦) انظر أفعال السراقسطي ٢٢١/١ ، وأفعال ابن القطاع : ٢٦٧/٣ ، والتهذيب : ٢٣٦/١ ، والمحكم :

٢٩/٧ ، والمخصص : ٦١/١٥ ، ٦٥ (نكل) .

(٧) تحفة المجد : ٧٤-٧٥ .

(٨) انظر أفعال ابن القطاع ٢٤٣/١ ، والجمهرة ١٣٤/٢ ، والمحكم ١٠٤/٣ (حرص)

— وخطأ ابن درستويه قول العامة : (زَرَدْتُهُ) بفتح الراء في الماضي ويرى بأن الصواب : (زَرِدَ) بكسر الراء ويصرِّح أبو جعفر بفصاحة لغة العامة ^(١) . مستنداً على ما ذهب إليه بما حكاه جمع من اللغويين ^(٢) .

— وفي موضع آخر من الكتاب بخطأ الزمخشري قول العامة : (خَمِدَتْ بكسر الميم) ، إذ يرى أن اللغة الفصيحة (خَمِدَتْ) بفتح الميم ، بينما يصرِّح أبو جعفر بصحة لغة العامة حاكياً ذلك عن المطرز عن ثعلب عن ابن الأعرابي ^(٣) .

— وفي موضع آخر من شرحه يحكي أبو جعفر ^(٤) أن ابن هشام اللخمي والتدميري في شرحيهما للفصيح قد أنكرا على ثعلب قوله : (إن ذوى العود بمعنى جف) ثم يبين خطأهما ، وصواب ما ذهب إليه ثعلب واستدل على ذلك بما حكاه يعقوب في الإصلاح ^(٥) ، وابن فارس في كتابه المجمل ^(٦) ، وأبو علي القالي في المقصور والممدود ^(٧) .

وما هذه إلا نماذج مختصرة من أمثلة كثيرة نحسب أنها قد أبانت عن المقصود ، وإلا فالكتاب تضمن بين دفتيه الكثير من هذه التصويبات ^(٨) .

(١) تحفة المجد : ١٤٦ .

(٢) انظر أفعال ابن القطاع ٩٥/٢ ، والجمهرة ٢٤٥/٢ ، والمحکم واللسان (زرد)

(٣) تحفة المجد : ٦٩ .

(٤) نفسه : ١٩ .

(٥) ص : ١٩٠ . وانظر أدب الكاتب : ٣٦٦ .

(٦) ٣٦٢/٢ .

(٧) ص : ٩٤ .

(٨) انظر تحفة الصفحات : ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٨٨ ، ٢٥٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩ ،

٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣١٥ ، ٣٤٠ ، ٤٧٧ .

ب — أما موقفه الثاني من لغات العامة ، فيتمثل في تخطئته لها ، مؤيداً بذلك من سبقه من اللغويين : فمن ذلك :

— ما نقله الشارح عن أبي حاتم في لحنه أن العامّة تقول : (نَعَسَ) بضم العين ، وهو خطأ . وقد وافق الشارح ما ذهب إليه أبو حاتم ونص على أنه لا يذكر في (نَعَسَ) سوى الفتح مع بحثه عنها ^(١) .

— أنكر ابن درستويه على العامة قولهم : (أنبذت بالألف) ، وخطأها ، ويرى أن اللغة الفصيحة : (تَبَذَّتْ) بغير ألف ^(٢) . ويوافقه أبو جعفر القول ، ناقلاً عن بعض اللغويين خطأ لغة العامة ^(٣) .

— كما خطأ ابن درستويه — أيضاً — قول العامة : (أَشْعَلَنِي بِالْأَلْفِ) ^(٤) ، ويرى أن الصواب : شَعَلَنِي بغير ألف . ويوافق أبو جعفر ما قرره الأول مستشهداً بما حكاه بعض اللغويين ، ومنهم يعقوب في الإصلاح ^(٥) ، والقزاز في الجامع ، وتخطئتهم لغة العامة ^(٦) .

(١) تحفة المجد : ٥٧ - ٥٨ .

(٢) تصحيح الفصيح : ٨١ .

(٣) تحفة المجد : ٢٦٢ ، وانظر الإصلاح : ٢٢٥ ، وأدب الكاتب : ٢٨٧ ، وتفريع اللسان : ١٧٨ ،

(٤) تصحيح الفصيح : ٨٥ .

(٥) ص : ٢٢٥ .

(٦) تحفة المجد : ٢٧٤ .

رابعاً — مَوْقِفُهُ مِنْ تَعَلُّبٍ :

كان موقفُ أبي جعفر اللَّبْلِيِّ — بشكل عام — موافقاً لتعلُّب في أغلب ما جاء في فصيحته ، إلا أننا نجد بعض الإشارات — في بعض القضايا — التي تُوحِي لنا بوجود ثلاثة مواقف وقفها صاحب التحفة من صاحب الفصيح ، إيضاحهما في الآتي :

أ — موافقته له :

ونعني بذلك متابعتة وموافقته لتعلُّب ، حيثُ إننا نجد الشارح متابِعاً لتعلُّب فيما تحقق له أن ليس فيه إلا لغة واحدة ، ومن أمثلة ذلك :

— ذكر تعلُّب في فصيحته أن اللغة العالية الفصيحة هي (دَمَعَتْ عَيْنُهُ)^(١) ، وصرح أبو جعفر على أنها مفتوحة العين ، كما حكاهما تعلُّب ، ولم يسمع أحد يذكرها بالكسر^(٢) .

— ويفرد صاحب الفصيح أيضاً لغة الفصاحة والجودة ، وهي (نَعَسَ)^(٣) ، ويوافقه أبو جعفر مصرحاً أنه لا يذكر فيها سوى الفتح مع بحثه عنها^(٤) .

— وفي موضع آخر من الكتاب أيضاً يحكي أبو جعفر أنه يقال في الماضي (نَطَّحَ) بالفتح كما ذكر تعلُّب^(٥) ، ويبين أنه لا يذكر فيه سوى الفتح^(٦) .

(١) الفصيح : ٢٦١ .

(٢) تحفة المجد : ٤٤ .

(٣) الفصيح : ٢٦١ .

(٤) تحفة المجد : ٥٨ .

(٥) الفصيح : ٢٦١ .

(٦) تحفة المجد : ٩٨ .

— أيضاً جاء في الفصحح : (نَحَتْ يَنْحِتُ)^(١) فوافق أبو جعفر ما حكاه ثعلب ،
 مصرحاً بأنه لا يذكر في الماضي سوى الفتح^(٢) .
 ومثل هذه الموافقات تكررت في ثنايا التحفة^(٣) .

ب — موقف المستدرِك عليه :

هناك بعض الإشارات التي تفيد اعتراض الشَّارِحِ على ثعلبٍ في بعض آرائه ،
 ولقد تميَّز أسلوبُ أبي جعفر في جملة انتقاداته ، بلين الجانب تجاه ثعلب ، وذلك
 ما كشفت عنه محاولاته في التماس العُدْر لتعلب فور تقليم وجه الانتقاد — من
 قِبَلِه ، أو من قِبَلِ الآخرين — لبعض ما جاء في الفصحح^(٤) ، فمن ذلك قوله :
 " وَكَانَ حَقُّ ثَعْلَبٍ أَنْ لَا يُذَكَرَ (بَرَّيْتُ) الْقَلَمَ فِي هَذَا الْبَابِ ؛ لِأَنَّ هَذَا الْبَابَ
 إِنَّمَا هُوَ (بَابُ فَعَلْتُ بِكسر العين) وَبَرَّيْتُ بِالْفَتْحِ " ^(٥) . ومع ذلك نجد
 يلتمس العُدْر لما ذهب إليه ثعلب^(٦) .

وقوله : " صَدَقْتُ لَيْسَ مِنَ الْبَابِ ؛ لِأَنَّهُ (فَعَلَ) بفتح العين ، والباب (باب
 فَعَلَ بِكسرِها) ، فكان الأستاذ أبو علي يَقُولُ وقت القراءة عليه : إنما أتى
 بِصَدَقْتُ وليس من الباب ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُهُمَا مَعًا ، فَتَقُولُ : صَدَقْتُ وَبَرَّرْتُ
 " ^(٧) فهو في تعليقه هذا يلتمس العُدْر لتعلب .

(١) الفصحح : ٢٦١ .

(٢) تحفة المجد ٩٩ .

(٣) انظر الصفحات : ٦٩ ، ١٣٤ ، ٣٩٠ ، ٤٧٤ .

(٤) انظر التحفة : ١٨٢ ، ٢١٣ ، ٣٦١ .

(٥) نفسه : ١٨١ .

(٦) نفسه : ١٨٢ .

(٧) نفسه : ٢١٣ .

وفي موضع آخر ينبه إلى أنه قد أُخِذَ على ثعلب في إدخاله (هَرَقْتُ) في هذا الباب ؛ لأن هذا الباب إنما هو باب (فَعَلْتُ بِغَيْرِ أَلْفِ) ، وَهَرَقْتُ مِنْ بَابِ (أَفَعَلْتُ بِالْأَلْفِ) .^(١) وهو إذ يُقَرُّ بهذا النَّقْدِ فَإِنَّهُ سُرْعَانِ مَا يَأْتِي بِالْعُذْرِ لثُعْلَبِ ، وَيُنَبِّهُ إِلَى أَنَّهُ إِنَّمَا أَدْخَلَهُ فِي هَذَا الْبَابِ مِرَاعَاةً لِلْفِظِ ؛ لِأَنَّ لَفْظَهُ ثَلَاثِي^(٢) .

ويرى الشارح أيضاً أن قولهم : نَفِسْتُ لَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ (بَابِ : فَعِلَ — بَضْمِ الْفَاءِ) ؛ لِأَنَّ هَذَا الْبَابَ إِنَّمَا هُوَ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ ، وَهَذَا سُمِّيَ فَاعِلُهُ ، وَلَكِنْ كَعَادَتِهِ يَخْتَمُّ أَبُو جَعْفَرٍ انْتِقَادَهُ بِتَقْدِيمِ الْعُذْرِ وَإِيجَادِ الْمَخْرَجِ لثُعْلَبِ^(٣) .

ويصرح في موضع آخر من أنه قد أُخِذَ على ثعلب إدخاله في هذا الباب (فَعِلْتُ وَفَعَلْتُ بِاخْتِلَافِ الْمَعْنَى) عَمْتُ فِي الْمَاءِ مَعَ عَمْتُ إِلَى اللَّيْنِ ؛ لِأَنَّ هَذَا الْبَابَ إِنَّمَا هُوَ مَوْضِعٌ لَذِكْرِ اللَّفْظَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا مُتَّفَقَتَانِ فِي الْحُرُوفِ مُخْتَلِفَتَانِ فِي الْمَعْنَى^(٤) .

ج — موقف المنتصر له :

إذا كان أبو جعفر اللبلي مهذباً في انتقاده لثعلب في بعض الجوانب ، وفي بعض المواضع — على قلتها — من تحفته ، فإنه قد أظهر مناصرته له في مواطن كثيرة ، مُصْرِحاً بِهَا فِي مُقَدِّمَتِهِ ، بِقَوْلِهِ : " وَانْتَصَرْتُ لَهُ حَيْثُ أَمَكَّنِي الْإِنْتِصَارَ ، وَرَدَدْتُ عَلَى مَنْ تَعَقَّبَ عَلَيْهِ رَدًّا يُرْتَضَى بِحُكْمِ الْإِنصَافِ وَيُخْتَارُ " ^(٥) .

(١) تحفة المجد : ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٢) نفسه : ٢٤٣ .

(٣) نفسه : ٣٦١ .

(٤) نفسه : ٤١١ .

(٥) مقدمة التحفة .

والحقيقة أن أبا جعفر اللبلي صدق في انتصاره لثعلب في أغلب ما ذهب إليه من آراء ، فتارة يعلل لما قد يؤخذ عليه ملتصقاً له العذر ، وتارة يرد على أقوال علماء اللغة وشرح الفصيح وانتقاداتهم لثعلب في بعض المواقف ، فكان رده على كل من ابن هشام اللخمي ، وابن دُرُستويه ، وابن طلحة موفقاً . وقد يتناول الردود عليهم فرادى ، وتارة يجتمع عليه قولان ، أو يتفق ثلاثهم على رأي ، فيخالفهم متصدياً للدفاع عن ثعلب .

وإليك بعض الأمثلة التي جسدت لنا معالم انتصاره لثعلب ، وصور الدفاع عنه بشئ السبل التي أجملناها :

ففي التماس العذر لثعلب يقول : " وإثماً ذَكَرَ (غَبِنَ) في هذا الباب (فُعلَ بضم الباء) وليس بابه ؛ لاشتراكه مع غَبِنَ في الحروف ، ولبيِّنَ افتراقهما من جهة المعنى " (١) .

وقوله : " ويمكن أن يكون الذي حمل ثعلباً على أن ذكر (هَرَقْتُ) في هذا الباب (فَعَلْتُ بغير ألف) ، وإن كان ليس بابه ؛ أن كلامه في هذا الباب إنما هو فيما يُقال من الأفعال بغير ألف في الأَفْصَح ، وكان في (هَرَقْتُ) لغتان : هَرَقْتُ وأهَرَقْتُ " (٢) .

ومنها رده على زعم ابن هشام اللخمي بأن ثعلباً أغفل ذكر يَنُمُو واقتصر على يَنَمِي بوصفها اللغة الفصيحة ، وقبل أن يرد اللبلي على ابن هشام ، أورد رأيه فيما أخذ على ثعلب ، ثم فسّر ما وقع فيه من غلط ، فانتصر بذلك لثعلب

(١) تحفة المجد : ٣١٧ .

(٢) نفسه : ٢٤٤ .

مدعماً موقفه بما نقله الأئمة الثقات ، وإليك وقائع الرُّدود التي جرت على لساني
صاحبيها في الآتي :

في (ينمسي وينمو) أخذ ابن هشام اللخمي على ثعلب كونه ذكر (يَنمِي)
فقط ، ولم يذكر معها (يَنمُو) ، قال : وهما لغتان فصيحتان ، فكان حقه أن
يذكرهما . فصرَّح أبو جعفر بأن ما قاله ابن هشام من أنهما لغتان فصيحتان غلط ،
وينصُّ على أن اللغة الفصيحة إنما هي (يَنمِي) فقط ، وهي التي ذكرها ثعلب بدليل
ما نقله الأئمة الثقات (١) .

وَيَرُدُّ على اعتراض ابن دُرُسْتُوِيَه ، في قوله : (أَنهَكَهُ السلطان عقوبة) بأن
هذا ليس من الباب (فَعَلْتُ بكسر العين) ؛ لأنه على (أَفْعَلْ) ، بالألف ،
وليس هذا موضعه ، فيصرِّح أبو جعفر بأنه يُجَابُ عن هذا بأن يُقَالُ : ذكره على
معنى التَّثْمِيمِ بالفرق بينه وبين ما اشترك معه في اللَّفْظِ ، كذا كان يُجِيبُ الأستاذ أبو
علي شيخنا وقت القراءة عليه (٢) .

ويجيء رده على تفسير الرأي المخالف لثعلب والمتفق عليه من قبل السابقين
— ابن درستويه وابن هشام — بقوله : " قال أبو جعفر : فَسَّرَ ثَعْلَبُ شُدِهْتُ
بِشُغْلَتُ ، وَأَنْكَرَهُ ابن دُرُسْتُوِيَه ، وقال ليس معناه : شُغْلَتُ ، وَفَسَّرَهُ بالدَّهْشِ
والتَّحْيِيرِ ، وكذا فَسَّرَهُ ابن هشام في شَرْحِهِ ، ورأيتُهُ في حَطِّهِ ، وتبع في ذلك ابن
دُرُسْتُوِيَه . قال أبو جعفر : أما إنكارهما أن شُدِهْتُ ليس معناه شُغْلَتُ فغير
صحيح ؛ بدليل ما حكاه أئمة اللغة " . فنقل الشارح ما حكاه أبو زيد ، وابن

(١) تحفة المجد : ١٢ .

(٢) تحفة المجد : ١٧٤ .

سسيده وصاحب الواعي عن الكسائي ، وكُراع في المجرى ؛ من أن شُدِّهتُ بمعنى شُعَلْتُ ، كما فسرها ثعلب (١) .

أما تصدِّيهِ لهم ؛ إذ أجمع ثلاثُهُم على رمي ثعلب بالوهم ، فقد كان من أبرز مواقف انتصاره لثعلب وأقواها ، فَرَدَّ عليهم قولهم ووههم ، في قوله : " وقال ابن دُرُسْتُويه : — وهو قولُ الأكثرين — الهَدْيُ والهَدِيُّ اسمانِ لما أُهْدِيَ إلى البيت من الإبل والغنم ، وغيرها ، . . . فتوهم ثعلبُ أنهما مصدران على الحقيقة . قال الشيخ أبو جعفر : وكذا قال ابن هشام في شرحه ، ورأيتُه بخطه ، وكذا قال ابن طلحة في شرحه — أيضاً — والذي أوقعهم في هذا الوهم أنهم — ابن دُرُسْتُويه ، وابن هشام ، وابن طلحة — رأوا الهَدْيَ والهَدِيَّ قد جاءا مع الفعل الذي هو أَهْدَيْتُ ، فاعتقدوا أنهما مصدران لحيثهما مع الفعل الذي هو أَهْدَيْتُ ، وليس كذلك ؛ بل هما مفعولان لا مصدران ، كما أن العَرُوسَ في قوله : (أَهْدَيْتُ العَرُوسَ) مفعول بأهديت ، كذلك : الهَدْيُ ، والهَدِيُّ مفعولان بأهديت ؛ لأنهما اسمان لما يُهْدَى وليسا بمصدرين . فخرج من هذا أنهم هم الذين وهموا لا ثعلب " (٢) .

خامساً — مَذْهَبُهُ فِي التَّوَسُّعِ اللُّغَوِيِّ :

تعددت مسالك التوسع اللغوي لدى أبي جعفر اللبلي ، فمن أكثرها : ذكره لغتين فأكثر ، ومن أدقها تعقبه لابن دُرُسْتُويه وتصحيحه لبعض لغات العامة ، ومن أبرزها : تفرده بذكر بعض اللغات القليلة ، إضافة للأساليب المطروقة من قبل غيره من أصحاب التوسع اللغوي : كالإبدال ، والترادف ، والمشارك اللفظي ، وغيرها . وفيما يأتي تفصيل موجز لما أحملناه في هذا الجانب ، مدعماً ببعض

(١) تحفة المجد : ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

(٢) نفسه : ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

الأمثلة التي تبرز كلٌّ من مظاهر توسعه اللغوي ، وقد يُصرَّحُ بعدد اللغات إذا زادت عن اثنتين ، أو يذكر اللغتين ثم يقول : زاد " المطرُز " أو " صاحب الواعي " ، أو " ابن سيده في المحكم " . . . فتلك ثلاث لغات " ، وكأنه في سعيه هذا يُدعمُ مذهبه في التوسُّع بالدليل ، ويكشف لنا بنهجه هذا عن سعة اطلاعه وغزارة علمه وأمانته العلمية في البحث والتنقيب وجمع أقوال علماء اللغة في لغة مادة بعينها ، مما لا يدع مجالاً للشك في صحَّة مذهبه التوسُّعي . وقد يُصرَّحُ عن اللغتين ثم يُثبتُ مصادره فيهما بذكر العلماء الثقات أو يستشهد ببعض القراءات أو بذكر القبائل التي تبني لغة كل منهما ، وإذ لم يُصرَّحُ عن اللغتين ، فإنه يجنحُ في هذه الحالة لبيان الحكم في الجودة أو الفصاحة ، مقارناً بينهما ، ويتضح كل ذلك في الأمثلة الآتية :

١- توسعه في ذكر لغة واحدة :

ذكر أبو جعفر أنه في حالة إضافة (عسى) إلى المضمر فإن فيه لغتين : عَسَيْتُ بفتح السين ، كما حكاها ثعلب ، وعَسَيْتُ بكسر السين ، وهي قراءة نافع لقوله تعالى :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١) .

اقتصر ثعلب على (عَسَيْتُ بفتح العين) وأضاف الشارح لغة ثانية (عَسَيْتُ بكسرها) (٢)

(١) سورة محمد آية : ٢٢ .

(٢) تحفة المجد : ٣٦ .

٢ - ذكره لغتين :

— فسي باب (فعلت بفتح العين) ذكر أبو جعفر أن في ماضي (ذوى) ثلاث لغات : ذَوَى بالفتح ، وذَاى بالهمز ، وذَوِي بالكسر (١) .

— وحكى أبو جعفر أيضاً رَعَفَ ، ورَعُفَ ، بفتح العين وضمها ، وزاد نقلاً عن المطرِّز وابن سيده في المحكم ، وابن السيد في مثله : رَعِفَ ، بكسر العين .
اقتصر ثعلب على لغة واحدة وهي : (رَعَفَ) وأضاف الشارح اللغتين الأخرتين ، نقلاً عن أئمة اللغة (٢) .

— وفي موضع آخر من شرحه يذكر أن في (شتم) ثلاث لغات في الماضي : شَتَمَ ، خفيف التَّاء ، وشَتَمَ ، ثقيل التَّاء ، وشَتَمَ (٣) . فنرى أن أبا جعفر قد أضاف لغتين غير مشهورتين إلى (شتم) الفصيحة التي ذكرها ثعلب .

(١) تحفة الجمد : ٢٤ ، وانظر الإصلاح : ١٩٠ ، وأفعال ابن القطاع : ٣٩٨/١ .

(٢) تحفة الجمد : ٤٨ ، وانظر أدب الكاتب : ٣٦٧ ، وأفعال السراقسطي : ٨٧/٣ ، والمحكم : ٨٦/٢ ،
والمخصص : ٨٥/٥ .

(٣) تحفة الجمد : ٥٦ . وانظر أفعال ابن القطاع ١١٩/٣ ، والمثلث للبعلي : ١٥٧ ، وشرح ابن هشام اللخمي : ٥٢ ، والمحكم : ٥١٣/٥ (شتم)

— وفي نفس الباب أيضاً اقتصر ثعلب على اللغة الفصيحة (لَعَبَ) بفتح العين في الماضي وأضاف الشارح لغتين هما : (لَغِبَ و لُعِبَ) ، حاكياً ذلك عن جمع من اللغويين ^(١) .

— وفي باب (فَعِلَتْ بِكسر العين) نقل أبو جعفر عن يعقوب بن السكيت عن الفراء أنه يقال : سَرَطَ وَسَرِطَ ، بالفتح والكسر ، ، ، ، ، وحكى أيضاً عن ابن طلحة : سَرَطْتُهُ ، بالكسر ، وسَرَطْتُهُ ، بالفتح ، وسَرَطْتُهُ بالفتح وتشديد الراء .
فإذ كان صاحب الفصيح وقف على (سَرِطَ) فإنَّ الشارح أضاف لغتين هما : (سَرَطَ وَسَرِطَ) ^(٢) .

٣ — توسعه بذكر ثلاث لغات :

— ذكر صاحب الفصيح أن : بَرِئْتُ من المرض ، هي لغة تميم ، وبَرَأْتُ من المرض لغة أهل الحجاز ، وأضاف أبو جعفر نقلاً عن ابن خالويه أنه يقال : بَرُوْ ، بضم الراء ، مثل : بَرَع ، عن القرأز وابن سيده ، وابن القطاع ، وعن ابن التياني ، وعن ابن السيد في مُثَلَّثِهِ ، وزاد القرأز : بَرِي يَبْرِي ، و بَرَأَ يَبْرُو ^(٣) .
اقتصر ثعلب على : (برئت وبرأت) وأضاف الشارح نقلاً عن أئمة اللغة ثلاث لغات في الماضي كما صرح بها .

(١) تحفة المجد : ٦٠ ، ٦١ .

(٢) تحفة المجد : ١٤٥ ، وانظر الجمهرة : ٣٥٢/٢ ، والصحاح (سراط)

(٣) تحفة المجد : ١٧٦ . وانظر أفعال ابن القطاع ٩٩/١ ، واللسان (برأ)

وقد سبق أن أشرنا — في مقدمة هذا البحث — إلى أن أكثر مظاهر توسع اللبلي في اللغات جاء في هذا الضرب خاصة ، وذلك ما لاحظناه عن طريق التتبع لما ذكره من لغتين أو زاد عليهما ^(١) .

٤ — ومن توسعه أيضاً عتائنة ببعض لغات القبائل ونسبتها إلى أصحابها :

اعتنى أبو جعفر اللبليُّ بذكر لغات القبائل العربية، فبيَّضَ في مواضعٍ متفرقةٍ من شرحه ، عن بعضها ، كلُّغاتِ : أهل الحجاز ، وأهل المدينة ، وأهل نجد ، وبني سليم ، وبني تميم ، وهوازن ، ومضر ، وطى ، وبني عامر ، وتغلب ، وإليك تفصيل ذلك :

— ففي باب (فعلت بكسر العين) يذكر أن في (برئت من المرض) لغتين هما (برئت) وهي لغة بني تميم ، و (برأت) وهي لغة أهل الحجاز ^(٢) .
— وفي باب (فعلت بغير ألف) ذكر أن في (حللت من إجماع) لغتين ، هما : حل لغة أهل الحجاز و تميم تقول : أحللت ^(٣) .

— وفي باب (فعلت وفعلت باختلاف المعنى) يذكر أن في (قررت بالمكان لغة أخرى وهي (قررت بكسر الراء) وينسبها لأهل الحجاز ^(٤) .

(١) انظر الصفحات : ١٨٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ،

٢٩٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٥٠ ، ٣٦٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٨

(٢) تحفة الجهد : ١٧٥ . وانظر لغة تميم ، لصاحي عبد الباقي : ٣٦٤ ، والصحاح (برأ) .

(٣) تحفة الجهد : ١٧٢ . وانظر لغة تميم : ٣٦٣ ، والصحاح واللسان (حلت) .

(٤) تحفة الجهد : ٣٦٧ ، وانظر الغريب المصنف ٥٨٥/٢ ، وإصلاح المنطق : ٢١٣ . وأنعال ابن القطاع

٤٧/٣ ، والصحاح والمحكم : ٧٧/٦ (قرر) .

— وفي نفس الباب يحكي نقلاً عن الأئمة الثقات أن في (سخن الماء) ثلاث لغات : سَخَنَ وَسَخَّنَ وَسَخِنَ وقال : " والكسر لغة هوازن ^(١) .

— وينقل الشارح أيضاً عن إحدى الأعرابيات أنه يقال : الهدايا ، بالفتح وهي لغة مضر ، وسفلاها تقول : الهدايا بالضم ^(٢) .

— ويذكر أن في : هديت العروس إلى زوجها ، لغة أخرى ، هي : (أهديت بالألف ، وقال عنها : هي لغة طيء ^(٣) . قلت وفي معاني القرآن للأخفش ٢ / ٥١٧ أهديتها لغة قيس ، وهديتها لغة تميم .

— وفي باب (فعلت وأفعلت باختلاف المعنى) ينقل عن الرمحشري عن الخليل : أن لغة أهل المدينة : حَضِرَ ، بالكسر ^(٤) .

— وفي باب (فعلت بفتح العين) لم يذكر في (نَعَسَ) سوى الفتح مع بحثه عنها ، وحكى في مستقبلها لغتين نقلاً عن أئمة اللغة هما : ينْعَسُ بالضم ، وينْعَسُ بالفتح ، ناسباً الأخيرة لبعض بني عامر ^(٥) .

(١) تحفة المجد : ٤٠٠ ، وانظر أدب الكاتب : ٣٢٥ ، وأفعال ابن القطاع : ١٤٩/٢ ، والمحكم : ٥٠/٥

(سخن)

(٢) تحفة المجد : ٤٣١ ، وانظر الكتاب ٣٩٠/٤ ، ٣٩١ ، والمحكم : ٢٦٩/٤ .

(٣) تحفة المجد : ٤٣١ ، وانظر أفعال ابن القطاع : ٣٦٤/٣ ، والمحكم : ٢٧٠/١٤ .

(٤) تحفة المجد : ٤٥٥ . وانظر الكتاب ٤٠/٤ ، والإصلاح : ٢١٢ ، ٢١٣ ، والخصائص ٣٧٤/١ -

٣٨٠ ، وشرح الرمحشري : ١٧٣ .

(٥) تحفة المجد : ٥٨ .

— وفي باب (فعلت بغير ألف) ذكر أبو جعفر أن في (الوند) لغتين : (وَتَدُّ) و (وَتَدُّ) بالكسر والفتح ، وأضاف عن يعقوب في الإصحاح عن أبي عبيدة لغة ثالثة هي (وَدُّ) ونسبها إلى أهل نجد ^(١) .

— وفي موضع آخر من الكتاب ينقل عن أبي عبيد في الغريب المصنف وعن اللحياني في نواتره أن في (هَرَقَّت الماء) لغتين ، هما : هَرَقَّتْ وَأَهْرَقَّتْ ، بالألف وقال عن الأخيرة أنها لتغلب ^(٢) .

وهو في نسبه لهذه اللغات إلى قبائلها إنما فعل ذلك للتأكيد على فصاحة اللغة التي يحملونها على أنها من لغات العامة ، فالشارح هنا ، أصل تلك اللغات وفصحها بنسبتها إلى هذه القبائل العربية الفصيحة .

٥ — ومن توسعه — أيضاً — عنايته باللغات التي تفرد بها بعض اللغويين :

أورد اللبسي في شرحه بعض اللغات غير المشهورة ، وقد صرَّح بذلك في بعض الصفحات كقوله عن بعض أئمة اللغة : " ولم أرها لغيره " أو " ولم أر أحداً من النحويين حكاه " ، كما أشار في بعض المواضع إلى قلتها ، كقوله : " خَفَّفَ بعضُ العربِ ، فقالوا : . . . " ، أو " يُقَالُ كَذَا " ، وقد تكرر مثل هذا في كتابه تحفة المجد ، ومن أمثلة ذلك :

(١) تحفة المجد : ٢٩٥ . وانظر الإصحاح : ١٠٠ . قلت قال سيويه في الكتاب ٤/٤٨٢ : " وَدُّ أصلها وَتَدُّ "

وهي الحجازية الجيدة ، ولكن بني تميم أسكنوا التاء كما قالوا في فَحَدُّ : فَخَدُّ فَأَدْعَمُوا .. "

(٢) تحفة المجد : ٢٤٤ . وانظر الغريب المصنف : ٢/٧٠٧ . والصحاح (هرق)

— ففي باب (فعلت بفتح العين) يذكر أن الكَرْبَ بالزاي لغة في الكَسْبُ^(١) .
قُلْتُ : وهي لغة غربية يُبدل السين زايًا في الكَسْبُ ، ولا أقول إنها قليلة ، بل
هي نادرة .

— ونقل عن عبدالحق ما حكاه عن الرِّياشي أن (سِفْتَهُ) لغة في سَفِطُ الدواء^(٢) .

— ونقل الشارح عن القزاز أيضاً أن بَرِيَّ بَرِيَّ بكسر الراء في الماضي دون همز
لغة في بَرِئْتُ وبَرَأْتُ من المرض^(٣) .

— وفي الباب نفسه يحكي أيضاً أن ثعلباً قال : ' وَأُنْشَدْتُكَ ، بالألف ، ذكرها في
أماليه ، ولم يرَها لغيره^(٤) .

— وفي باب (فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ باختلاف المعنى) يقول : وَقَرَرْتُ به عَيْنًا ، ثم يذكر
أن بعض العرب خَفَّفَ ، فقالوا : قَرَّتْ وَقَرَّتْ^(٥) .

— وفي الباب نفسه ذكر فعلاً من مترادفات : بزغت الشمس وهو (بزقت)
بالقاف . وقد ورد هذا في حديث أنس " أتينا أهل خيبر حين بزقت الشمس"^(٦)
وحكى قول الهروي هكذا الرواية ، يقال : بزقت الشمس وبزغت^(٧) . فاللغة
المشهورة هي بزغت وصرح الشارح بإضافة لغة غربية غير مشهورة .

(١) تحفة المجد : ١٣٢ . وانظر اللسان (كزب) .

(٢) تحفة المجد : ١٦٥ ، وانظر أفعال ابن الفوطية : ٧٠ .

(٣) تحفة المجد : ١٧٥-١٧٦ .

(٤) تحفة المجد : ٢٥٦ . وانظر المخصص : ١١٤/١٣ ، واللسان (نشد) .

(٥) تحفة المجد : ٣٦٨ .

(٦) صحيح مسلم ، باب : إعتاقه أمة ثم يتزوجها برقم (١٥٥) ، وفي غزوة خيبر برقم (١٣٦٥)

(٧) تحفة المجد : ٤١٦ ، وانظر الغريين للهروي : ١٧١/١ .

— وفي باب (فعلت بفتح العين) نقل أبو جعفر عن المطرز في شرحه عن ثعلب ما حكاه الأخير من أنه يقال : عَمِدَتْ بكسر الميم ، وينص الشارح أنه لم ير أحداً حكاه سواه (١) .

— وفي موضع آخر من الكتاب : ينقل الشارح عن ابن هشام اللخمي قوله ٢ : (غَدِرَ) بكسر الدال ، ويذكر أنه لم يعرفه من غيره مع بحثه عنه ٣ .

— وفي نفس الباب نقل من بخط ابن هشام اللخمي عن ابن سراج أنه يقال : العَسَلُ ، بالتسكين ، وهي لغة في العسل ، ثم ينص على أنه لم ير أحداً من اللغويين حكاه مع بحثه عنه (٤) .

— وفي (باب فعلت بغير ألف) يحكي عن كُرَاعٍ في المجرّدِ أَنَّهُ يُقَالُ : المَدْيُ ، ببدال غير معجمة ، وهي لغة في (المني) ويصرّح بأنّه لم يرها لأحد من اللغويين سواه (٥) .

وقد تكرر في ثنايا الكتاب عناية الشارح بذكر كثير من هذه اللغات والتي تفرد بها أصحابها (٦) .

٦ — التَّوَسُّعُ عن طريق الإبدال :

ومَّا تَوَسَّعَ فِيهِ الْمَغَارِبَةُ — خاصة — الإبدال بين الحروف ، فيذكر أبو جعفر اللَّبْلِيُّ في تحفته : في (هَرَقْتُ الْمَاءَ) أَنَّ أَصْلَ هَرَقْتُ : أَرَقْتُ ، والعرب تبدل من

(١) تحفة المجد : ٨٣ .

(٢) انظر شرحه للقصيح : ٥٣ .

(٣) تحفة المجد : ٨٠ .

(٤) تحفة المجد : ٣٧٨ ، وانظر شرح ابن هشام ٧٦ .

(٥) تحفة المجد : ٢٣٣ . وانظر المجرّد (مد) .

(٦) انظر تحفة المجد : ٣٣ ، ٥٤ ، ٩٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ .

الهمزة هاء ، ومن الهاء همزة للمقرب الذي بينهما من حيث إنهما من أقصى الحلق ،
فجاز أن يُبدَلَ كُلُّ واحد منهما من صاحبه ، فمن إبدال الهاء من الهمزة قولهم :
إياك وهياك ، وأنرت الثوب وهنرته (١) .

ومن هذا الضرب أيضاً :

— إبدال السين صاداً : فقد نقل الشارح ما حكاه ابن سيده من أنه يقال : (
سَخَنَ الماءَ وصَخَنَ ، بالسين والصاد) (٢) . فالسين المهموسة تأثرت بصوت
الهاء المفخم تأثراً رجعياً ، فأبدلت بصوت من مخرجها وهو الصاد ؛ لكي
يتناسب في النطق مع الحاء .

— إبدال السين زائياً : ذكر أبو جعفر : أن العَرَبَ تُبدِلُ من السين زائياً في كثير
من كلامها ، كما قالوا : لسبته العقرب ، ولزبته (٣) ، فاللغة المشهورة (لسبته)
وهناك من حكى اللغة الثانية (٤) . حيث ذكر أبو جعفر أن السين عندما تجاور
الباء المجهورة تتأثر بها تأثراً رجعياً فتبدل بصوت من مخرجها وهو الزاي المجهور
يتناسب مع الباء . وكذلك : الزراط ، وأصله السراط ، قلت : ذكر صاحب
البحر المحيط أن كل حرف لغة لقبيلة بعينها (٥) ، ومن هذا النوع — أيضاً —
قولهم : فطس الرجل ، وفطر (٦) .

(١) تحفة المجد : ٢٤١ ، ٢٤٢ . وانظر الابدال لابن السكيت : ٨٨ ، والخصائص ٣١٥/١ . والاقطصاب

٢٤١/٢ :

(٢) تحفة المجد : ٤٠١ ، وانظر المحكم : ٣٩/٥ (سخن)

(٣) تحفة المجد : ١٣٢ .

(٤) انظر المجرى لكراخ (لس ، لس) ، والمنتخب : ٦٥٨/٢ .

(٥) البحر المحيط : ٤٥/٢ .

(٦) تحفة المجد : ٩٢ . وانظر أفعال ابن القطاع : ٤٧٢٥/٢ ،

— ومن الأمثلة التي مررتُ بنا — في المبحث السابق — كلُّغات تُفَرِّدُ بِذِكْرِهَا اللبلي وعددها ضَمَنَ اللُّغاتِ القليلة ، تُذَكِّرُ منها : (الكَرْبُ وَالْكَسْبُ) (١) ، و (بَرَقَتِ الشَّمْسُ وَبَرَّغَتْ) (٢) . والأخيرة جاءت عن طريق إبدال الغين قافاً .

— إبدال الصاد زايًا : حكى أبو جعفر أن العرب تبدل من الصاد زايًا : كقولهم : (فَصَدَّتْ الناقَةَ وَفَزَدَتْهَا) (٣) . قلت : وعلى ذلك جاء قولهم : (لم يحرم من فَرَدَ له) (٤) .

— إبدال التاء زايًا : ومن ذلك أيضاً إبدالهم التاء زايًا : (فرد في فزت) . قال عنها ابن سيده هي لغةٌ تميمية (٥) .

— إبدال النون جيمًا : ينقل أبو جعفر عن بعض اللغويين أن العرب تبدل النون جيمًا كقولهم : أَجَنَ الماءَ وَأَجَمَ . حاكياً ذلك عن ابن التَّيَّانِي عن قطرب (٦) .

٧ — التَّوَسُّعُ عن طريق التَّرَادُفِ :

يعد أبو جعفر من أكثر المتوسعين في هذا الباب ، فهو يعطي مترادفات كثيرة للأفعال والأسماء ، يسوقها جميعاً كما فَعَلَ مع الفِعْلِ (غَتَّتْ نَفْسِي) (٧) فيذكر : غَتَّتْ نَفْسُهُ ، وَلِقِسَتْ ، وَخَبِثَتْ ، وَضَاقَتْ ، وَتَبَعَّثَتْ ، وَتَمَذَّرَتْ ، وَتَرَمَّضَتْ ،

(١) انظر ص : ٤٤١ من هذا البحث .

(٢) انظر ص : ٤٤١ من هذا البحث .

(٣) تحفة المجد : ٢٩٣ . وانظر الكتاب : ١١٤/٤ .

(٤) انظر الكتاب : ١١٤/٤ ، وجمع الأمثال للميداني : ١١٣/٣ .

(٥) للمخصص : ٢٧٠/١٣ .

(٦) تحفة المجد : ١٢٤ ، والإبدال لابن السكيت : ٧٨ .

(٧) تحفة المجد : ١٢٩ ، ١٣٠ .

وَتَعَرَّبَتْ ، وَتَمَقَّسَتْ ، وحكى الشارح عن محمد ابن ابان أنه زاد : رانت ،
وغيانت ، وجاشت نفسه ، وبنه أبو جعفر أنها كلها بمعنى واحد .

وفي الفعل (لَدَغَّتُهُ الْعُقْرُبُ) ^(١) ، حكى : لَسَبْتُهُ ، وَأَبْرَدْتُهُ ، وَوَكَعْتُهُ ،
وَكَوَّرْتُهُ ، وَلَسَعْتُهُ ، وَشَحَطْتُهُ ، وَيَصْرُحُ بِأَنَّهَا جَمِيعاً بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

ولغِبَ الرَّجُلُ ، وَأَعْيَا ، وَتَعِبَ ، وَنَفَى ، وَبَدِدَ ، وينص الشارح أنها كل ذلك
بمعنى تعب ، أي أن كل ذلك بمعنى واحد ^(٢) .

وينقل أبو جعفر أيضاً عن أئمة اللغة أربعة وأربعين لفظاً كلها بمعنى : مات .
نذكر منها قوله : هَلَكَ ، وَفَادَ ، وَجَنَّصَ ، وَدَنَّفَ ، وَهَرَّرَ ، وَعَصَدَ ، وَهَبَزَ ،
وَفَطَسَ ، وَطَفَسَ ، وَفَقَسَ ^(٣) .

وفي موضع آخر ينقل أبو جعفر عن بعض أئمة اللغة ، كأبي عبيد وابن
السكيت أنه يقال : لَقِمْتُ اللَّقْمَةَ ، وَزَرِدْتُهَا ، وَبَلَعْتُهَا ، وَصَرِطْتُهَا ، وَسَلَّجْتُهَا ،
وينبه إلى أن كل هذه الألفاظ بمعنى واحد ^(٤) .

ولم يقتصر الشارح في توسعه على معاني الأفعال فحسب ، بل كان من
المتوسعين أيضاً في معاني الأسماء المترادفة ، فيذكر منها : الشمس ، وَالْإِلَهِةَ عَلَى
وزن فِعَالَةٍ ، وَالْإِلَهِةَ عَلَى وزن فُعَالَةٍ ، وَالْأَلِيْهَةُ وَالضُّحُ ، وَالضُّحَاءُ ، وَالسَّرَاجُ ،
وَالْبِيضَاءُ ، وَبُوحٌ ، وَبَرَّاحٌ عَلَى وزن قَطَامٍ ، وَبَرَّاحٌ بِالرَّفْعِ ، وَمَهَاءٌ ، وَالشَّرْقُ ،
وَالشَّرْقَةُ بِتَسْكِينِ الرَّاءِ فِيهِمَا وَالشَّرْقُ بِفَتْحِ الرَّاءِ ، وَالشَّرِيقُ ، وَالشَّرِيقُ ، وَخَنَازِ ،

(١) تحفة المجد : ٣٧٩ .

(٢) تحفة المجد : ٦٢ .

(٣) تحفة المجد : ٨٩-٩٠ ، وانظر نواذر أبي زيد : ٥١٤ ، والغريب المصنف : ٣٣١/١ ، والمختص : ١/١
٣٤٣-٣٤٥ ، والمختص : ١١٩/٦-١٢٦ .

(٤) تحفة المجد : ١٤٧ ، وانظر الغريب المصنف : ٢١٢/١ ، والإصلاح : ٢٠٨ .

والعَيْنُ ، كلها أسماء للشمس وهي بمعنى واحد ، وقد حكى ذلك عن بعض اللغويين .^(١)

ومن أسماء النار — أعادنا الله وجميع إخواننا منها — النار ، والمأنوسة ، والويصصة ، والوابصة ، والسكن ، وقد حكى الشارح هذه الأسماء كلها عن المطرز^(٢) .

٨ — التوسُّعُ عن طريق المُشْتَرِكِ اللَّفْظِيِّ : وهذا الضرب على نوعين :

أ — التوسع الإيجابي :

وفي هذا النوع من التوسع نجدُ أبا جعفر اللَّبْلِيُّ يُمَثِّلُ نَهْجَ المِغَارِبَةِ أَسْوَةً بِإِخْوَانِهِم المِشَارِقَةَ ، وفي نَهْجِ هَوْلَاءِ وهَوْلَاءِ إِثْرَاءِ لِلْغَةِ وَتَوْسُّعِ مَحْمُودٍ فِي أُسَالِيبِ التَّعْبِيرِ ، تَشْتَرِكُ فِيهِ الأَلْفَاظُ وَتَتَعَدَّدُ بِهِ المَعَانِي ، فَمِنْ ذَلِكَ :

يذكر أبو جعفر أن الشَّرْقَ يأتي بمعنى منها : الشرق : الشمس ، يُقَالُ : اقعد في الشَّرْقِ ، أي : اقعد في الشَّمْسِ ، والشَّرْقُ : الضوء ، والشَّرْقُ : خلاف الغرب ، والشرق : موقع الشمس في الشتاء^(٣) .

ويذكر أيضاً أن الشَّرْكَ يكون بمعنى الشَّرِيكِ ، ويكون بمعنى النصيب ، ويكون مصدر شركت الرجل في ماله ، وكل شيء يكون لقوم فيه سهم فهو مشترك ؛

(١) تحفة المجد : ٤١٨ ، ٤١٩ . وانظر الاقتضاب : ٢٣٦/٢ - ٢٣٧ ، والمخصص : ١٨/٩ - ٢٣ (صفة الشمس وأسمائها) .

(٢) تحفة المجد : ٦٨ - ٦٩ . وانظر الخصائص : ٢٣/٢ ، واللسان (أنس) .

(٣) تحفة المجد : ٤٢٠ ، وانظر المحكم : ١٠٢/٦ (شرق)

ولذلك قالوا : الطَّرِيقُ مشترك ، والحديث مشترك ، أي يشترك فيه من سمعه
فيتساوون فيه (١)

وأوضح أبو جعفر أن (الحصور) يأتي لمعان ، ذكر منها : الرجل الذي لا يأتي
النساء ، فكأنه حبس عما يكون من الرجال ، ويكون بمعنى : الشخص الذي لا
يتيسر له اللفظ ، فيقال : قد حصر منطقته ، ويكون بمعنى : الكاتم للسر ، أي يحبس
السر في نفسه (٢) .

وفي موضع آخر يذكر أبو جعفر أن معنى (نَحَبٌ) : نَجْرٌ ، ونقل عن التدميري
في شرحه للفصيح أنه بمعنى : قَشْرٌ (٣) . ونقل أيضاً عن صاحب الواعي أنه بمعنى :
نكح ، يقال : نحت الرجل المرأة إذا جامعها ، ويكون أيضاً بمعنى (أنضى) يقال
نحت السفر البعير إذا أنضاه (٤) .

وبين أبو جعفر أيضاً أن (العَسَلُ) يأتي لمعان منها : غسلت الطعام إذا جعلت
فيه عسلاً ، والعسل أيضاً مصدر غسل الله العبد إذا حببه إلى الناس (٥) . وفي
الحديث " إذا أراد الله بعبد خيراً عسله " (٦) .

(١) تحفة المجد : ٢١١ ، وانظر شرح الزمخشري : ٣٧٥ ، والمحكم : ٤٢٦/٦ ، واللسان (شرك) .

(٢) تحفة المجد : ٤٦١ ، وانظر معاني القرآن للزجاج : ٤٠٧/١ ، والجمهرة : ١٣٤/٢ (حصر)

(٣) شرح غريب الفصيح للتدميري : ٢٢ .

(٤) تحفة المجد : ٩٩-١٠٠ ، وانظر افعال ابن القطاع ٢٤٤/٣ ، والمحكم : ٢٠٣/٣ ، واللسان (نحت)

(٥) تحفة المجد : ٣٧٨ .

(٦) أخرجه الإمام أحمد ، في مسنده ، حديث رقم (١٧٣٣٠) ، ٢٢٥/٥ ، ونصه : قال رسول الله

— صلى الله عليه وسلم — : " إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً عَسَلَهُ ، قيل : وما عسله ؟ قال : يفتح الله عز
وجل له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه " . وانظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٩٠/١ .

وأبان الشارح أيضاً أن العُرْجَةَ : الضَّلَع ، والعرجة أيضاً : موضع العَرَج من الرجل^(١)

ويذكر الشارح في موضع آخر من الكتاب أن العطاس يقع على ما يصيب الإنسان ، ويقع على معنى الصبح أيضاً ، كما نص على ذلك بعض اللغويين^(٢)

ب - التوسع السليبي (الأضداد) :

ومن مظاهر توسع المغاربة - أيضاً - ما وجدناه في تحفة المجد لأبي جعفر اللبلي من الأضداد ، فمن ذلك :

يذكر أن الظَّنَّ بالطَّاء ، مصدر ظننت الشيء : إذا شككت وإذا تيقنت ، ويتبّه إلى أنه من الأضداد ، ناقلاً ذلك عن بعض أئمة اللغة^(٣) .

وفي موضع آخر من الكتاب ينقل الشارح عن بعض أهل العلم : إنَّ القُنُوعَ قد يكون بمعنى الرضا ، والقناع بمعنى الراضي ، وينص على أنهما من الأضداد . وحكى عن الجوهري جواز أن يكون السائل سُمِّي قانعاً ؛ لأنه يرضى بما يعطى قل أو كثر^(٤) .

وينقل أبو جعفر أيضاً عن يعقوب في كتاب الأضداد من أن قسط : جار ، وقسط : عدل ، وأقسط بألف : عدل لا غير^(٥) .

(١) تحفة المجد : ٣٩٠ ، وانظر العين : ٢٢٣/١ ، والمحكم : ١٨٧/١ (عرج)

(٢) تحفة المجد : ٩٤ ، وانظر تصحيح الفصح : ٤٩ ، والمحكم : ٢٨٨/١ (عطس) .

(٣) تحفة المجد : ١٨٦ ، وانظر أدب الكاتب : ١٨٠ ، والأضداد لابن الأثير : ١٤ ، والمجرد لكراع

(ظن) .

(٤) تحفة المجد : ٣٧٣ .

(٥) نفسه : ٤٤٤ .

أيضاً ينقل الشارح ما حكاه كراع في المجرّد وابن القطاع في أفعاله بأن قولهم :
 (نَشَدْتُ الضَّالَّةَ) بمعنى : طَلَبْتُهَا وَعَرَّفْتُهَا وهو من الأضداد (١) .
 ونختم هذا النوع بما قرره أبو جعفر من أن (التَّهَكُّ) من الأضداد لأنه يقال
 في الضعف والقوة (٢) .

٩ - التوسع عن طريق عنايته بذكر المثلثات اللغوية :

اهتم الشارح بذكر المثلثات اللغوية وقد اعتمد في هذا كثيراً على ما ذكره ابن
 السيد في مثله (٣) . ومن امثلة ذلك :

ففي كلامه على قول ثعلب (ورَعَفْتُ أرْعَفُ) يصرّح أبو جعفر أن في
 الماضي ثلاث لغات : رَعَفَ ، ورَعَفَ ، ورَعِفَ . حاكياً ذلك عن ابن السّيد في
 مثله (٤) .

وفي موضع آخر يذكر أن في (فسد) ثلاث لغات : فَسَدَ ، وفَسَدَ ، وفَسِدَ .
 حاكياً ذلك عن جمع من أئمة اللغة (٥) .

ويذكر أبو جعفر - أيضاً - أن في مستقبل (نحت) ثلاث لغات : يَنْحِتُ ،
 وَيَنْحَتُ ، وَيَنْحَتُ (٦) .

(١) تحفة المجد : ٤٤٨ ، وانظر المجرّد لكراع (نش) وأفعال ابن القطاع ٢/٢٢٥ .

(٢) تحفة المجد : ١٧١ .

(٣) انظر الصفحات : ٤٨ ، ٧٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢٧٣ ، ٣٥١ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ،
 ٤٩٢ ، ٤٠٦ .

(٤) ٣٠/٢ .

(٥) تحفة المجد : ٢٣ ، وانظر الإصحاح : ١٨٩ ، وأدب الكتاب : ٣٢٥ . والمجرّد لكراع (فس) ،
 وأفعال ابن القطاع : ٤٦٢/٢ .

(٦) تحفة المجد : ٩٩ ، ١٠٠ ، وانظر المحتسب : ٥/٢ ، والمحتسب لكراع : ٥٥٤/٢ ، وبغية الآمال : ٧٣ ،
 والمثلث للبعلي : ١٦١ .

وفي موضع آخر من الكتاب يذكر أن في (سخن) ثلاث لغات في الماضي :
سخن وهي لغة الفصيح ، وسَخْن ، وسَخِنَ^(١) .

وينقل الشارح ما حكاه ابن سيده في المحكم أن في (الخفارة) ثلاث لغات :
الخَفَّارَةُ ، والخِفَارَةُ ، والخُفَّارَةُ ، وهي جُعِلُ الخفير^(٢) .

(١) تحفة المجد : ٣٩٩-٤٠٠ ، وأدب الكاتب : ٣٢٥ ، وأفعال ابن القطاع : ١٤٩/٢ ،
والمختص : ٦٨/٩ ، ٦٢/١٥ .

(٢) تحفة المجد : ٤٤٥ ، والمحكم : ١٠٦/٥ (خفر) ، والمثلث للبعلي : ١٣٢ .

ونخلص مما سبق إلى بيان الآتي :

- ألف أبو جعفر اللبلي شرحه هذا في مدينة اشبيلية من بلاد الأندلس ، وقد رجع بعضهم أن تأليفه كان قبل سنة ٦٤٧ هـ .
- يعتبر هذا الشرح من أعظم وأعلى الشروح التي وصلت إلينا والممثلة لحركة التوسع اللغوي .
- كشف لنا الملف في هذا الكتاب عن الكثير من شروح الفصحح المفقودة ، وهو بهذا العمل قد كسى الفصحح ثروة لغوية كانت ضائعة .
- تضمن الكتاب نقولاً كثيرة عن مصادر لغوية عالية القيمة ، لا يزال بعضها مفقوداً .
- اعتنى الشارح بلغات العامة ووقف منها موقفين : موقف المصوب لها عند موافقتها للغة من لغة العرب ، وموقف المنكر لها عند مخالفتها ذلك .
- وقف من صاحب الفصحح ثلاثة مواقف : موقف المتابعة والموافقة لتغلب ، وموقف المنتصر له حيث كان موافقاً له في أغلب ما جاء في الفصحح ، وثالثهما موقف المستدرك عليه ، وقد كان مهذباً في موقفه هذا ، فامتاز بلين الجانب والبحث عن الأعذار لصاحب الفصحح .
- كان من أعظم المتوسعين في شرحه هذا ، وقد تجلّى مذهبه في التوسع اللغوي في الآتي :
- التوسع عن طريق إضافة لغة إلى ما ذكره صاحب الفصحح ، أو لغتين أو ثلاثاً أو أكثر لم نجد هن ذكرها عند تغلب .
- ومن توسعه أيضاً عنايته بكثير من لغات القبائل ونسبتها إلى أصحابها .
- ومن توسعه عنايته أيضاً باللغات التي تفرد بها بعض اللغويين
- اهتم أيضاً بتعقبه لبعض اللغويين ، وتصويبه لبعض لغات العامة .

— ومن توسعه أيضاً : التوسع عن طريق الإبدال ، التوسع عن طريق الترادف ،
التوسع عن طريق المشترك اللفظي بنوعيه .

مُوازَنَةٌ

بين الشُّروح المشرقية والشُّروح المغربية
في حركة التَّوسُّع اللُّغوي

وبعد أن تحدثنا عن مظاهر التوسُّع في هذه الشروح الثلاثة ، نتبعها بعقد موازنة بينها ، وهي: إسْقَارُ الفصيح ، لأبي سَهْلٍ الهروي ، وشرحُ الفصيح ، للزُّمخشرى ، وهذان الشرحان يمثلان الشُّرُوحَ المشرقية . أمَّا الشَّرْحُ الذي يُمثل الشُّرُوحَ المغربية في هذه الموازنة ، فهو : تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ، لأبي جعفر اللَّبلي .

وأشير إلى أنني بدأتها بالباب الأول : (باب : فعلت ، بفتح العين) ، وختمتها بالباب السادس : (باب : فعلت وأفعلت باختلاف المعنى) ، والسبب في اقتصاري على هذه الأبواب الستة ؛ أن تحفة المجد الصريح — والذي يمثلهُ السُّفَرُ الأول — ينتهي عند الباب السادس من أبواب الفصيح — كما أشرنا سابقاً — . ولكي تكون الموازنة شاملة لمواد هذه الشروح الثلاثة ، كان لا بد أن تكون المقارنة محصورة في هذه الأبواب الستة .

وأنبه أيضاً إلى بعض المصطلحات التي اعتمدها في إيضاح نتائج هذه الموازنات ، فإذا قُلْتُ : (الشُّرُوحُ) فإنني أقصد بهم هؤلاء الثلاثة — فقط — (الهروي ، والزُّمخشرى ، واللَّبلي) ، وكلما وردت كلمة : (الشَّارِحِينَ ، أو الشَّارِحَانَ) فالمراد بهما اثنان من الثلاثة ، والسياق يُحدِّدُهما .

الشرح	باب : فَعَلْتُ ، بفتح العين (نَمِيَ يَنْمِي)
شرح الهروي (الإسفار)	<p>يُقَالُ: (نَمِيَ الْمَالُ وَغَيْرُهُ يَنْمِي) نَمَاءً وَنُمِيًا، إِذَا كَثُرَ وَزَادَ لِنَتَاسُلِهِ، فَهُوَ نَامٍ، عَلَى مِثَالِ مَضَى يَمْضِي مَضَاءً وَمُضِيًا، فَهُوَ مَاضٍ. وَالْمَالُ عِنْدَ الْعَرَبِ هُوَ: الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَتَنَاسَلُ، وَيَسْمُونَ النَّخْلَ وَالذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَقْتَنِي وَيَكْتَسِبُ مَا لَا أَيْضًا. وَنَمَاءُ الشَّيْءِ بِالْمَدِّ: زِيَادَتُهُ وَكَثْرَتُهُ عَلَى مَا عُرِفَ مِنْ حَالِهِ وَمَقْدَارِهِ. وَمَتَهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:</p> <p>يَا حُبَّ لَيْلِي لَا تَغَيِّرْ وَازْدَدِ وَإِنَّمِ كَمَا يَنْمِي الْخِضَابُ فِي الْيَدِ (ص : ١٣)</p>
شرح الزمخشري	<p>تَقُولُ: (نَمِيَ الْمَالُ يَنْمِي) بِالْيَاءِ اخْتِيَارَ ثِقَلِ اللَّغَةِ كَالْفِرَاءِ وَالْكَسَائِيِّ ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَبِي زَيْدٍ ، وَقَالَ الْكَسَائِيُّ : مَا سَمِعْتُ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُ: (يَنْمُو بِالْوَاوِ إِلَّا أَخْوَيْنِ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْهُ بَنِي سَلِيمٍ فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ) ، وَقَالَ الْخَلِيلُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَنْمُو بِالْوَاوِ أَفْصَحُ وَاعْتَبَرُوا الْمَصْدَرَ مِنْهُ، لِأَنَّهُ بِالْوَاوِ. قَالَ: نَمَا يَنْمُو نَمَوًا مِثْلَ نَبَا يَنْبُو نُبُوًا وَسَمَا يَنْسُمُو سُمُوًا، وَأَمَّا النَّمَاءُ فَلَا يَدُلُّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْوَجْهَيْنِ؛ لِأَنَّ فِعْلًا تَجِيءُ مِنَ ذَوَاتِ الْيَاءِ وَالْوَاوِ جَمِيعًا ، كَقَوْلِهِمْ : قَضَى يَقْضِي قِضَاءً، وَجَفَا يَجْفُو جَفَاءً ، فَأَمَّا الْخِضَابُ فَلَا يَقَالُ إِلَّا بِالْيَاءِ ، أَنْشَدَ الْفِرَاءُ:</p> <p>يَا حُبَّ لَيْلِي لَا تَغَيِّرْ وَازْدَدِ وَإِنَّمِ كَمَا يَنْمِي الْخِضَابُ فِي الْيَدِ ويقال : في النسبة نَمَوْتُهُ إِلَى أَبِيهِ وَنَمَيْتُهُ، وَيُقَالُ : أَلْمَيْتُهُ أَيْضًا، وَنَمَيْتُ أَنَا بِمَعْنَى اتَّمَيْتُ، قَالَ الشَّاعِرُ:</p> <p>أَنَا ابْنُ مَحْكَانَ أَخْوَالِي بَنُو مَطَرٍ أَلْمِي إِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعْشَرًا نُجَبَا (ص : ١١)</p>

قوله : (تقول نَمَى المال) قال أبو جعفر: أي زاد وكثر، قاله غير واحد. وفي نَمَى لغة ثانية يقال: نَمُو، على وزن ظَرْفًا، حكاهما صاحب الواعي ومن عطفه، وحكاها أيضاً أبو القاسم السعدي في أفعاله. وفي مضارع نَمَى يفتح العين لغتان: يَنِمِي على وزن يَرْمِي ، كما ذكره ثعلب، وَيَنُمُو على وزن يَدْعُو، قال الشاعرُ في يَنِمِي :
والشَّيْءُ تَحْفَرُهُ وَقَدْ يَنِمِي.

وقال الشاعرُ في يَنِمِي أيضاً :

ما زالَ يَنِمِي جده صاعداً منذ لدن فارقه الحال

وأنشد اللحياني في نوادره عن الكسائي في يَنُمُو :

يا حُبَّ لَيْلِي لا تَغْيِرْ وارْزُدْ وإِنَّمُ كَمَا يَنِمُو الحِضَابُ في اليَدِ

وأخذ ابن هشام اللخمي على ثعلب في كونه ذكر يَنِمِي فقط ولم يذكر معها يَنُمُو ، قال : وهما لغتان فصيحتان ، فكان حقه أن يذكرهما. قال أبو جعفر: ما قاله ابن هشام من أنهما لغتان فصيحتان غلط، وإنما اللغة الفصيحة يَنِمِي فقط ، وهي التي ذكرها ثعلب بدليل ما نقله الأئمة الثقات الأثبات. قال الجوهري في كتابه الصحاح: نَمَى المال وغيره، يَنِمِي، وربما قالوا: يَنُمُو، قال الكسائي:

ولم أسمع بالواو إلا من أخوين من بني سليم، ثم سألت عنه بني سليم فلم يعرفوه بالواو. قال أبو جعفر: وحكى هذا أيضاً أبو عبيد في المصنف عن الكسائي، وصاحب الواعي أيضاً عن الكسائي. فإذا كان الكسائي على مرتبته من حفظ كلام العرب، وإمامته، لم يسمعها إلا من رجلين من العرب فهذا أدل دليل على قلتها، فكيف تكون كـ (يَنِمِي) . وقال صاحب الواعي، ومن عطفه: نَمَى الشيء يَنِمِي ، وَيَنُمُو ، والأفصح: يَنِمِي. وقال أبو علي القالي في مقصوره وممدوده: يُقالُ: نَمَى المالُ يَنِمِي ، وَيَنُمُو ، والأفصح يَنِمِي . وقال ابن دُرُسْتُويه في تصحيحه: يَنُمُو لغة لبعض العرب وليست بخطأ ،

شرح اللبلي
(تحفة المجد الصريح)

	<p>ولكن ينمي أعلى وأعرف. وقال أبو حاتم في كتابه تقويم المفسد يُقال: نَمِيَ الشيء يَنْمِي، ولا يُقال: يَنْمُو، وحكى أبو حاتم أيضاً عن الأصمعي أنه قال: العامة يقولون: يَنْمُو بالواو، ولا أعرف ذلك بثبت. وقال الزمخشري في شرحه لهذا الكتاب: (يَنْمِي بالياء) ، اختيار ثَقَلَة أهل اللغة كالفراء، والكسائي، وأبي عبيدة، وأبي زيد . وكذا قال ابن الدهان اللغوي في شرحه لهذا الكتاب : (يَنْمِي بالياء) اختيار ثَقَلَة أهل اللغة. قال أبو جعفر : فخرج من هذا الذي نقلناه عن الأئمة أن (يَنْمِي) أفصح من (يَنْمُو) فلذلك لم يذكرها ثعلب ، وأن أخذ ابن هشام ، ومن كان على مذهبه ليس بشيء .</p> <p>(ص : ١١)</p>
--	---

الموازنة :

أولاً : أبو سهل الهروي في إسفاره :

- بدأ بتفسيره للمعنى .
- وقف عند اللغة الأفصح (نَمِيَ — يَنْمِي) ، وهو اختيار صاحب الفصيح .
- نظر الشارح على ما ذكره من بناء هذه المادة ، وقد تفرّد بهذا التنظير عن الزمخشري واللبلي .
- شرح معنى الكلمة وذكر من مشتقاتها مصدرين ، واسم فاعلٍ ونظر لها .
- استطراده في شرح : معنى المال ، وهذا لا نجده عند الشارحين الآخرين .
- استشهد على فصاحة (نَمِيَ — يَنْمِي) بيت من الرجز ، وقد وافقه فيه كل من الشارحين .

ثانياً : الزمخشري في شرحه :

— أغفل تفسير المعنى .

— نقل عن أئمة اللغة فصاحة وعلو (نعى — ينمي) .

— موافقته لأبي سهل الطروي في التزامه بنصّ الفصيح ، إلا أنه لم يُفسّر المعنى اللُّغوي للمادة — اهتم بذكر اللُّغات في الكلمة ؛ فذكر أيضاً : لُغة لبعض بني

سليم (نَمًا — يَنُمُو) .

— نقل رأي الخليل رأي الخليل في الانتصار للُّغة بني سليم وفصاحتها ، قال :
لأن المصدر وهو النمو يأتي منها .

— اهتم بذكر مشتقات الكلمة : (نما ، ينمو ، انم ، نمواً ، والنماء) .
والتنظير لها .

— زاد معنى آخر وهو (النماء) بمعنى النسب (نميته ، ونموته واوية يائية) .

ثالثاً : اللبلي في تحفته :

— ذكر المعنى ثم زاد في (نما) الماضي لغة أخرى عن صاحب الواعي ، وهي
(نَمُو)

— ذكر مأخذ ابن هشام اللخمي على ثعلب في كونه ذكر (يمني) فقط ولم يذكر معها (ينمو) وأنها لغتان فصيحتان ثم رد عليه ابن هشام بأن ذلك غلط وأن اللغة الفصيحة (يمني) فقط واستدل على ذلك بما نقله عن أئمة اللغة الثقات كالكسائي والجوهري وأن الكسائية لم يسمعها إلا من أخوين من بني سليم وأن بني سليم أنكروها .

— اهتم بنقل أقوال أئمة اللُّغة الذين سبقوه ، أسند فصاحة (يمني) إلى كبار أئمة اللُّغة الذين سبقوه أمثال : الكسائي ، والفرّاء وأبي حاتم ، وأبي

عبيدة ، وابن دُرُسْتَوِيهِ ، والقالي ، وغيرهم . وخلص إلى عدم فصاحة نَمَا
يَنُمُو .

- اطالته في شرح وبيان بعض المفردات .
- انتصر لتعلب لإفراده (يَنَمِي) دون غيرها ، وغَلَطَ من خالفه ، وهذا مما
تميز به عن الشَّارِحِينَ السابقين .
- اهتم بالنقل عن بعض شراح الفصيح ، كابن درستويه ، والزمخشري ،
واللَّحْمِي ، وغيرهم ، وهذا ما لا نجده عند الشَّارِحِينَ السابقين .

نتيجة الموازنة :

- اتفق أبو سهل الهروي مع أبي جعفر اللبلي في تفسيرهما للمعنى ، بينما
أغفل الزمخشري ذلك ، كما استطرد الأول في شرحه لمعنى المال ، وهذا لا
نجدّه عند الشارحين الآخرين .
- اقتصر أبو سهل على اللغة الفصيحة ، اختياراً لتعلب ، وأضاف الزمخشري لغة
ثانية ، ناسباً إياها لبعض بني سليم ، إلا أن أبا جعفر رفضها .
- اتفق الشراح على علو وفصاحة (ينمي) واستشهدوا على ذلك بالشعر .
- وأضاف الزمخشري لغة ثالثة في الماضي (أنميت) ، وقد انفرد في هذا عن
الشارحين الآخرين ، كما انفرد أيضاً بزيادة معنى آخر وهو : (النَّمَا) بمعنى
النسب ، كقوله : (نميته ونموته) .
- انفرد الزمخشري بنقله فصاحة (ينمو) عن الخليل ، وأنها أفصح من (ينمي)
مخالفاً بذلك لأقوال أئمة أهل اللغة .
- اتفق الثلاثة على ذكر بعض مشتقات الفعل .
- زاد أبو جعفر أن في الماضي لغة أخرى وهي (نَمُو) ، عن صاحب
الواعي ، وقد انفرد بهذا عن الشارحين الآخرين .

- كما تفرد أبو جعفر عن الشارحين الآخرين أيضاً بدحضه لما ذهب إليه ابن هشام اللخمي من تفصيحه لـ (ينمو) ، وغلطه في ذلك ، مفرداً فصاحة (ينمي) فقط . وانتصاره لتغلب في هذه المسألة .
- اهتم أبو جعفر بنقله لأقوال أئمة اللغة الذين سبقوه حول فصاحة (ينمي) ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .
- كما نقل عن بعض شراح الفصيح الذين سبقوه ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين السابقين .

الشرح	(ذَوَى يَذْوِي)
شرح الهروي (الإسفار)	<p>(وَذَوَى الْعُودُ) الرطب (يَذْوِي) بالكسر، ذَيًّا وَذَوِيًّا أَيضاً، مثل (مُضِيًّا) ، فَهُوَ ذَاوٍ، وفي كثير من نسخ الكتاب: (أَي جَفَّ) وهو غلط وإنما هو مثل ذَبَلٍ سواء في الوزن والمعنى ، وذلك إذا ابتدأ في الجفاف فلان واسترعى لقله رطوبته ، ولم يتناه في اليبس، والمستقبل من ذَبَلٍ يَذْبَلُ بالضم، ومصدره ذَبَلٌ وَذُبُولٌ، واسم الفاعل ذَابِلٌ. وقال الشاعرُ في ذَوَى:</p> <p>رَأَيْتُ الْفَتَى كَالْغُصْنِ يَهْتَرُ نَاعِمًا تَرَاهُ عَمِيمًا ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ ذَوَى</p> <p>(ص : ١٣)</p>
شرح الزمخشري	<p>قوله: (ذَوَى الْعُودُ يَذْوِي) : إذا ذبل وزهبت ثدوته، ويُقَالُ ذَوِيَ يَذْوِي بمعناه والمصدر من الأول الذِي والذَوِيُّ ؛ وفيه لغة ثالثة ذَأِي بالهمز يذأى ذَاوًا، وهي لغة بيشة ، قال ذو الرُّمَّة :</p> <p>أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى ذَأَى الْعُودُ فِي الثَّرَى</p> <p>والفاعل لجميع اللغات ذَاوٍ ، وفي الخبر: (كان عمر رضي الله عنه يستاك بعود ذَاوٍ وهو صائم) .</p> <p>(ص : ١٣)</p>
شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)	<p>وقوله: (وَذَوَى الْعُودُ يَذْوِي) قال أبو جعفر: أي ذَبَلٌ ، حكاه كراع في مُنظِّمِهِ ، وغيره . قال ابن هشام ومن خطه: ولا يُقَالُ جَفَّ. قال أبو جعفر : وثبت في بعض النسخ (أي: جَفَّ). ومعنى جَفَّ: يَبَسَ، وسيأتي تفسيره إن شاء الله تعالى. فقال أبو العباس التميمي في شرحه لهذا الكتاب: ليس ذلك بشيء ، ولا تصح هذه الرواية عن ثعلب؛ لأن الذَاوِي ليس الجفاف على الإطلاق ، قال: وقد فسر ذلك ذو الرُّمَّة فقال</p>

وَأَبْصَرَنَ أَنَّ الْقِنْعَ صَارَتْ نِطَافُهُ فَرَأَسًا وَأَنَّ الْبِقَلَ ذَاوٍ وَيَابِسٌ
 قال: فانظر كيف قسم البقل هاهنا على ضربين: فجعل منه يابساً،
 وذَؤِياً، فاليابس معروف، والذَؤِى الذي ذُكِبَ وَقَلَّتْ رَطُوبَتُهُ . قال أبو
 جعفر: وهذا الذي قال التدميري وابن هشام من أنه لا يُقَالُ ذَوَى بمعنى
 يَبِسَ فاسد، بدليل ما حكاه أئمة اللغة، قال يعقوب في
 الإصلاح: ذَوَى الْعُودِ يَذْوِي ذَوِيًّا، وَذَاى يَذَاى ذَاوًا : يَبِسَ . وقال ابن
 فارس في كتابه الجمل: ذَوَى الْعُودِ يَذْوِي: إِذَا يَبِسَ . وقال أبو علي القاسمي
 في كتابه المقصور والممدود: وَالذَوَى مصدر ذَوَى الْعُودِ يَذْوِي ذَوَى :
 يَبِسَ . وأما البيت الذي استدل به التدميري فليس فيه دليل لاحتمال أن
 يكون من عطف الشيء على نفسه إذا اختلف اللفظان، قال عنترة بن
 شداد :

أَقْوَى وَأَقْفَرُ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ

وَالْإِقْوَاءُ وَالْإِقْفَارُ سِوَاءُ .

وقال آخر :

فَقَدَّمْتُ الْأَدَمَ لِرَاهِشِيهِ وَاللَّيْمَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا

وَالكُذْبُ وَالْمِينُ سِوَاءُ .

وقال آخر :

قَدْ رَأَيْتِي مِنْكَ يَا أَسْمَاءُ إِعْرَاضٌ فِدَامَ مِنْكُمْ لَنَا مَقْتٌ وَإِبْغَاضٌ

وَالْمَقْتُ وَالْإِبْغَاضُ وَاحِدٌ .

وقال آخر :

أَلَا حَيْدًا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُوغِهَا النَّأْيُ

وَالْبُعْدُ

وَالنَّأْيُ هو : الْبُعْدُ ، إلى غير ذلك من الأبيات ، وهي كثيرة جداً ،
 فخرج من هذا أن ما ذكره ابن هشام والتدميري من أن ذَوَى لا تكون
 بمعنى يبس خطأ . وينبغي أن تعلم أن ذُكِبَ يُقَالُ بمعنيين : فأحد المعنيين هو
 الذي ذُقَّ بَعْدَ أَنْ كَانَ رِيَّانَ ، عن الزبيدي في مختصره .

ويُقال: بمعنى ييس، حكاه ابن التبان في مختصر الجمهرة فقال يُقال:
ذَبَلَ العُودُ وغيره ذبلاً، وذبولاً: ييس، فعلى هذا مَنْ فَسَّرَ ذَوَى بِذَبَلٍ
كما فَسَّرَهُ كِرَاعٌ فِي المُنَظَّمِ وغيره فَقَدْ أَسَاءَ؛ لِأَنَّهُ فَسَّرَهُ بِلِقَظٍ
مَشْتَرِكٍ، فَلَمْ يَبَيِّنْ مَعْنَاهُ، وَمَنْ فَسَّرَ ذَوَى بِأَحَدِ المَعْنِيَيْنِ اللّٰذَيْنِ
ذَكَرْنَاهُمَا فَقَدْ أَصَابَ .

وقد فَسَّرَهُ الأَصْمَعِيُّ عَلَى مَا حَكَاهُ عَنْهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي لِحْنِهِ بِتَفْسِيرٍ لَا
شَيْءَ أَجَلِّيَ مِنْهُ، فَقَالَ يُقَالُ: ذَوَى العُودِ: إِذَا ذَبَلَ وَلَمْ يَبْلُغِ الجُفُوفَ
وَفِيهِ نَدَى بَاقٍ، فَهَذَا التَّفْسِيرُ فِي هَآئِهِ مِنَ الوُضُوحِ وَالبَيَانِ.

قال ابن هشام: ذَأَى يَذَأِي لُغَةً فَصِيحَةً كَذَوَى وَلَمْ يَخْبِرْ بِهَا ثَعْلَبُ .
قال أبو جعفر: وهذا الذي قاله ابن هشام من أن ذَأَى فصيحة
كَذَوَى المَفْتُوحَةِ العَيْنِ خَطَأً، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى فساد ما قاله أن أئمة
اللُّغَةِ حَكَمُوا بِخِلَافِ قَوْلِهِ، قال يونس في نوادره يقول ناس من
العرب: قد ذَأَى العشب يَذَأِي، فيهمزون، وبعضهم ذَوَى يَذَوِي
وهو الكثير.

وقال ابن فارس في كتابه الجمل: ذَوَى العُودِ يَذَوِي، وبعضهم
يقول: ذَأَى يَذَأِي، والأولى أجود. وقال القالي في المقصور والممدود:
أجود اللغات ذَوَى بفتح العين، ثم ذَأَى، ثم ذَوِي بكسر العين .
وقال ابن دريد في الجمهرة: ويقول قوم من العرب: ذَأَى العُودُ،
وليس باللُّغَةِ العَالِيَةِ . وقال ابن سيده في المخصص في باب ييس
العشب: يُقَالُ ذَوَى البَقْلِ يَذَوِي ذَوِيًا، وَذَأَى يَذَأِي ذَأِيًا، وَذَوِي
يَذَوِي، وَالفصحى عند الجميع هي الأولى من هذه اللُّغَاتِ يعني ذَوَى
بِالْفَتْحِ . وقال مكِّي في شرحه: ذَوَى بفتح العين أفصح من ذَوِي
بِالكسْرِ، وَمَنْ ذَأَى.

قال أبو جعفر: فتبين بما ذكرناه أن أخذ ابن هشام على ثعلب في

كونه لم يَذَكُرْ ذَايَ كما ذكر ذَوَى، ليس بشيء ؛ لأن ذَوَى بفتح العين فصيحة كما قدمناه، وذَايَ ليست فصيحة مثلها، فلذلك لم يذكرها. قال أبو جعفر: قد قدمنا أن في الماضي ثلاث لغات: ذَوَى بالفتح ، وذَايَ بالهمز، وذَوِي بالكسر ، وحكى هذه اللغات ابن القطاع في أفعاله ، وزاد : (ذُئِي) قال أبو جعفر: ويُقال في المستقبل من ذَوَى بالفتح: يَذُوِي بالكسر، وفي مستقبل ذَايَ بالهمز: يَذَايُ بالفتح، وفي مستقبل ذَوِي بالكسر: يَذُوِي بالفتح .

قال أبو جعفر: ويُقال في الصفة من ذوى بالفتح : ذَاوٍ ومن ذَوِيَّ بالكسر ذَوٍ ، ومن ذَايَ بالهمز ذَاءٍ ، قال ابن سيدة في المخصص : وذُئِيٌّ ، وقال أبو جعفر ويقال في المصدر من المفتوح ذِيٌّ وذُوِيٌّ ، وفي المكسور: ذَوَى عن مكِّي ، وعن ابن القطاع ، وفي المهموز: ذَايٌ، وذَاوٌ عن ابن سيدة في المخصص وعن ابن القطاع، وذُئِيٌّ عن ابن الأعرابي في نواتره .

(ص : ١٩)

الموازنة :

أولاً : الهروي :

- ذكر مصدرين للفعل (ذَوَى) ونظر لهما .
- ثم ذكر المستقبل والمصدر واسم الفاعل ، واستشهد بيت من الشعر على المعنى الصحيح لذوى (ذُبَلٌ) .
- وقف عند اللغة الفصيحة لاختيار ثعلب .
- استشهد على ما ذهب إليه من فصاحة (ذوى) بالشاهد الشعري المذكور
- غلط ما جاء في بعض نسخ الفصح من أن معنى ذَوَى : جَفَّ، وذكر أن المرادف لها هو ذُبَلٌ .

ثانياً : الزمخشري :

- ذكر المعنى اللغوي لهذه المادة ، متفقاً مع الشَّارِحِينَ في ذلك .
- توسَّع في ذكر اللُّغات الواردة في الكلمة ، فذكر ثلاث لغات ، ونسب اللغة الثانية إلى أهلها ، واستشهد عليها بيت من الشعر .
- ذكر مصدرين لذوى متفقاً مع الشارح السابق .
- ذكر اسم الفاعل من جميع اللغات ، واستشهد عليه بالأثر

ثالثاً : اللبلي :

- بدأ بتفسير المعنى ، ثم نقل قول ابن هشام في بعض النسخ (جف) وسيأتي .
- اعترض على التدميري في تفسيره لقول ذو الرمة : (ذاوٍ ويابسٍ) ودحضه وأبان بأن ذلك من عطف الشيء على نفسه ، واستشهد بثلاث من الشعر .
- كما اعترض أيضاً على التدميري وابن هشام فيما ذهبوا إليه من أن (ذوى) لا تكون بمعنى يس ، وخطأهما في ذلك ، واستدل على صواب مذهبه بأقوال أئمة اللغة .
- ذكر التفسير الصحيح عن الأصمعي ونوه به .
- إنبرى للرد على ابن هشام في كون (ذأى يذأى) لغة فصيحة كذوى وأن تعلباً لم يذكرها ، فاستطرد في النقول عن اللغويين موضحاً أن (ذوى) هي اللغة الأفضح ، وأن (ذأى) أقل منها فصاحة .
- ذكر لغات الماضي مرتبة حسب فصاحتها وزاد عن ابن القطاع لغة رابعة (ذَمِي) ، وذكر المضارع من كل لغة فيها ، ثم ذكر المصادر المختلفة من الأفعال الأربعة .
- ذكر الصفات من الأفعال الثلاثة الأولى .

نتيجة الموازنة :

— غلظ أبو سهل من ذهب إلى أن (ذَوَى) بمعنى جَفَّ ، وإنما الصواب عنده :
ذَبَل .

— اتفق الشراح الثلاثة على تفسيرهما للمعنى اللغوي للفعل .

— وافق الزمخشري أبا سهل في ذكرهما مصدرين للفعل (ذوى) ، والتنظير لهما .

— وقف أبو سهل عند اللغة الفصيحة اختياراً . ثعلب ، واستشهد عليها بيت من الشعر ، بينما أضاف الزمخشري لغة ثانية ، ناسباً إياها إلى أهلها ، ومستشهداً عليها بيت من الشعر أيضاً .

— ذكر الزمخشري أسم الفاعل من جميع اللغات ، واستشهد عليه بالحديث ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

— حكى أبو جعفر أربع لغات في الماضي ، ناقلاً ذلك عن أئمة اللغة الثقات ، وقد انفرد بهذا عن الشارحين الآخرين ، ولا غرابة في ذلك فالرجل من أئمة التوسع اللغوي .

— تفرد أبو جعفر أيضاً في الرد على ابن هشام اللخمي فيما ذهب إليه من أن (ذأى يذأ) لغة فصيحة كذوى وأن ثعلباً أهلها ، وخلص إلى أن (ذَوَى) هي العالية الفصيحة ، والثانية أقل منها فصاحة ، وهذا التفصيل لا نجده عند الشارحين الآخرين .

— ذكر أبو جعفر الصفات من الأفعال الثلاثة الأولى وقد انفرد بهذا عن الشارحين الآخرين .

أمثلة الموازنة : ٣

الشرح	باب : فَعَلْتُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ (قَضِمَتِ الدَّابَّةُ شَعِيرَهَا)
شرح المروري (الإسفار)	<p>يقال: (قَضِمَتِ الدَّابَّةُ شَعِيرَهَا) ، وما أشبهه في اليُسِّ ، تُقَضِّمُ قَضْمًا بكسر الضاد في الماضي ، وفتحها في المستقبل ، وسكونها في المصدر: إذا أكلته فإن أكلت الرُّطْبَةَ قِيلَ: حَضَمَتْ تُحَضِّمُ حَضْمًا بالحاء. وهي قَاضِمَةٌ وحَاضِمَةٌ ، والمفعول مَقْضُومٌ ومَحْضُومٌ.</p> <p>ص : ٣٢</p>
شرح الرزخشري	<p>تقول: (قَضِمَتِ الدَّابَّةُ شَعِيرَهَا تُقَضِّمُ) قَضْمًا والقَضْمُ : أَكَلَ شَيْءٌ يابس بأطراف الأسنان والحضم أكل شيء رطب بجميع الفم، ومنه قَوْلُ أَبِي ذَرٍّ: (تُرْعَى الحِطَائِطُ وَتُرَدُّ المِطَائِطُ وَتَأْكُلُونَ حَضْمًا وَتَأْكُلُ قَضْمًا والموعود الله).</p> <p>قال الشاعرُ :</p> <p>تَبْلُغُ بِأَخْلَاقِ النَّيَابِ جَدِيدَهَا وَبِالْقَضْمِ حَتَّى تُدْرِكَ الحَضْمَ بِالْقَضْمِ</p> <p>والقَضِيمُ : اسم لما يُقَضِّمُ فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُولٍ والطَّحِينُ والعَجِينُ والعَصِيرُ. والقَضِيمُ أيضاً: صحيفة بيضاء وجمعه قَضَمٌ كما تقول: أَدَمٌ وَأَدَمٌ وَأَفِيقٌ وَأَفِيقٌ وَإِهَابٌ وَأَهَبٌ وَسَدِيفٌ وَسَدَفٌ. والقَضِيمُ أيضاً: حَصِيرٌ صغير لطيف النسج</p> <p>ومنه قول الشاعر :</p> <p>عَلَيْهِ قَضِيمٌ نَمَّقَتَهُ الصَّوَانِعُ</p> <p>وأما القَضِيمَةُ بالهاء فَالتَّطَعُّعُ ومنه قول الشاعر:</p> <p>كَالقَضِيمَةِ قَرَّهَبِ</p> <p>والقَرَّهَبُ: الثور المسن ويُقال ما عنده قَضَامٌ أي: شيء يؤكل كما</p>

يُقال: طعام ، ولا يُقال من الحَضْمِ حَضَامٌ فاعلم .

ص : ٤١

قوله: (قَضِمَتِ الدَّابَّةُ شَعِيرَهَا تَقْضُمُهُ) . قال أبو جعفر: قال صاحب الواعي معناه: أكلته، وكذا ما أشبه الشعر في اليأس. قال: وأصل القَضْم: الدَّقُّ، وفي الحديث: (فأعطانيه — يعني: السَّوَّك — فَقَضِمْتُهُ) ^(١) أي: كسرته، قال: والكسر لا يكون إلا في الأشياء الصلبة، قال: ومعنى حَضِمَتِ: أكلت الرُّطْبَ. قال أبو جعفر: ما ذكره عبدالحق من الفرق بين القَضْمِ والحَضْمِ، واختصاص القَضْمِ بأكل اليابس، والحَضْمِ بأكل الرطب، قد قاله غير واحد. قال محمد بن أبان في كتابه العالم، وابن سيده في كُتُبِهِ، وابن جنِّي، وابن دُرُسْتَوِيهِ، وغيرهم: القَضْمُ لليابس، والحَضْمُ للرُّطْبِ. وحكى أيضاً محمد بن أبان، وابن سيده، وكراع في المنظَّم: أن القَضْمَ الأكل بأطراف الأسنان، والحَضْمَ بالفم كله. قال أبو جعفر: وهذا راجع إلى القول الأول في المعنى؛ لأن الإنسان ما يأكل بأطراف أسنانه إلا الأشياء الصلبة، ويأكل بجميع فمهِ الأشياء اللينة، فكأنه في المعنى آبل إلى أن القَضْمَ أكل اليابس ، والحَضْمَ أكل الرطب. وكذا قال مكي في شرحه، قال: إذا كان القَضْمُ أكل الشيء بأطراف الأسنان فكأنه أكل الشيء القليل، والحَضْمُ أكل الشيء بالفم كله فكأنه أكل الشيء الكثير، وأنشد:

تَبَلَّغَ بِأَخْلَاقِ النَّيَابِ جَدِيدَهَا وَبِالْقَضْمِ حَتَّى تُذَرِكَ الحَضْمِ
بِالْقَضْمِ

قال أبو جعفر: وحكى صاحب الواعي عن الكسائي: أن الحَضْمَ للإسنان بمترلة القَضْمِ للدَّابَّةِ. وجاء ابن جنِّي في الخصائص وأبدى بزعمه حكمة في استعمالهم القضم لليابس والحضم للرطب ، وقال

شرح اللبلي
(تحفة المجد الصريح)

(١) صحيح البخاري باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٤١٧٤) ورقم (٤١٨٥)

: اختاروا الخاء لرخاوتها للرتب، والقاف لصلابتها للياس، وذكر
 أشياء من هذا النحو مما حاكت فيه المعاني بالألفاظ. فقال أبو محمد
 بن السيد : لَعَمْرِي إِنَّ الْعَرَبَ رُبَّمَا حَاكَتِ الْمَعْنَى بِاللَّفْظِ الَّذِي هُوَ
 عِبَارَةٌ عَنْهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، وَيُوجَدُ تَارَةً ذَلِكَ فِي صِيغَةِ الْكَلِمَةِ،
 وَتَارَةً فِي إِعْرَابِهَا. فَأَمَّا فِي الصَّيْغَةِ فَقَوْلُهُمُ لِلْعَظِيمِ الرَّقِيبَةَ: رَقَبَانِي،
 وَالْقِيَاسَ رَقِيبِي، وَلِلْعَظِيمِ اللَّحِيَةَ: لِحْيَانِي، وَالْقِيَاسَ لِحْيِي، وَلِلْعَظِيمِ
 الْجُمَّةَ: جُمَانِي، فزادوا في الألفاظ على ما كان ينبغي أن تكون
 عليه، كما زادت المعاني الواقعة تحتها. وكذلك يقولون: صَرَّ
 الْجُنْدُبُ: إِذَا صَوَّتَ صَوْتًا لَا تَكَرِّرُ فِيهِ، فَإِذَا كَثُرَ الصَّوْتُ قِيلَ:
 صَرَّصَرَّ. وَأَمَّا مَحَاكَاتُ الْمَعْنَى بِإِعْرَابِ الْكَلِمَةِ دُونَ صِيغَتِهَا فَإِنَا
 وَجَدْنَاهُمْ يَقُولُونَ: صَعَدَ زَيْدٌ فِي الْجَبَلِ، وَضَرَبَ زَيْدٌ بَكْرًا، فَيَرْفَعُونَ
 اللَّفْظَ كَمَا ارْتَفَعَ الْمَعْنَى الْوَاقِعُ تَحْتَهُ. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَلَكِنْ هَذَا قِيَاسٌ
 غَيْرُ مَطْرُودٍ، أَلَا تَرَاهُمْ قَالُوا: أَسَدٌ وَعَنْكَبُوتٌ، فَجَعَلُوا اللَّفْظَيْنِ
 مَخَالَفَيْنِ لِلْمَعْنَيْنِ، وَقَالُوا: زَيْدٌ مَضْرُوبٌ، فَرَفَعُوهُ لَفْظًا وَهُوَ مَنصُوبٌ
 مَعْنَى، وَقَالُوا: مَاتَ زَيْدٌ، وَأَمَاتَ اللَّهُ زَيْدًا، وَأَحَدُهُمَا فَاعِلٌ عَلَى
 الْحَقِيقَةِ، وَالْآخَرُ فَاعِلٌ عَلَى الْجَمَازِ. فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا السَّبِيلِ،
 كَانَ التَّشَاغُلُ بِمَا تَشَاغَلَ بِهِ ابْنُ جَنِّي عَنَاءً لَا فَائِدَةَ فِيهِ. قَالَ أَبُو
 جَعْفَرٍ: وَيُقَالُ: قَضَمْتُ وَقَضِمْتُ، وَخَضَمْتُ وَخَضِمْتُ، بِالْفَتْحِ
 وَالْكَسْرِ فِيهِمَا، حَكَى ذَلِكَ ثَابِتٌ فِي لِحْنِهِ، وَلَمْ أَرِ أَحَدًا حَكَى الْفَتْحَ
 فِي قَضَمْتُ إِلَّا ابْنَ طَلْحَةَ. وَأَمَّا خَضَمْتُ بِالْفَتْحِ أَيْضًا فَقَدْ حَكَاهُ أَبُو
 مَسْحَلٍ، وَابْنُ الْقَطَّاعِ .

(ص : ١٣٨-١٤١)

الموازنة :

أولاً : الهروي :

- ضبط الفعل بالعبارة ، وذكر المصدر منه .
- ذكر المعنى ثم فرق بين أكل اليابس وبين الرطب ، فجعل القضم لليابس ،
والخضم للرطب .
- ذكر من المشتقات اسم الفاعل والمفعول من الفعلين .

ثانياً : الزمخشري :

- ذكر المصدر وفرق بين معنى القضم والخضم ، متفقاً مع الشارح السابق .
- استشهد عليهما بحديث وبيت من الشعر .
- ذكر المشتقات من الفعل كالقضم وعرفه ، وذكر بعض معانيه ، واستدل
عليه بشاهدين من الشعر .
- فسّر بعض مفردات أحد الشاهدين .

ثالثاً : اللبلي :

- ذكر المعنى وأنه في اليابس ، وأصله ، واستشهد عليه بالحديث ، وذكر أيضاً
معه معنى الخضم وأنه في الرطب ، وفرّق بينهما .
- حشد أقوال كثير من اللغويين على هذا التفريق بين المعنيين .
- أرجع الأكل بأطراف الأسنان بالقضم ، والأكل بالقم كله بالخضم إلى المعنى
الأول .
- نقل عن الكسائي اختصاص الخضم للإنسان والقضم للدابة ، فلم يفرق
بينهما .

— ساق رأي ابن جني وأكده بنص كلام ابن السيد الذي قرر في آخره أن هذا قياس غير مطرد لا فائدة منه .

— ذكر ما ورد في الكلمة من لغات : قَضِمْتُ وَقَضِمْتُ ، وَخَضِمْتُ وَخَضِمْتُ ، بالفتح والكسر فيهما) وهذا لا نجد عند الشارحين .

نتيجة الموازنة :

— اتفق الشراح الثلاثة في تفسيرهما للمعنى ، كما اتفقوا أيضاً على التفريق بين القضم والخضم ، وإن كان أبو جعفر قد أسهب في حشده لأقوال أئمة اللغة في التفريق بين المعنيين ، وهذا الإسهاب لا نجد عند الشارحين الآخرين .

— انفرد أبو سهل الهروي عن الشارحين الآخرين باهتمامه بالضبط بالعبارة .

— اتفق الزمخشري مع أبي سهل الهروي في ذكرهما لبعض مشتقات الكلمة كالفعل المستقبل والمصدر واسم الفاعل والمفعول .

— انفرد الزمخشري عن الشارحين الآخرين في استشهاده ببيت من الشعر على معنى (قضم) .

— حكى أبو جعفر اللبلي ما ورد في الكلمة من لغات (قَضِمْتُ ، وَخَضِمْتُ) بفتح العين وكسرها ، وهذا ما لا نجد عند الشارحين الآخرين .

— كان أبو جعفر أكثر تأصيلاً لمعنى (القضم) واستشهد عليه بالحديث ، وقد تفرد عن الشارحين بذلك .

الشرح	(بَلَعْتُ الشَّيْءَ أَبْلَعُهُ)
شرح الهروي (الإسفار)	<p>(وكذلك بَلَعْتُ الشَّيْءَ) بكسر اللام (أَبْلَعُهُ) بفتحها، بَلَعًا بسكونها، وهو معروف المعنى، أي أنزلته من حلقي حتى يستقر في المَعِدَةِ وأنا بَالِعٌ وهو مَبْلُوعٌ .</p> <p>ص : ٣٢</p>
شرح الزمخشري	<p>قوله: (بَلَعْتُ الشَّيْءَ أَبْلَعُهُ) بَلَعًا، وهو: إرسال الطعام في الخلق من غير مضغ، والعامَّةُ تقولُ: بَلَعْتُ، والأول أفصح ويُقالُ: البَلْعُ يكون للطعام والشراب، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ والبَلُوعَةُ: البِئْرُ تجعل للماءِ يَنْصَبُ فيها، مأخوذ من ذلك. والبَلَاعُ: اسم لما يُبْلَعُ من طَعَامٍ أو شَرَابٍ، كما تقولُ: طَعَامٌ لما يُطَعَّمُ وشَرَابٌ لما يُشْرَبُ، قال الرَّاجِزُ:</p> <p>لَقَدْ تَجَشَّاتُ وَقُلْتُ هَاعِ مَا دُقْتُ مَذُ حَرَجْتُ مِنْ بَلَاعِ</p> <p>غَيْرُ ثَمَانِي غُلْبِ يَبَاعِ وَعُلْبَتَيْنِ فِي مَقِيلِ</p> <p>الزَّاعِ</p> <p>ويُقالُ: بَلَعَ الرَّجُلُ، وَأَبْلَعْتُهُ، كما تقولُ: طَعِمَ وَأَطْعَمْتُهُ، ومنه قولهم: في الاستمهال: (أَبْلَعْنِي رَبِّي) وسَعْدُ بُلْعَ نَجْمٍ، يقال: إنه سمي بذلك لأنه يطلع عند ابتلاع الأرض ماء الطوفان .</p> <p>ص : ٤٢</p>

وقوله: (وَكذَلِكَ بَلَغْتُ الشَّيْءَ أَبْلَعُهُ). قال أبو جعفر: البلع: هو إرسال الطعام في الخلق من غير مضغ، عن الزمخشري، وابن الدهان. قال الزمخشري يقال: البلع يكون للطعام والشراب. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ . وقال: والبلاغُ اسم لما يُبْلَعُ من طعام ، أو شراب ، كما تقول : طعام لما يطعم ، وشراب لما يشرب .

قال ابن التياني ، وابن سيده : وَبَلَغَ الْمَاءَ : جَرَعَهُ . قالوا : وَبَلَغَ الرَّجُلُ الشَّيْءَ وَابْتَلَعَهُ . وزاد ابن سيده : وَتَبَلَعَهُ ، حكاه عن ابن الأعرابي . وقال ابن التياني في مختصر الجمهرة : وكل شراب بلوع ، ورجل بُلِع ، وامرأة بُلِعَة : كثير الأكل . قال و في الْمُوعِبِ : وَابْتَلَعَهُ من الماء بفتح الباء كَالْجَرَعَةِ . قال أبو جعفر : قال ابنُ دُرُسْتَوَيْهِ : وإنما ذكر ثعلب بَلَغْتُ لأنَّ العَامَّةَ تفتح ماضيه ، وهو خطأ ، إنما ماضيه بالكسر لا غير . قال أبو جعفر : الفتح في بَلَغْتُ ليس بخطأ كما قاله ابنُ دُرُسْتَوَيْهِ ، وَحَكَى صَاحِبُ الْمُوعِبِ عن الفراءِ أنه قال : بَلَغْتُ الشَّيْءَ وَبَلَغْتُهُ لُغْتَانِ ، والكسر أجود من الفتح ، قال : وَيَبْلَعُ بِالْفَتْحِ بِاللُّغْتَيْنِ جَمِيعاً . قال أبو جعفر : وَحَكَى الفتح أيضاً في بَلَغْتُ يَعْقُوبُ في كتابه فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ . قال أبو جعفر : قال ابنُ دُرُسْتَوَيْهِ : وَسُمِّيَتْ الْبَالُوعَةُ عَلَى فَاعُولَةٍ ، وَالْبَالُوعَةُ عَلَى فَعُولَةٍ ؛ لأنها تبلع الماء ، وهي الْبَوَالِغُ وَالْبَالِغُ .

وقال المطرزي في شرحه ويُقال لها أيضاً: الْبَالُوعَةُ ، وجمعها بِاللَّيْقِ قال : وقد جاءت الْبَالُوعَةُ وَالْبَالِيقَةُ عَلَى وزن عَلامَةٍ . قال ابنُ دُرُسْتَوَيْهِ : وقد يُسْتَعَارُ في غير ذلك ، فَيُقَالُ : ابْلَعْنِي رَيْقِي أَي : امهلني حَتَّى أَقُولُ وَأَفْعَلُ . وقال ابن سيده في المحكم : وَالمَبْلُغُ ، وَالمَبْلُغُومُ ، وَالمَبْلُغُ ، كُلُّهُ مجرى الطَّعامِ .

ص : ١٤١

شرح اللبلي

(تحفة المجد الصريح)

الموازنة :

أولاً : الهروي :

- ذكر المصدر .
- ذكر المعنى مع قوله معروف .
- ذكر من المشتقات : اسم الفاعل ، واسم المفعول مع المصدر السابق .

ثانياً : الزمخشري :

- ذكر المصدر وزاد المعنى (من غير مضغ) .
- ذكر لغة العامة (بَلَعْتُ) بالفتح ، ونص على فصاحة لغة الكسر .
- جعل البلع للطعام والشراب ، واستشهد عليه بالآية المذكورة .
- يذكر بعض الاشتقاقات المأخوذة من الفعل المذكور ، ويشرح معناها ، ويمثل لها .
- نبه على أن (بلع) لازم ويُعدَّى بالهمزة .

ثالثاً : اللبلي :

- ذكر المعنى تبعاً للزمخشري وابن الدهان في القيد .
- ذكر أن : بَلَعَ وَابْتَلَعَ وَتَبَلَّعَ بمعنى واحد .
- اعترض على تخطئة ابن درستويه للغة العامة (بلعت) بالفتح ، ونقل عن اللغويين أنها لغة ، مع نصه على فصاحة الأولى .
- صرح بذكر لغتين هما : البألوعة والبألوعة ، ووزنهما وعلل تسميتهما ، وذكر جمعهما .

— وزاد نقلاً عن المطرّز البلّوقة ، والجمع بلاليق ، والبلّاقة على وزن علامة ،
والبلّوعة لغة في البلّوعة .

— ونقل عن ابن درستويه استعمالاً مجازياً ، وعن ابن سيده اشتقاقات هي ،
البلّوعوم والمبلّغ والبلّعم ، وذكر معناها .

نتيجة الموازنة :

— قدم أبو سهل الهروي تفسيره للمعنى ، بينما جاء تفسير أبي جعفر اللبلي متفقاً
مع ما ذكره الزمخشري .

— وقف أبو سهل على اللغة الفصيحة التي ذكرها ثعلب . بينما أضاف
الشارحان الآخران لغة ثانية ، وهي : (بَلَعْتُ) بفتح الماضي ، ونسبها
الزمخشري للعامة ، وهي عنده فصيحة إلا أنه ينص على أن (بَلَعْتُ) بكسر
العين أفصح ، وكذا قال أبو جعفر ، عندما أنكر على ابن درستويه تحطته
للغة العامة ، وأصلها نقلاً عن صاحب الموعب عن الفراء ، وخلص إلى
فصاحتها مع تقديمه للغة الأولى .

— انفرد الزمخشري عن الشارحين الآخرين في التنبيه على أن (بَلَع) لازم
ويعدّى بالهمزة .

— انفرد أبو جعفر عن الشارحين الآخرين في ذكره لغتين هما : البلّوعة والبلّوعة
ووزنهما ، وعلل تسميتهما ، وذكر جمعهما .

— زاد أبو جعفر عن المطرّز : البلّوقة ، وذكر جمعها ، وكذلك : البلّاقة وذكر
وزنها ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

— كما نقل أبو جعفر أيضاً عن ابن درستويه استعمالاً مجازياً ، ونقل أيضاً عن
ابن سيده بعض الاشتقاقات ، وذكر معناها ، وهذا ما ا نجده عند الشارحين
الآخرين .

— انفرد أبو جعفر عن الشارحين السابقين أيضاً في حشده لأقوال أئمة اللغة في الاستدلال على صحة ما ذهب إليه ، بالإضافة لنقله عن بعض شراح الفصيح الذين سبقوه ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

أمثلة الموازنة : ٥

الشرح	باب : فَعَلْتُ بِغَيْرِ أَلْفٍ (فَلَجَ الرَّجُلُ عَلَى حِصْمِهِ)
شرح الهروي (الإسفار)	<p>وَفَلَجَ الرَّجُلُ عَلَى حِصْمِهِ يَفْلُجُ بضم اللام في المستقبل، وَمَصْدَرُهُ فَلَجٌ يفتح الفاء وسكون اللام: إذا غلبه بالحجة وظهر عليه بما . والاسمُ الفَلَجُ بضم الفاء وسكون اللام، وهو الظفر والظهور على الخصم . والرَّجُلُ فَالَجٌ والخصم مَفْلُوجٌ عليه. والخصم: هو الذي يخاصمك .</p> <p>ص : ٥١</p>
شرح الزمخشري	<p>(وَفَلَجَ الرَّجُلُ عَلَى حِصْمِهِ يَفْلُجُ) فَلَجًا وَالفَلَجُ : الاسم إذا ظفر وَأَفْلَجَ أيضًا لغة جيدة. وَالْعَامَّةُ مولعة بأفلاج. وَالفَلَجُ أيضًا : النهر الصغير، وَالفَلَجُ: أرض لبني جعدة وغيرهم يَنْجُد.</p> <p>ص : ٧٣</p>
شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)	<p>وقوله: (وَفَلَجَ الرَّجُلُ عَلَى حِصْمِهِ) قال أبو جعفر : أي ظهر عليه وغلبه بالحجة، عن غير واحد. قال التدميري ومن خطه : وهو مأخوذ من الفَلَج، وهو الظفر.</p> <p>وقال اللحياني في نوادره يُقَالُ: لِمَنْ الفَلَجُ وَالفَلَجُ؟ يفتح الفاء مع تسكين اللام وتحريكها، وَالفَلَجُ بضم الفاء وسكون اللام، وَيُقَالُ: أَفْلَجْتُ فلاناً على فلان، وَيُقَالُ: فَالَجْتُ فلاناً فَفَلَجْتُهُ، وأنا أَفْلَجُهُ، أي: خصمته وغلبته.</p> <p>قال أبو جعفر: ويقال في الماضي : فَلَجَ، وَأَفْلَجَ بالألف، ذكره</p>

	<p>صاحب الواعي، وابن القطاع، وثابت، وأبو عبيدة وحكاها أيضاً قطرب في فعلت وأفعلت، قالوا : وقال بعضهم: فلجهم: إذا فلج عليهم. ويقال في الصفة من فلج: فالج وفلج، كما يقال بالغ وبلغ، وثابت وثبت، عن الكراع في المجرد.</p> <p>ويقال في المصدر من فلج: الفلج بضم الفاء وتسكين اللام والفلج بفتح الفاء واللام وفي المصدر من أفلج على القياس: الإفلاج .</p> <p>ص : ٢٣١-٢٣٣</p>
--	--

الموازنة :

أولاً : الهروي :

- ضبط الفعل في المستقبل ، وذكر مصدره ، وضبطه أيضاً .
- ذكر الاسم منه ، وضبطه بضم الفاء ، وفسر معناه .
- ذكر من المشتقات اسم الفاعل واسم المفعول .
- فسر معنى الخضم في قول ثعلب .

ثانياً : النجاشري :

- ذكر المصدر والاسم من غير ضبط ، وفسر المعنى .
- أضاف لغة ثانية ، ووسمها بالجودة ، ونبه إلى ان العامة مولعة بها .
- ذكر بعض المعاني المشتركة (للفلج) .

ثالثاً : الليلي :

- فسر المعنى ونقل عن التدميري أصل اللفظ والمعنى .

— نقل عن اللحياني اللغات في (الفلج) وذكر بعض استعمالاتها .

— ذكر أن في الماضي لغتين بمعنى .

— ذكر الصفة من فلج (فالج ، وفلج) ونظر لهما .

— ذكر المصدر من (فلج) ، والمصدر القياسي من (أفلج) .

نتيجة الموازنة :

— اتفق أبو جعفر مع أبي سهل الهروي في تفسيرهما للمعنى ، وإن كان الأول قد

نقل عن التدميري أصل اللفظ والمعنى ، بينما اكتفى الزمخشري بتفسيره

للمعنى بقوله : إذا ظفر

— اتفق الزمخشري مع أبي سهل الهروي في ذكرهما المصدر ، وزاد الأخير في

ضبطه للفعل في المستقبل ، وذكر مصدره وضبطه أيضاً .

— انفرد أبو سهل عن الشارحين الآخرين في ذكره لاسم الفاعل والمفعول ،

وفي تفسيره لمعنى الخصم في قول ثعلب .

— اقتصر أبو سهل على لغة صاحب الفصح ، بينما أضاف الشارحان الآخران

لغة أخرى ، وهي : (أفلج) بالألف ، ووسمها الزمخشري بالجوذة ، وثبته

إلى أن العامة مولعة بها ، كما حكاه أبو جعفر أيضاً عن أئمة اللغة الثقات .

— تفرد الزمخشري عن الشارحين الآخرين في ذكره لبعض المعاني المشتركة (

بالفلج) .

— نقل أبو جعفر عن اللحياني اللغات في الفلج ، ذاكراً بعض استعمالاتها ،

وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

— تفرد أبو جعفر عن الشارحين الآخرين في ذكره الصفة من (فلج) ونظر

لهما .

— نيه أبو جعفر إلى ذكر مصدرين لـ (فلج) كما ذكر المصدر القياسي من (أفلج) ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .
— اعتنى أبو جعفر بأقوال أئمة اللغة : كأبي عبيد وقطرب ، وثابت ، واللحياني ، وابن القطاع ، والتدميري ، واهتم بإسناد كل قول إلى قائله ، وقد تفرد بهذا عن الشارحين الآخرين .

الشرح	باب : فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ بِاعْتِلَافِ الْمَعْنَى (نَقَّهْتُ وَنَقَّهْتُ)
شرح الهروي (الإسفار)	<p>(تَقُولُ: نَقَّهْتُ الْحَدِيثَ) بِكَسْرِ الْقَافِ أَنْقَهُهُ بِفَتْحِهَا، نَقَّهْتُ وَنَقَّهْتُ بِسُكُونِهَا وَفَتْحِهَا، فَأَنَا نَقَّهْتُ بِكَسْرِهَا، (مِثْلُ فَهَيْتُ) أَنْهَمُ فَهَمًا وَفَهَمًا، فَأَنَا فَهَمْتُ، فِي الْوِزْنِ وَالْمَعْنَى. (وَنَقَّهْتُ مِنَ الْمَرَضِ أَنْقَهُ) بِفَتْحِ الْقَافِ مِنْهُمَا : أَيِ بَدَأَ فِي الْبُرْءِ فِي عَقَبِ الْعَلَّةِ ، وَالْمَصْدَرِ النُّقُوءُ، بِوِزْنِ الدُّخُولِ ، وَالْفَاعِلُ نَاقَةٌ.</p> <p>ص : ٨٣</p>
شرح الزنجشيري	<p>تَقُولُ: (نَقَّهْتُ الْحَدِيثَ، مِثْلُ : فَهَيْتُ) أَنْقَهُ نَقَّهْتُ، بِكَسْرِ الْقَافِ فِي الْمَاضِي، وَرَوَى أَبُو زِيَادٍ الْكَلَابِي: نَقَّهْتُ الْحَدِيثَ، وَالْأَجْرُودُ نَقَّهْتُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَجْهٌ فِي الْقِيَاسِ. فَمَنْ قَالَ: نَقَّهْتُ، أَخْرَجْتَهُ عَلَى بِنَاءِ عَلِمْتُ وَفَهَيْتُ، وَمَنْ قَالَ: نَقَّهْتُ: أَلْحَقَهُ بِنَاءِ: دَرَيْتُ وَشَعَّرْتُ . وَقَوْلُهُ: (نَقَّهْتُ مِنَ الْمَرَضِ أَنْقَهُ) نُقُوءًا ، وَالْفَتْحُ فِيهِ أَفْصَحُ ، وَيَجُوزُ فِيهِ الْكَسْرُ ، وَقَدْ جَاءَ بِهَذَا الْمَعْنَى، عَلَى فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ جَمِيعًا . قَالُوا: بَرَيْتُ وَبَرَأْتُ ، وَبَلَلْتُ وَبَلَّلْتُ ، فَأَنَا أَبَلُّ وَأَبَلُّ، وَالنَّاقَةُ: هُوَ الَّذِي أَدْبَرَتْ عِلْتَهُ وَأَقْبَلُ بُرُوءَهُ).</p> <p>ص : ١٣٣</p>
شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)	<p>قَوْلُهُ: (نَقَّهْتُ الْحَدِيثَ مِثْلُ: فَهَيْتُ). قَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ: قَدْ فَسَّرَهُ ثَعْلَبٌ، فَأَغْنَى عَنِ تَفْسِيرِهِ، وَكَذَلِكَ فَسَّرَهُ غَيْرُهُ، قَالَ التَّدْمِيرِيُّ: كَأَنَّهُ وَاللَّهِ تَعَالَى أَعْلَمَ لَمَّا فَهَمَّهُ بَعْدَ جَهْلِهِ كَانَ فِي ذَلِكَ بَعْدَ بَعْدٍ مَن صَحَّ جِسْمُهُ بَعْدَ سَقَمِهِ، فَهَمَّا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ، إِلَّا أَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا إِذَا كَانَ أَحَدُهُمَا لِلْجِسْمِ، وَالْآخَرُ لِلنَّفْسِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ: وَيُقَالُ أَيْضًا:</p>

تَقَهَّتْ الحديثَ بفتح القاف، عن أبي عبيد في المصنف، وعن يعقوب في الإصلاح.

وحكى اللغتين أيضاً اللحياني في نوادره، وقال: (يُقَالُ: قد تَقَهَّتْ حديثك بالكسر أُنْقَهُ نَقَهَا ونُقُوها، وتَقَهَّتْ حديثك أُنْقَهُ نُقُوها) . وحكى المرزوقي في مصدر نِقَه بالكسر: نَقَاهَةً، وفي الصفة فيه: نَاقَةٌ ونِقَةٌ.

ويُقَالُ: تَقَهَّتْ بفتح القاف، ولكل واحد منهما وجه في القياس، فَمَنْ قَالَ: تَقَهَّتْ بالكسر، أخرجها على بناء عَلِمْتُ، وَمَنْ قَالَ: تَقَهَّتْ بالفتح، ألقه ببناء دَرَيْتُ وشَعَرْتُ؛ كذا قال الرخشي في معناها في شرحه لهذا الكتاب. ويُقَالُ: فَهِمْتُ الحديثَ فَهَمًا وَفَهَمًا، بتسكين الهاء وتحريكها بالفتح، واسم الفاعل: فَهَمٌ لا غير.

وقوله: (تَقَهَّتْ من المرض). في معناه قولان: قيل إذا بدأ فيه البرء، كذا قال القزاز، وقال ابنُ دُرُسْتُوَيْهِ: بَرَأْتُ، ولذلك جاء على وزنه لما كان في معناه، قال: كما جاء تَقَهَّتْ الحديثَ بالكسر على وزن فَهِمْتُ لما كان في معناه . ويُقَالُ أيضاً تَقَهَّتْ بالكسر، والمصدر منه: نِقَةٌ بالتحريك، ومن المفتوح: نُقُوَةٌ . ويُقَالُ: نِقَهُ الرَّجُلُ من مرضه، وَبَرِيءٌ، وَبَرَأٌ، وَبَرَأَ بغير همز . وَأَسْحَاتٌ ، وَأَصْحَاتٌ ، بالصاد ، وتَقَشَّقَشَ ، وَبَلَّ ، وَأَبَلَّ ، وَأَسْتَبَلَّ ، وَأَطْرَغَشَّ ، وَغَسَقَ ، وَأَحْطَفَ ، وَأَطْرَغَشَّ ، وَتَطَشَّ ، وَأَفْرُتَعَّ ، وَأَسْوَى ، وَأَنْسَلَ ، وَأَفَاقَ ، وَأَفْطَمَ ، وَأَحْرَشَمَ .

الموازنة :

أولاً : الهروي :

- ضبط الماضي والمضارع ، وذكر مصدرين وضبطتهما .
- ذكر الصفة وضبطها أيضاً .
- ذكر المضارع والمصدرين والصفة من تنظير ثعلب ، ونبه إلى أن تنبيه ثعلب في الوزن والمعنى .
- واتفق مع ثعلب إلى أن (نقه) بالفتح بمعنى آخر ، وأن المضارع بالفتح من الفعلين المختلفين في المعنى .
- ذكر معنى الفعل الآخر والمصدر ، ونظر له ، وذكر اسم الفاعل منه .

ثانياً : الزمخشري :

- ذكر لغة ثعلب والمضارع والمصدر منها .
- نبه على أنها بكسر القاف ليمهد للغة الثانية التي أضافها ، ووزان بينهما ، وصرح بأن الأولى هي الأجود ، ونبه كذلك إلى أن لكل منهما وجهاً في القياس .
- وفي المعنى الآخر ذكر المصدر ، وذكر في الفعل لغة أخرى هي نقهت بالكسر ، وأقر بأن لغة الفتح أفصح ، وانهما جاءا عن العرب بمعنى واحد ، ومثل لهما ، وفسر معنى الفعل (نقهت من المرض) .

ثالثاً : اللبلي :

- استغنى بتفسير ثعلب وأكدته بما نقله عن التدميري ، وأضاف عنه أنهما يرجعان إلى معنى واحد ، إلا أنه فرّق بينهما إذ كان أحدهما للجسم والآخر للنفس .

— أفاد لغة ثانية (نَقَت) بالفتح عن أبي عبيد وعن ابن السكيت واللحياني ،
ونقل عبارته .

— نقل عن المرزوقي المصدر (نقاهة) ، والصفة (نَاقِه ، وَنَقِه) من نقه بالكسر .

— ذكر اللغة الثانية ، ونص الرّمحشري السابق فيها .

— ذكر مصدرى (فهمت) الذي نظر به ثعلب وضبطهما ، وأن الصفة منه
(فَهَمٌ) .

— ذكر معنيين في الفعل الثاني عن القزاز وابن درستويه ، وأضاف لغة الكسر
فيه أيضاً ، وذكر المصدر منه .

— ذكر المصدر من المفتوح وهو (نُقُوَّةٌ) .

— ذكر خمسة عشر مرادفاً (لِنَقَّةٍ من المرض بالفتح) .

نتيجة الموازنة :

— وافق الرّمحشري أبا سهل الهروي في تفسيرهما للمعنى ، بينما اكتفى أبو جعفر
بتفسير صاحب الفصيح نفسه ، وعضده بما نقله عن التدميري أيضاً .

— تفرد أبو سهل عن الشارحين الآخرين في ضبطه للماضي والمضارع ، وفي
ذكره مصدرين ونصهما ، وتنظيره على ما ذكر ، واتفق معه أبو جعفر في ذكرهما
الصفة (نَقَّةٌ) وزاد الأخير : نَاقَةٌ .

— نبه أبو سهل إلى أن تنظير ثعلب في الوزن والمعنى ، وهذا ما لا يجده عند
الشارحين الآخرين .

— اقتصر أبو سهل على لغة الفصيح (نَقِهت) بكسر القاف في الماضي .

— أجمع الشراح الثلاثة على ذكر المصدر (نُقُوهاً) عند كلامها على الفعل
الآخر .

- اتفق أبو جعفر مع الرمخشري على وجود لغتين في الماضي (تَقَهت) بكسر القاف وفتحها ، ولغة الفتح هي المقدمة عندهما جميعاً ، كما أجمع الاثنان أيضاً على ذكر لغتين في الفعل الثاني والمسند إلى المرض ، مع تقديمهما للغة الفتح (تَقَّه) .
- انفرد أبو جعفر عن الشارحين الآخرين في ذكره لمعنيين في الفعل الثاني ناقلاً ذلك عن القزاز وابن درستويه .
- أورد أبو جعفر خمسة عشر مرادفاً (لَتَقَّه من المرض) بالفتح ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .
- اعتنى أبو جعفر — وكعادته — بحشده لأقوال أئمة اللغة كأبي عبيد ، وابن السكيت ، واللحياني ، وغيرهما ، للاستدلال لما ذهب إليه ، وهو في كل ذلك يستند كل قول إلى قائله ، وقد تميز بهذا عن الشارحين الآخرين .
- وكما اعتنى أبو جعفر أيضاً بأقوال أئمة اللغة ، فإنه اهتم كذلك بالنقل عن بعض شراح الفصيح كابن درستويه ، والمرزوقي ، والتدميري ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

الشرح	(أَسِنَ الرَّجُلُ يَأْسِنُ)
<p>شرح الهروي (الإسفار)</p>	<p>(وَأَسِنَ الرَّجُلُ) بكسر السين (يَأْسِنُ أَسْنًا) بفتحها فهو أَسِنٌ بكسرهما، والقصر ، على فعل، وَأَسِنٌ بالمد، على فاعل : إذا غَشِيَ عليه من ريح البئر المنتنة الماء أو الفاسدة الهواء إذا نزلها. وفي نسخة أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي النحوي، وأصله الذي رواه عن أبي بكر محمد بن علي النحوي المعروف بممرمان عن ثعلب - رحمه الله - (إذا مات من رِيحِ الحَمَاءِ). وَأَسَنَ الماء بفتح السين يَأْسِنُ وَيَأْسِنُ بكسرهما وضمها (أَسْنَا بسكونها، وأُسُونًا): (إذا تَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَرِيحُهُ وَفَسَدَ؛ فلا يشربه من ننته ، فهو آسِنٌ بالمد .</p> <p>ص : ٩٠-٩١</p>
<p>شرح الزنجشيري</p>	<p>قوله: (أَسِنَ الرَّجُلُ يَأْسِنُ أَسْنًا : إذا غشي عليه من ريح البئر) فهو أَسِنٌ (وَأَسَنَ الماء يَأْسِنُ أَسْنًا وَأُسُونًا : إذا تغير) ويُقال: " لَبِنٌ الأُسُونِ : تَغْيِيرُ طَعْمُهُ، والأَجُونِ : تَغْيِيرُ لَوْنِهِ " ، وَيُحْتَجُّ بقوله - عزَّ وجلَّ - ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ ، قال الفراءُ : ويُقال: وَسَنَ الماء فهو وَاسِنٌ. قال الكسائيُّ: أَسَنَ الماء وَأَسِنَ فهو أَسِنٌ وَأَسِنٌ ، ومنه قراءة ابن كثير: (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) .</p> <p>ص : ١٥٢</p>
<p>شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)</p>	<p>وقوله: وَأَسِنَ الرَّجُلُ يَأْسِنُ : إذا غَشِيَ عليه من ريح البئر . قال الشيخ أبو جعفر: يعني: إذا شَمَّ ريح الماء الأَسِنِ ، وشَمَّ نفس بئر فَعَشَرَ عليه، عن ابن خالويه.</p>

فَعُشِّي عَلَيْهِ، عن ابن خالويه.

قال التدميري: وهو مأخوذ من الماء الأَسِن، وهو المتغيّر، فكأنه لما شم رائحته عُشِّي عليه. قال الشيخ أبو جعفر: وقال الشاعر:
قَدْ أَتْرَكَ الْقَرْنَ مُصْفَرًا أَتَامَلُهُ يَمِيلُ فِي الرُّمْحِ مَيْلَ الْمَائِحِ الْأَسِنِ
ويقال أيضاً وَسِنَ بالواو، حكاها يعقوب، وعبدالحق اللُّغوي، وغيرهما.

قال التدميري: وكأنه — والله تعالى أعلم — مأخوذ من الوَسِنِ الذي هو ابتداء التُّعاس؛ لأن العُشِّيَ أيضاً شبيه بالنوم. وقوله: "وَأَسِنَ الماءُ يَأْسِنُ، وَيَأْسِنُ" قال الشيخ أبو جعفر: معناه تغيّر، عن ابن التَّيَّانِي، وابن طَرِيفٍ في أفعاله، وغيرهما، وزاد صاحب الواعِي وَأَتْنَنَ. وكذا قال أبو عبيد في المصتَفَ، وابن سيده في المخصص. وكُرَاعٌ في المنظم وهو الذي لا يشربه أحد من ننته، وقال المَطْرُزُ وابن خالويه: معنى أَسَنَ وَأَجَنَ واحداً، فلم يُفَرِّقا بينهما. ولا قيده لشيء كما قيده غيرهما، ويقال في الماضي أيضاً: أَسِنَ بالكسر، حكاها صاحب الواعِي، وكُرَاعٌ في المجرّد، وابن القطاع في أفعاله، وابن طريف في أفعاله. وصاحب الموعِب، وزاد صاحب الموعِب ابن طريف وابن القطاع وقطرب: وَأَسَنَ بالمد، فتجيء ثلاث لغات. ويقال في مستقبل مفتوح السين: يَأْسِنُ وَيَأْسِنُ بالكسر والضم عل القياس كما حكاها ثعلب.

(ص: ٤٠٩-٤١٠)

الموازنة :

أولاً : الهروي :

- ضبط الفعل الماضي والمضارع والمصدر .
- أضاف لغتين في الصفة هما : (أسن بكسر السين وقصر الهمزة) (وآسن بالمد) .
- فسر المعنى الذي ذكره ثعلب ، ونقل رواية عن مطرمان النحوي عن ثعلب عبارة أخرى .
- ذكر المفتوح العين المسند إلى الماء وضبطه ، وضبط مضارعه بالكسر والضم .
- ذكر مصدرية ووضح المعنى الذي ذكره ثعلب ، ونص على أن اسم الفاعل منه بالمد فقط .

ثانياً : الزمخشري :

- اقتصر بالصفة على آسن الممدود ، وفي المفتوح السين .
- فرق بين الأسون والأجون في المعنى واحتج بآية قرآنية وقول .
- نقل عن الفراء لغة في أسن وهي (وسن) ، ونقل عن الكسائي لغة أخرى في (أسن المفتوح) وهي (أسن بالكسر) .
- ذكر من المفتوح مصدرين بالقصر والمد .
- استشهد بالقرآءة الشاة على المصدر المقصور .

ثالثاً : اللبلي :

- نقل المعنى عن ابن خالويه ، وزاد إيضاحاً عن التدميري ، وأضاف الشارح شاهداً شعرياً عليه .

- ذكر أن فيه لغة أخرى وهي (وَسِنَ) عن يعقوب وعبدالحق اللغوي .
- نقل عن التدميري أصل (الأسن والوسن) .
- وفي الفعل المفتوح (أَسَنَ) أضاف لغة أخرى عن ابن التياني وابن طريف وغيرهما ، وذكر زيادة عن صاحب الواعي قيداً آخراً (أَسَنَ) وأكد ذلك بكلام بعض أئمة اللغة .
- نقل الشارح عن المطرز وابن خالويه أن معنى أسن وأجن واحد وهو بذلك ينفي التفرقة بينهما .
- أضاف في الماضي لغة أخرى بالكسر ، نقلاً عن جماعة من أئمة اللغة ، وثالثة بالمد نقلاً عن جماعة من اللغويين أيضاً .

نتيجة الموازنة :

- تفرد أبو سهل عن الشارحين الآخرين في ضبطه للفعلين الماضي والمضارع وكذلك المصدر ، ووافقهم الشارحان الآخران على إضافة لغتين في الصفة ، هما : (أَسِنٌ بكسر السين ، وقصر الهمزة ، وآسِنٌ بالمد) .
- أجمع الثلاثة على ذكر المعنى تبعاً لتعلب ، إلا أن أبا سهل انفرد بنقله رواية عن ميرمان النحوي عن ثعلب زيادة في توضيح المعنى ، بينما نقل أبو جعفر عبارة أخرى للغرض نفسه عن ابن خالويه ، وزاده إيضاحاً عن التدميري ، وأضاف شاهداً شعرياً عليه
- وقف أبو سهل الهروي على اللغة الفصيحة كما حكاهما ثعلب ، بينما أضاف الشارحان الآخران لغتين هما : (أَسِنٌ وَوَسِنٌ) .
- اتفق أبو جعفر مع أبي سهل الهروي في ذكرهما لغتين في مستقبل (أَسَنَ المَاءُ) هما : يَأْسِنُ وَيَأْسِنُ ، بكسر السين وضمها ، بينما اقتصر الزمخشري في المستقبل على لغة الكسر وأهل الأخيرة .

— اعتنى أبو سهل الهروي بالأسانيد كقوله : (وفي نسخة أبي سعيد بن عبد الله السيرافي ... وأصله الذي رواه عن أبي بكر ... عن ثعلب ، وهذا ما تجده عند الشارحين الآخرين .

— فرّق الزمخشري بين الأسون والأحون في المعنى ، واحتج بآية قرآنية وقول ، وقد انفرد بهذا عن الشارحين الآخرين .

— أيضاً انفرد الزمخشري عن الشارحين الآخرين في استشهاده بالقراءة الشاذة على المصدر المقصور .

— وافق أبو جعفر الزمخشري في ذكرهما — بالإضافة إلى لغة الفصح — أسن بكسر السين ، وقد حكاهما الزمخشري عن الكسائي ، بينما حكاهما أبو جعفر عن صاحب الواعي وكراع في المحرد وابن القطاع وابن طريف في أفعالهما ، كما أضاف الزمخشري لغة ثالثة عن الفراء وهي : (وَسَنَ) ، وحكى أبو جعفر (وَسِنَ) بكسر السين ، حاكياً إيها عن ابن السكيت و عبدالحق اللغوي ، وقد انفرد أيضاً بذكره لغة ثالثة ، وهي (آسَنَ) بالمد ، والتي لا وجود لها عند الشارحين الآخرين .

— تفرد أبو جعفر عن الشارحين الآخرين بنقله عن المطرز وابن خالويه من أن معنى : (أُسِّنَ وَأَجِّنَ) واحد ، وهو بذلك ينفي التفرقة بينهما .

الشرح	باب : فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ باختلاف المعنى (قَبِسْتُ وَأَقْبَسْتُ)
شرح الهروي (الإسفار)	<p>(وَأَقْبَسْتُ الرَّجُلَ عِلْمًا) بالألف : ، أُقْبِسُهُ إِقْبَاسًا: أي أفدته إياه، وعلمته، فأنا مُقْبِسٌ بالكسر، والرجل مُقْبَسٌ بالفتح.</p> <p>(وَقَبَسْتُهُ نَارًا) بغير ألف أُقْبِسُهُ بكسر الباء قَبَسًا ، بسكونها: إذا جتته بِقَبَسٍ منها بفتحها ، أو أعطيته قَبَسًا منها بفتح الباء وهي شعلة تأخذها من معظمها ، والفاعل قابسٌ ، والرَّجُلُ مَقْبُوسٌ ، والنَّارُ مَقْبُوسَةٌ .</p> <p>(ص : ١٠٠)</p>
شرح الرمحشري	<p>(أَقْبَسْتُ الرَّجُلَ عِلْمًا وَقَبَسْتُهُ نَارًا) ، قال الكسائي : يُقَالُ : قَبَسْتُهُ عِلْمًا وَقَبَسْتُهُ نَارًا؛ وَأَقْبَسْتُهُ بِالْأَلْفِ وَغَيْرِ الْأَلْفِ فِيهِمَا جَمِيعًا، قَالَ أَبُو زَيْدٍ : قَبَسْتُهُ نَارًا : جتته بها، وَأَقْبَسْتُهُ نَارًا: طلبتها له. والمصدر من قَبَسْتُ: قَبَسٌ ، ومن أَقْبَسْتُ : إقْبَاسٌ .</p> <p>(ص : ١٦٦)</p>
شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)	<p>(وَأَقْبَسْتُ الرَّجُلَ عِلْمًا) ، قال الشيخ أبو جعفر : معناه أفدته إياه . ومعنى قَبَسْتُهُ نَارًا، أي : أَخَذْتُهَا فِي عَوْدٍ وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ، قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: وَغَيْرُهُ: قَالَ الْكِرَاعُ : وَأَقْبَسْتُهُا.</p> <p>وحكى أبو عبيد في المصنف عن الكسائي أنه قال: أَقْبَسْتُهُ عِلْمًا، وَقَبَسْتُهُ، بِالْفِ وَبِغَيْرِ أَلْفٍ.</p> <p>وقوله : (قَبَسْتُهُ نَارًا) . قال الشيخ أبو جعفر : إذا طلبت له نَارًا، وَالْقَابِسُ الطَّالِبُ ، وَمَصْدَرُهُ الْقَبْسُ بِتَسْكِينِ الْبَاءِ ، وَالنَّارُ تَسْمَى الْقَبْسَ بِفَتْحِهَا، وَهَذَا كَالنَّفْضِ وَالنَّفْضِ ، وَيُقَالُ أَيْضًا :</p>

	<p>أُقْبِسْتُهُ نَارًا بِالْأَلْفِ ، حَكَى أَبُو عبيد في المصنف عن الكسائي أنه يُقال: قَبِسْتُهُ نَارًا ، وَأُقْبِسْتُهُ نَارًا؛ بِالْفِ أَيْضًا وَبِغَيْرِ أَلْفٍ . وَحَكَى أَبُو عبيد أَيْضًا عَنْ أَبِي زَيْدٍ أَنَّهُ قَالَ: قَبِسْتُهُ نَارًا: إِذَا جِئْتَهُ بِهَا ، فَإِنَّ كَانَ طَلِبَهَا لَهُ قَالَ: أُقْبِسْتُهُ نَارًا ، قَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ: قَالَ كِرَاعٌ فِي الْمَجْرَدِ: وَالْقَبْسُ النَّارُ ، وَالْمِقْبَاسُ: السَّرَاجُ .</p> <p>(ص : ٤٣٨-٤٣٩)</p>
--	--

الموازنة :

أولاً : الهروي :

- نيه على أن الفعل بالألف على (أفعل) ثم ذكر المستقبل على القياس ، وكذلك ذكر المصدر على القياس .
- ذكر المعنى ثم ذكر اسم الفاعل والمفعول على القياس أيضاً .

ثانياً : الزمخشري :

- زاد عن الكسائي في أُقْبِسْتُ (قَبِسْتُ) في العلم ، وفي النار (أُقْبِسَ) ؛ أي أنه يقال في العلم أقبس وقبس ، وفي النار قبس وأقبس .
- نقل عن أبي زيد التفرقة بين قبس وأقبس في النار .
- ذكر المصدر القياسي من (قَبِسَ) والمصدر القياسي من أُقْبِسْتُ (إقباس) .

ثالثاً : اللبلي :

- فسّر الفعل (أقبس) و (قبس) عن ابن خالويه وغيره ، وزاد عن كراع في الفعل الثاني لغة وهي : قبس .
- نقل عن أبي عبيد عن الكسائي لغة أخرى في العلم وهي (قبسته) .

— فسّر معنى (قيسته ناراً) وذكر مصدره القياسي واسم الفاعل وكذلك الاسم
(القبس) ونظر له .

— ذكر فيه لغة أخرى عن الكسائي .

— نقل عن أبي زيد التفرقة بين قيسته ناراً وأقيسته ناراً ، كما نقل عن كراع في
المجرد الفرع بين القبس والمقباس .

نتيجة الموازنة :

— اتفق الزمخشري مع أبي سهل في ذكرهما للمصدرين من الفعلين جميعاً ، هما :
(إقباسٌ وقبسٌ) بينما اكتفى أبو جعفر بذكر المصدر الثاني وسكت عن الأول .

— لم يتعرض أبو سهل للغة الثانية للفعلين ، كما فعل الشارحان الآخرون .

— وافق أبو جعفر ما حكاه الزمخشري عن الكسائي من وجود لغتين في الفعلين
جميعاً ، بالألف وبغير ألف .

— نقل أبو جعفر ما ذكره الزمخشري من التفريق من حيث الدلالة بين (قيس
النار ، وأقيسهها) وذلك بما حكاه الأخير عن أبي زيد وتفريقه بين المعنيين .

— اهتم أبو جعفر بإيراده لأقوال بعض اللغويين ، متفقاً في ذلك مع الزمخشري ،
إلا أنه زاد عليه ما حكاه عن أبي عبيد ، وكراع ، وابن خالويه ، وهذا الاهتمام

بأقوال أئمة اللغة قد أغفله أبو سهل الهروي .

— انفرد أبو جعفر بذكره (المقباس) عن أحد اللغويين وعرفه ، وهذا ما لا
نجدّه عند الشارحين الآخرين .

الفصل الثالث

آثار حركة التوسع في

الدرس اللغوي

نُذَكِّرُ بأننا — وفي مقدمة هذا الباب — بدأنا حديثنا عن مصطلح التوسع اللغوي ، فعرفناه في اللغة والاصطلاح ، ومن ثمَّ ضمنا كلامنا نقولاً لعلماء التوسع ، اتضح لنا ومن خلالها مذهبهم فيما يتعلق بتوسع العرب في لغاتهم ، مع ذكر بعضاً من ملامح ذلك التوسع ، وما تخلل ذلك من مؤلفات لأئمة اللغة المتقدمين في حقل التوسع ، والمتمثل في (كتب اللغات) ، ومن ثمَّ عرَّجنا على الحديث عن شروح الفصيح الممثلة لهذه الحركة التوسعية في المشرقين ، وقدمنا فكرة عامَّة حول مناهج تلك الشروح ، وما تضمنته من خصائص عامَّة ، بالإضافة إلى ما أبرزته من مظاهر كشفت لنا عن توسع العرب في لغاتهم ، وقمنا بعقد موازنة بين الشروح المشرقية والمغربية ، والممثلة لحركة التوسع اللغوي ، وذلك عن طريق اختيار أمثلة لنصوص مختارة من تلك الشروح ، والتي من خلالها توصلنا إلى نتائج لتلك الموازنات اللغوية أثبتت في مواضعها .

وها نحن نختتم هذا الباب بهذا البحث ، والذي نحسب أنه يمثل ثمرة هذا الباب كلِّه ؛ لكونه قد عكس نتائج وآثار حركة هذا التوسع بما حوته مصنفات المتوسعين ومناهج هؤلاء الشراح من خصائص عامَّة توسعية أفرزت من خلالها مظاهر وآثار تلك الحركة التوسعية في الدرس اللغوي . وقد رأيت تصنيف آثار هذه الحركة وأثرها في الدرس اللغوي إلى أمرين رئيسيين :

أولاً — جهود أئمة اللغة المتوسعين من أصحاب التصويب اللغوي ، من أمثال : أبي زيد الأنصاري ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وأبي عثمان السرقسطي ، وابن السيد البطليوسي ، وأبي الفتح البعلي ، وشهاب الدين الخفاجي ، بالإضافة لبعض شراح الفصيح أصحاب المذهب التوسعي أمثال : الزمخشري ، وابن هشام اللحمي في كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان) ، وأبي جعفر اللبلي .

ثانياً — ومن هذه الجهود أيضاً ما أفرزته بعض المعاجم اللغوية ، والتي تأثرت وأثرت في حركة التوسع اللغوي ، فكوّنت حقلاً خصيباً في مجال تنمية الدرس اللغوي وازدهاره .

ومن أصحاب حركة التوسع في المعاجم اللغوية ، نذكر :

— ابن سيده في معجمه (المحكم) .

— الصّاغاني في (التكملة والذيل والصلة) .

— مرتضى الزبيدي في (تاج العروس) .

ولكي يتضح المقصود وتتجلى حقيقة ما سبق فإنني سأختار مجموعة من هؤلاء الأئمة المتوسعين ، والذين كان لهم الفضل في إثراء حركة التوسع ، الذي انعكس بدوره على إثراء الدرس اللغوي بشكل عام ، مقدماً الأول فالأول ، مقتصرأ على إيراد نماذج يسيرة لبعض الأمثلة ، والتي يتضح من خلالها المقصود ، وقد قصدت الإيجاز لا الحصر .

فأقول : لقد أثرت هذه الحركة التوسعية الدرس اللغوي أيما إثراء وتمثل ذلك بتلك الجهود اللغوية الخيرة ، والتي نهض بها جماعة من أئمة اللغة المتوسعين ، الذين تعقبوا أولئك الأئمة المتشددين ، الذين وقفوا عند حدود اللغة الفصيحة العالية وأنكروا ما سواها ، أو منعوها ، أو حنّوا مستعملها ، أو صرّح بعضهم بعدم معرفتها (أي اللغة الثانية) وهم في مذهبهم هذا — أعني المتشددين — لم يقصدوا التعسف أو التحامل ، أو تحجير الواسع على غيرهم ، وإنما كان لديهم غيرة شديدة على صفاء العربية ونقاها مما قد يشوبها ، فكانوا حصناً حصيناً للغة المثالية الفصحى ، لذا نراهم قد منعوا استعمال كلمات فصيحة لعدم اطلاعهم على مصادرها من كلام العرب المشهود لهم بالفصاحة والبيان ، وقد يُعذر لبعضهم تشدده في هذا الأمر كونه صاحب رواية وسماع ، إذ لم يكن بصاحب

قياس ولا نظر كما هو الحال بالنسبة للأصمعي ، لذا هبَّ المتوسعون للاستفادة من تلك الثروة اللغوية الواسعة ، والتي هي في نظرهم أفق واسع ححرَّها وضيَّقها غيرُهم ، فتمثلت تلك الجهود بتصويهم لكثير من اللغات التي منعها الفريق المتشدد ، وتخرَّجها على وجه صحيح في كلام العرب الفصحاء ، لأنهم يرون أن كل ما تكلمت به العربُ أو قيس على كلمها فهو صواب ، لا يخطأ من استعماله ما دام له وجهه في العربية يجيزه ، كما صوبوا كثيراً من لغات العامة والتي خطأها الفريق الأول ؛ لأنهما في نظرهم لغة من لغات العرب الفصحاء أيضاً ، لا يمكن تجاهلها بل إنهم كانوا أكثر توسعاً في هذا الشأن ، عندما نسبوا عدداً من تلك اللغات والتي تُلحَقُ بالعامة إلى قبائل عربية فصيحة وهم بهذا العمل يُقرِّرون فصاحتها .

وهؤلاء المتوسعون اجتهدوا لجعل اللغة غنية بما تصرف العربُ فيه من الألفاظ والاستعمالات ، والاشتقاقات المختلفة ، حتى يسع استعمالها جميع شؤون الناطقين بها ، فتكون أكثر مرونة وعطاء ، واسعة التعبير ، كثيرة المفردات ، متنوعة الدلالات ، غنية في أصول الكلمات ، ومن هؤلاء نذكر :

أولاً / أبو زيد الأنصاري (١) :

يأتي في مقدمة أولئك الأئمة الذين كانوا يتوسعون في اللغات ، حتى ربما جاء بالشيء الضعيف ، فيجري ذلك مجرى القوي (٢) .

وهو في نظر أحد الدارسين الغربيين ، كان ينطق كما ينطق الأعرابي ، وقد أدى التزامه الفصحى مع العوام في وقت مبكر إلى نكات من المزاح مشتملة على موازنات بين صوابه المتخّل المصفى ، وطريقة التعبير الفاحشة المعوجة عند معاصريه (٣) .

وقد روى ابن خالويه في شرح الفصح عن أبي حاتم أن الأصمعي كان يقول أفصح اللغات ، ويلغي ما سواها ، وأبو زيد يجعل الشاذ والفصح واحداً فيجيز كل شيء قيل (٤) . والذي يعيننا هنا تعقبه للأصمعي ، وإثبات فصاحة كثير من اللغات التي رفضها ، أو منعها ، أو لم يسمع بها الأول ، فأبان أبو زيد أنها لغات للعرب صحيحة فصيحة ، وقد تمثل هذا التعقب في الآتي :

— إثبات فصاحة ما أنكر الأصمعي ، وهو بهذا يضيف إلى اللغة الفصيحة المقدمة لغة فصيحة أخرى رويت عن العرب ، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التالية :

(١) () هو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن كعب بن الخزرج ، أبو زيد الأنصاري ، الإمام المشهور ، ولد سنة ١١٩هـ — كان إماماً في النحو ، صاحب تصانيف أدبية ولغوية ، غلبت عليه اللغة والتوارد والغريب ، قيل عنه أنه كان يحفظ ثلثي اللغة ، له تصانيف كثيرة في اللغة وكان يونس يقول : حدثني الثقة عن العرب ، يعني أبا زيد ، توفي سنة ٢١٥هـ .

و انظر ترجمته في الأعلام ٣/١٤٤ ، وانباه الرواة ٢/٣٠-٣٥ ، وإشارة التعيين ١٢٨ ، وبغية الوعاة ١/٥٨٢-٥٨٣ ، والبلغة ٨٤ ، والفهرست ٥٤ ، ومعجم الأدباء ١١/٢١٢-٢١٧ .

(٢) انظر : فعلت وأفعلت لأبي حاتم ٨٢ .

(٣) انظر : العربية (يوهان فك) ٩٣ .

(٤) انظر المزهر ١/٢٣٣ .

— أنكر الأصمعي قولهم : نَهَجَ الثَّوبُ وَخَلَقَ ، إذا بلي ، إذ إن الصواب عنده أن يقال : أُنْجَعُ ، وأخلق ، بالألف ، ليس غير . وثبت أبو زيد اللغتين جميعاً ، ووافقه فيما ذهب إليه يونس وأبو عبيدة (١) .

— أبي الأصمعي قولهم : سَمَلَ الثَّوبُ ، والصواب عنده : أسمل بالألف . فصرَّح أبو زيد بأنه يقال باللغتين جميعاً (٢) .

— أنكر الأصمعي قولهم : أفتنت الرجل . والصواب عنده : فتنته بغير ألف . ويصرَّح أبو زيد باللغتين جميعاً وينسب الأولى إلى حميم (٣) .

— أبي الأصمعي قولهم : أنسل الوب ، ويرى أن الصواب : نسل فهو ينسل ، ليس غير . بينما ينصُّ أبو زيد على فصاحة اللغتين جميعاً (٤) .

— منع الأصمعي قولهم : حيرت فلاناً على الأمر ، إذ إنه يرى أنه لا يقال إلا أحيrote بالألف ، فيصرَّح أبو زيد بفصاحة اللغتين جميعاً (٥) .

— أنكر الأصمعي قولهم : أضجَّ القوم ، بالألف ، والصواب عنده أن يقال : ضجَّ ، بغير ألف . قال أبو زيد : " يقال ضجُّوا وأضجوا ولغطوا وألغطوا ، وجلبوا وأجلبوا ، باللغتين جميعاً (٦) .

(١) انظر : فعلت وأفعلت لأبي حاتم ٨٣ .

(٢) نفسه : ٨٤ .

(٣) نفسه : ٩٠ .

(٤) نفسه : ٩٥ ، ٩٦ .

(٥) نفسه : ١١٥ .

(٦) نفسه : ١٢٦ .

— يرى الأصمعي أن الصواب أن يقال : أَحَدَتُ المرأةُ على زوجها وأنكر : حَدَّتُ المرأةُ بغير ألف . بينما يُصرِّح أبو زيد بفصاحة اللغتين جميعاً^(١) .
وما هذه إلا نماذج مختصرة وإلا فالكتاب قد تضمن في ثناياه الكثير من مثل هذه الأمثلة ، والتي يثبت فيها أبو زيد فصاحة ما أنكره الأصمعي من لغات .
وبعد هذه الأمثلة المختارة ، والتي تجلّى فيها مذهب أبي زيد التوسعي في إيجازته وتفصيحه لما منعه المتشددون في تنقية اللغة فإننا نلاحظ ذلك الأثر الذي حلّده أبو زيد فيمن جاء بعده من اللغويين الذين تأثروا بمذهبه التوسعي ، فنقلوا عنه تصويباته وتفصيحه ، وإجازته لكثير من اللغات التي منعها المتشددون ، فكان لهذا التأثير أثر واضح وجليّ انعكس على جماعة من أئمة اللغة ، نذكر منهم :

١ — أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)^(٢) والذي ضمن كتابه (الغريب المصنف) ما يقارب من خمس مئة موضع نقل فيها توسع أبي زيد في اللغات المروية عن العرب نورد منها على سبيل الإيجاز ما يلي :

أولاً / التوسع في الأفعال وهو على ثلاثة أضرب :

١ — ذكره لغتين في الماضي ، وقد جاء ذلك وافرّ في ثنايا الكتاب تقتصر فيه على ما يلي :

— حكى أبو عبيد عن أبي زيد : حَلَلْتُ من الإحرام وأَحَلَلْتُ^(٣) .

(١) انظر الصفحات : ٨٥ ، ٩٤ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٢) انظر ترجمته في بغية الرعاة ٢/٢٥٣-٢٥٤ ، وإشارة التعمين ٢٦١ ، والفهرست ٧٢،٧١ ومعجم الأدباء ١٦٤/٢٥٤-٢٦١ .

(٣) الغريب المصنف : ٥٧٢/١ .

— كما حكى المصنف عن أبي زيد أيضاً : رَحَفْتُ فِي الشَّيْءِ ، وَأَرْحَفْتُ : إِذَا أَعْيَيْتُ ^(١)
— وحكى عنه أيضاً قوله : " وَقَدْ عَقَرْتُ تَعْقُرُ ، وَعَقِرْتُ تَعْقُرُ " ^(٢) .

(٢) ذكره لغتين في المستقبل ، وقد تضمن الكتاب الكثير من هذا النوع ^(٣) ،
نشير فيه إلى ثلاثة أمثلة يتجلى فيها المقصود :

— حكى المصنف عن أبي زيد : حَفَقَ الْفُؤَادُ يَخْفِقُ وَيَخْفِقُ ^(٤) .

— أيضاً نقل عنه : جَنَّحَ الرَّجُلُ يَجْنَحُ وَيَجْنَحُ ^(٥) .

— كما حكى عنه قوله أيضاً : " أَهْلَ الرَّجُلِ يَأْهَلُ ، وَيَأْهَلُ : إِذَا تَزَوَّجَ " ^(٦) .

(٣) ذكره ثلاث لغات في الماضي : وهذا النوع من التوسع جاء أيضاً ماثولاً في
ثنايا الكتاب ، نلمح فيه إلى مثالين ، ومن خلالهما يتضح المراد :

— حكى أبو عبيد عن أبي زيد : شَحَبَ لَوْنُهُ ، يَشْحَبُ وَيَشْحَبُ وَيَشْحَبُ ^(٧) .

— كما حكى المصنف أيضاً عن الأخير : تَبَّقْتُ الْكِتَابَ ، وَبَنَّقْتُهُ وَنَمَّقْتُهُ ، وَنَبَهُ
إِلَى أَهْمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ^(٨) .

ثانياً / التوسع في الأسماء ، وقد تضمن الكتاب الكثير من هذا الضرب ، نقتصر
فيه على الآتي :

(١) الغريب المصنف : ٥٧٣/١ .

(٢) نفسه : ٦٨٦/١ .

(٣) انظر الصفحات : ٦٠١/١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٨ ، ٧١٢/٢ ، ٧٧٦ ، ٧٧٩ .

(٤) نفسه : ٦٠١/١ .

(٥) نفسه ٦٠٢/١ .

(٦) نفسه ٦٠٢/١ .

(٧) نفسه ٦٠٤/١ .

(٨) نفسه : ٧٧٩/٢ .

— نقل أبو عبيد في مصنفه المذكور ما حكاه أبو زيد من أن أهل تامة يقولون :
العَضُدُ ، والعَضُدُ ، والعَجْزُ والعَجْزُ ، وتيمم تقول العَضُدُ ، والعَجْزُ ، ونبه المصنف
إلى أن الأخير أجاز فيهما التخفيف أيضاً (١) .

— وحكى المصنف عن أبي زيد أيضاً من أنه يقال للشيء الذي يُدَقُّ به ، هو :
المُدَقُّ ، والمدَّقُّ ، والمدَّقَّةُ (٢) .

— كما حكى عنه أيضاً أنه يقال : هي رَعْوَةُ اللَّبَنِ ، ورِعْوَةٌ ورِعَاوَةٌ ، ورِعَايَةٌ ،
فتلك أربع لغات (٣) .

وبعد : فقد اتضح لنا من تلك الأقوال السابقة أثر حركة التوسع والتي خَلَعَهَا أبو
زيد على من جاء بعده من اللغويين ، والتي أثرت بدورها حقل الدرس اللغوي ،
ووسعت آفاقه .

٢— أبو عثمان سعيد بن محمد السَّرْقُسْطِي (المتوفى سنة ٤٠٠ هـ) (٤)

وهو أحد اللغويين الذين تأثروا أيضاً بتوسع أبي زيد الأنصاري وبغيره من أئمة
اللغة ، وقد انعكس هذا التأثير في إثراء الساحة اللغوية عن طريق تلك النَّزْعَةِ
التوسعية والتي ضمنها المصنف كتابه (الأفعال) (٥) .

والذي نقل في مواضع كثيرة منه توسع أبي زيد في لغات العرب ، وتأصيله لها
على أنها لغات صحيحة فصيحة ، وإنكاره على من أنكرها ، فنقل السَّرْقُسْطِي

(١) الغريب المصنف ٦٦٠/٢ .

(٢) نفسه : ٦٦٥/٢ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) انظر ترجمته في : بغية الرعاة ٥٨٩/١ ، وكشف الظنون ١٣٣/١ ، ونفح الطيب .

(٥) حققه حسين محمد محمد شرف ، القاهرة ١٤١٣ .

الكثير من تلك اللغات التي حكاها أبو زيد ، وأثبت فصاحتها ، فختار منها على سبيل الإيجاز ما يلي :

— نقل السَّرْقُسْطِي عن أبي زيد أنه حكى : جَبَنَ ، يَجْبِنُ ، وَجَبِنَ بفتح الباء في الماضي ، وضمها أيضاً لغتان (١) .

— وحكى المصنف أيضاً قولهم : وَرَهِيصَتِ الدَّابَّةُ رَهِيصَةً ، ونقل عن أبي زيد أنه روى عن الكلبيين لغة ثانية ، وهي رُهِيصَتُ (٢) .

— كما نقل المصنف أيضاً عن أبي زيد أنه حكى : شنف له وشفن له : إذا نظر إليه نظرة البَغْضَةِ (٣) .

— حكى السَّرْقُسْطِي عن أبي زيد أنه يقال : بَعِيرٌ أَرْطَوِي ، وَأَرْطَاوِي ، وَمَأْرُوطٌ ، وَأَرِطٌ وهو الذي يأكل الأَرْطَى (٤) .

— كما حكى المصنف أيضاً عن أبي زيد قوله : " العُلَّةُ والعَلُّ ، والعَلِيلُ ، والعَلَلُ " . وذكر أن كل هذه يقال في شدة العطش (٥) .

— كما حكى المصنف أيضاً عن أبي زيد قوله : " اللُّكْعُ ، واللُّكُوعُ ، والأَلْكَعُ ، واللُّكْعَانُ ، كُلُّهُ بمعنى اللئيم من الأحرار وغيرهم (٦) .

كما تأثر المصنّفُ أيضاً بتوسع أبي زيد فيما يتعلق بالمصادر ، فمن ذلك :

(١) الأفعال : ٢٧٠/٢

(٢) نفسه : ٣٣/٣

(٣) نفسه : ٣٤٤/٢

(٤) نفسه : ٧١/١ .

(٥) نفسه : ٧/٢

(٦) نفسه : ٤٦٣/٢

— يذكر المصنف : شَتْنُهُ ، شَنًّا وشَنًّا ، وَيَحْكِي أن أبا زيد قد زاد : وشَنًّا ،
وشَنَاءً^(١) .

— ويذكر السَّرْقُسْطِي في موضع آخر قولهم : لَقِيحَتِ الناقَةُ لَقَاحًا : إذا حملت ،
وَيُنَبِّه إلى أن أبا زيد قد زاد لغة أخرى ، وهي : لَقَحَت بفتح القاف ، لَقَحًا
وَلَقَحًا^(٢) .

— وحكى المصنف قولهم : ولاحَ الرجل لَوَاحًا : إذا عطش وتبه إلى أن أبا زيد
قد زاد مصدرًا آخر ، وهو : وَلُوَحًا^(٣) .

— أيضاً حكى السَّرْقُسْطِي قولهم : وَلَحَظَهُ لَحَظًا : إذا نظر إليه ، وذكر أن أبا
زيد زاد مصدرًا آخر ، وهو : لَحَظَانًا^(٤) .

ومما سبق اتضح لنا جلياً تأثر أبي عثمان السَّرْقُسْطِي بمذهب المتوسعين وفي
مقدمتهم أبي زيد ، والذي أفاد منه المصنف في إثباته لكثير من اللغات والتي
يعتقد بأنها من كلام العامة ، وليست من الفصاحة بشيء ، فبرهن السَّرْقُسْطِي
على فصاحتها بإسنادها إلى إمام من أئمة اللغة وعلم من أعلامها .

وثمة حقيقة نشير إليها هنا وهي أن السَّرْقُسْطِي المتأثر بمذهب من سبقه من
المتوسعين كأبي زيد وغيره ، قد أثر هو أيضاً فيمن جاء من بعده من اللغويين ،
ولا أدل على ذلك مما نقله أبو الفتح البعلي في زوائده في (ثلاثيات الأفعال)
والذي أكثر فيه من النقل عن السَّرْقُسْطِي في أفعاله ، لإثبات التوسع في لغات
الأفعال ، وسيأتي الحديث عن ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

(١) الأفعال : ٣٩٣/٢

(٢) نفسه : ٤٣١/٢

(٣) نفسه : ٤٣٥/٢

(٤) نفسه : ٤٤٦/٢

فكانت أقوال السَّرْقَسْطِي في أفعاله أُولَى مصادر البعلي ، وهذا كله يصب في هر يُرْوِي ويُثْرِي حركة التوسع في الدرس اللغوي .

٣ — أيضاً امتدَّ تأثير أبي زيد في مذهبه التوسعي إلى شُرَّاح الفصيح أنفسهم ، والذين تَصَدَّقُوا لأولئك المتشددين الذين أنكروا أو منعوا بعض اللغات المروية عن العرب ، فأثبت هؤلاء الشُّرَّاح فصاحة ما أُكِّر من لغات ، بإسناد روايتها إلى أبي زيد ، والذي لا يختلف على علو شأنه ومكانته اللغوية اثنان ، فكانت الثمرة تنمية وإثراء لحركة التوسع في الدرس اللغوي .

وها نحن نوجز نماذج يتضح من خلالها تأثير بعض شُرَّاح الفصيح بمذهب إمام التوسع أبي زيد ، فمن ذلك :

— ذكر الزمخشري في شرحه لفصيح ثعلب أن الأصمعي أبي قول من قال : دَمِعَتْ عيني ، بكسر الميم ، ووجه الكلام عنده بفتحها ، فُيَصَّرُ الشارح بأن أبا زيد وأبا عبيدة جَوَّزا ما أباه الأصمعي ^(١) .

— أيضاً نقل الزمخشري أن الأصمعي رفض أن يقال : أَرَعَدَ ، وَأَبْرَقَ ، بالألف ، من الرَّعْدِ وَالْبَرَقِ ، ومن تَمَّ تَبَّه الزمخشري إلى أن أئمة اللغة أجازوا ذلك ، وفي مقدمتهم أبي زيد ^(٢) .

— ذكر الزمخشري أيضاً في شرحه للفصيح إنكار الأصمعي لقولهم : نَشَرَ اللهُ الموتى ، والصواب عنده أن يقال ذلك بالألف ، إلا أن الزمخشري صرَّح بأن أبا زيد نصَّ على فصاحة ما أنكره الأصمعي ^(٣) .

(١) انظر شرحه للفصيح : ١٧ .

(٢) شرحه للفصيح : ٧٦ .

(٣) نفسه : ٢٢٣ .

كما أن مذهب أبي زيد التوسعي كان له تأثير إيجابي تمثل في إثرائه للغات العرب ، بإضافته لغة أخرى ، أو أكثر وسمها المتشددون بالخطأ ، أو حملوها على لغات العامة ، ومن أمثلة ذلك :

— منع المتشددون قول من قال : سَخِرْتُ بِهِ ^(١) ، إذ الصواب عندهم أن يُقال : سَخِرْتُ مِنْهُ ، وحكى أبو زيد وغيره اللغة الأولى ^(٢) ، إلى جانب اللغة الفصحى المقدمة .

— وإذا كان صاحب الفصحى قد وقف عند اللغة العالية في قوله : " شَعَلَنِي عَنْكَ أَمْرٌ " ^(٣) فقد حكى ثابت في لحنه أنه يقال : أَشَعَلَنِي بِالْأَلْفِ ، وصرَّح بأنه سمعها من أبي زيد . ^(٤)

— أيضاً اقتصر علماء التنقية ، وفي مقدمتهم صاحب الفصحى على لغة العلو والفصاحة في قوله : " أُغْمِي عَلَى الْمَرِيضِ " ^(٥) بينما حكى أبو زيد عن بعض الأعراب قولهم : قَدْ غَمِي ، فهو هنا يضيف لغة أخرى ^(٦) .

— وحكى صاحب الفصحى لغتين هما : حَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، وَأَجَنَّهُ ^(٧) ، وأضاف أبو زيد وغيره من المتوسعين لغة ثالثة ، هي : جَنَّهُ ^(٨) .

(١) انظر : ما تحلن فيه العامة ١٠٨ ، والإصلاح ٢٨١ ، وأدب الكاتب ٤١٩ ، وتقويم اللسان ١٢٣ ، وتصحيح التصحيف ٣٠٨ .

(٢) انظر : شرح الزمخشري للفصحى ٢٣١ ، والصحاح ، واللسان (سخر)

(٣) الفصحى : ٢٦٨ .

(٤) انظر : تحفة المجد ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٥) الفصحى : ٢٧٠ .

(٦) انظر : تحفة المجد : ٣٤١ .

(٧) ص : ٢٧٨ .

(٨) انظر شرح الزمخشري للفصحى : ٢٣٦ .

— كما أثبت صاحب الفصح في موضع من فصيحه لغتين في الماضي أيضاً ، هما :
(بَسْرَتْ من المرض ، وبرأت)^(١) . وحكى ابن يونس في مُبْرَزِه عن أبي زيد لغة
ثالثة ، هي بَرَى ، يَبْرَى ، بكسر الراء في الماضي من غير همز^(٢) .

ويظهر تأثير مذهب أبي زيد في توسعه اللغوي أكثر وضوحاً في تصويبه
وتفصيحه لكثير من لغات العامة ، والتي خطأها من تشدد من اللغوين الآخرين ،
فيلغ هذا التأثير والتأثر قَمْتَه لدى أبي جعفر اللبلي في كتابه (تحفة المجد الصريح)
والذي يَبْرُزُ فيه التوسع من أوسع أبوابه ، فتأثر بذلك بأئمة اللغة المتوسعين عامة ،
ومذهب أبي زيد خاصة ، وذلك بما نقله عنه في تحفته ، والذي برهن في ثناياه
عن توسع العرب في لغاتهم ، ومن هذا التوسع تصويبه لكثير من لغات العامة التي
وسمت بالخطأ ، وهو في مذهبه هذا يدل على فصاحتها ، مستشهداً بما ينقله عن
أبي زيد ، وقد جاء ذلك وافرٌ في ثنايا كتابه (تحفة المجد) نختار منه ما يلي :

— ذكر أبو جعفر اللبلي إنكار ابن درستويه وتخطئته لقول العامة : بَرَّ حَجَّكَ ،
بفتح الباء ، ثم بصرَّحُ أبو جعفر بأن قول العامة صحيحٌ فصيحٌ ، وذلك بما حكاه
أبو عبيد عن أبي زيد^(٣) .

— كما خطأ ابن درستويه أيضاً قول العامة : أجنَ الماءُ ، بكسر الجيم ، إذ إن
الصواب عنده فتحها . إلا أن أبا جعفر ينقل عن أبي حاتم في تقويم المفسد ما
حكاه الأخير عن أبي زيد من أن لغة العامة صحيحة فصيحة^(٤) .

(١) ص : ٢٦٤

(٢) انظر : تحفة المجد ١٧٦ .

(٣) انظر تحفة المجد : ٣٥٠ .

(٤) نفسه : ١٢٣ .

— وفي موضع آخر من التحفة أيضاً يذكر أبو جعفر تخطئة ابن درستويه لقول العامة : نَهَكَةُ المرض وغيره ، بفتح الهاء ، حيث يرى ابن درستويه أن الصواب كسرهما ، فيُصرِّح أبو جعفر بما نقله عن أئمة اللغة الثقات وفي مقدمتهم أبي زيد بصواب لغة العامة (١) .

— كما ينقل أبو جعفر أيضاً عن ابن درستويه تخطئته لقول العامة : أَجْهَدَ دَابَّتُهُ ، بالألف ، والصواب عنده بغير ألف ، ومن ثم يُصرِّح أبو جعفر بصواب ما خطأه الأول ، حاكياً ذلك عن أبي زيد (٢) . قلت : وقد نعتها الزمخشري بالجوذة والفصاحة ، ووافقه الزجاج وابن القطاع فيما ذهب إليه من تفصيحه للغة العامة (٣) . ومن آثار حركة توسع أبي زيد في لغات العرب نجده — وفي بعض المواضع — يجمع بين تفصيحه للغة العامة ، وبين نسبتها إلى إحدى قبائل العرب ، وهو بهذا يُعلي من فصاحتها فمن ذلك نذكر :

— أنكر بعض المتشددين قول العامة : عَجَزْتُ ، بكسر الجيم ، فينقل أبو حاتم في تقويم المُفسد عن أبي زيد أنها لغة لبعض قيس (٤) .

— أيضاً جاء في فصيح ثعلب قوله : " وَنَكَلَّ عَنِ الشَّيْءِ " (٥) بالفتح ، وحكى يعقوب في الإصلاح عن الأصمعي أنه لا يقال : نَكَلَّ ، بكسر الكاف ، بينما يحكى أبو حاتم في تقويم المُفسد ، عن أبي زيد اللغتين جميعاً ، ويُصرِّح الأخير بأن الكسر لغة تميمية (٦) .

(١) تحفة الجهد : ١٧٣ .

(٢) نفسه : ٢٩٧ .

(٣) انظر شرح الزمخشري للفصيح ١٠٦ ، وفعلت وأفعلت للزجاج ١٨ وأفعال ابن القطاع ١٤٧/١ .

(٤) انظر تحفة الجهد : ٧١ .

(٥) ص : ١٨٨ .

(٦) تحفة الجهد : ١٠٤ .

— ذكر أبو جعفر اللبلي في تحفته أن ابن درستويه عطفاً قول العامة : عَضَّضْتُ ،
بفتح الضاد الأولى ، حيث إنه يرى أن الصواب كسرهما ، وينقل أبو جعفر ما
حكاه صاحب الموعب عن أبي زيد من أن الفتح لغة تميمية أيضاً^(١).

(١) تحفة المجد : ١٥٧ .

ثانياً / ابن سيده الأندلسي^(١) :

ومن آثار هذه الحركة التوسعية ما أفرزته بعض المعاجم اللغوية ، من تنمية للثروة اللغوية ، تمثل بما اشتملت عليه من لغات ، كونهت حقلاً خصيباً في مجال تنمية الدرس اللغوي وازدهاره ، فظهرت بعض المؤلفات والتي تأثرت بحركة التوسع اللغوي ، وخاصة في بلاد المغرب العربي ، ممثلة بمعجم ابن سيده (المحكم والمحيط الأعظم) والذي ضمنه المؤلف الكثير من اللغات التي أهملتها المعاجم الأخرى ، فلم تأت بها ، فذكر ابن سيده عدداً من تلك اللغات التي وسمها بعض اللغويين المتشددون بالخطأ ، أو حلوها على لغات العامة ، فأصلها على أنها لغات صحيحة فصيحة ، رويت عن العرب الفصحاء ، وعليه فلا ينبغي رفضها ، أو تجاهلها ، أو تخطئة مستعملها ، وأن وقوف المتشددون في التنقية على اللغة الأولى والمقدمة فصاحة لا يُقلل من شأن تلك اللغات التي رفضوها ، بحجة أنهم لم يقفوا على مصادرها من كلام العرب الفصحاء ، فقد وقف عليها غيرهم ، وبرهن على فصاحتها وهو بصنيعه في معجمه هذا يكسوا الثروة اللغوية حلية تُثري حقلاً الخصيب بما حكاها من لغات رويت عن العرب الفصحاء ، وقد أثرى بها الدرس اللغوي ، ووسّع ضيقاً حجره آخرون ، نختار من ذلك ما يخدم هدفنا المنشود وبشيء من الإيجاز :

(١) هو علي بن اسماعيل ، وقيل محمد ، وقيل أحمد ، ولد حوالي عام ٣٩٨هـ شرق قرطبة ، كان ضريباً كأبيه ، تلقى العلم على أبيه ، ألف عدة كتب ، توفي سنة ٤٥٨هـ ، وانظر مقدمة محقق الكتاب ص ٥ ، وانظر ترجمته في : إشارة التعيين ٢١٠ ، وبغية الرعاة ١٢٦/٢ ، ومعجم الأدباء ٨٤/٥ ، وانظر : مقدمة محقق الكتاب ص ٥ .

— اقتصر أصحاب التنقية على (أجنّ الماء) بالفتح ^(١) ، فصرّح ابن سيده بوجود ثلاث لغات ، هي : أجنّ العالية المقدمة وأجنّ ، بكسر الجيم ، وأجنّ ، بضم الجيم ، واللغتان الأخيرتان أهملها المنقون كما أشرنا سابقاً ^(٢) .

— أيضاً جاء في فصيح ثعلب قوله : " غاظني الشيء " ^(٣) واقتصر أصحاب مذهب التنقية عليها ^(٤) ، بينما يُصرّح ابن سيده بذكر ثلاث لغات : غاظني ، لغة الفصيح ، وأغاظني بالألف ، وغَيَّظني ^(٥) .

— كما حكى ابن سيده ثلاث لغات في (حزن) هما : حَزَنَةُ الأمر ، وأحزَنُهُ بالألف ، وحزِنُهُ ، بكسر الزاي ^(٦) ، وقد وقف المنقون على اللغة الأولى ^(٧) .

— جاء في فصيح ثعلب قوله : " وعَرَجَ الرجلُ : إذا صار أعرج ، هذه اللغة العالية المقدمة ، والتي وقف عندها المنقون ^(٨) ، إلا أن ابن سيده يضيف إليها لغتين آخرتين ، هما : عَرَج ، وعَرُج ، بفتح الراء وضمها ^(٩) .

— وإذا كان المنقون ^(١٠) أيضاً قد اقتصروا في قولهم : عَيَّ بالأمر ، إذا لم يعرف وجهته ، فإن ابن سيده أضاف إلى ما سبق ثلاث لغات هي : عَيَّ ، وتَعَايَا ، واستَعَيَا ، كلها بمعنى .

(١) انظر : أدب الكاتب ٣٩٩ ، وتصحيح الفصيح ٥٣ . .

(٢) المحكم : ٣٤١/٧ (أجن) .

(٣) ص : ٢٦٨

(٤) انظر : أدب الكاتب ٣٧٥ ، وتثقيف اللسان ١٧٩ ، وتصحيح التصحيف ١١٦ .

(٥) المحكم : ٩/٦ (غضض)

(٦) نفسه : ٦٥١/٣ (حزن) .

(٧) انظر : الفصيح ٢٦٨ ، وشرح ابن الجبان ١١٩

(٨) انظر : الإصلاح ٢٨٦ ، وأدب الكاتب ٣٤٧ والفصيح ٢٧٢ .

(٩) المحكم : ١٨١/١ (عرج) .

(١٠) انظر الفصيح : ٢٧٣ ، وتصحيح الفصيح : ١٢٦ ، وشرح ابن الجبان ١٣٤ .

ولم يقتصر توسع ابن سيده في مجال اللغات فحسب ، بل نجد هذا التوسع ظاهراً بوضوح عند ذكره للمصادر والصفات والجموع ، وهو توسع انفرد به المصنف عن غيره من اللغويين الآخرين ، حيث إننا لا نجد لهذا التوسع ذكراً أو أثراً عند أولئك المتشددين في تنقية اللغة ، ويكشف ابن سيده عن توسعه في هذا الجانب من خلال الآتي :

— ففي الفعل (رَضِعَ) يورِدُ المصادر التالية : رَضِعَ ، وَرَضِعَ ، وَرَضَاعٌ ، وَرِضَاعٌ ، وَرِضَاعَةٌ ، وَرِضَاعَةٌ^(١) .

— ويذكر أن من مصادر (سَخِنَ) : سَخُونَةٌ ، وَسَخَانَةٌ ، سُخْنَةٌ ، وَسُخْنًا ، وَسُخْنًا^(٢) .

— وفي قولهم : خَفَرْتُ الرَّجُلَ إِذَا حَفَظْتَهُ ، يذكر ابن سيده : الخِفَارَةَ والخِفَارَةَ ، والخِفَارَةَ ، باللغات الثلاث^(٣) ، والتي لا وجود لها عند المنقنين .

— وفي قولهم : حَمَدْتُ الرَّجُلَ ، يذكر : حَمَدًا ، وَحَمْدَةً ، وَمَحْمَدًا ، وَمَحْمَدًا ، وَمَحْمَدَةً ، وَمَحْمَدَةً ، بكسر الميم وفتحها^(٤) .

— وفي (عَضَّ) يَحْكِي : عَضُّ ، وَعَضِيضٌ ، وَعِضَاضٌ^(٥) .

كما أنه يُصَرِّحُ بذكره لكثير من الصفات ، التي لا وجود لها عند علماء التنقية ، نقتصر منها على مثالين :

(١) المحكم ٢٥٠/١ (رَضِعَ) .

(٢) نفسه : ٥٠/٥ (سَخِنَ) .

(٣) نفسه : ١٠٦/٥ (خَفَرَ) .

(٤) نفسه : ١٩٨/٣ (حَمَدَ) .

(٥) نفسه : ٢٧/١ (عَضَضَ) .

— ففي قولهم : غَدَرْتُ بالرجل ، يذكر من الصفات : غَادِرٌ ، وَغَدَارٌ ، وَغَدُورٌ^(١) .

— وفي قولهم : رَجُلٌ حَسُودٌ ، يذكر : حُسُودًا ، وَحُسُودًا ، وَحَسَدَةً^(٢) .

— كما أنه يُصْرِّحُ بذكره لبعض الجموع والتي سكت عنها علماء التنقية ، كقوله في جمع (الهدية) : هدايا ، وَهَدَاوِي ، وَهَدَوِي ، وَهَدَاوِي^(٣) .

ونخلص مما سبق إلى أن ابن سيده من المغاربة المتوسعين في لغات العرب ، وقد اتضح لنا هذا جلياً من خلال معجمه (المحكم) ، وهذه الحركة التوسعية والتي ضمنها المصنّف كتابه كانت رافداً قوياً من تلك الروافد التي أثرت الدرس اللغوي ، وأمدته بتلك الثروة اللغوية ، والتي حصرها البعض على غيرهم من اللغويين .

وثمة ملحوظة ، وهي : أن ابن سيده لم ينفرد وحده بصنيعه هذا بمعجمه المذكور ، وإنما شاركه بعض أصحاب المعاجم الأخرى ، والذين سلكوا ومن خلال ما تضمنته معاجمهم مسلك ابن سيده في إثباتهم لتوسع العرب في لغاتهم وذلك بما نقلوه عن الثقات من اللغويين ، كما هو الحال عند الصاغاني في تكملته على صحاح الجوهري ، وكما فعل الزبيدي أيضاً في تاج العروس ، وما تضمنته معجمه المذكور من تصريحه بكثير من اللغات التي رفضها المتشددون ، فأبان المصنّف عن صحتها ، وبرهن على فصاحتها ، مستشهداً بأقوال أئمة اللغة على صحة ما ذهب إليه ، وسيأتي الحديث عن هذين المعجمين في موضعها . إن شاء الله تعالى .

(١) المحكم : ٢٧١/٥ (غدر) .

(٢) نفسه : ١٢٧/٣ (حسد) .

(٣) نفسه : ٢٦٩/٤ (هدي) .

ثالثاً / ابن السيّد البطليوسي :

هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي توفي سنة ٥٢١ هـ^(١) . وهو أحد أرباب التوسع اللغوي ، وقد تمثل ذلك في كتابه (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب)^(٢) والذي تعقب فيه ابن قتيبة^(٣) في كتابه (أدب الكاتب) وهو كما يُقرّر (يوهان فك) قد احتضن مذهب الأصمعي في تنقية اللغة ، دون أن يعنى بمذاهب الثقافات الأخرين من علماء اللغة^(٤) .

فأنكر الشارح على ابن قتيبة تشدده ، ومنعه لكثير من اللغات المستعملة في كلام العرب ، والمروية عن أئمة اللغة الثقافات ، فنبّه إلى ما غلط فيه واضع الكتاب ، أو الناقلون عنه ، وما منعه المصنّف أو تشدد فيه ، وهو صوابٌ فصيحٌ في نظر الشارح . نختار من ذلك ما يخدم غرضنا المقصود ، وقد عمدنا إلى الإيجاز ما أمكن ذلك ، وهذه بعض الأمثلة والتي يتضح من خلالها تشدد بن قتيبة في منهجه اللغوي ، يقابلها توسع الشارح في لغات العرب ، وذلك من خلال تعقبه للأول ، والردود عليه ، والذي أفاد بدوره حركة التوسع في الدرس اللغوي ، فمن ذلك :

(١) ولد في بطليوس في سنة ٤٤٤ هـ وإليها ينسب إمام من أئمة النحر ، وعلم من أعلام اللغة والأدب وكان موسوعة علمية ، وصف بغزارة الحفظ وسعة الاطلاع ، وقوة التقصي ، والدقة في البسط والشرح ، والنقطة فيما قيّد وحفظ ، وضبط وروى ، عرف بوضوح النهج ، وسلامة المنطق ، واستقامة الحجّة ، أخذ في التعليم والتدريس ، كما أخذ في التأليف والتصنيف ، فله مصنفات ومؤلفات كثيرة ، توفي سنة ٥٢١ هـ ، انظر ترجمته في : إشارة التعيين ٦٨٠ ، وبقية الرعاة ٥٥١٢ ، ٥٦ ، ومقدمة محقق الكتاب ص ٥ وما بعدها .
(٢) حقيقه : مصطفى السقا ، وحامد عبدالمجيد .

(٣) سبق الحديث عنه وعن كتابه في مبحث (أعلام التنقية اللغوية) .

(٤) انظر : العربية (يوهان فك) ٩٩ .

— أنكر ابن قتيبة على من قال : أَخَذَهُ قَصْرًا ، فهو يرى أن الصواب أن يقال بالسين ، لا بالصاد^(١) . فَبَيَّنَ الشَّارِحُ إِلَى أَنْ مَا قَالَهُ الْمُصَنِّفُ هُوَ الْمَشْهُورُ ، إِلَّا أَنْ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ مَنْ حَاكَا اللَّغَتَيْنِ كَمَا فَعَلَ ابْنُ السَّكَيْتِ فِي الْإِصْلَاحِ^(٢) .

— أنكر ابن قتيبة على البعض قولهم : بَخَسْتُ عَيْنَهُ ، بالسين ، إذ إنه يرى أن البخس عنده بمعنى التَّقْصَانِ ، ومثلها قولهم : سَنَجَةَ الْمِيزَانَ ، وَالسَّمَاخَ ، وَبَسَقَ الرَّجُلُ ، فهو يرى أن هذه الألفاظ كلها يقال بالصاد ، ليس غير^(٣) . قلت : وقد وافق ابن قتيبة ما قرره يعقوب^(٤) ، وغيره من علماء التنقية ، بينما يُصْرِحُ الشَّارِحُ أَنَّهَا تَقَالُ بِالصَّادِ وَالسَّيْنِ ، حَاكِيًا ذَلِكَ عَنِ الْخَلِيلِ وَغَيْرِهِ^(٥) .

— منع ابن قتيبة قولهم : ثِيَابٌ جُدْدٌ ، بفتح الدال الأولى ، والصواب عنده ضمها^(٦) ، بينما يذكر الشارح أن أبا العباس المررد وغيره أجازوا في كل ما جمع من المضاعف على (فُعْلٌ) الضم والفتح ، لثقل التضعيف ، ثم يستشهد على مذهبه بقراءة بعض القراء^(٧) .

— أنكر المصنف على من قال : دَابَّةٌ فِيهَا قَمَاصٌ ؛ والصواب عنده كسر الصاد^(٨) ، فيُصْرِحُ الشَّارِحُ بِأَنَّ الضم والكسر جائزان ، حَاكِيًا ذَلِكَ عَنِ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ^(٩) .

(١) انظر : أدب الكاتب ٣٨٦ ، وانظر : الإصحاح ١٦٧ .

(٢) انظر : الانتصاب ١٩٦/٢ ، والإصحاح ٢١٧ .

(٣) أدب الكاتب ٣٨٧ .

(٤) انظر الإصحاح ١٨٤ ، وتقويم اللسان ٨٢ ، وتصحيح التصحيف ١٥١ .

(٥) انظر : الانتصاب ١٩٧/٢ ، وانظر العين ٢٠٣/٤ (بخس) .

(٦) انظر : أدب الكاتب ٣٩٤ .

(٧) انظر : الانتصاب ٢١٠/٢ .

(٨) انظر : أدب الكاتب ٣٩٦ .

(٩) انظر : الانتصاب ٢١٤/٢ .

— أنكر ابن قتيبة قولهم : ماءٌ مَالِحٌ^(١) ، والصواب عنده أن يقال : مَلِخٌ ، فيتعقبه الشارح موضحاً بأن ما حكاه ابن قتيبة وافق ما قاله يعقوب في الإصلاح ، وابن دريد في الجمهرة ، ورواه الرواة عن الأصمعي ، ويُنَبِّهُ إلى أن هذا هو المشهور من كلام العرب ، إلا أن قوله العامة لا يعد خطأً ، وإنما يجب أن يقال : إنها لغة قليلة^(٢) .

— أنكر ابن قتيبة أيضاً قولهم : هو الرُّسْتَاقُ ، بالسین والتاء ، ويرى أن الصواب : الرُّزَادَاقُ ، بالزاي والذال^(٣) . فذكر الشارح أن ما قاله ابن قتيبة قد سبقه إليه يعقوب في الإصلاح وأن ما أنكره صحيح ذكره غير واحد^(٤) .

— رفض المصنف قولهم : عَرَّ الظَّلِيمُ ، إذا صَوَّتْ ، والصواب عنده أن يقال : عَارٌّ ، بالألف^(٥) ، إلا أن الشارح يرى فصاحة ما أنكره المصنف بما حكاه أبو عبيد في الغريب المصنف عن أبي عمرو^(٦) .

— خطأ ابن قتيبة قولهم : سكرانٌ مُلْطَخٌ ، والصواب عنده أن يقال : مُلْتَخٌ ، أي لا يفهم شيئاً^(٧) . فيرد عليه الشارح بأن ما خطأه صواب فصيح ، حكاه يعقوب في الإصلاح^(٨) كما أضاف الشارح أيضاً لغة ثلاثة حاكياً إياها عن للحباني وهي (مُلْتَبِكٌ)^(٩) .

(١) انظر أدب الكاتب : ٤٠٤ .

(٢) انظر : الاقتضاب ٢/٢٢٣ .

(٣) انظر : أدب الكاتب ٤٠٨ .

(٤) انظر : الاقتضاب ٢/٢٢٧ .

(٥) انظر : أدب الكاتب ٤٠٨ .

(٦) انظر : الاقتضاب ٢/٢٢٨ ، واللسان (عرر)

(٧) انظر : لب للكاتب : ٤١٢ .

(٨) ص : ٣١٢ .

(٩) انظر الاقتضاب ٢/٢٣٠ .

— وأبي ابن قتيبة فتح الكاف في (كسرى) مُصرِّحاً بأنها بالكسر ليس غير ،
ويسرى الشارح أن الفتح والكسر فيه جائزان ، وإنما اختلفوا في المختار منهما ،
فتبَّه إلى أن أبي حاتم اختار الكسر ، بينما اختار المبرد الفتح (١) .

ولم يقتصر تعقب ابن السيد لا بن قتيبة في تشدده ، وإجازة ما منعه الأخير ،
وتفصيحه على أنه لغة من لغات العرب المروية عنهم وإنما تجاوز الشارح ذلك ،
فأضاف لغات عن العرب لم يرد لها ذكرٌ عند ابن قتيبة في كتابه المذكور ، ومن
ذلك :

— ينقل الشارح عن ابن قتيبة أنه ذكر لغات في (الشَّمَال) فأضاف ابن السيد
لغة سادسة ، هي (الشُّمُول) على وزن (رَسُول) ثم يستشهد لفصاحتها ببيت
للأخطل (٢) .

— أيضاً نقل الشارح عن المصنف أنه ذكر ثلاث لغات في (الأُبْلَمَة) فأضاف
الأول نقلاً عن ابن القطاع لغة رابعة ، أهلها الثاني وهي : (إبْلَمَة) بكسر
الهمزة وفتح اللام (٣) .

— وفي موضع آخر من (الاقتضاب) ينقل الشارح عن ابن قتيبة أيضاً أنه ذكر
أربع لغات في (العَضد والعَجَز) ، بفتح الأول وكسر الثاني ، ويرى أيضاً جواز
التخفيف في هذه اللغة ، ونقل الكسرة إلى الأول (٤) .

وهذا التوسع لدى ابن السيد أيضاً كشف عنه مؤلِّفه الموسوم (بمثلث ابن
السيد) وللكتاب حظ من عنوانه ، حيث أبان العنوان أن المؤلف اعتنى فيه

(١) انظر : الاقتضاب ٢/٢٣٧ .

(٢) نفسه ٢/٣٢١ .

(٣) انظر : الاقتضاب ٢/٣١٩ .

(٤) نفسه ٢/٣١٩ ، ٢٢٠ ، وانظر الاصلاح ١٨٨ ، وتنقيف اللسان ١٧٣ ، وأفعال المرقسطي ١/٢٢٠

بالألفاظ المثلثة ، وهي أعلى مراتب التوسع ، وفيه تتجلى أعظم صورته ، نلمح إلى شيء منها :

— حكى ابن السيد تثليث العين في الفعل (رَعْفٌ)^(١) .
كما حكى ثلاث لغات في الفعل (عَجَزَ) هي : عَجَزَ ، وَعَجَزَ ، بفتح الجيم وكسرها ، وصرَّح بلغة ثالثة . هي : نَعَجَزَ^(٢) .

— أيضاً حكى في مثله من أنه يقال : عَمَرْتُ المكان بالفتح ، وَعَمِرْتُ بالمكان ، بالكسر : أقمت ، وأضاف لغة ثالثة عن قطرب ، هي : عَمَّرَ المكان بالضم^(٣) .

— كما حكى أيضاً ثلاث لغات مصادر في الفعل (وَدَدَ) هي : وَدَادَ ، وَوَدَادَ ، وَوَدَادَ ، أي بتثليث الواو^(٤) .

ونخلص مما سبق إلى القول بأن هذا العالم اللغوي المغربي أفاد بتأصيله لكثير من اللغات والتي وقف المتشددون إزائها موقفين : إما التقليل من شأنها ونعتها بالرداءة أو الشذوذ ، أو القلة ، أو تصريحهم بتخطئتها ، وتلحين مستعملها ، فهذا العالم بصنيعه وتصريحه بفصاحة تلك اللغات وصوابها أضاف إلى هذا الموروث اللغوي ثروة لغوية أخرى أفادت منها حركة التوسع ، والذي أفاد بدوره في تنمية وازدهار وإثراء الدرس اللغوي .

(١) انظر المثلث ٣٠/٢ ، تحقيق صلاح الفرطوسي ، دار الرشيد للنشر ١٤٠١هـ —

(٢) المثلث : ٢٧٨/٢ .

(٣) نفسه : ٢٠٠/٢ .

(٤) نفسه : ٤٧١/٢ .

رابعاً / ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧ هـ) (١)

إذا كان ابن هشام اللخمي في شرحه للفصيح — وكما مرَّ بنا (٢) — من العلماء اللغويين المُتقنين ، فإنه في مؤلفه (المدخل إلى تقويم اللسان) يُغلبُ فيه النَّزعة التوسعية في إثباته لكثير من اللغات التي رفضها أئمة التنقية اللغوية ، أو حطَّوها ، أو حملوها على لغات العامة ، وكما فعل ابن السَّيد البطليوسي في تعقبه لابن قتيبة — وكما مرَّ بنا — فعل هذا ابن هشام اللخمي عند تعقبه لعالمين من علماء التنقية ، هما : الزُّبيدي في كتابه (لحن العامة) (٣) وابن مكِّي الصَّقَلِي في كتابه (تنقيف اللسان) (٤) فقام ابن هشام بتعقبهما والرَّد عليهما ، وأنكر تشدُّدهما في اللغة المروية عن العرب ، ويبدأ المؤلف كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان) بالرَّد على الزُّبيدي ، منكرًا عليه تشدده في توسع العرب في لغاتهم ، مستشهداً على صواب ما ذهب إليه بما حكاه أئمة اللغة المتوسعين ، فمن ذلك :

— أنكر الزبيدي على العامة قولهم : (بَلَّحَتْ وَغَصَصَتْ) ويرى أن الصواب كسر العين فيهما ، فيرد عليه ابن هشام من أنه حُكِيَ فيها الكسر والفتح ، وإن كان الكسر أفصح ، فإن الفتح — وكما يرى ابن هشام — لغة أيضاً ، وبما أنهما لغة فلا حجة لتلحين العامة فيها (٥) .

(١) سبق التعريف به في : ص ٢٩٨ من هذا البحث

(٢) انظر ص ٢٩٧ من هذا البحث .

(٣) سبق التعريف به وبكتابه في مبحث أعلام التنقية ص ٨٦ .

(٤) سبق التعريف به وبكتابه في مبحث أعلام التنقية ص ١٠٧ .

(٥) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٦ .

— كما أنكر الزبيدي على العامة قولهم : غَلَقْتُ الباب ، ويرى أنها لغة ضعيفة ،
والفصيح عنده أن يُقال ذلك بالألف . فَيَبِينُ الرَّادُّ أنها وإن كانت لغة رديئة ،
فلا يجب أن تُلْحَنَ فيها العامة ؛ لأنها من كلام العرب ، وإن قلت وضعفت (١) .

— كما أنكر الزبيدي على العامة قولهم : سَكْرَانَةٌ ، لأنهم يبنونها على (سَكْرَان)
ويرى أن الصواب أن يقال : سَكْرَى ، ثم يَحْكِي الزبيدي عن يعقوب أن قوماً
من بني أسد يقولون (سَكْرَانَةٌ) على لغة العامة . ويرى ابن هشام بعدم تلحين
العامة في قولهم هذا ؛ لأنهم نطقوا بها كما نطقت بها بعض قبائل العرب ،
فلا حجة هنا لتلحين العامة (٢) .

— ويُنكر الزبيدي على العامة أيضاً قولهم : خَيْرَانٌ ، والصواب عنده أن يقال :
خَيْرَانٌ ، بضم الزاي ، فَيُصْرِحُ الرَّادُّ بأن من اللغويين من حكاه باللغتين ، وعلى
هذا لا يرى أن في كلام العامة لحناً (٣) .

— أيضاً أنكر الزبيدي على العامة قولهم : لَطِخَ الرَّجُلُ بِشَرٍّ ، حيث إنه يرى أن
الصواب أن يقال : لَطِخَ ، بالحاء غير معجمه ، فيأتي رَدُّ ابن هشام بما حكاه
ابن سيده وغيره من اللغويين من صواب وفصاحة قول العامة ، ويُنبه ابن هشام
إلى أن ما حكاه أهل اللغة لا ينبغي أن يتجاهله الزبيدي (٤) .

وما تلك الأمثلة السابقة إلا غِيْضٌ من فيض أفاضها ابن هشام في كتابه سالف
الذكر ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إليها في مظانها (٥) .

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٢ .

(٢) نفسه ٣٥ .

(٣) نفسه : ٣٦ .

(٤) نفسه : ٣٧ .

(٥) انظر : ما جاء في الكتاب في الرد على الزبيدي في لحن العامة من ص ١١ - ٤٥ .

ولم يكتف ابن هشام في تعقبه للزبيدي فحسب ، وإنما فعل هذا الصنيع مع ابن مكّي الصقلي أيضاً ، فتعقبه وتولى الرّد عليه مُبيناً عدم توفيقه إلى ما ذهب إليه من إنكاره لكثير من لغات العامة ، فأبان ابن هشام في ردوده تلك عن سلامة لغة العامة ، والذي يعد من آثار توسع العرب في لغاتهم ، فأصلها مثبتاً صحة ما ذهبوا إليه ، ويتضح هذا فيما يلي :

— يُخَطِّي ابن مكّي قول العامة للسُداب^(١) : فَيَجَلُّ ، ويرى أن الصواب : فَيَحْنُ بالنون ، فيُصْرِّح ابن هشام اللخمي بصواب ما خطأه الأول ، وأنه يقال : باللام والنون ، حاكياً ذلك عن المطرز في شرحه^(٢) .

— أيضاً أنكر ابن مكّي على العامة قولهم : مَعَزَلٌ ، بفتح الزاي ، إذ يرى أن الصواب كسرهما ، فيُصْرِّح الرّاد بأن فيها ثلاث لغات ، حاكياً ذلك عن المطرز أيضاً^(٣) .

— كما يخطئ ابن مكّي قول العامة : حَزَّة السراويل ، ويرى أن الصواب : حُجْزَة ، فيُصْرِّح اللخمي بصواب قول العامة ، حاكياً ذلك عن ابن الأعرابي^(٤) .

— كما أنكر ابن مكّي على العامة قولهم : عليه طِلاوَة ، ويرى أن الصواب فتح الطاء وضمها ، فيُصْرِّح الرّاد بأن الطاء مثلثة ، فلا معنى لإنكاره على العامة^(٥) .

(١) جنس نباتات طبية ، انظر : المعجم الوسيط ٤٢٦/١ .

(٢) المدخل إلى تقويم اللسان : ٤٦ .

(٣) نفسه : ٤٧ .

(٤) نفسه : ٦٠ .

(٥) نفسه : ٥٣ .

— أيضاً أنكر ابن مكي على بعض العامة قولهم : دَيَّاج ، بفتح الدال ، ويرى أن الصواب كسرهما ، ويُصرِّح الرَّاد بأن الفتح في : ديوان ودياج لغة ، حاكياً إياها عن ابن دريد (١).

وإن كنا قد اقتصرنا على ذكر هذه النماذج على تشدد ابن مكي ، والذي يقابله توسع ابن هشام في لغات العرب ، فإن الكتاب حوى في ثناياه الكثير من مثل ما تقدم (٢) .

قلت : هذا فيما يتعلق بتعقب ابن هشام لهذين العالمين والمتشددين فيما يتعلق بتنقية اللغة ، وإلا فإن ابن هشام نراه يُصرِّح بالتوسع وممن أوسع أبوابه ، وذلك عندما يذكر أن في (البازي) (٣) ثلاث لغات ، ومثلها في (المنديل) (٤) وكذلك (السُّم) (٥) ، و(الأربعاء) (٦) ، اليوم من أيام الأسبوع ، ومثلها في (الجُبْن) (٧) أيضاً .

وحكى أربع لغات في (الفم) (٨) ومثلها في (النَّطْع) (٩) وكذلك في (الأضحية) (١٠) ومثلها في (المرأة) (١١) وكذلك في (الصَّدَاقِ) (١٢) ومثلها

(١) المدخل إلى تقويم اللسان : ٦٩ .

(٢) انظر ما جاء في الكتاب في الرد على ابن مكي في لحن العامة ، من ص ٤٦-٧١ .

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان : ٧٦ .

(٤) نفسه : ٧٩ .

(٥) نفسه : ٨٠ .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

(٧) نفسه : ٨١ .

(٨) نفسه : ٧٥ .

(٩) نفسه : ٧٧ .

(١٠) نفسه : ٧٩ .

(١١) نفس المرجع والصفحة .

(١٢) المدخل إلى تقويم اللسان ٨١ .

أيضاً في (اللص)^(١) . كما حكى خمس لغات في (الإضبارة)^(٢) ، وستاً في (الرغوة)^(٣) وكذلك في (العُضدِ والعُجْر)^(٤) ، ومثلها في (الخاتم)^(٥) ، وسبعاً في (العرْبون)^(٦) وتسعاً في (الأصبح ، والأئمّلة)^(٧) .

ولم يبق لنا إلا أن القول : بأن ما قام به ابن هشام اللخمي من فتح لأفاق التوسع في كتابه أنف الذكر ، بتوسعه فيما رواه عن أئمة اللغة الثقات فيما حكوه من لغات صحيحة فصيحة عن تلك القبائل العربية ، ما هو إلا إنارة أضواء آفاق التوسع في الدرس اللغوي ، في شتى جوانبه وبرهاناً على صدق من ذهب إلى القول : بأن كل من يتكلم بلغة من لغات العرب ، أو يقيس عليها ولو كانت نادرة أو رديئة ، فهو مصيبٌ ولا يخطأ ما دام ما استعمله له وجه في العربية يُجيزه^(٨) .

(١) المدخل إلى تقويم اللسان : ٩٧ .

(٢) نفسه : ١٠٢ .

(٣) نفسه : ٧٥ .

(٤) نفسه : ٩٤ .

(٥) نفسه : ٨٥ .

(٦) نفسه : ٨٣ .

(٧) نفسه : ٨٠ .

(٨) انظر : الخصائص ١٢/٢ .

خامساً / الصَّاعِغَانِي (١)

ومن آثار حركة التوسع في الدرس اللغوي أيضاً ما نصَّ عليه أحد اللغويين من إثباته لكثير من اللغات الفصيحة والتي أهملها أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (والمتوفى سنة ٣٩٥ هـ) (٢) فلم يضمنها معجمه الصحاح ؛ والحقُّ مع الجوهري في ذلك ؛ لأنه التزم في معجمه الصحيح واقتصر عليه ، ولهذا سَمَّى كتابه الصحاح (٣) .

إلا أن صاحب الصحاح لم يسلم من تعقب العلماء له ، فهذا الحسن بن محمد بن الحسن الصَّاعِغَانِي قد أَلَّف كتابه (التكملة والذيل والصلة) والذي تولى بجمع اللغة العربية في القاهرة تحقيقه ، جمع فيه المؤلف ما فات الجوهري في كتابه (الصَّحاح) ، وذَيَّل عليه ، وقال : إنه أخذ ذلك من نحو ألف كتاب ، من غريب الحديث واللغة والنحو ، وأخبار العرب (٤) ، وقد سار في ترتيب المواد اللغوية على حسب الحرف الأخير من الكلمة على نظام الباب والفصل ، كما فعل صاحب الصحاح نفسه ، وصاحب القاموس ، وتقع التكملة في ست مجلدات ، وفي ذيلها أسماء الكتب التي اعتمد عليها المؤلف في التأليف .

وليس هدفنا هنا توصيف الكتاب وأجزائه ، وإنما نهدف إلى إبراز ما تضمنه الكتاب من مئات الألفاظ الفصيحة ، والتي تعد حقلًا خصيباً في مجال إثراء

(١) هو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن إسماعيل ، ولد بمدينة لاهور سنة ٥٧٧ هـ ، له مصنفات جلية في اللغة ، طاف البلاد كالحجاز ، والهند واليمن والعراق . توفي ببغداد سنة ٦٠٥ هـ . انظر ترجمته في : إشارة التعيين : ٩٨ ، وبغية الوعاة : ٥١٩/١ ، ومعجم الأدباء ١٨٩/٩ - ١٩١ . ومعجم المؤلفين : ٣ / ٢٧٩ / ومقدمة المحقق ٧/١ ،

(٢) سبق الكلام عنه ، وعن كتابه الصحاح ص ١٠٢-١٠٩ من هذا البحث .

(٣) انظر : الزهر ٩٧/١ .

(٤) انظر مقدمة المحقق ٧/١ .

الدرس اللغوي ، وتوسيع آفاقه من خلال استخدام تلك اللغات التي ضمنها الصَّاغاني كتابه ، ونصَّ على فصاحتها نقلاً عن أئمة اللغة المتقدمين الثقات . والباحث هنا لن يقدم إحصاءً وافياً لما تضمنته تلك المجلدات الست من ألفاظ ، فليس هذا مجاله ، وإنما سأختار نماذج عشوائية يسيرة جداً من تلك الألفاظ الماثرة في مظانها من الكتاب ، والتي أثبت المؤلف فصاحتها بما حكاها عن متقدمي اللغويين ، فمن تلك الألفاظ :

(ل خ ت) : أهمله الجوهري كما صرَّح بذلك الصَّاغاني ، وحكى المصنّف عن اللَّيْث أن اللَّخْتَ بالفتح : العظيم الجسم ^(١) .

(ث ح ح) : نبه المؤلف إلى أن الجوهري قد أهمله ، وحكى عن اللَّيْث أيضاً أن الثُّخَّخَةَ : صوت فيه بحة عند اللهاة ^(٢) .

(ج ل ا) : نبه الصَّاغاني إلى أن الجوهري أهمله أيضاً ، وحكى عن أبي زيد جَلَأْتُ به الأرض ، أي : ضربت به ، مثل : جَلَأْتُ ، بالخاء . وجَلَأْتُ به : رَمَيْتُ به ^(٣) .

(ر ت أ) : ذكر المؤلف أن الجوهري أهمله ، وحكى عن أبي زيد رَتَأْتُ العَقْدَتَ ، بالهمز مثل رَتَوْتُهَا ^(٤) .

(هـ ب ز) : صرح المصنّف بأن الجوهري أهمله ، وحكى عن ابن زيد أيضاً : هَبَّزَ الرجل يَهْبِزُ هُبُوزاً : إذا مات ^(٥) .

(١) التكملة والذيل والصلة : ٣٣٨/١ ، تحقيق عبدالعليم الطحاوي .

(٢) نفسه : ١٣/٢ . تحقيق إبراهيم اسماعيل الأبياري .

(٣) نفسه : ١٢/١ .

(٤) نفسه : ٢٢/١ .

(٥) نفسه : ٣١١/٣ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(ك ر هـ ف) ذكر المؤلف أن الجوهري قد أهمله ، وحكى عن الأصمعي :
المُكْرَهْفُ من السَّحَابِ : الذي يغلظ ويركب بعضه بعضاً ، مثل المُكْفَهْرُ^(١) .

(ل ث د) : صرَّحَ المُصَنِّفُ بإهمال الجوهري له ، وحكى عن الأزهري : لَثَدْتُ
القَصْعَةَ بالثَّرِيدِ ، مثل : (رَثَدْتُ) إذا جمعت بعضه على بعض وسويته^(٢) .

(و د ر) : أهمله الجوهري كما صرَّحَ بذلك الصَّاعِغَانِي ، وحكى عن الأزهري
أنه يقال : وَدَّرَ وَجْهَكَ عَنِّي ، أي : نَحَّه وَبَعَّده^(٣) .

(ق ر ف ع) : ذكر المؤلف بأن الجوهري أهمله ، وحكى عن الأزهري أيضاً
أنه يقال : : تَقَرَّعَفَ ، وَتَقَرَّعَفَ : إذا تَقَبَّضَ^(٤) .

(ز خ ب) : أهمله الجوهري ، كما صرَّحَ بذلك المؤلف ، وحكى عن ابن
الأعرابي : أن الرُّجْبَاءَ الناقاة الصُّلْبَةَ على السِّرِّ^(٥) .

(ط ع ب) : صرَّحَ الصاعغانِي بأنَّ الجوهري قد أهمله ، وحكى عن ابن الأعرابي
أنه يقال : ما به من الطُّعْبِ ، أي ما به من اللذة والطُّيْبِ^(٦) .

(ر م ش) : نسه المؤلف إلى أن الجوهري قد أهمله ، وحكى عن ابن الأعرابي
أيضاً : أَرْمَشَ الشَّجَرُ وَأَرْمَشَ ، إذا أورق وتقطر^(٧) .

(١) نفسه : ٥٥٦/٤ . تحقيق عبدالعليم الطحاري .

(٢) التكملة والذيل والصلة : ٣٣٦/٢ .

(٣) نفسه : ٢٤٣/٣ .

(٤) نفسه ٣٢٧/٤ ..

(٥) نفسه : ١٤٨/١ .

(٦) نفسه : ١٩٤/١ .

(٧) نفسه : ٤٨٢/٣ .

(ح ث ل ب) : ذكر المصنف أن الجوهري أهمله ، وحكى عن ابن دريد أن الخُتْلَبَ ، بالكسر عَكَرُ الدُّهْنِ أو السَّمْنِ في بعض اللغات (١) .

(ق ن ف خ) : صرح المؤلف بإهمال الجوهري له ، وحكى عن ابن دريد أيضاً أن القَنْفَخَ : ضرب من النبت فيما زَعَمُوا (٢) .

(ع د ه ر) : نبه الصاغاني إلى أن الجوهري قد أهمله ، وحكى عن ابن دريد أيضاً أن العَيْدَهُوْرَ : النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ (٣) .

(ع ك ص) : أهمله الجوهري كما صرَّح بذلك المصنف ، وحكى عن ابن دريد أيضاً : عَكَصْتُ الشَّيْءَ أَعْكَصُهُ عَكْصاً : إِذَا رَدَدْتَهُ ، وَعَكَصْتُ الرَّجُلَ عَنْ حَاجَتِهِ : رَدَدْتَهُ عَنْهَا (٤) .

وبعد : فما تلك الألفاظ اليسيرة المختارة من مئات الألفاظ التي ضمناها الصاغاني تكملته على الصحاح ، التي صرَّح بفصاحتها ، إلا رافداً خصيباً من تلك الروافد التي كان لها أثرها الإيجابي على الدرس اللغوي ، من خلال إثرائه بتلك اللغات الفصيحة الاستعمال ، وإمداده بهذا الإرث العظيم وتوسيع آفاقه أمام اللغويين والدارسين على السواء .

(١) نفسه : ٩٧/١ .

(٢) التكملة والذيل والصلة : ١٧٠/٢ .

(٣) نفسه : ٢٠/٣ .

(٤) نفسه : ٢٢/٤ .

سادساً / أبو الفتح البعلبي

(محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلبي الحنبلي المتوفى سنة ٧٠٩ هـ)^(١) وهو أحد المتأثرين بحركة التوسع اللغوي ، ومن المؤثرين فيه أيضاً ، وقد انعكس هذا التأثير بدوره على تنمية وازدهار حركة الدرس اللغوي ، وقد تمثل ذلك في كتابه (زوائد ثلاثيات الأفعال)^(٢) والذي صرح فيه بأنه استدراك على ما فات شيخه بن مالك من زوائد ثلاثيات الأفعال ، المَقُولُ فيها (أَفْعَلُ أو أَفْعَلُ) قد أغفلها شيخه ، وثبته البعلبي أنه جمع ذلك بتبعية كتب اللغة ، لا على وجه الحصر ، وكان ترتيبه لها تبعاً لشيخه ابن مالك^(٣) .

ويعطالعي لتلك الزوائد والإضافات لفت نظري تأثر البعلبي بجماعة من أئمة اللغة المتوسعين ، حيث جاءت أكثر زياداته بما نقله عن أبي عثمان السُّرْقُسطي ، والذي سبق الحديث عنه .

فنقل عنه البعلبي في مواضع متفرقة من كتابه (الأفعال) وقد صرح المؤلف بهذه الزيادات من كتاب الأفعال ، نذكر منها :

— يذكر البعلبي أن : بَلَّتَ الشَّيْءَ : قطعته ، ويُصْرِحُ بأنه أخذها عن أبي عثمان السُّرْقُسطي^(٤) .

— يحكي عن أبي عثمان أيضاً أن : تَبَيَّنَتُ الشَّيْءَ ، بمعنى حملته في ثياب بين يديك ، أي في وعاء^(٥) .

(١) انظر : ترجمته في بقية الرعاية ٢٠٧/١ ، ٢٠٨ ، وكشف الظنون ١٨١٠ ، والأعلام للزركلي ٢١٨/٧ .

(٢) حققه الأستاذ الدكتور سليمان العايد ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية .

(٣) انظر : ثلاثيات الأفعال ٩٥ .

(٤) نفسه : ٩٨ .

(٥) نفسه : ١٠٠ .

— ويذكر أن جَهْدَهُ المرضُ ، إذا بلغ به المشقة ، والفرس استخرجت جَهْدَهُ ،
وَيُصْرَحُ بأن ذلك عن أبي عثمان (١) .

— ويحكى أيضاً أن : جَزَى الشيء عنك : إذا قام مقامك ، وقد يهمز عن أبي
عثمان (٢) .

— وينقل عن أبي عثمان أيضاً قوله : وَدَهَقْتُ الماءَ : إذا أفرغته إفرغاً شديداً (٣) .

— كما يحكى عن أبي عثمان قوله : سَتَوْتُ الماءَ سَتَوْاً ، وَسِنَايَةً ، وَسِنَاوَةً ، إذا
استخرجته من البئر (٤) .

— أيضاً ينقل عن أبي عثمان قوله : فَرَعَ الشيءَ فَرَاعَةً ، بمعنى طال (٥) .

— نقل عن ابن سيده قوله تَعَّ تَعًّا ، بمعنى : قاء . وَيُنْبَهَى إلى أنها بالمعجمه (الغين)
عن أبي عثمان (٦) .

وما هذه إلا نماذج مختصرة ، وإلا فالكتاب تضمن الكثير من مثل هذه النقول
عن أبي عثمان السَّرْقُسْطِي (٧) .

وكما تأثر أبو الفتح البعلبي بتوسعه في زوائده بأبي عثمان السَّرْقُسْطِي ، فإنه
قد تأثر أيضاً بأبي جعفر اللبلي ، صاحب كتاب (تحفة المجد الصريح في شرح

(١) ثلاثيات الأفعال : ١٠٢ .

(٢) نفسه : ١٠٣ .

(٣) نفسه : ١٠٩ .

(٤) نفسه : ١١٧ .

(٥) نفسه : ١٣٠ .

(٦) نفسه : ١٠٠ .

(٧) انظر الصفحات : ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٠ ،

١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ - ١٤٦ .

كتاب الفصيح) فضمن البعلبي زوائده نقولاً كثيرة عن صاحب التحفة ، نذكر منها :

— يذكر البعلبي أن : أَثَرْتُ فَلَانًا عَلَيْكَ لُغَةً فِي أَثَرْتُهُ ، حَاكِيًا إِيَّاهَا عَنِ اللَّبْلِيِّ فِي شَرْحِهِ لِكِتَابِ الْفَصِيحِ (١) .

— وفي موضع آخر من كتابه يذكر البعلبي أن اللبلي نقل عن مكّي قوله ذَهَبْتُ بِالرَّجُلِ (٢) .

— أيضاً ذكر البعلبي أن اللبلي حكى في شرحه عن اليزيدي قولهم : شَمَلَهُمُ الْأَمْرُ (٣) .

قلت : وهذه اللغة لا ذكر لها عند أصحاب التنقية (٤) .

— كما نقل المؤلف عن اللبلي قوله : وَصَفَدْتُهُ : أَعْطَيْتَهُ ، وَيَنْبَغُ إِلَى أَنْ الْأَخِيرُ قَدْ حَكَاهَا عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ (٥) .

— ونقل أيضاً عن اللبلي في شرحه للفصيح ، قوله : ظَمِيَءُ الْفَرَسُ : إِذَا ذَبَلَ وَتَضَمَّرَ (٦) .

— ويبنه المؤلف أيضاً أن : عَقَدْتُ الْعَسَلَ لُغَةً فِي أَعْقَدْتَهُ ، وَيُصْرِّحُ بِأَنَّ اللَّبْلِيَّ حَكَاهَا فِي شَرْحِهِ لِلْفَصِيحِ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أُمَّةِ اللُّغَةِ (٧) .

(١) ثلاثيات الأفعال : ٩٧ .

(٢) نفسه : ١١١ .

(٣) نفسه : ١١٩ ، وانظر الإصلاح ٢١١ ، وأدب الكاتب ٤٢١ ، وأفعال السَّرْقُسْطِيِّ ٣٤٥/٢ .

(٤) انظر : الإصلاح : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، وفعلت وأفعل للرجاج : ٩٤ ، وتنقيف اللسان ٤٢٠ .

(٥) ثلاثيات الأفعال : ١٢١ .

(٦) نفسه : ١٢٥ .

(٧) نفسه : ١٢٦ .

وينقل المؤلف عن اللبلي أيضاً قوله : عامٌ إلى اللبني ، إذا اشتهاه ، ويُنْبَه إلى أن الأخير حكاهما في شرحه للفصيح عن ابن خالويه وابن طلحة (١) .

وثمة نقول أخرى جاءت مبثوثة في ثنايا الكتاب (٢) .

بقي أن أقول : إن تأثر أبي الفتح البعلبي في مذهبه في التوسع لم يكن محصوراً على هذين العالمين (السرقسطي واللبلي) فحسب ، وإنما وجدناه في زوائده أيضاً ينقل عن لغويين آخرين فقد أكثر النقل عن ابن سيده في كتابيه (المحكم والمختص) (٣) كما أكثر النقل أيضاً عن أبي القاسم بن القطاع في (أفعاله) (٤) .

وخلاصة القول : أن أبا الفتح خرَّج بهذه الحصيلة اللغوية ، والتي تتبعها في كتب اللغويين ، فكانت استداركاً على ما فات شيخه في كتابه (ثلاثيات الأفعال) وهذه الزوائد البعلبية كانت حقلاً خصيباً ورافداً معيناً من روافد زيادة الثروة اللغوية وتنميتها ، وبالتالي أفاد منها الدرس اللغوي على مختلف مستوياته اللغوية .

(١) ثلاثيات الأفعال : ١٢٨ .

(٢) انظر الصفحات : ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ .

(٣) انظر الصفحات : ٩٧ - ١١٠ ، ١١٣ - ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ - ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ -

١٤٣ .

(٤) انظر الصفحات : ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ،

١٣٣ ، ١٤٥ .

سابعاً / شهاب الدين الخفاجي

أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ (١) .
وضع هذا العالم شرحاً على كتاب (دُرَّةُ الغواص) (٢) للحريري نبه من
خلاله إلى الكثير من الألفاظ والاستعمالات التي أنكرها أو خطأها صاحب الدرّة ،
وعدّها من الأوهام ، فأبان الشارح في تعقبه للحريري إلى أن الكثير مما خطأه
المصنف فصيح صحيح لا خطأ فيه . وليس المقام هنا مقام إحصاء لكل ما منعه
الحريري ، وأجازه الخفاجي ، وإنما سأكتفي بذكر إيجازٍ لأمثلة مختارة يتضح من
حلالها المقصود ، فمن ذلك :

— أنكر الحريري على من قال للمريض : مسح الله ما بك ، بالسین ، ويرى أن
الصواب أن يقال : مسح بالصاد ، فيرد عليه الشارح مبيناً أن ما أنكره الأول
ليس بمنكر ، بل قال به غير واحد من اللغويين ، فينقل صواب ذلك عن ابن برّي ،
ويعزز ما ذهب إليه بما حكاه الهروي في (الغريين) وموافقة ابن برّي له فيما
ذهب إليه ، كما حكى الصاغاني اللغتين جميعاً ، مع تصريحه بأن الصاد أعلى (٣) .

— كما خطأ الحريري قولهم : المَشُورَة ، على بناء مَفْعَلَة ، إذ إن الصواب عنده أن
يقال : مَشُورَة على زنة : مَثُوبَة ومَعُونَة ، ويُخطيء الشارح ما قرره المصنّف ،
مُنسبها إلى أن ضم الشين في مَشُورَة ومَثُوبَة هو القياس ، إلا أنه قد حكى أهل
اللغة فيهما الإسكان تنبيهاً على الأصل وإن شذ ، وإن العرب نطقت بها (٤) .

(١) انظر ترجمته في : دائرة المعارف للبستاني ٤١١/٧ ، وبسلافة العصر ٤٢٠ - ٤٢٧ ، وانظر : تاريخ

آداب اللغة العربية لمرحى زيدان ٢٨٧/٣ .

(٢) حققه عبدالحفيظ فرغلي القرني ، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة .

(٣) شرح دُرَّةُ الغواص : ١٠٢ .

(٤) نفسه : ١٣١ .

قلت : وجاء في العين ٢٨١/٦ " والمَشَوْرَةُ مَفْعَلَةٌ أُشْتَقَّ من الإشارة . ويقال : مَشَوْرَةٌ " واللغتان في اللسان والتاج ^(١) .

— كما أنكر المصنّف أيضاً قولهم : فلان أشرُّ من فلان ، إذ يرى أن الصواب أن يقال بغير ألف . فيرد عليه الشارح بأن ما أنكره ورد في الكلام الفصيح كثيراً ، وإن كان بغير الألف أكثر ، ويُصرِّح الخفاجي إلى أنه ورد نثراً في أحاديث وقع بعضها في (صحيح البخاري) ويَعْبُذُ ما ذهب إليه بما نقله عن أحد اللغويين من أن ما أنكره الحريري صحيح فصيح ^(٢) .

— أيضاً أنكر الحريري على من قال : هو قرابتي ، والصواب عنده أن يقال : هو ذو قرابتي ، مستشهداً على ما ذهب إليه بيت من الشعر . بينما يُصرِّح الشارح أن ما أنكره المصنّف صحيح فصيح ، وشائع نظماً ونثراً مستدلاً بأن ذلك جاء في كلام أفصح الخلق صلى الله عليه وسلم ، وذكر الشاهد من الحديث ، وعَضَّد صحة ما ذهب إليه بما حكاه الرمخشري في (الأساس) : هو قريسي وقرابتي ... " ^(٣) .

— وفي موضوع آخر من الكتاب يُلحَّن الحريري من قال : هو سَدَاذٌ من عَوَز ، بفتح السين ، إذ الصواب عنده كسرهما ، فيرد عليه الشارح بما نقله عن بعض أئمة اللغة ، كابن السكيت في الإصلاح والذي ذكر اللغتين مساوياً بينهما ، ومثله ابن قتيبة في أدب الكاتب ، والجوهري في الصحاح ^(٤) .

(١) اللسان ، والتاج (شور)

(٢) شرح درة الغواص : ١٨٧ .

(٣) نفسه : ٢٤٩ ، وانظر الأساس (قرب) .

(٤) نفسه : ٤٠٧ ، وانظر : الإصلاح ١٠٤ ، وأدب الكاتب ٤٢٣ ، والصحاح (سدد) .

— وَيَعُدُّ الحَرِيرِي مِنَ الأوهام قولهم لمن أصابته الجنابة : قد جُنِبَ ، والصواب عنده أن يقال : أُجِنِبَ . فَيَبِّهُ الشارح أنه يقال باللغتين جميعاً ، مستدلاً على ما ذهب إليه بما ذكره الزمخشري في كتابه (الفائق في غريب الحديث) وقد حكاه عن أبي حاتم السجستاني (١) .

— وفي موضع آخر من الكتاب ينكر الحريري على من قال : طَرَّ شَارِبُهُ ، بضم الطاء ، لمن نبت شَارِبُهُ ، فالصواب عنده أن يقال : طَرَّ ، بفتح الطاء ، بينما يرى الشارح أن ما أنكره الأول غير مُنَكَّرٍ ، مستدلاً على ذلك بما حكاه الصاغاني في كتابه (العبابُ الزانحة في اللغة) من أنه يقال : طَرَّ بالضم ، في طَرَّ الشارب ، لغة فيه أيضاً (٢) .

— وفي موضع آخر أيضاً يرفض الحريري قول بعضهم : دابة لا تُرْدِفُ ، ووجه الصواب عنده أن يقال : لا ترادف ، أي : لا تقبل المرادفة ، ويرى الشارح أن هذا مما أساء فيه المُصَنِّفُ ؛ لأن ما أنكره أثبتته غيره وسمع ، وينقل عن الزمخشري في (الأساس) ذكره للغتين جميعاً ، ومثله فعل صاحب القاموس ، وإن قلل الأخير من شأن اللغة الأولى (تُرْدِفُ) (٣) . قلت : ذكر اللغتين صاحب العين (٢٣/٨) (ردف) ، كما حكى اللغتين أيضاً ابن هشام اللخمي في شرحه للفصيح ، ومثله فعل السَّرْقُسْطِي في الأفعال (٤) .

— وخطأ الحريري من قال : قد كَثُرَتْ عَيْلَةُ فلانٍ ، بمعنى : عياله ، ذاهباً في ذلك إلى أن العَيْلَةَ بمعنى الفقر ، مستشهداً على ذلك بآية من الذكر الحكيم ،

(١) شرح درة الغواص : ٤٤٧ .

(٢) شرح درة الغواص : ٤٧١ .

(٣) نفسه : ٥٥٨ ، وانظر : الأساس ٢٢٨ ، والقاموس (ردف) .

(٤) انظر شرح ابن هشام اللخمي ٢٨٨ ، وأفعال السرقسطي ١٥/٣ .

والصواب عنده أن يقال : عِيَاله جمع (عَيْل) فيتعقبه الخفاجي بقوله : " والمُخْطِي هو المُخْطِيء " مصرحاً بأنه ورد في هذا المعنى في الكلام الفصيح ، فهو — في نظره — عربي صحيح ، مستشهداً على ما ذهب إليه بحديث رواه ابن الأثير في (أسد الغابة) ، وما حكاه الأزهري في (التهذيب) : " طالت عَيْلتي إياك ، أي طالما عَلَّتْكَ " (١) .

— ونحتم — هنا — بما عدّه الحريري من الأوهام ، وهو قوطم في جمع مِرآة : مرايا ، حيث إنه يرى أن الصواب : مِرَاءٍ ، علي وزن مِرَاعٍ ، وينبه إلى أن مرايا جمع ناقة مَرِيٍّ وهي التي تدر إذا مَرِيَّ ضَرَعُهَا . فيتعقبه الشارح مصرحاً بأن ما ذكره المصنف غير صحيح رواية ودراية مستشهداً بما حكاه ابن بري عن ثعلب في الفصيح من أنه يقال : هذه ثلاث مِرَاءٍ فإذا كثرت فهي المرايا ، ويعضد ذلك بما حكاه جماعة من أئمة اللغة الثقات كابن السكيت وابن قتيبة وغيرهم . (٢)

(١) شرح درة الغواص : ٥٦٨ .

(٢) نفسه : ٥٩٥ .

ثامناً / الزبيدي^(١) :

ومن الآثار التوسعية في الدرس اللغوي أيضاً ، ما تضمنته تلك المعاجم اللغوية من إثباتها لكثير من الألفاظ الصحيحة الفصيحة ، التي منعها المتشددون والذين صرحوا بخطئها ، أو رداؤها ، أو حملها على لغة العامة ، كما هو الحال عند ابن سيده الأندلسي وتوسعه في معجمه وقد مرّ بنا ذلك . وهذا السيد محمد مرتضى الزبيدي في معجمه (تاج العروس)^(٢) أيضاً يُفصِّح كثيراً من الألفاظ التي منعها آخرون ، حاكياً ذلك عن أئمة اللغات الثقات . ويُمثل مصنّفه المذكور توسع العرب في كلامها ، تَتَخَيَّرُ منه ما نحسبه موضعاً للمقصود :

— ينقل الزبيدي عن أبي جعفر اللبلي في شرحه للفصيح أنه حكى : تَثَابَ ، بتشديد الهمزة ، على تَفَعَّلَ نقلاً عن صاحب المُبْرَزِ^(٣) ، بينما اقتصر أصحاب التنقية على لغة العلو والفصاحة : تَثَاءَبَ^(٤) .

— وفي قولهم : رَدُوْا فلانٌ : إذا صار رديئاً ، حكى الزبيدي فيه تثليث الدال عن ثعلب^(٥) .

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق الشهير بمرتضى الحسيني الخنفي الواسطي الزبيدي ، نزيل مصر ، ولد سنة ١١٤٥ هـ . تلقى العلم على أكثر من ثلاث مئة شيخ حسبما ذكر ، اشتغل بطلب العلم على علماء الهند ، دخل اليمن وأقام بزييد مدة طويلة ، حتى قيل له الزبيدي ، واشتهر بذلك ، وأجازته مشائخ المذاهب الأربعة ، توفي سنة ١٢٠٥ هـ . ترجمته في : كشف الظنون ٣٤٨/٦ ، تاريخ الجبرتي ١٩٦/٢ - ٢١٠ ، الأعلام للزركلي : ٧٠/٧ ، وانظر مقدمة المحقق ٢٨/١ .

(٢) حققه علي شيري ، دار الفكر ، بيروت .

(٣) التاج (ثاب) .

(٤) انظر : الإصلاح ١٤٨ ، وتقوم اللسان ٨٥ ، وتصحيح التصحيف ١٨٠ .

(٥) التاج (ردا) .

— وفي قولهم : قَدَرْتُ عَلَى الشَّيْءِ : إذا قويت عليه ، يذكر الزبيدي إلى جانب اللغة الفصيحة المقدمة من أنه يقال : قَدَرْتُ ، بكسر الدال ، وتبّه إلى أن ابن القطاع نسبها لبني مُرَّة من غطفان ، وأن الصَّاعاني قد نقلها عن ثعلب أيضاً^(١) . قلت : وهذه اللغة قد ذكرها ابن السكيت في الإصلاح أيضاً^(٢) .

— وفي قولهم : وَجَدْتُ عَلَى الرَّجُلِ مَوْجِدَةً ، إذا غَضِبْتُ عَلَيْهِ ، نجد أن الزبيدي ينقل عن الفَرَّازِ فِي الْجَامِعِ وَابْنِ التِّيَّانِي فِي الْمَوْعِبِ أَنَّهُمَا حَكَى عَنِ الْفَرَّاءِ قَوْلَهُ : " سَمِعْتُ بَعْضَهُمْ يَقُولُ : قَدْ وَجَدَ ، بكسر الجيم ، إذا غضب ، والأكثر فتحها^(٣) .

— وفي قولهم : غَارَ الرَّجُلُ يَغُورُ غَوْرًا : إذا أخذ نحو الغور ، يذكر الزبيدي — بالإضافة إلى اللغة الفصيحة المقدمة — لغة أخرى ، هي : أغار بالألف ، حاكياً ذلك عن الفراء^(٤) .

— وفي قولهم : زَرِدْتُ اللَّقْمَةَ أَزْرِدُهَا ، حكى الزبيدي : ازْدَرَدَهَا ، وَتَرَرَدَهَا ، وَزَرَدَهَا ، وَصَرَّحَ بِأَنَّهُ نَقَلَ عَنِ شَرَّاحِ الْفَصِيحِ قَوْلَهُمْ : ازْدَارَهَا ، بمعنى : ازْدَرَدَ ، ونبه إلى غرابتها^(٥) .

قلت : ولم أجد في شروح الفصيح هذه اللغة ، إلا ما تفرَّد به أبو جعفر اللبلي بما نقله عن أبي عمر المطرِّز^(٦) .

(١) التاج (قدر) .

(٢) انظر الإصلاح ٢١٢ ، وأفعال ابن القطاع ٤٠/٣ .

(٣) التاج (وجد) .

(٤) التاج (غور) وانظر الإصلاح ٢٤٠ .

(٥) التاج (زرد) وانظر : تحفة المجد الصريح ١٤٦ .

(٦) انظر : تحفة المجد الصريح ١٤٧ .

— وجاء في الفصحح : ولي في بني فلان بُغْيَةٌ^(١) ، وأضاف الزبيدي إلى لغة الفصحح لغة أخرى ، هي بُغْيَةٌ بضم الباء^(٢) .

وكما توسع الزبيدي في الأفعال ، فقد توسع في الأسماء أيضاً نورد من ذلك ما يلي :

ذكر المُصنّف أن (القُرَّ) بالضم ، اليرد عامة ، وقد يُخصص بالشتاء خاصة ، ونقل عن بعضهم أن ابن قتيبة حكى فيه تثليث القاف ، ونبه إلى أن الفتح حكاة اللحياني في نواتره^(٣) .

— اقتصر أصحاب التنقية اللغوية على : (الكُوسَجُ)^(٤) ، بفتح القاف ، فهذه اللغة العالية الفصيحة^(٥) ، بينما أضاف الزبيدي لغة أخرى ، هي : (كُوسَج) بضم الكاف ، حاكياً ذلك عن الفراء ، وصرّح بأن ابن هشام اللخمي زاد لغة ثالثة ، هي : كُوسُج ، بضم السين أيضاً ، وقد نبه المصنف إلى غرابتها^(٦) .

— كما صرّح المصنف أيضاً بأن (الفِكرَ) بكسر الفاء وفتحها : أعمال النظر^(٧) ، فهو يثبت هنا لغتين .

(١) ص : ٢٩٤ .

(٢) التاج (بغى) .

(٣) التاج (قرر) .

(٤) فارسي مُعَرَّب ، وهو الرجل السَّنَاط ، أي صغير اللحية ، انظر : اللسان (كسج) .

(٥) انظر ما نقل في العامة ١٢٢ ، والإصلاح : ١٦٢ ، وأدب الكاتب : ٣٩٣ ، وتثقيف اللسان : ١٢٩ ،

وتصحیح التصحيف : ٤٤٦ .

(٦) التاج (كسج) .

(٧) التاج (فكر) .

— ونقل الزبيدي عن أبي جعفر اللبلي ما حكاه الأخير عن أبي طلحة من أن :
الكَلُوب ، بضم الكاف ، لغة في (الكَلُوب)^(١) ، فحكى — بالإضافة إلى لغة
الفصيح — لغة أخرى .

— وحكى الزبيدي أيضاً أن : الأَبُّ بالتشديد لغة في الأَبِّ بالتخفيف^(٢) ، وأنَّ :
الأخَّ والأخَّة ، لغة في الأخ ، والأخت ، حاكياً ذلك عن ابن الكلبي^(٣) .

— ولم يقتصر توسع الزبيدي على الأفعال والأسماء فحسب ، بل نجده يتوسع
أيضاً بذكره لكثير من المصادر ، والصفات. نلمح إلى شيء منها فيما نقله في
معجمه التاج .

— يذكر المصنف أن : الوُقُود ، يقال بلغتین : بضم الواو وفتحها ، ونَبَّه إلى أنَّ
الأخيرة عن سيويه ، ويضيف : وهو مصدر وَقَدَتِ النَّارُ : إذا اشتعلت ، ويذكر
أنَّ من مصادرهِ أيضاً : قِدَّةٌ ، ووُقُوداً ، ووُقْدَةٌ ، بضم الواو فيها ، ووَقْدَاناً ،
ووَقِيداً ، ووَقْدَأً^(٤) .

— وفي قولهم : سَحَّتِ الشَّاةُ والبَقْرَةُ تَسْحُحُ : إذا سمنت ، يذكر الزبيدي : سَحاً
وسُحُوحاً ، وسُحُوحَةً ، وينبه إلى أن هذه المصادر الثلاث حكاهما أبو حنيفة عن
أبي زيد^(٥) .

— وحكى الزبيدي أنه يقال : جاء أخْرَةً وبأخْرَةً ، مُحْرَكَيْنِ ، وقد يُضم أولهما ،
وصرَّحَ بأنَّ لغة الضم عن اللحياني ، وأضاف : ويقال : لَقِيْتُهُ أخيراً ، وجاء أخْراً

(١) التاج (كلب) .

(٢) انظر : التاج (أب) .

(٣) التاج (أخ)

(٤) التاج (وقد) .

(٥) التاج (سحح) .

بضمتين ، وأخيراً ، وإخرياً بكسرتين ، وإخرياً ، بكسر فسكون ، وإخرياً ،
وبأخرياً بالمد فيها ، أي آخر كل شيء (١) .

كما توسع المصنف في ذكره لكثير من الصفات ، نختار منها على سبيل
الإيجاز :

— ففي قولهم : استَعْدَيْتُ المكان ، وقد عَدَيْ : أي بَعَدَ ، يذكر الزبيدي من
هذه الصفات : عَدِيًّا ، وَعَدِيًّا ، وَعَدِيًّا ، وَعَدَاً (٢) .

— وفي موضع آخر من المعجم وفي قولهم : صَبَرَ الرَّجُلُ يَصْبِرُ ، يحكي المصنف :
صَابِرًا وَصَبَّارًا وَصَبِيرًا وَصَبُورًا ، وينبه أنه يقال للأنتى صَبُورٌ أيضاً بغير هاء (٣) .

ومما سبق اتضح لنا بجلاء توسع الزبيدي في مصنفه المذكور وذلك عن طريق
إثباته لكثير من الألفاظ التي حصرها أو منعها آخرون ، بحجة عدم فصاحتها ،
فبرهن على فصاحتها بإسنادها إلى أئمة اللغة الثقات ، وهو بعمله هذا قد أضاف
إلى الدرس اللغوي ثروة لغوية فصيحة أخرى أكسبته تعبيرات جديدة ، ومفردات
كثيرة ، ودلالات متنوعة .

(١) التاج (آخر) .

(٢) التاج (عدا) .

(٣) التاج (صر) .

تاسعاً / ومن آثار حركة التوسع على الدرس اللغوي — أيضاً — تقليل الفروق بين اللهجات العامية والعربية الفصحى ، وذلك بمحاولة تأصيل تلك اللهجات وردها إلى الفصحى ، لتقويم الانحرافات التي لحقتها على مرّ الزمن ، فتقابلنا العديد من الكلمات ، والتي نظن لأول وهلة أنها دخيلة على لغتنا أو أنها من لغات العامة الخاطئة ، أو أنها مما يَلْحَنُ به البعض ، فمثلاً : نسمع كلمة (أَيَّوَه) والتي تكون بمعنى : نعم ، معتقدين أنها عامية أو دخيلة ، بينما هي في الواقع عبارة عن كلمة (أي) بفتح الهمزة أو كسرهما ، وهي عربية أصيلة معناها : نعم ، الصبقت بها واو القسم ، ثم سُكِّتَ عن المقسم به اختصاراً ، وكان أصلها : أي والله ، ثم سكت عن لفظ الجلالة (١) .

وذكر شهاب الدين الخفاجي في (شفاء الغليل) أن الزمخشري قال في كشفه : " سمعتهم في التصديق يقولون : (أَيَّوَّ) فيفصلونه بواو القسم ، ولا ينطقون به وحده ، ثم قال الخفاجي : " والناس تزيد عليه (هاء السكت) فليس غلطاً كما يتوهم " (٢) .

وكلمة أخرى يظن الكثيرون أنها من التراكم اللغوي الغريب في اللهجات العامية ، وهي الفعل (خَشَّ) بمعنى : دخل ، فاللفظ فصيح لا غبار عليه ، يقال : خَشَّ في الشيء أي : دخل فيه ، وخَشَّ الرَّجُلُ في القوم ، وأخَشَّ فيهم ، أي : دخل بينهم ، كما جاء ذلك في اللسان (٣) .

(١) انظر : من كلام العرب ، حسن ظاظا ص ٦٠ .

(٢) شفاء الغليل : ١٨ .

(٣) انظر : من كلام العرب ٦١ ، واللسان (خشش) .

ومما يعتقد البعض أنها من رواسب اللهجات العامية أيضاً ، بينهما هي
فصيحة صحيحة الاستعمال ، الكلمات التالية :

— دعس : يستعمل العامة الدَّعَس بمعنى : الوطء ، بشدة ، قلت وهو استعمال
فصيح ، ففي اللسان ^(١) الدَّعَسُ : شدة الوطء .

— رَعَبَةٌ : تقول العامة : رَعَبَنِي فلانٌ ، أي خَوَّفَنِي وأَفْرَعَنِي ، قلت : يقال : رَعَبَهُ ،
وَأْرَعَبَهُ ، إذا خَوَّفَهُ ، كما في المصباح والقاموس ^(٢) .

— زاط : يقول بعض العامة : زَاطَ الناسُ : إذا صاحوا واختلطت أصواتهم ،
وعلا ضجيجهم . قلت : هذا استعمال صحيح ، جاء في اللسان : زَاطَ الناسُ
زياطاً ، اختلطت أصواتهم ^(٣) .

— زَفَّتَ الطريق : يقول العامة : زَفَّتَ البليديةُ الطريق ، إذا فرشتها بالزَّفْت ،
قلت : جاء في اللغة : زَفَّتَ فلانٌ الشيء : طلاه بالزَّفْت ، فقول العامة صحيح ^(٤) .

— الشَّطُّ : يستعمله العامة بمعنى الشاطئ ، ويجمعونه على شَطُوط . قلت : وهذا
استعمال صحيح فصيح ، ففي اللغة : الشَّطُّ : شاطئ النهر وجانبه ، وجمعه
شَطُوط ، كما في (اللسان) ^(٥) .

— تَصَالِحَ القومُ : يقول العامة : تصالح فلانٌ و فلان : إذا نبذا العداوة وتصافيا .
قلت : وفي اللغة تصالح القوم أقاموا صلحاً بينهم ، كما جاء في (القاموس) ^(٦) .

(١) اللسان (دعس)

(٢) المصباح ، والقاموس (رعب) .

(٣) اللسان (زيط) ولا زال هذا الاستعمال شائعاً عند إخواننا المصريين .

(٤) انظر : اللسان والقاموس (زفت) .

(٥) (شطط) .

(٦) (صلح) وانظر أسس البلاغة (صلح) .

— تَقَلَّ : يقول العامة : تَقَلَّ فلانٌ في وجه فلان : إذا بَصَقَ في وجهه . قلت : وفي اللغة : تَقَلَّ فلانٌ في عينيه : قذف عليه التِّقَال ، وهو البصاقُ كما جاء في (أساس البلاغة)^(١) . فقول العامة صحيح فصيح .

— شَرَعَ الباب : تقول العامة : شرَّع فلانٌ بابه ، بمعنى : فتحه . قلت : وفي القاموس^(٢) : أشرع فلانٌ بابه إلى الطريق ، وشرَّعه فتحه ، فالعامة على الصواب .

— سَلَّفَهُ : يقول القائل من العامة : سَلَّفْتُ فلاناً مبلغاً من المال إذا أقرضته إياه ، قلت : وهو قول فصيح صحيح ، جاء في (اللسان) : (سلف) سَلَّفَهُ المال : أقرضه ، وفي (القاموس)^(٣) : السَّلْفُ : القَرْضُ . وكل عمل صالح قدمته .

— الكُلُوءَةُ : جاء في المصباح أن : الكُلُوءَةُ لغة لأهل اليمن في الكُلْيَةِ . قلت والعامة يستعملونها بهذا المعنى ، إلا أنهم يكسرون الكاف ، والصواب ضمها^(٤) .

— يَخِسُّ : يستعمله العامة بمعنى : يَخِفُّ وَيَنْقُصُ . قلت : وهو قول فصيح أيضاً ، جاء في اللغة : خَسَّ الشيء يَخِسُّ بمعنى : خَفَّ وزُنُّه^(٥) .

وبعد : فإن هناك الكثير من مئآت الألفاظ ، والتي تضمنتها المعاجم اللغوية ، وغيرها من كتب اللغة ، ووسمتها بالفصاحة ، مما يغني الباحث عن الإسهاب في ذلك ، فاكتميت بما تقدم ذكره ، ومن أراد الاستزادة فليراجع ذلك في مظانه .

(١) انظر : تثقيف اللسان ٤٨ ، وتقويم اللسان ٨٧ ، والأساس (تفل) .

(٢) انظر : القاموس والأساس (شرع) .

(٣) (سلف) وانظر : الأساس (سلف) .

(٤) المصباح (كلا) .

(٥) انظر المصباح (خس) .

الخاتمة

تضمنت هذه الخاتمة أهم النتائج التي أبان عنها البحث وقد رأيت تصنيفها في الآتي :

أولاً - فيما يتعلق بثعلب و كتابه الفصيح :

أ / أبان البحث أن منهج ثعلب المتشدد في كتابه (الفصيح) قد فرضته عليه الظروف التي أُلّف الكتاب لأجلها .

ب / اتضح من البحث أن هذا المنهج الذي سلكه ثعلب في فصيحه لا يمثل منهجه في الأعم الأغلب ، حيث إننا وجدناه متوسعا في بعض مؤلفاته الأخرى ، مما نقله عنه أئمة اللغة الثقات .

ج / اتضح من البحث الأهمية العظيمة التي تبوأها الفصيح في تعليم العربية عدة قرون ، حيث لقي من الشهرة و ذبوع الصيت ما لم يلقه إي كتاب آخر في التصويب اللغوي .

د / أبان البحث الأثر الذي خلده الفصيح وما صاحب ذلك من حملة تأليف واسعة ما بين شرح ونظم ، ونقد واستدراك لعلماء المشرقين ، كما أنه أثر على حركة التأليف المعجمي ؛ حيث ضمن أكثر أصحاب المعاجم اللغوية مصنفاتهم نقولاً عنه .

هـ / أظهر البحث تأثير الفصيح على معاصريه ، كما امتد هذا التأثير أيضاً إلى شراح الفصيح أنفسهم والذين اعتنوا به عناية فائقة في مصنفاتهم .

و/ اتضح من البحث أن ثعلباً زعيم المدرسة الكوفية — في عصره — لم يكن متعصباً مذهبياً في نقله لأقوال أئمة اللغة الذين سبقوه بل يشهد له الفصيح بموقف العالم المحايد .

ز/ أبان البحث أن ثعلباً لم يهتم ببيان نطق العامة والنص عليه إلا نادراً .

ثانياً / فيما يتعلق بالتنقية اللغوية :

أ / اتضح من البحث أن اللحن يعد السبب الرئيس الذي من أجله قامت جماعة من العلماء هدفها الاتصال باللغة في أنقى صورها وتنقيتها وتخليصها مما يشوبها .

ب / أبان البحث أن علماء التنقية اللغوية اعتمدوا معايير تُبين الضعيف والرديء ، والقليل من اللغات .

ج / أوضح البحث أن علماء التنقية اللغوية احتطوا لأنفسهم مناهج كان لها أثر في توجيه مذاهبهم و مواقفهم ، فكان الأصمعي لا يقبل إلا الأفصح وما سمع عن العرب المشهود لهم بالفصاحة ، ولم يكن ينشط للقياس ؛ لكونه صاحب رواية وسماع ، ولم يكن بصاحب قياس ولا نظر .

د / بمقارنة منهج الكسائي في مصنفه (ما تلحن فيه العامة) ، وما نقله عنه الأئمة الثقات ، اتضح من البحث أن هذا المصنف مشكوك في نسبته للكسائي .

ثالثاً — فيما يتعلق بمقياس الصواب اللغوي :

أ / كشف البحث أن علماء اللغة لم يتفقوا على مقياس الصواب اللغوي ، فكانوا فريقين على طرفي نقيض ؛ فريق متشدد لا يقبل إلا الأفصح ، ويعد ما دونه لحناً

أو خطأ ، وآخر متساهل يقبل كل ما ورد عن العرب ، فكله عنده حجة ، لذا كان خلافهم يدور حول الأساس الذي لم يتفقوا عليه .

— وإيضاح زعمنا حول اختلاف مقياس الصواب اللغوي عند علماء التنقية والتوسُّع على حد سواء ، فسوف نتناول مثلاً على ذلك لمادة واحدة ، ولنستمع لأقوال أعلام التنقية — وعلى رأسهم ثعلب — ، وقبله أئمة اللغة المتقدمين ، ومن بعده شراح الفصحح على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم في التنقية والتوسُّع اللغوي ، ولتكن موازنتنا عن (نَكَلَ)

— قال ثعلبٌ : " وَنَكَلَ عَنِ الشَّيْءِ يَنْكُلُ "

— يمثل اختيار ثعلب اللغة الأعلى والأشهر ، وهو مذهب أئمة أعلام التنقية اللغوية : (الأصمعي ، والكسائي ، وابن السكيت ، وابن قتيبة) ، إلا أنه وجد من اللغويين من يضيف لغة ثانية ، وهي (نَكَلَ) بكسر الكاف ، وهذه الأخيرة قد أنكرها الأئمة الثقات ، وبعضهم لا يعرفها ، ومنهم من خطأها :

— فمن الذين وقفوا على لغة الفتح ، واقتصروا عليها ، أو خطأوا لغة الكسر ، نذكر :

— وقف الكسائي عند اللغة العالية الفصيحة ، ولم يذكر غيرها ، كما في قوله : " وَيُقَالُ : نَكَلْتُ عَنْهُ ، بفتح الكاف " .

— نقل ابن السكيت عن الأصمعي قوله : " وَلَا يُقَالُ : نَكَلْتُ " .

— اقتصر عليها ابن قتيبة — أيضاً — وأنكر ما عداها .

— اقتصر عليها بعض شراح الفصحح : كابن الجبَّان ، والمرزوقي والهروي .

— جاء في تثقيف اللسان ، قول ابن مكِّي الصقلي : " يَقُولُونَهُ : (نَكَلَ) ، والصواب : (نَكَلَ) " .

- ومن الذين ذكروا اللغتين معاً ، نذكر :
- قال الخليل : " وَنَكَلَ يَنْكَلُ : تميمية ، وَنَكَلَ يَنْكَلُ : حجازية " .
- نسبها ابن دُرُسْتويه للعامّة ، ولكنه لم يخطئها فمن ذلك قوله : " والعامّة تقول : نَكَلَ بكسر الثاني من الماضي ، وهي لغة أيضاً غير خطأ " .
- قال التدميري : " وَنَكَلْتُ أَنْكَلُ : بكسر الماضي ، وفتح المضارع — أيضاً — لغة .

- أما ابن هشام اللخمي ، فقد ذكر اللغتين — أيضاً — ، وقال : " وقالوا : نَكَلَ ، وقالوا في المستقبل يَنْكَلُ على وزن يَفْعَلُ ، بضم العين ، ولم يأت فعل يفعل بكسر العين في الماضي ، وضمها في المستقبل إلا في سبعة أفعال شدّت ، وهي : نَكَلَ يَنْكَلُ ، . . . " .

- نَقَلَ اللَّبْلِيُّ في تحفته ما حكاه يعقوب في إصلاحه من أن الأصمعي أنكر على من قال : نَكَلْتُ بالكسر . وصرّح اللبلي بأنه قد حكى فيه الكسر جماعة من اللغويين . ثم أخذ في تفصيله للمسألة أكثر عندما قال : " قال صاحبُ الواعي : يُقال : نَكَلْتُ بالفتح ، وَنَكَلْتُ بالكسر ، قال : والكسر لغة تميمية " . وَحَكَاهَا أيضاً : ابن القطّاع في أفعاله ، ويعقوب في كتابه — فَعَلْتُ وَأَفَعَلْتُ — ، وثابت في لحنه ، ويونس في نوادره ، والمطرز في شرحه ، والحامض في نوادره ، كلاهما عن ثعلب . وَحَكَاهَا أيضاً أبو حاتم في تقويم المفسد عن أبي زيد ، قال : ولم يعرفها الأصمعي .

ونخلص من هذه الموازنة إلى القول : بأن اللغتين صحيحتان فصيحتان ، رويتا عن قبيلتين فصيحتين أيضاً ، فالفتح لغة الحجاز ، بينما الكسر لغة تميم . واللغتان في تهذيب اللغة ، والمحكم ، والمخصص ، وشرح الشافية ، وأفعال السرقسطي ،

وذكر صاحب اللسان اللغتين أيضاً ، وأضاف صاحب القاموس لغة ثالثة ، هي :
تُكَلُّ بالضم ، وقد حكاه أبو عبيدة ، وأباها الأصمعي .

رابعاً — فيما يتعلق بلحن العامّة :

أ / أظهر البحث أن هناك اختلافاً بين اللغويين في أسباب تلحينهم للألفاظ .

ب / أبان البحث أن ثمة عيوباً في كتب اللحن التي تضمنها البحث .

خامساً — فيما يتعلق بشروح الفصيح الممثلة لحركة التنقية اللغوية :

أ / أبان البحث تشدد ابن درستويه في التنقية اللغوية وتخطئته لكثير من اللغات ،
ناسباً إياها للعامّة ، بينما هي لغات صحيحة لقبائل فصيحة .

ب / كشف البحث عن تعصب ابن درستويه المذهبي في معارضته لصاحب
الفصيح وتعامله تجاه ثعلب وفصيحه .

ج / اتضح من البحث أن ابن الجبان أحياناً يخالف ثعلباً وأئمة اللغة المتقدمين ،
منفرداً برأيه عنهم .

د / كشف البحث عن مذهب المرزوقي البصري من خلال معالجته للمسائل
اللغوية وانفراده عن غيره من شراح الفصيح بما ضمنه شرحه من مظاهر توسع
العرب في الأساليب الحقيقية والجزازية ، كما تضح من البحث أيضاً أسلوب
المرزوقي المهذب والمتمس العذر لصاحب الفصيح عند مخالفته إياه في مسألة (ما) .

هـ / أبان البحث انفراد التدميري من بين شراح الفصيح بشرحه للغريب ،
الذي لم يشرح من قبل ، وشرحه لأبيات الفصيح والعناية بإعرابها مع التنبيه على

البحور والزحاف والعلل ، وتحديد الشواهد ووجه الاستشهاد ، إضافة إلى تضمين التدميري شرح بعض المواد التي لا وجود لها في الفصيح الذي بين أيدينا .

و / كشف البحث إغفال التدميري لمؤلفات أهل بلده (المغاربة) حول الفصيح ، بينما نقل عن شراح الفصيح المشاركة . كما أبان البحث أيضاً اهتمام التدميري بتفسيره بعض المصطلحات الطيبة منفرداً بهذا عن غيره من الشراح الآخرين ، مع العناية بذكره لأصول الألفاظ الفارسية وهذا لا وجود له عند بقية الشراح .

ز / أظهر البحث عناية المغاربة (التدميري — وابن هشام اللخمي) في ذكرهما لسندهما في قراءة الفصيح ، ولعل هذه الطريقة كانت شائعة عند المغاربة ، وهذا ما لا نجده عند الشراح المشاركة .

سادساً — فيما يتعلق بالموازنة بين شروح الفصيح الممثلة لحركة التنقية اللغوية :

أ / أظهرت الموازنة بين شراح الفصيح المنقيين مدى اهتمام العلماء باللغة العالية المقدمة الأوضح مع الإشارة إلى اللغة الثانية إن وجدت .

ب / تفرد شارحان المغريان (التدميري — ابن هشام اللخمي) في ذكرهما للغة ثانية مع تقديم لغة الفصيح عليها ، وهذا لا وجود له عند الشراح المشاركة الذين وقفوا عند لغة الفصيح .

سابعاً — فيما يتعلق بشروح الفصح الممثلة لحركة التوسع اللغوي :

أ / اتضح من البحث تميز الزمخشري في شرحه بغزارة المادة العلمية وتنوعها مما أظهر سعة اطلاع مؤلفه وعمق ثقافته . مع عنايته بذكر أقوال أئمة اللغة المتقدمين وتصريحه بذكر أسمائهم .

ب / أبان البحث أن شرح أبو جعفر اللبلي يعد من أعلى وأعظم تلك الشروح التي وصلت إلينا والممثلة لحركة التوسع اللغوي من حيث مادته اللغوية . فقد كشف المصنف في هذا الشرح عن بعض شروح الفصح المفقودة . كما أظهر البحث تضمين أبو جعفر اللبلي في شرحه كثيراً من النقول عن مصادر لغوية عالية الجودة لا يزال بعضها مفقوداً .

ج / أبان أبو جعفر اللبلي عن فصاحة كم هائل من اللغات التي نخطأها المتشددون ، أو حملوها على لغة العامة وذلك بما حكاه عن أئمة اللغة الثقات ، وكشف البحث انتصار اللبلي لصاحب الفصح في أغلب ما ذهب إليه ، ودفاعه عنه والردود على من عارضه أو انتقده .

ح / أبان البحث توسع المغاربة في إيرادهم كثيراً من اللغات الفصيحة ، أكثر من إخوانهم المشاركة ، وقد تمثل ذلك بما نقله أبو جعفر اللبلي في تفصيحه وإعلائه لكثير من اللغات التي نسبت للعامة ، أو سمت بالخطأ .

ثامناً — فيما يتعلق بآثار حركة التوسع في الدرس اللغوي :

أ / أظهر البحث أن أبا زيد الأنصاري كان له تأثير عظيم وواضح في حركة التوسع ، بل يُعدُّ رائداً من رواد هذه الحركة التوسعية ، التي أثرت بدورها الدرس اللغوي ووسعت آفاقه أمام الباحثين والدارسين .

ب / اتضح من البحث تأثر عدد من أئمة اللغة بمذهب أبي زيد التوسعي ، وذلك بما نقلوه عنه من تفصيله لكثير من اللغات التي برهن على فصاحتها ودلل على صوابها بنسبتها إلى قبائل عربية فصيحة اللسان .

ج / أبان البحث أن هؤلاء الأئمة اللغويين والذين تأثروا بمذهب أبي زيد التوسعي كان لهم تأثير بدورهم على من جاء بعدهم .

د / كشف البحث أن من آثار حركة التوسع في الدرس اللغوي ما تضمنته بعض المعاجم اللغوية ، والتي تأثر أصحابها بأئمة المتوسعين وأثرت بدورها حركة التوسع اللغوي وازدهاره .

هـ / أبان البحث أن من آثار حركة التوسع في الدرس اللغوي التقليل من الفروق بين اللهجات العامية والعربية الفصحى .

فهرس الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة والقراءات (٥٥٣-٥٥٨)
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة . (٥٥٩-٥٦٠)
- فهرس الأقوال والأمثال المأثورة . (٥٦١)
- فهرس الشعر . (٥٦٢ - ٥٦٤)
- فهرس الأعلام . (٥٦٥-٥٨٧)
- فهرس القبائل والجماعات . (٥٨٨-٥٨٩)
- فهرس المصادر والمراجع . (٥٩٠-٦٠١)
- فهرس الموضوعات العامة (٦٠٢)

فهرس الآيات القرآنية الكريمة والقراءات

السورة	رقمها	الصفحة	ملاحظات
سورة الفاتحة			
﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾	٧	١٤٣	
(هياك بعد)	٥	٢٩٠	على قراءة (هياك) وهي شاذة
سورة البقرة			
﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ﴾	٢٢١	١٤٤	
﴿ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلْهُهُ فُلْيُحْمَلُ وَبِهِ بِالْعَدْلِ ﴾	٢٨٢	١٧٥	
﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾	٧٢	٢٥٢	
﴿ كَيْفَ نُنشِرُهَا ﴾	٢٥٩	٢٥٥	على قراءة (نشرها) بالراء، وهي سبعة
﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾	٢٥٦	٣٠٧	
﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾	٢٥٤	٣٤٨	
﴿ وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ إِن نُّصَبِرْ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ قَلْبِهَا وَقَتَانِهَا وَقَوْمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلَهَا ﴾	٦١	٣٥٤	
﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾	١٩	٣٥٦	
سورة آل عمران			
﴿ فَتَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾	١٨٧	١٥١	
		١٩٥	

	٢٨٧	٣٧	﴿ قَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ ﴾
سورة النساء			
	١٢٥	٩٢	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً ﴾
	١٩٥	١١٢	﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ﴾
	٢٥٥	٢٤	﴿ الْمُحْصَنَاتُ ﴾
سورة الأنعام			
	٣٧٥	١٤١	﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾
سورة الأعراف			
	١٩٤	١٧٥	﴿ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾
	٣٠٧	١١١	﴿ أَرْجُهُ وَأَخَافُ ﴾
	٣٥٦	١٤٣	﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾
سورة هود			
	٢١٩	٣٨	﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾
سورة يوسف			
	١	٢	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
	٢٢٠ ٢٢٨	٤٥	﴿ وَادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾
على قراءة (متكا) وهي شاذة	٢٩٠ ٣٠٨	٣١	﴿ وَأَعَدَدْتَ لَهُنَّ مَكَأً ﴾
سورة الحجر			
	١	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ ﴾

			لِحَافِظُونَ ﴿
سورة النحل			
	٢	١٠٣	﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾
	١٤٧	٣٧	﴿ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ ﴾
	١٦٤	١٠٣	﴿ وَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا عَلَّمَهُ بِشَرِّ لِسَانٍ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾
	٢٨٩	١٢٠	﴿ إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾
سورة الكهف			
قُرئت (مَرْتَفَعًا) بفتح الراء وهي قراءة سبعية	١٩٤	١٦	﴿ وَيُهَيِّبُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا ﴾
	٢٥٥		
سورة مريم			
	١٧٤	٩٨	﴿ هَلْ تَحْسَبُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٌ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ﴾
سورة طه			
	١٩٤	١٢١	﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾
	٢٥٢	٨٤	﴿ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾
سورة الدور			
	٢٨٩	٣١	﴿ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾
سورة الفرقان			
	١٧٥	٥	﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَبَتْهَا فِيهَا تَمَلَىٰ عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا ﴾
	١٩٥	٢٧	﴿ وَيَوْمَ بَعْضُ الظَّالِمِ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾

	٢٥٢	٤٨	﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾
سورة الشعراء			
	٢	١٩٥	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾
	١٦٤	١٩٣ / ١٩٥	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)
قرأ الحسن البصري بفتح الحاء ، وهي شاذة	٢٢٠	١٤٩	﴿ وَتَنْحَوْنَ مِنَ الْجِبَالِ ﴾
سورة القصص			
	٢٨٨	٢٣	﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً ﴾
سورة لقمان			
	٣٥٥	١٩	﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾
سورة الأحزاب			
على قراءة (ترجي)	٢٥٥	٥١	﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ ﴾
سورة يس			
	١٤٥	١٤	﴿ فَكَذَّبُوهَا فَعَزَّزْنَا بِبَالٍ ﴾
سورة الصافات			
	١٥٢	١٤٥	﴿ فَتَبَدَّلْنَا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾
	٢٥١	١٠	﴿ إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾
	٢٨٧	١١	﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾
	٢٨٨	٩٥	﴿ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحَوْنَ ﴾
سورة الزمر			
	١٩٥	٦٩	﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾

	٢١٩	٣٠	﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَهُمْ مَيِّتُونَ ﴾
	٢٨٨	٢٣	﴿ تَشْعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾
سورة فصلت			
	٢	٣-١	﴿ حم ﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾
سورة الشورى			
	٢	٧	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾
سورة الزخرف			
	٢٨٩	٢٢	﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾
سورة محمد			
قُرئت (عَسِيْم) بكسر السين وهي قراءة سبعة	٢١٩ ٤٣٥	٢٢	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾
	٢٨٨	١٥	﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾
سورة الرحمن			
	٢٨٩	٣١	﴿ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾
سورة الواقعة			
	١٤٥	٣٤	﴿ وَفُوشٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾
قُرئت (سُرر) بفتح الراء وهي سبعة	٣٠٨	١٥	﴿ عَلَىٰ سُرْرٍ مَوْضُوعَةٌ ﴾
سورة الحاقة			
	١٤٣ ١٤٥	٢٧	﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾

	٢٨٩	٢١	﴿ فَبُهِتَ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾
سورة الماعز			
	٢١٨	٤	﴿ تَنْجِيحُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ ﴾
سورة الجن			
	٢١٨	١٥	﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾
سورة عبس			
	٣٠٧	١٦	﴿ كَرَامٍ بَرَّةٍ ﴾
سورة البروج			
	٩١، ٢١٨	٨	﴿ وَمَا تَقْوَاهُمْ ﴾
سورة الضحى			
﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾	١٩٦	٣	
﴿ قُرْتِ (وَدَّعَكَ) ﴾ بالتخفيف وهي قراءة سبعة	٢٩٠		
سورة العلق			
	١٤٤	١	﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾
سورة العاديات			
	١٤٣	١١	﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾

— فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

الصفحة	الحديث
٣	- (وأوتيتهم جوامع الكلم ...)
٣٠ ، ٣	- (أنا أفصحُ العرب ، بيد أني من قريش ، ونشأتُ في بني سعد بن بكر)
٢٨	- أرشدو أحاكم فقد ضل
١٩٦	- (إذا ولغ الكلبُ في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهما بالتراب)
٢٢١	- (إذا نبختك كلابُ الحوَابِ فأرجعي)
٣٢٢	- (إن الله تعالى ينشئُ السحابَ فتتطقُ أحسنَ المنطقِ وتضحك أحسنَ الضحك ؛ فمنطقها الرعدُ ، وضحكها البرقُ)
٤٤١	- (أتينا أهلَ بخيرَ حين بزقت الشمسُ)
١٢٠	- (الثلُفُ في المسجدِ خطيئة ، وكفارتُه أن يُواريه)
١٧٥	- الحربُ خدعة
١٧٥	- دَعِ مايرئيك إلى ما لا يُريئك
٢٢١	- رَبِّ ذِي نِعْمَةٍ لَا نِعْمَةَ لَهُ
١٥٢	- فَنَبَذَ خَائِمَهُ ، وَتَبَدَّ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ
٤٦٨	- فَأَعْطَانِيهِ — يَعْنِي: السَّوَاكُ — فَقَضَمْتُهُ
١٧٥	- لَا تَسْبُوا الْأَبِلَ فَإِنَّ فِيهَا رِقْوَةَ الدَّمِّ
١٩٦	- لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ
٢٥٦	- لَا تَخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ
٣٠٩	- لَا يَفْرُقُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً
٢٢١	- مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ أَنْصَبْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَعَا
٢٥٦	- مَا أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لَشَيْءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَعَنَّي بِالْقُرْآنِ
٢٥٦	- النَّاجِشُ ، وَالْحَائِشُ ، وَالصَّائِدُ سِوَاءٌ فِي الْأَثْمِ

- ٣٥٨ - نزل القرآنُ بسبعِ لغاتٍ كُلُّها كافٍ شافٍ
- ٣٠٩ - هَلَّا خَمَّرْتُهُ وَلَوْ بَعُودٍ تَعْرُضُهُ عَلَيْهِ
- ١٧٥ - وَاهَاً لِلنَّوَّاحِينَ
- ٣٦٧ - يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ

فهرس الأقوال والأمثال المأثورة .

الصفحة	ملاحظات	الآثار والأمثال
١٧٦	ابن عباس رضي الله عنهما	- إذا أشكلَ عليكم الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر فإنه ديوانُ العرب
٢٥٧		- إن الجوادَ لا يكادُ يعثرُ
٢٥٧		- الأكلُ سرطانُ ، والقضاءُ لِيانُ
٢٩٥		- أعنَّ صَبوحُ ترَفُقُ
٤٧٢		- أبلعني ربي
٢٩٥		- حرَّةٌ تحتها قرَّةٌ
٣٢٢		- ربُّ صلفٍ تحت الرأعِدَةِ
٢٥٧		- عند النطاحُ يغلب الكيشُ الأجمُ
٤٦١		- كان عمر رضي الله عنه يستاكُ بعود ذوٍ وهو صائم
٤٤٤		- لم يُحرِّم من فزَد له
٢٥٧		- من سَلَكَ الجُدَدَ أَمِن العِثَارَ
٤٦٧	أبو ذر - رضي الله عنه -	- نرعى الخطاطبَ ونُرُد المَطائِطَ وتَأْكُلون خَضْمًا ونَأْكُل قَضْمًا والموعِد الله
٢٩٥		- هُدنة على دَحْنٍ ، وجماعةٌ على أَقْداءِ
٢٩٥		- وهو يُسرُّ حَسْوَا في أرتقاءِ

فهرس الشعر .

فيما يتعلق بهذه الشواهد الشعرية - والتي يلحظ القارئ الكريم ندرتها هنا - أنه إلى أنني ألفتها في شروح الفصيح غزيرة جداً ، ولم يكن عملي هنا تحقيقاً كي ألتزم بالمتن المحقق ؛ وإنما عمدت إلى التصرف بها فيما يخدم الغرض المنشود من تلك الشواهد ، وأحلت إلى ذلك في مواضعه ، قاصداً الإيجاز ما استطعت وما هذه الشواهد المذكورة هنا إلا عغيض من فيض وقليل من كثير ، أثبتت في مظاهها

الصفحة	القائل	القافية
	(الباء)	
٤٥٥	بلا عزو	نجيا
٤٦٧	بلا عزو	قرهب
	(الحاء)	
١٩	أحمد بن كليب النحوي	مليح
٢٤٤	بلا عزو	فالمضيق
	(الدال)	
٥١	حتروش	ليزودا
٥٢	دريد بن الصمه	معد
٣٢٣	المتلمس	وارعد
٤٥٥	بلا عزو	اليد
٤٦٢	بلا عزو	البعء
	(الراء)	
١١٧	مروان بن أبي حفصة	الأباعر
٢٩٣	ذو الرمة	القطر

٣٢٢ ، ٣٢١	الكميت بن زيد	بضائر
٣١٥	بلا عزو	قُدِر
٤٦١	ذو الرمة	الثرى
	(السين)	
٤٦٢	بلا عزو	يابس
	(الضاد)	
٢٩٢	بلا عزو	ترضض
٤٦٢	بلا عزو	إبغاض
	(العين)	
٣٢٩	الشماخ	الفتوح
٣٢٩	بلا عزو	مقانع
٣٣٠	الشماخ	الشروع
٤٦٧	بلا عزو	الصوانع
٤٧٢	بلا عزو	بلاع
٤٧٢	بلا عزو	الزراع
	(الغين)	
١٩	بلا عزو	ما أبلغه
	(اللام)	
١٣	أبو النجيم العجلي	الأجلل
٤٥٦	بلا عزو	الحال
٢٩٢	القطامي	الطيل

	(الميم)	
٣٢٦	بلا عزو	مقدم
٤٥٦	بلا عزو	ينمي
٤٦٢	عنتر بن شداد	الهيثم
٤٦٧	بلا عزو	بالقضم

	(النون)	
٤٦٢	بلا عزو	وميناً
٤٨٧	بلا عزو	الأسن

	(الهاء)	
٤٦١	بلا عزو	قد ذوى

فهرس الأعلام .

الصفحة	الأسماء
٤٢	- إبراهيم أنيس
٢٢ ، ٣٩٦	- إبراهيم بن عبد الله جمهور الغامدي
٢٣	- إبراهيم بن علي الفهري
٢٩٣	- إبراهيم بن هرمة
٣٢٢	- ابن أحرر (عمرو بن أحمد)
٥٣٥	- ابن الأثير (صاحب أسد الغابة)
١٥٨ ، ٨٦ ، ٧٠ ، ٦٧ ، ٥٠ ، ٣٩ ، ٢٦٨ ، ١٩٢ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٥٠ ، ٣٠٠ ، ٢٨٢ ، ٢٧٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٠ ، ٣٩٨ ، ٣٨٢ ، ٤٢٧ ، ٤٧٦ ، ٤٧٣ ، ٤٧٦ ، ٥٢٦	- ابن الأعرابي (محمد بن زياد)
١٢٣ ، ١٦	- ابن الأنباري (محمد بن أبي القاسم)
٤٨٧ ، ٤٧٣ ، ٤٤٤ ، ٤٣٧ ، ٤٢١ ، ٥٣٧ ، ٤٨٩	- ابن التياتي (تمام بن غالب)
٢١ ، ٢٢ ، ٨٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٧٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ .	- ابن الجبّان (أبو منصور محمد بن علي الأصبهاني)

<p>٤٨ ، ٩٢ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، . ٤٠٢</p>	<p>- ابن الجوزي (عبدالرحمن بن علي بن محمد)</p>
<p>٢١ ، ٤٥٧ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ،</p>	<p>- ابن الدهان اللغوي (الحسن بن علي)</p>
<p>٤٤٢ ،</p>	<p>- ابن سراج (عبدالمملك بن سراج)</p>
<p>٤ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ١٩٢ ، ٢٠٤ ، ٢٤٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٢٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٥١٥ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، . ٥٤٦ ،</p>	<p>- ابن السكيت (يعقوب بن إسحاق)</p>
<p>٢٣ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٧٨ ، ١٤٩ ، ٢٧٨ ، ٣٠١ ، ٣٥٠ ، ٤٠١ ، ٤٢٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤٩ ، ٤٩٥ ، ٥١٤ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، . ٥١٩ ، ٥٣٦ ،</p>	<p>- ابن السيد البطلوسي (عبدالله بن محمد)</p>
<p>١٢٦</p>	<p>- ابن الصبَّاح</p>

٤٤١ ، ٤٣٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢١ ، ١٠٤ ٥٣٧ ،	- ابن القَزَّاز (محمد بن جعفر)
٥٧ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٩٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٢ ، ٤٠٢ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٥٠٨ ، ٥١٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٧ ،	- ابن القَطَّاع (علي بن جعفر السعدي)
٥٣٩	- ابن الكلبي (هشام الكلبي)
٣٦٠ ، ٣٦٣	- ابن النديم (محمد بن أبي يعقوب)
١٢٦ ، ١٣٣ ، ٥٣٢	- ابن بري (عبدالله بن بري)
٤٨	- ابن جزري الكلبي
٢٠ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٧١ ، ١٠٠ ، ٢٨٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٨ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧١	- ابن حنن (أبو الفتح)
٢٠ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٣٧٩ ، ٤٣٧ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٥٣١	- ابن عثالويه (الحصين بن أحمد)
١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٦ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،	- ابن درستويه (عبدالله بن جعفر)

<p> ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧٣ ، ٤٨٢ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ </p>	
<p> ٤١ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١٣٣ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ٢٦٨ ، ٣٠٤ ، ٣٥٠ ، ٣٦٩ ، ٤٦٣ ، ٥١٦ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧ </p>	<p>ابن دريد (محمد بن الحسن)</p>
<p> ١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٨١ ، ٩١ ، ١٠٤ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ٣٠١ ، ٣٦٩ ، ٣٩٢ ، ٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٥٠ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٦ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٢١ ، ٥٣١ ، ٥٣٦ </p>	<p>- ابن سيده (علي بن إسماعيل)</p>
<p>٤٧</p>	<p>- ابن شبة</p>
<p>٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٤٣٧ ، ٤٦٩</p>	<p>- ابن طلحة (الإشبيلي)</p>

٣١٤ ، ٣١٢ ، ٣١١ ، ٢٩٨ ، ٢٠٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٠ ، ٣١٩ ، ٣١٧ ، ٣٤٠ ، ٣٣٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٢ ، ٣٣١ ، ٣٨٧ ، ٣٥٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٢ ، ٤٢٧ ، ٤٢٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٠ ، ٤٥٨ ، ٤٥٦ ، ٥٣٤ ، ٥٢٣ ، ٥٢١ ، ٥١٩ ، ٤٩٥ ٥٣٨ ،	
٢٧١	- ابن وضاح (محمد بن أحمد بن موسى
٢٧١	- ابن يسعون (أبو الحجاج بن يوسف)
٢٦٠	- أبو أسامة الهروي (جنادة بن محمد بن الحسين)
١٢٦	- أبو إسحاق الشيرازي (القاسمي الحريري)
، ٢٦٢ ، ١٤١ ، ٩٩ ، ٣٣ ، ٣١	- أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو)
٣٦٨	- أبو الحسن الأندلسي (من شيوخ أبي حيان الأندلسي الغرناطي ، وعنه أخذ العربية)
١٠٤	- أبو الحسن الشاري
١٢٦	- أبو الحكم الجبري
٣٣	- أبو الدقيش الأعرابي
، ٧٩ ، ٦٠ ، ٥٦ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ١٨ ، ١٥٦ ، ١٥٤ ، ١٥٠ ، ٨٢ ، ٨١ ٢٧٠ ، ١٩٢ ، ١٦٥ ، ١٦٠ ، ١٥٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٠ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ،	- أبو العباس التدميري (أحمد بن عبد الجليل)

١٦	- أبو بكر بن الانباري
٢٩٩	- أبو بكر بن العربي
٤٢١ ، ٢٣	- أبو بكر بن صاف اللخمي
٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ١٦٠ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٦ ، ٣٠٧ ، ٣٧٥ ، ٤٠٣ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٤٨٦ ، ٤٨٨ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٩ ، ٥٤٧ ، ٥٥٠	- أبو جعفر اللبلي (أحمد بن يوسف)
٢٧٨	- أبو جعفر النحاس
٣٦٨	- أبو جعفر بن الزبير
٣٦٨	- أبو جعفر بن الطباع
٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٧٥ ، ٨٧ ، ١٤٧ ، ٢٩٨ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨	- أبو حاتم (السجستاني) (سهل بن محمد)

٥٤٧ ، ٥٣٤ ، ٥١٧	
٣٤	- أبو حازم العكلي
٢٣	- أبو حفص القضائي
٤٧	- أبو حنيفة الدينوري (أحمد بن داوود)
٣٦٩ ، ٣٦٨	- أبو حيان النحوي الأندلسي
٤٦٧	- أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه -
٤٨١ ، ٣٤	- أبو زياد الكلابي الأعرابي
٤٩٠ ، ٤٨٦ ، ١٠٢	- أبو سعيد السيرافي (الحسن بن عبد الله المرزباني)
٢١ ، ٢٢ ، ١٦٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٤٠٤ ، ٤٤١ ، ٥٣٢ ، ٥٤٧ .	- أبو سهل الهروي (محمد بن علي)
٥٠ ، ٣٩ ، ١٦	- أبو عبد الله الأعرابي
٤٨	- أبو علي التونسي
٤٧	- أبو علي الدينوري (أحمد بن جعفر)
٢٣٤ ، ١١٠ ، ١٠٢	- أبو علي (الفارسي) (الحسن بن أحمد)
٣٥ ، ٨١ ، ٩٥ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٥٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣	- أبو علي القالي (إسماعيل بن القاسم)
٢١ ، ٢٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٦	- أبو علي المرزوقي (أحمد بن محمد بن الحسن)

<p>٢٥٤ ، ٢٥١ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢١٥ ، ٢٠٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٥٤٦ ، ٤٨٥ ، ٤٨٤ ، ٤٨٢ ، ٢٤٥ ٥٤٨ ،</p>	
٢١ ، ١٧	- أبو علي بن أحمد الاستراباذي
٣٦٩	- أبو عمر الدابي
٣٦٣ ، ٣٦١ ، ٧٠	- أبو عمر الشيباني
<p>، ٨٧ ، ٨٦ ، ٧١ ، ٤٧ ، ٢٠ ، ١٦ ٤٢٤ ، ٤٠١ ، ٤٠٠ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ٤٣٥ ، ٤٢٧ ، ٤٢٦ ، ٤٢٥ ، ٤٧٥ ، ٤٧٣ ، ٤٤٦ ، ٤٤٢ ، ٤٣٦ ، ٥٢١ ، ٤٩٠ ، ٤٨٩ ، ٤٨٧ ، ٥٤٧ ، ٥٣٧</p>	- أبو عمر المَطْرُزِيُّ (غلام ثعلب)
٣٣	- أبو مهدية الأعرابي
٤٧ ، ١٦	- أبو نصر (أحمد بن حاتم الباهلي)
٢٠	- أبو هلال العسكري
٢٧٧	- أبو يوسف (عبد العزيز بن يوسف اللخمي)
<p>، ٣٥١ ، ١٤٠ ، ٨١ ، ٤٨ ، ٢٩ ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٦٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٢</p>	- أحمد بن فارس

٤٦٢ ، ٤٥٩ ، ٤٢٧ ، ٣٧٥ ،	
١٩	- أحمد بن كليب النحوي
٣٧٧	- أحمد سعيد قشاش
٣٦٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٠	- أحمد علم الدين الجندي
٦١	- إسحاق الموصلي
٧٥	- إسحاق بن راهويه
٧٠ ، ١٦	- الأثرم (علي بن المغيرة)
١٠٨ ، ٨٦	- الأخفش (سعيد بن مسعدة)
٣٤٩ ، ٣٨	- الأخفش الأكبر (أبو الخطاب ، عبد الحميد بن عبد المجيد)
٣٦٥ ، ١٦٠ ، ١٣٣ ، ١٠٤ ، ٣٨ ، ٥٣٥ ، ٥٢٦ ، ٣٨٢	- الأزهري (أبو منصور)
٢٥٤ ، ١٩٩ ، ١٧٧ ، ١٢٥	- الأعشى (أبو بصير)
٢٧٩	- الأعمش الشتمري
٣٦٣	- الآمدي (الحسين بن إبراهيم)
٥٢٨ ، ٥٠٥ ، ٥٠٤ ، ٤٩٥ ، ٢١ ، ٥٣٥ ، ٥٣٠ ، ٥٢٩	- البعلي (محمد بن أبي الفتح)
١٠٣ ، ٤	- الثعالبي (أبو منصور)
١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٧١ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٥٦ ، ٤٧ ، ١٨ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٨ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ١٤٧ ، ١٢٥ ، ١١٠ ، ٩٩ ، ٩٣ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢	- ثعلب (أحمد بن يحيى)

170 171 172 173 174
 175 176 177 178 179
 180 181 182 183 184
 185 186 187 188 189
 190 191 192 193 194
 195 196 197 198 199
 200 201 202 203 204
 205 206 207 208 209
 210 211 212 213 214
 215 216 217 218 219
 220 221 222 223 224
 225 226 227 228 229
 230 231 232 233 234
 235 236 237 238 239
 240 241 242 243 244
 245 246 247 248 249
 250 251 252 253 254
 255 256 257 258 259
 260 261 262 263 264
 265 266 267 268 269
 270 271 272 273 274
 275 276 277 278 279
 280 281 282 283 284
 285 286 287 288 289
 290 291 292 293 294

<p>٤٠١ ، ٤٠٠ ، ٣٩٩ ، ٣٩٨ ، ٣٩٣ ، ٤١٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣ ، ٤٢٣ ، ٤٢١ ، ٤١٥ ، ٤١٤ ، ٤١٣ ، ٤٢٧ ، ٤٢٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٠ ، ٤٢٩ ، ٤٣٧ ، ٤٣٦ ، ٤٣٥ ، ٤٣٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥١ ، ٤٤٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤١ ، ٤٦٠ ، ٤٥٩ ، ٤٥٨ ، ٤٥٧ ، ٤٧٣ ، ٤٦٦ ، ٤٦٤ ، ٤٦٣ ، ٤٦١ ، ٤٨١ ، ٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٧٥ ، ٤٨٨ ، ٤٨٧ ، ٤٨٦ ، ٤٨٤ ، ٤٨٣ ، ٥٠٨ ، ٥٠٥ ، ٤٩٠ ، ٤٨٩ ، ٥٤٤ ، ٥٣٧ ، ٥٣٦ ، ٥٣٥ ، ٥١١ ، ٥٤٨ ، ٥٤٧ ، ٥٤٦ ، ٥٤٥ ،</p>	
<p>١٤٥ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ٤٤ ، ٢٩</p>	- الجاحظ (عمرو بن بحر)
<p>٢٢٥ ، ١٩٩ ، ٤٨</p>	- الجواليقي (موهوب بن أحمد)
<p>، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٦٦ ، ٥٩ ، ٢٧ ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٥٢ ، ١٣٨ ، ١٣٣ ، ١٠٧ ، ٤٢٤ ، ٤١٣ ، ٤٠٧ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ٥١٣ ، ٤٥٨ ، ٤٥٦ ، ٤٤٨ ، ٥٣٣ ، ٥٢٧ ، ٥٢٦ ، ٥٢٥ ، ٥٢٤</p>	- الجوهري (إسماعيل بن حماد)
<p>١٤٥ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ٣١</p>	- الحجاج بن يوسف
<p>، ١٣١ ، ١٢٩ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ٤١ ٥٣٢ ، ٣٥٠ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣٢</p>	- الحريري (القاسم بن علي)

٥٣٥ ، ٥٣٤ ، ٥٣٣ ،	
٢٣١	- الحسن البصري
٢٥٤	- الخطيئة (الشاعر)
٩٦ ، ٩٥	- الحكم بن عبد الرحمن (المستنصر بالله الخليفة الأموي)
٤١ ، ٣٥٠ ، ٤٩٥ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٤١ ، ٥٤٣	- الخفاجي (أحمد بن محمد بن عمر)
٣٢ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٩١ ، ١٤٨ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٥٠ ، ٢٧٧ ، ٣٠١ ، ٣٥٠ ، ٣٧٩ ، ٤٢٩ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٥١٥ ، ٥٤٧	- الخليل بن أحمد الفراهيدي
٣١٢	- الخنساء (الشاعرة)
٣٧٣	- الرازي (فخر الدين الإمام)
٣٤	- الراغب الأصفهاني
٩٥	- الريحاني (محمد بن يحيى ، أبو عبد الله)
٤٤١	- الرياشي (العباس بن الفرغ)
٢٨ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٦ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٣٤ ، ١٨٤ ، ٢٧٩ ، ٣٠٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٤٦٢ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٥	- الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسين)
١٨٤ ، ٤٩٦ ، ٥١٣ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠	- الزبيدي (محمد بن محمد مرتضى الحسيني)
١٦	- الزبير بن بكار

٩٢ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٩٣ ، ٢٧٩ ، ٣٧٩ ، ٥٠٨	- الزَّجَّاج (أبو إسحاق)
٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢٠٣ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣٠٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٢٧ ، ٤٣٩ ، ٤٩٥ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٤١ ، ٥٥٠	- الزَّمخَشَرِي (محمود بن عمر ، جار الله)
٥٧ ، ٥٩ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٤٨ ، ١٨١ ، ٢٨٢ ، ٤٩٥ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٤ ، ٥٤٧	- السَّرْقَسْطِي (سعيد بن محمد المعافري)
٣٦٩	- الشَّاطِئِي (القاريء)
٤٦ ، ١٢٦ ، ١٢٧	- الشَّرِيف عبد الله علي الحسيني
٣٢٩ ، ٣٣٠	- الشَّمَّاخ (معقل بن ضرار)
١١٠ ، ٢٣٤	- الصَّاحِب بن عبَّاد
٤٠٩ ، ٤٩٦ ، ٥١٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٢ ، ٥٣٤ ، ٥٣٧	- الصَّاعْنَانِي (الحسن بن علي)
٩٢ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ،	- الصَّفَّدي

١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٢٧ ١٦٠ ، ١٥٥ ، ١٥٢ ،	
٣١٠ ، ٥١	- الطَّرْمَاح بن عدي (الشاعر)
٢٧١	- العزيزي (صاحب الغريب)
٢١	- العُكُوري (أبو البقاء)
٣٦٤ ، ١٢٥ ، ٣٦ ، ٣٣ ،	- الفارابي
١٤ ، ١٥ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٢ ، ٢١٠ ، ٢٢٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٦ ، ٣٠٠ ، ٣٣٠ ، ٣٨٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٧٩ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٣٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٧ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨	- الفراء (أبو زكريا)
١٥	- الفضل بن سلمة الضبي
١٢٦	- الفضل بن محمد القَصْباني
١٣٩	- الفيروز آبادي
٩٢ ، ٥٩	- الفيومي
٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٨٣ ، ٣٠٠ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٧ ، ٥١٦	- القاسم بن سلام (أبو عبيد)

٣٦٢	- القاسم بن معن
٢٧٧	- القاضي أبو محمد
٢٩٢ ، ٢٧٥	- القُطامي (عمير ، وقيل : عمرو بن شَيْم)
٣٦١ ، ٣٦٠ ، ١٠٣	- القفطي (علي بن يوسف)
٣٢ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٩١ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٣٠٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٧٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٠٩ ، ٤١٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٧٠ ، ٤٨٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ .	- الكسائي (علي بن حمزة القارئ النحوي الكوفي)
٤٨	- الكفرطابي
٣٨ ، ٥١ ، ٦٠ ، ١٧٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤	- الكَمَيْت بن زيد الأسدي
٣٩٨ ، ٤٤٠ ، ٤٥٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥	- اللحياتي (علي بن حازم)
٤٧	- المازني (أبو عثمان)
١٥	- المأمون الخليفة العباسي
٣٢٣	- المتلمس (الشاعر)

٣٢	- المتوكل (الخليفة العباسي)
٣٠٩	- المرقش الأكبر
٣١٠ ، ٢٥٤ ، ٢٢٢ ، ١٩٧	- النابغة (الشاعر)
٣٧٩ ، ٣٣	- النَّضْر بن شُمَيْل
١٤٥ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ٣١	- الوليد بن عبد الملك
١٠٨	- اليزيدي (يحيى بن المبارك)
٣٤	- أم الهيثم الأعرابي
٣١٠ ، ٢٩٤ ، ٢٥٤ ، ٢٢٢ ، ١٩٧	- امرؤ القيس (الشاعر)
٤٤١	- أنس بن مالك - رضي الله عنه
٣٧	- بشار بن برد
١٤٣ ، ١٤٢	- بشر بن مروان
٤٢	- تمام حسان
٥٠٦ ، ٤٨٠ ، ٤٧٨ ، ٤٦٩ ، ٨٧	- ثابت بن أبي ثابت
٥٤٧	
١٦ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٨٠ ، ٧٨ ، ١٧٧ ، ١٩٢ ، ٢٦٨ ، ٣٠٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٩ ، ٣٩٨ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢٣ ، ٤٣٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٦٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥٢٥ ، ٥٣٥ ،	- ثابت بن قيس (أبو زيد الأنصاري)
٣٤	- ثور بن يزيد أبو الجاموس الأعرابي

٣١٠	- جرير (الشاعر)
٣١٠	- جعفر بن خالد الحارثي
١٠٤ ، ١٠٢ ، ٣٦ ، ٣٣ ، ٣٣ ، ٢٠ ، ١٥٦ ، ١٢٥ ، ١١٥ ، ١٠٥ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٥٧ ، ٢٨٣ ، ٢٧١ ، ٣٨٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٣ ، ٣٦٦ ، ٤٠٧	- جلال الدين السيوطي
٥١	- حتروش (شاعر)
١٤٢	- حماد الراوية
٣٦٧	- حمزة القارئ
، ١٤٢	- خالد القسري
٣١١	- حرنق بنت هفان (شاعرة)
٣٧٩ ، ٣٣	- خلف الأحمر
٥١	- دريد بن الصّمه
، ٤٦١ ، ٢٩٣ ، ٦٠ ، ٣٨ ، ٣٧ ٤٦٥	- ذو الرمة (غيلان بن قيس)
، ٩٨ ، ٩٥ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٤ ، ٣٧٤ ، ٩٩	- رمضان عبد التواب
٢١٤	- ربيعة (اسم امرأة)
٣٥١ ، ١٩٢ ، ٥٨ ، ٤١ ، ٧ ، ٣٤ ٣٨٥ ، ٣٧٩ ، ٣٦٣ ،	- زبّان (أبو عمرو بن علاء البصري)
٢٥٣ ، ١٧٦	- زهير بن أبي سلمى
١٤٤ ، ١٤٢	- زياد النبطي
١٤٤ ، ١٤٢	- زياد بن أبيه
٣١	- سعيد الأفغاني

٥٠	- سعيد بن جبير
١٥	- سلمة بن عاصم
٣٠	- سليمان بن عبد الملك
٣٧ ، ١٧١ ، ١٩٢ ، ٢٣٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٦٥ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٩٢ ، ٥٣٩ ،	- سيويه
٣٣	- شبيب بن عذرة الضبي
٣٤	- شماء الأعرابية
٣٠١	- صاعد بن الحسن بن عيسى
١٢٣	- صالح الجرمي (أبو عمر)
٢٢ ، ٤٢٠	- عاطف مدكور
٤٢١ ، ٤٤١ ، ٤٦٨ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩	- عبد الحق الأزدي
٢٧٨	- عبد الدائم القيرواني
٤٦	- عبد الرحمن بن عيسى الحازمي
٤٤	- عبد العزيز الأهواني
٤١٩	- عبد العزيز الميمني
١٤٣	- عبد العزيز بن مروان (الخليفة الأموي)
٤٥ ، ٤٩ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٨ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣	- عبد العزيز مطر
٤٥ ، ٤٦	- عبد الفتاح سليم
١٤٤	- عبد الله بن أحمد بن حنبل - رحمه الله
١٤٥	- عثمان البيتي
١٤٢ ، ١٤٦	- عبد الله بن زياد
٣٤ ، ١٧٦ ، ٣٢٢ ، ٣٤٦	- عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -
٤٨٦	- عبد الله بن كثير المكِّي القارئ

٤١٩	- عبد الملك الثبيتي
١٦ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٩ ، ١٠٨ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٧٦ ، ٣٠٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٢٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٨ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٦ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨	- عبد الملك بن قريب الأصمعي
٣٠	- عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي)
٢١	- عبد الوهاب محمد العدواني
١٤٦	- عبيد الله بن زياد
٣٦٤	- عثمان بن عفان - رضي الله عنه
٢٩	- علي بن أبي طالب - رضي الله عنه
١٧٨ ، ٣٩٨	- علي بن حمزة البصري
١٦	- علي بن سليمان الأحمش
١٧ ، ٢١	- علي بن محمد الاسترابادي
١٤ ، ٢٥٣ ، ٣٤٦ ، ٤٦١	- عمر بن الخطاب - رضي الله عنه
١٤٥	- عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه

٢٦٠	- عمرو بن العاص - رضي الله عنه
٣٤	- عمرو بن عامر البهدي
٣٤	- عمرو بن كركرة أبو مالك الأعرابي
٤٦٢	- عترة بن شداد
٣٤	- غنبة أم الحمام (الأعرابية)
٣٩٦	- فؤاد سزكين
٣٤	- قرينة أم البهلول الأعرابية
٥٦ ، ٣٦٢ ، ٤٤٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٧ ، ٥١٥	- قطرب (محمد بن المستير)
٣١٠	- قُتُب ابن أم صاحب (الشاعر)
٤٦٣ ، ٤٦١ ، ٤٤٩ ، ٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٦٨ ، ٤٧٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٢	- كراع النمل (علي بن الحسن)
٣١٠ ، ٢٧٥ ، ٢٥٤	- مالك بن الرب المازني
٤٨٩ ، ٤٨٦	- مبرمان (أبو بكر محمد بن علي النحوي)
٤٦٨	- محمد بن أبان
١٦	- محمد بن العباس الزبيدي
١٦	- محمد بن سلام الجُمحي
١٦ ، ٢٠ ، ٦٢ ، ١٨٢ ، ٢٦٨ ، ٣٧٩ ، ٥١٥ ، ٥١٧	- محمد بن يزيد المبرد (أبو العباس)
٣٦٨	- محمد خاطر
٦٠	- مصطفى سالم
٦٣	- مُعَاذ بن مسلم الهراء
٣٢ ، ٣٠	- معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه
١٦ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ،	- معمر بن المثني الثقفي (أبو عبيدة)

١٧٧ ، ١٠٧ ، ٩٣ ، ٨٠ ، ٧٠ ، ٦٠ ، ٣٧٩ ، ٣٦١ ، ٣٥٤ ، ١٩٢ ، ٤٥٩ ، ٤٥٥ ، ٤٤٠ ، ٤٢٦ ، ٣٩٨ ، ١٧٣ ، ١٦٣ ، ١٥٠ ، ١٣٥	
٤٢٠ ، ٣٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٣	- مكى ابن أبي طالب القيسي
٣٢	- ميسون الكلبيّة
٤٣٥	- نافع بن أبي نعيم (القارئ)
٣١	- نصر بن عاصم
١٦	- نبطوية (إبراهيم بن محمد بن عرفة)
١٤٥	- نوح بن جرير
٣٢	- هارون الرشيد (الخليفة العباسي)
٤٨	- هارون بن أحمد الحلبي
٣٦٠	- هشام الكلبي
٩٥	- هشام بن الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله (الخليفة الأموي)
٣٠٨	- ورش القارئ
٤١٨	- يحيى بن زكريا القندولابي
٣١	- يحيى بن يعمر
١٤٨ ، ٩٣ ، ٨٧ ، ٨١ ، ٥٩ ، ٣٣ ، ٣٠٤ ، ٢٩٩ ، ٢٦٨ ، ١٧٧ ، ٥٤٧ ، ٥٠٧ ، ٤٩٩ ، ٤٢١ ، ٣٦٢	- يونس بن حبيب الضبي
، ٦٣ ، ٦١ ، ٥٣ ، ٣٨ ، ٢٩ ، ١٧ ، ٥١٤ ، ٣٥٠ ، ١٤٠ ، ٧٥	- يوهان فك

فهرس القبائل والجماعات

اسم القبيلة	الصفحة
- أسد	٣٦ ، ٥٠ ، ١٠٠ ، ٣٢٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤
- أزد شؤة	٧٢ ، ٣٦٧
- الأزد	٤٧
- أهل الحجاز	١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٣٨ ، ١٥٦ ، ٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٨٧ ، ٤٠٧ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ .
- بكر بن وائل	٣٥٦
- تميم	٣٦ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٥٦ ، ٢٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤ ، ٤٥٢
- تغلب	٤٣٨ ، ٤٤٠
- ثقيف	٣٦٤
- جذام	٣٦٤ ، ٣٦٧
- بنو حرام	١٢٦
- بنو حنيفة	٣٦٤
- خزاعة	٣٦٤
- ربيعة	١٠٢ ، ٣٩٢
- سعد بن بكر	٣ ، ٣٠
- بنو سليم	٦٥ ، ٦٦ ، ٢٤٤ ، ٣٥٨ ، ٤٢٤ ، ٤٣٨ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩
- طيء	٥٨ ، ٣٦٧ ، ٣٩٢ ، ٤٣٩

٤٣٧ ، ٢٠٧	- عبد قيس
٤٠٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٠ ، ٣٥٣	- بنو عذرة
٤٣٩ ، ٤٣٨	- بنو عامر
٥٣٧ ، ٤٤٣	- غطفان
٣٦٧ ، ٣٦٤	- غسان
٣ ، ٣٠ ، ١٠٨ ، ١٨٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤٠٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٠	- قريش
٣٦ ، ٣٨ ، ٢٤٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ،	- قيس
٨٧ ، ٧١	- قيس عيلان
٣٦٤	- قضاة
٤٠٩ ، ٣٨٠	- بنو القين
٣٦	- كنانة
٣٦٤	- كندة
٤٠٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٠	- كعب
٣٨١	- كلب
٣٦٧ ، ٣٦٤	- لخم
٤٣٩ ، ٤٣٨	- مضر
٤٥٥	- بنو مطر
٥٣٧	- بنو مرة
٣٦ ، ١١٢ ، ٣٥٥ ، ٣٦٤ ، ٤٠٧ ، ٤١٤ ، ٤١٥	- هذيل
٤٣٨ ، ٤١٠	- هوزان
٣٤٣	- اليهود

فهرس المصادر والمراجع

- الإبدال ، لابن السكيت ، تقديم وتحقيق حسين محمد شرف ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٨ هـ .
- الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ، دار المعرفة بيروت .
- أدب الكاتب ، لابن قتيبة — تحقيق محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .
- أسرار العربية ، لابن الأنباري ، تحقيق وتعليق بركات يوسف هبود ، شركة الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ .
- أساس البلاغة للزمخشري ، دار صادر ، بيروت .
- إسفار الفصيح لأبي سهل الهروي ، تحقيق أحمد سعيد قشاش ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٦ هـ .
- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ، لعبدالباقي بن عبدالحميد اليماني ، تحقيق عبدالحميد دياب ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .
- إصلاح المنطق ، لابن السكيت ، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبدالسلام هارون ، دار المعارف الطبعة الرابعة .
- الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف الطبعة الخامسة .
- الأضداد ، لابن الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ١٤١١ هـ .
- إعراب القرآن الكرم ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق زهير غازي زاهد ، عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ .
- الأعراب الرواة ، لعبدالحميد الشلقاني ، طرابلس ليبيا الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ .

- الأعلام ، للزركلي ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ .
- الأفعال ، لابن القطاع ، عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
- الأفعال ، للسراقسطي ، تحقيق حسين محمد شرف ، مراجعة محمد مهدي علام ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة ١٤١٣هـ .
- الإقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب ، لابن السيد البطليوسي ، تحقيق مصطفى السقا ، وحامد عبد الحميد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٤١٦هـ .
- الألفاظ ، لابن السكيت ، تحقيق فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .
- الأمان ، لأبي العلي القالي ، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي ، دار الأفاق الجديدة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ، تحقيق حمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ .
- الإنصاف في مسائل الخلاف ، لانب الأنباري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر بيروت .
- أضواء البيان ، للشيخ محمد أمين الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ١٤١٥هـ .
- البحر المحيط ، لأبي حيان الدنلسي الغرناطي ، طبعة جديدة بعناية صدقي محمد جميل ، المكتبة التجارية ، مصطفى أحمد الباز مكة المكرمة .
- البداية والنهاية ، لابن كثير ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ .
- بغية الآمال في معرفة النطق بجميع مستقبلات الأفعال ، لأبي جعفر اللبلي ، تحقيق سليمان العايد ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤١١هـ .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية بيروت ١٤١٩هـ .

- البلغة في أصول اللغة ، محمد صديق خان القنوجي ، تحقيق نذير محمد مكيني ، دار البشائر الإسلامية الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة ، للفيروز آبادي تحقيق محمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٣٩٢هـ .
- البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة السابعة ١٤١٨هـ .
- تاج العروس لجواهر القاموس ، للزبيدي ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ .
- تاريخ آداب العربية ، لجرجي زيدان ، مراجعة شوقي ضيف ، دار الهلال .
- تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ، ترجمة عبدالحليم النجار وآخرين ، دار المعارف مصر الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ .
- تاريخ التراث العربي ، لفؤاد سزكين ، إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٨هـ .
- تاريخ النحو العربي ، لسعيد الأفغاني ، الكويت مكتبة الفلاح ١٤٢٠هـ .
- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، لابن مكّي الصقلي ، تحقيق عبدالعزيز مطر ، القاهرة ١٤١٥هـ .
- تحفة المجد الصريح لشرح كتاب الفصيح ، لأبي جعفر اللبلي ، تحقيق عبدالملك بن عيضة السبيتي ، مكتبة الآداب القاهرة ١٤١٨هـ .
- تصحيح التصحيف وتحريم التحريف ، لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق السيد الشرقاوي ، مراجعة رمضان عبدالنواب ، مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .
- تصحيح الفصيح ، لابن درستويه ، تحقيق محمد بدوي المختون ، مراجعة رمضان عبدالنواب ، القاهرة ١٤١٩هـ .
- التطريز اللغوي ، لمحمد خليفة الدماغ ، ليبيا ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) بيروت ١٤٠٨هـ .
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
- تفسير ابن كثير ، دار المعرفة بيروت ١٣٨٨هـ .
- تقويم اللسان، لابن الجوزي ، تحقيق عبدالعزيز مطر ، دار المعارف القاهرة الطبعة الثانية .
- التكملة والزين والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق عبدالعليم الطحطاوي وآخرين ، مطبعة دار الكتب القاهرة ١٣٩٤هـ .
- التلويح في شرح الفصيح ، جمع وتعليق محمد عبدالمتعم خفاجي ، دار الصحابة للتراث مصر طنطا .
- التنبهات على أغاليط الرواة ، لعلي بن حمزة ، تحقيق عبدالعزيز الميمني ، دار المعارف القاهرة .
- التنبيه على حدوث التصحيف ، لحمزة الأصفهاني ، تحقيق محمد أسعد أطلس ، دار صادر بيروت الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .
- تلخيص التحرير ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق السيد عبدالله هاشم اليماني ، المدينة المنورة ١٣٨٤هـ .
- تهذيب اللغة ، للأزهري ، تحقيق عبدالسلام هارون وآخرين ، دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤هـ .
- ثلاثيات الأفعال المقول فيها أفعل أو أفعل بمعنى واحد وزوائده ، لأبي عبدالله بن محمد بن مالك ، ولأبي الفتح محمد البعلي ، تحقيق سليمان العايد ، دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة ١٤١٠هـ .
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام في مدينة فاس ، لأبي القاضي المكتاسي ، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط ١٣٩٣هـ .

- جهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
- جهرة اللغة ، لابن دريد ، تحقيق رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .
- جهود اللغويين الأندلسيين في التصويب اللغوي مع دراسة وتحقيق كتاب التصريح بشرح غريب الفصح ، للتدميري ، تحقيق عبدالرحمن بن عيسى الحازمي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٢هـ .
- الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار إحياء التراث العربي بيروت
- خزانة الأدب ولب لباب العرب ، لعبدالقادر البغدادي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه محمد نبيل طريفي إشراف أمين بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .
- الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، الجزء الأول والثاني دار الكتاب العربي بيروت ، والجزء الثالث الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ .
- خلاصة البدر المنير ، لابن الملقن — تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، مكتبة الرشد الرياض .
- الدراسات اللغوية عند العرب ، لمحمد حسين آل ياسين ، دار مكتبة الحياة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .
- دراسات في فقه اللغة ، لصبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٦هـ .
- ذرة الغواص في أوهام الخواص ، للحريري ، دراسة وتحقيق الشريف عبدالله بن علي الحسيني ، مكتبة الفيصلية مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

- ديوان الأدب ، للفارابي ، تحقيق أحمد مختار عمر ، الهيئة العامة لشؤون المطابع
الأميرية ، القاهرة ١٣٩٤هـ .
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، مطبعة
مصطفى الحلبي ، القاهرة الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن عماد الحنبلي ، تحقيق عبدالقادر
الأرنؤوط ورفيقه ، دار ابن كثير دمشق الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .
- شرح درة الغواص للخفاجي ، تحقيق عبدالحفيظ فرغلي علي ، دار الجيل
بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
- شرح غريب الفصيح للتدميري ، تحقيق عبدالرحمن عيسى الحازمي ، الجامعة
الإسلامية بالمدين المنورة ١٤٢٢هـ .
- شرح فصيح ثعلب ، لابن الجبان ، تحقيق عبدالجبار القزاز ، المكتبة العلمية
لاهور باكستان الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- شرح الفصيح ، لابن هشام اللخمي ، تحقيق مهدي عبيد جاسم ، دار الآثار
والتراث العراق الطبعة الولي ١٤٠٩هـ .
- شرح الفصيح ، للزمخشري ، تحقيق ابراهيم عبدالله الغامدي ، جامعة أم القرى
بمكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .
- شرح فصيح ثعلب ، للمرزوقي ، تحقيق سليمان العايد ، جامعة أم القرى مكة
المكرمة ١٤٢٢هـ .
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، تصحيح متعلق ومراجعة محمد
عبدالمنعم خفاجي ، المكتبة الأزهرية للتراث بمصر الطبعة الأولى .
- شواهد التوضيح والتصريح لمشكلات الجامع الصحيح ، لجمال الدين محمد بن
عبدالله الطائي ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، مطبعة لجنة البيان العربي .
- الصاحبي في فقه اللغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، مكتبة
المعارف بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري) اعتنى به مكتب التحقيق بدار
إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .
- صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير بيروت الطبعة
الثالثة .
- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، إحياء التراث العربي .
- ضحى الإسلام ، لأحمد أمين ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .
- طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار
المعارف القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .
- العربية ، ليوهان فيك ، ترجمة وتقديم وتعليق رمضان عبدالنواب ، مكتبة
الخانجي ١٤٠٠هـ .
- العقد الفريد ، لابن عبدربه ، تقديم خليل شرف الدين ، دار مكتبة الهلال
بيروت الطبعة الولي ١٤٠٦هـ .
- العين للخليل بن أحمد ، تحقيق مهدي الخزومي وإبراهيم السامراي ، دار مكتبة
الهلال بيروت .
- عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له يوسف علي
طويل ، مكتبة الباز مكة المكرمة ١٤١٨هـ .
- الغرز المثناة والدرر المبثثة ، للفيروز أبادي ، تحقيق سليمان العايد ، مكتبة نزار
مصطفى الباز ، مكة المكرمة .
- غريب الحديث لابن قتيبة تحقيق عبدالله الجبوري الطبعة الأولى ، مطبعة العالي
بغداد ١٣٩٧هـ .
- الغريب المصنف ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق محمد المختار العبيدي ،
المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

- الغريبين ، لأبي عبدالله بن أحمد الهروي ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، القاهرة ١٣٩٠هـ .
- فصول في فقه اللغة ، لرمضان عبدالنواب ، مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة السادسة ١٤٢٠هـ .
- الفصيح لأبي العباس ثعلب ، تحقيق عاطف مذكور ، دار المعارف القاهرة .
- فعلت وأفعلت ، لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق خليل ابراهيم العطية ، دار صادر بيروت الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .
- فعلت وأفعلت ، للزجاج ، تحقيق رمضان عبدالنواب ورفيقه ، مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٥هـ .
- فقه اللغة ، لابن فارس (الصحاحي في فقه اللغة) تحقيق عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف بيروت الطبعة الأولى .
- فقه اللغة وسر العربية ، للثعالبي ، تحقيق فائز محمد وأمين يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .
- الفهرست لابن النديم ، تحقيق رضا ، دار المسيرة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ .
- الاقتراح ، للسيوطي ، تحقيق محمد الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ .
- القراءات القرآنية في البحر المحيط ، لمحمد نحاطر ، مكتبة الباز مكة المكرمة .
- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .
- القلب والإبدال ، لابن السكيت (ضمن مجموعة الكثر اللغوي) نشره وعلق على حواشيه أغست هفتر ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣م .
- الكامل في اللغة والأدب ، للميرد ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- الكتاب ، لسبيوية ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ، دار الفكر بيروت
- اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه ، لعبدالفتاح سليم ، دار المعارف القاهرة
الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .
- لحن العامة ، لأبي بكر الزبيدي ، تحقيق عبدالعزيز مطر ، مكتبة الأمل الكويت
١٩٦٨ م .
- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، لعبدالعزيز مطر ، الدار القومية
للطباعة والنشر ١٣٨٦هـ . .
- لحن العامة والتطور اللغوي ، لرمضان عبدالنواب ، دار المعارف القاهرة الطبعة
الأولى ١٩٦٧ م .
- لحن العوام ، لأبي بكر الزبيدي ، تحقيق رمضان عبدالنواب ، مكتبة الخانجي
القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ .
- لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر بيروت الطبعة الأولى
١٤١٠هـ .
- اللغة بين المعيارية والوصفية ، لتمام حسان ، دار الثقافة القاهرة ١٤١٢هـ .
- لغة تميم ، لضاحي عبدالباقي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية القاهرة ١٤٠٥هـ .
- اللهجات العربية في التراث ، لأحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب
طرابلس ١٤٠٣هـ .
- المثلث ذو المعنى الواحد ، للبعلي ، تحقيق سليمان العايد ، مكتبة الطالب
الجامعي مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ .
- المثلث لابن السيد البطلبيوسي ، تحقيق صلاح الفرطوسي ، دار الرشد بغداد
١٤٠١هـ .
- ما تلحن فيه العامة ، للكسائي ، تحقيق رمضان عبدالنواب ، مكتبة الخانجي
القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

- مجالس ثعلب ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار المعارف القاهرة الطبعة الخامسة .
- الجرد في غريب كلام العرب ولغاتها ، لكراع النمل — تحقيق محمد أحمد العمري ، الجزء الأول دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .
- مجمع الأمثال ، للميداني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت الطبعة الثانية .
- مجمل اللغة ، لأحمد بن فارس ، دراسة وتحقيق زهير عبدالمحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .
- المجمع المغيث في غربي القرآن والحديث للإمام الحافظ أبي موسى ابن أبي بكر الأصفهاني ، تحقيق عبدالكريم العزباوي ، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع جدة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، دار سزكين للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، معهد المخطوطات لجامعة اللغة العربية الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ .
- المخصص لابن سيده ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨هـ .
- المدخل إلى تقويم اللسان ، لابن هشام اللخمي ، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
- المذكر والمؤنث لابن الأنباري ، تحقيق طارق الجناني ، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ، شرح وتعليق محمد جاد المولى وآخرين ، المكتبة العصرية بيروت ١٤٠٦هـ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ .

- المشرف المعلم ، للعكبري ، تحقيق ياسين محمد السواس ، دار الفكر دمشق ١٤٠٣هـ .
- مصادر الشعر الجاهلي ، لناصر الدين الأسد ، دار المعارف القاهرة ١٤١٤هـ .
- المصباح المنير ، للفيومي ، المكتبة العصرية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
- معاني القرآن ، للأخفش ، تحقيق عبدالأمير محمد أمين ، عالم الكتب بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .
- معاني القرآن للزجاج ، تحقيق عبدالجليل عبده شلبي ، طبعة دار الحديث القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
- معاني القرآن ، للفراء ، تحقيق محمد علي النجار وآخرين ، عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ .
- معجم الأوزان الصرفية ، لأمين بديع يعقوب ، عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .
- معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، دار الفكر بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .
- المعجم العربي ، لحسن نصار ، مكتبة مصر القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ .
- معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- المعجم الوسيط ، تأليف إبراهيم أنيس وآخرين ، دار الفكر بيروت .
- المعرّب من الكلام الأعجمي ، للجواليقي ، تحقيق ف — عبدالرحيم ، دار العلم دمشق الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .
- معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ .
- المنتخب من غريب كلام العرب ، لكراع النمل ، تحقيق محمد أحمد العمري ، مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .
- من أسرار اللغة ، لإبراهيم أنيس ، مكتبة انجلو المصرية القاهرة .
- من كلام العرب ، لحسن ظاظا ، دار نهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .

- الموشح ، للمرزباني ، تحقيق حسين شمس الدين ، مكتبة دار الباز مكة المكرمة ،
الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
- النشر في القراءات العشر ، لابن الجوزي ، أشرف على الطبعة علي محمد
الطباع ، دار الفكر بيروت .
- نشأة النحو ، للشيخ محمد الطنطاوي . عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقري ، تحقيق يوسف الشيخ محمد
البقاعي ، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام أبي السعادات المبارك ابن الجزري ،
خرج أحاديثه وعلق عليه صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية بيروت
١٤١٨هـ .
- النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري ، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد ، دار
الشروق ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار
صادر بيروت ١٣٩٨هـ .
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق مفيد قمبيحه ، دار
الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

فهرس الموضوعات العامة

الصفحة	الموضوع
١٠-١	التمهيد
١٨-١١	الفصل الأول : الفصحى والفصحى
٢١-١٩	شروح الفصحى المشرقية
٢٣-٢٢	شروح الفصحى المغربية
٢٤	الباب الأول : التنقية اللغوية
٥٠-٢٥	الفصل الأول : مصطلح التنقية اللغوية
١٣٤-٥١	أعلام
١٤١-١٣٥	الدوافع التي أدت إليها
١٥٧-١٤٢	معالمها اللغوية
٢٩٨-١٥٨	الفصل الثاني : دور كتاب الفصحى وأثر شروحه المشرقية والمغربية في تدعيم حركة التنقية اللغوية
٣٣٠-٢٩٩	الفصل الثالث : موازنة بين الشروح المشرقية والشروح المغربية ونتائج الموازنة
٣٣١	الباب الثاني : التوسع اللغوي
٣٥٥-٣٣٢	الفصل الأول : مصطلح التوسع اللغوي
٣٥٩-٣٥٦	الفصل الثاني : مظاهر التوسع اللغوي في شروح الفصحى :
٣٩٨-٣٦٠	في الشروح المشرقية
٤٢٩-٣٩٩	في الشروح المغربية
٤٦٨-٤٣٠	موازنة بينها - نتائج هذه الموازنة
٥١٧-٤٦٩	الفصل الثالث : آثار حركة التوسع في الدرس اللغوي
٥٥١-٥١٨	الخاتمة وأهم النتائج
٦٠٢-٥٥٢	الفهرس